

M-197485

DATA ENTERED

الأسطورة اليمنية في الأدب العربي

رسالة علمية لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي

أعداد

فاطمة علوي الصافي

إشراف

الاستاذ الدكتور ذوالفقار علي مالك

سبتمبر ١٩٨٦

محرّم: ١٤٠٧

لاهور باكستان

جامعة البنجاب
كلية العلوم الشرقية
قسم اللغة العربية

<u>المفحة</u>	<u>الموضوع</u>
	المقدمة -
٥	<u>الباب الأول</u> : نشأة الأسطورة اليمنية وانتشارها -
٦	<u>الفصل الأول</u> : " الأسطورة اليمنية " -
٧	- الأسطورة العربية
٩	أسباب الانصراف عن دراستها
١٢	- تعريف الأسطورة
١٤	الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية
١٥	- أهمية الأسطورة
١٨	- تعريف الأسطورة اليمنية
٢١	- نشأة الأسطورة
٢٦	- نشأة الأسطورة اليمنية
٢٨	زمن تدوين الأسطورة اليمنية
٢٩	- انتشار الأسطورة اليمنية
٣٠	أسباب انتشارها :
٣١	•• التفوق الحضارى
٣٢	•• الصراع التاريخى
٣٦	•• العصبية القبلية
٣٨	<u>الفصل الثانى</u> : " مصادر الأسطورة اليمنية " -
٤٠	- الرواة الأوائل
٤٢	١ - كعب الأحمار
٤٨	٢ - عبيد بن شربة الجرهمى
٥١	٣ - وهب بن منبه
٥٢	- كتاب التيجان فى ملوك حمير
٥٧	- العنايع الأولى للرواة
٥٦	١ - العرويات الشفهية العتداولة
٦١	x الاتصال بين الأمم
٦٣	x التأثير البابلى
٦٦	x التأثير الفارسى
٦٧	x التأثير الاغريقى
٦٩	٢ - الكتب والأسفار القديمة
٧٢	٣ - القصص القرآنى
٧٣	x أسباب الاهتمام بالقصص حول
	أ - عباد
	ب - أصحاب الرس
	ج - بلقيس

بعضها

- ٧٨ - الخصائص الناتجة عن المصادر الأساسية للأسطورة :
أ - مزج التاريخ بالأسطورة
- ٧٩ ب - دخول الاسرائيليات في المصادر العربية
ج - تفشي ظاهرة النحل
- ٨٦
- ٨٩ - الباب الثاني : أنواع الأساطير اليمنية
بحسب أساسها
- ٩١
- ٩٣ - الفصل الأول : " الأساس الديني "
- ٩٣ - عبادة الكواكب
x عبادة القمر
x عبادة الشمس
x عبادة الزهرة
x عبادة الأشجار
- ٩٦
- ٩٩ - عمرو بن لحي والأصنام
- اساف وناثلة
x أساطير المسخ
- النار في اليمن
- رشام
- أسطورة القرنين
- أساطير أخلاقية
أ - هر الوالدين
ب - الكرم الحاتمي
- ١٠٣
- ١٠٦
- ١١٢
- ١١٤
- ١٢١
- ١٢٦
- ١٢٨
- ١٤٢
- ١٤٥
- ١٤٩ - خصائص الأسطورة اليمنية ذات الأساس الديني
- ١٥٨ - الفصل الثاني : " الأساس الطبيعي "
- ١٦٠ - أسطورة سهيل والشعريين
- من أساطير الخلق
- تفسير الزلازل
- من أساطير الدهر
١ - أسطورة ذي القرنين
x ذو القرنين والدهر
٢ - أسطورة لقمان والنسور السبعة
- ١٦٤
- ١٦٦
- ١٦٧
- ١٧٤
- ١٩١
- ١٩٩ - أسطورة الهامة
- أساطير الجن
x أنواع الجن
x موطن الجن
x عبادة الجن
x من أساطير الجن
x الرثمي
- ٢٠٤
- ٢٠٦
- ٢٠٧
- ٢٠٩
- ٢١٢
- ٢١٦

- ٢١٩ - خصائص الأساطير ذات الأساس الطبيعي
- ٢٢٥ - الفصل الثالث : " الأساس التاريخي "
- ٢٢٦ - من أساطير عاد
- ٢٢٧ - سد مأرب وسيل العرم
- ٢٢٩ x أسطورة تهدم السد
- ٢٤٧ - الكهانة
- ٢٤٩ x شق وسطيح
- ٢٥١ x الكاهنة زهراء الحضرية
- ٢٥٢ x الكاهنة عفيرة الحميرية
- ٢٥٢ x الكاهن خنافر الحميري
- ٢٥٨ - من أساطير تبع "أسعد الكامل"
- ٢٦٦ x بطل الأسطورة
- ٢٨٣ - قصر غمدان
- ٢٩٤ - خصائص الأسطورة ذات الأساس التاريخي
- ٢٩٩ - الخاتمة " نتائج البحث العامة "
- ٣٠٠ x ارتباط الأساطير بواقع اليمن
- ٣٠١ x البطل الأسطوري
- ٣٠٣ x المضمون الأسطوري
- ٣٠٤ x أسلوب الأسطورة
- ٣٠٨ - فهرس المصادر والمراجع
- ٣١٩ - فهرس المراجع الأجنبية
- ٣٢٠ - فهرس المجلات والدوريات
- ٣٢١ - فهرس الاعلام
- ٣٢٩ - فهرس القبائل والبطون
- ٣٣١ - فهرس الأماكن والمواضع
- ٣٣٤ - فهرس الأشعار

" المقدمة "

لقد اخترت البحث في موضوع " الأسطورة اليمنية في الأدب العربي " بعد أن أتممت أطروحتي العلمية لنيل الماجستير حول المرويات اليمنية ، إذ لفت انتباهي غلبة الجانب الأسطوري على معظم تراث اليمن الأدبي ، ورأيت أنها تستحق أن يخصصها المرء بدراسة علمية وافية تضيء جوانب متعددة من حياة اليمنيين الاجتماعيين والثقافية ، وقررت اتخاذها موضوعاً لأطروحة الدكتوراه .

إن أهميات الكتب والعديد من المصادر تزخر بالأساطير اليمنية التي تختلط بالقصص التاريخية ، وأحياناً تدق فتختفي في ثنايا الأخبار الأدبية . وكثيراً ما كانت هذه الصيغة الأسطورية سبباً في عزوف بعض الباحثين عن الركون إلى تلك المصادر الأدبية أو إيلائها بعض الاهتمام لربط الأسباب بالمسببات ، فيكفل أولئك الباحثون الاتهام لرواة تلك الأساطير ، إذ يتهمونهم بالمبالغة والتزويد والشطط في الخيال ، لأنهم ينظرون إلى تلك الأخبار والقصص الأسطورية نظرة الباحث المورخ الذي ينتقي الصادق من الأخبار ، دون أن يولوا تلك المادة الغزيرة من الأساطير اهتمامهم ، ودون أن ينظروا إليها فناً أدبياً رفيعاً ، ونتاجاً إنسانياً لأقوام كانت تدفعهم إلى تلك الروايات دوافع متعددة ومختلفة تستحق منا الدراسة والاهتمام .

ويلقي البحث الضوء على تاريخ اليمنيين القدماء لامتزاج الأساطير بأخبارهم التاريخية ، ويعلل الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك ، كما أنه يقدم النظرة الموضوعية لتقويم اليمنيين وتراثهم الأدبي ، وعدم التأثر بظواهر الأمور في إطلاقنا الأحكام الجائرة التي لاتستند على أدلة وبراهين علمية ، وما هذا التقويم في الواقع إلا محاولة للبحث بروح علمية متجردة ، همها الأول والأخير هو اثبات الحقيقة الموضوعية والانتصار لها .

ويتناول البحث الاهتمام بموقع الأدب اليمني القديم بين الآداب العربية ، وفيه محاولة لاثبات هوية هذا الأدب لارتباطه بحياة القوم وواقعهم الاجتماعي ارتباطاً وثيقاً .

وينحصر البحث في حقبة زمنية معينة لا تتعدى في الواقع القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ولا شك أن العنوان يدل عليه فالأساطير تحمل معنى القدم والحكايات المتداولة في عصر الرواية الشفهية حتي زمن تدوينها ، حيث تم التركيز على نماذج مختارة من تلك الأساطير واستنتاج خصائصها المميزة ، التي تلقي الضوء على جوانب متعددة متعلقة بفن " الأسطورة " في الأدب العربي .

ويجدر بي التأكيد على حرصي على أن يتوفر للبحث عنصرا الجودة والريادة في اضافات جديدة الى عالم المعرفة ، وازاءة جوانب متعددة في مجال " فن الأسطورة " فيما يتعلق باليمن بخاصة والأدب العربي بعامة . والمجال بكر في هذا النمط من الدراسة الأدبية ، ولاسيما في الجانب المتعلق بثرات اليمن ، حيث لم يتطرق اليه باحث بالدراسة العلمية الجادة .

وقد اتبعت في تقسيم البحث منهجا يسهل مهمة التعريف بالأساطير اليمنية ، واشبات هويتها ومن ثم التعرف على خصائصها وسماتها المميزة ، فارتأيت تقسيمها الى أنواع ثلاثة بحسب الأسس التي يعتمد عليها كل قسم ، وذلك لاجتماع كل نوع في السمات الخاصة به ، ولتحقق الاحاطة الشاملة بالأساطير على اختلاف أنواعها .

ولذلك كان تقسيم البحث الى باهين . يتكون الباب الأول من فصلين :
الفصل الأول بعنوان " نشأة الأسطورة اليمنية " ويتضمن هذا الفصل اثبات وجود الأساطير اليمنية بخاصة ، كما عمدت فيه الى تعريف الأسطورة اليمنية واشبات هويتها ، ثم ناقشت ظروف نشأتها والدوافع التي أدت الى نشاط الرواة وأهل الأخبار في تداولها وسعة انتشارها .

وكان الفصل الثاني بعنوان " مصادر الأسطورة اليمنية " فكان التعريف بأشهر رواة اليمن الذين عرفوا برواية تلك الأساطير ، تبع ذلك رصد للمنابع الأساسية التي استقروا منها مادتهم الأولى ، ووجدتها متمثلة في ثلاثة مصادر :

- أ - العرويات الشفهية المتداولة بين الشعوب السامية وغيرها .
- ب - الكتب والأسفار القديمة .
- ج - القصص، القرآنسي .

وكان للانجراف في تيار القمص الأسطوري ظواهر أو نتائج طبعت المصادر العربية بطابعها ، ومن تلك النتائج :

- مزج التاريخ بالخرافة والأسطورة .
- اغراق كتب التاريخ والتفسير بالاسرائيليات .
- تفشي ظاهرة النحل .

أما الباب الثاني من البحث ، فهو يتكون من ثلاثة فصول تشمل أنواع الأساطير اليمنية ، وقد كان التقسيم بحسب الأسس التي تركز عليها تلك الأساطير ، ووجدتها ثلاثة أنواع :

الفصل الأول : يتضمن الأساطير ذات الأساس الديني ، وتناولت عددا من تلك الأساطير بالدراسة والتفصيل ، كما ألحقت بأساطير أخلاقية يمكن ادراجها في هذا النمط من الأساطير ، واختتم الفصل باستنتاج عدد من الخصائص المميزة لها .

الفصل الثاني : يشمل الأساطير ذات الأساس الطبيعي ، وكان تقديم نماذج من الأساطير المتعلقة بهذا الأساس كذلك التي تتناول الظواهر الكونية ، وبعد دراسة النماذج استخلصت السمات المميزة لهذا النوع من الأساطير .

الفصل الثالث : قدمت فيه الأساطير ذات الأساس التاريخي ويشمل عددا من الأساطير المتعلقة بشخصيات أو أماكن أو حوادث لها وجود في تاريخ اليمن ، وبعد دراسة تلك الأساطير استخلصت النتائج منها .

وبعد الانتهاء من فصول البحث الأساسية ، اختتمت بخاتمة تضمنتها نتائج البحث التي توصلت اليها في جميع مايتعلق بدراسة الأسطورة اليمنية وخصائصها المميزة ، محاولة بذلك القاء نظرة شاملة تجمع تلك الصفات والسمات التي تميزها عن غيرها .

ويمكن تلخيص مايقدمه هذا البحث في النقاط التالية :

- ١ - القاء الضوء على موقع اليمنيين القدماء بالنسبة لآخوانهم الساميين .
- ٢ - توضيح النشاط الفكري والأدبي لليمنانيين في صدر الاسلام .
- ٣ - تتبع الأسطورة في الأدب العربي من حيث روايتها اليمنيون ومصادرها القديمة قبل الاسلام .

٤ - الكشف عن بعض حقائق الذوق الأدبي عند الشعوب السامية عن طريق (الأدب المقارن) لهذه الشعوب .

٥ - توضيح أهمية الكتب الدينية من حيث كونها مصادر هامة لنمو الأدب عند الساميين عامة والعرب خاصة .

وكان رجوعي - أثناء البحث - إلى العديد من المصادر العربية القديمة والمراجع الحديثة التي بدأت الاهتمام بأساطير الشعوب ، وحرصت على الاطلاع على عدد من المجلات اليمنية التي انتشرت فيها المقالات العلمية النادرة في معالجة بعض مواضيع الأسطورة اليمنية . كما رجعت إلى عدد وافر من الكتب الأجنبية التي ألقت في هذا الفن الأدبي وتناولته من وجهات نظر متعددة .

فأمل بهذا المجهود العلمي المتواضع أن أضيف لبنة إلى بناء صرح التراث العربي ، وأن أملأ به ثغرة في بناء مكتبتنا العربية .

وفي ختام هذه المقدمة أتقدم بالشكر الخالص إلى استاذي المشرف الدكتور ذو الفقار علي مالك (رئيس جامعة بهاولپور الاسلامية) الذي أشرف على هذا البحث وأنادني بتوجيهاته وإرشاداته العلمية الرصينة ، كما أشكر رئيس قسم اللغة العربية في جامعة البنجاب الدكتور ظهور أحمد أظهر الذي قدم لي كل تسهيل ممكن لانجاز مهمتي العلمية أثناء إقامتي في ربوع باكستان .

المسأب الأول

" نشأة الأسطورة اليمنية وانتشارها "

الفصل الأول

" الأسطورة اليمنية "

" الأسطورة العربية " :

ان البحث في الأسطورة اليمنية يتطلب منا أولا الاقرار بوجود الأسطورة العربية بعامة . فهل عرف العرب الأساطير في التراث المأثور عنهم ؟ ولماذا يحاول بعض الباحثين انكار معرفة العرب للأساطير ؟ .

ان نظرة متمعنة في المصادر العربية وأمهات الكتب تجعلنا نتعرف على تراث ضم من الأساطير العربية ، ولكن افتقار الشعر العربي - في عصر ما قبل الاسلام - الى الشعر الملحمي المعروف لدى الاغريق ، قد أساء الى أدب تلك الحقبة عموما ، وقلل من نظرة بعض الباحثين الأجانب الى ذلك الأدب ، فاتخذوا من خلو الشعر الجاهلي من الملحمة حجة في اتهام العربي بأنه محدود الخيال ، يفقر الى الخيال الابتكاري ، كما أورد ذلك الدكتور عبد المعيد خان^(١) الذي أخذ يقارن أبياتا من المعلقات بنظائر لها في آداب الأمم الأخرى ، مبينا الفروق في التشبيهات وأنماط الخيال في كل منها . وقد انجرف الباحث وراء المستشرقين في تجسيد ما أسماه بالمميزات السامية محاولا اضافة صفات معينة على العرب ، متجاهلا واقع البيئة العربية ، ومتناسيا تراثا ضخما غير مقتصر على الشعر في بطون الكتب والمخطوطات .

ويمكن الرد على عدم قدرة الخيال العربي على الابتكار بالاستشهاد بأسطورتى شق وسطيح والعزى ومثيلاتها ، فسطيح رجل رأسه في صدره ، ولاعنق له ولاعظام الا في جمجمته ، وهو بطوى طي البساط . كما يذكر رشيد خورى اسطورة طريفة عن رجل بجذعين ورأسين يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويتصالحان^(٢) ، ومثل ذلك كثير في كتاب القزويني " عجائب المخلوقات " وغيره .

وقد أخذ عبد المعيد خان يفند وصف العرب لأعمال أصحاب المروءة والشجاعة والوفاء ، واستشهد بأمثالهم في تصوير المفالات التي لا تتجاوز بهم الحدود البشرية ولا ترتقي بهم الى درجة الآلهة مثل أبطال اليونان وغيرهم^(٣) ، متجاهلا اختلاف الحقبة التاريخية بين الشعوب ، منتقيا ما يعزز وجهة نظره ، ولو استقصى (حاتم الطائي) وهو أحد من استشهد بهم ، لوقع على عدد من اللمح الأسطورية فيما ورد عنه ، حين جعله الرواة يقري الضيف بعد موته ، وغير ذلك من الأفعال الخارقة للأمور^(٤) .

(١) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ، ٣٣ و ٤٧

(٢) رشيد خورى ، مع العرب في التاريخ والأسطورة ١١

(٣) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٣٨

(٤) انظر البحث ص ١٤٦

وبلغت الدكتور أحمد كمال زكي^(١) النظر الى مايزخر به كتاب النقائض من أساطير لاينقصها شيء مما حفلت به أساطير الاغريق ، فما أشبه " المينوطور " الحيوان الخرافي الذي كان نصفه الأسفل عجل ونصفه الأعلى نصف رجل له أنياب الأسد ، وقد قتله " ثيسوس " بالغول التي طالما عرضت في أعمار شجان العرب وهم يقطعون الصحراء^(٢) .

وقد رد عدد من الباحثين على الدكتور عبد المعيد خان لأن في كتابه نفسه ما يفضي الى رد دعواه ، اذ يرى أن بابل وأشور كانتا أقدم مصدر للحضارة في جزيرة العرب ، وقد دعت الأساطير المتعلقة بالأوثان البابلية الى تحويل عقلية العربي من فكرة بدوية الى فكرة زراعية ، أي أنها ارتقت بالعقلية العربية فجعلتها غير محدودة ومبدعة لأسطورة عربية خالصة .

وقد أشار الدكتور الجوزو^(٣) الى ما يسمي بهجرة الأساطير والخرافات ، وأورد ملاحظة قيمة لكلودلفي ستروس ، فحواها " ان كل أسطورة بطبيعتها اما منقولة أو مقتبسة ، نجد جذورها في أسطورة أخرى مصدرها شعب مجاور ، أو في أسطورة سابقة من أساطير الشعب نفسه ، فما يبدو مرتجلا من الأساطير قد أعيد انتاجه مع المزاي والتفاصيل نفسها ، وفي مناطق شتى من العالم .

كما أن التراث العربي الذي نبحث عن تقويمه موجود في التوراة كما هو موجود في قصص البابليين - ملحمة جلجاميش مثلا - وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس . فكان أكثر ما أخذه اليهود منقولا عن قبائل العربية الكبرى بين اليمن في الجنوب وقبائل الأراميين والكنعانيين في الشمال . ان توزع الخيال العربي في كتب اليهود أكبر من أن ينكر ، ولئن كان اليهود قد حاولوا طمسه أو تشويهه ، فالذي لاشك فيه أن ما به من روايات عن الخلق والطوفان والكواكب يشبه ما يرويه القاصون العرب عن ملوكهم القدماء وأبطالهم الذين قاموا بكل ما لا يستطيعه بشر تحت الشمس^(٤) .

لهذا لايجوز ربط الأسطورة بعقلية شابتة معينة لمنطقة ما ، بل يستحسن نسبتها الى التراث العالمي الذي تطبعه كل منطقة بطابعها الخاص ، دون أن تمحو جوهره وتنسى مصدره .

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٧٨

(٢) سنظر مروج الذهب ١ : ٣٢٦ ويقارن

(٣) مصطفي الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ١٢

(٤) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٣٦

ان المتأمل في مصادر الأدب العربي وتاريخه يجد كثرة من الأساطير التي لم تمتد إليها يد الباحث بالتنقيب والدراسة والتفصيل فيها ، فبقيت كما هائلا مغفلا ، حتى قبض الله لها في الآونة الأخيرة من يتفحصها ويعيد النظر فيها بتأمل ، فظفرت باهتمام عدد من الباحثين ، نفضوا التراب عنها ، وحاولوا اجلاءها للعين فهدت جميلة براءة ، وأظهروا مافيهما من خصوبة وثراء يجعلها تصلح مجالاً للعديد من الدراسات المقارنة في عالم الأدب اليوم ، وأذكر من هؤلاء الدكتور أحمد كمال زكي والدكتور مصطفي الجوزو ، ومحمود سليم الحوت وفاروق خورشيد ورشيد خوري وغيرهم .

لقد انصرف الباحثون قديما عن دراسة الأسطورة العربية ، ولعل ذلك يرجع الى الأسباب التالية :

١ - ارتباط الأسطورة بالشعر الملحمي ، كما نجد ذلك لدى الاغريق في الاللياذة والوديسا ، فأخذ الباحثون ينقبون بحثا في مصادر الأدب الجاهلي ، محاولين اضاءة بعض الصفات على معلقة عنترية أو شعره بشكل عام ، ولكن الواقع لم يسعفهم ، فسلموا بافتقار الأدب العربي الى الأساطير ، وتوقفوا في حيرة وأسف دون النظر الى الكم الهائل من الأساطير (نثرا) وفي ثناياها ما يمكن أن يجمع في ملحمة شعرية كما فعل بيوتروفسكي في كتابه : "ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل" . وتضاربت الآراء في خلو الأدب العربي من الملحمة ، ورأى المتجنون في ذلك نقصا في ذهنية العرب وفي حياتهم الأدبية والفنية ، بينما أنصفهم البعض في محاولتهم ابراز بعض المظاهر الملحمية المبهوثة في دواوينهم (١) .

٢ - شيوع الآراء الأجنبية التي حاولت تجريد العربي من الخيال ، وعملت على ترويح الرأي القائل بعدم وجود الأسطورة العربية ، ولم يعد هذا القول في حاجة الى تنفيذ ، لأن الدراسات الموضوعية قد أثبتت خطأه وتأثره - عن غير وعي - بالعنصرية التي حكمت على الجماعات الانسانية بالتفاوت ، تبعا للأرومة أو العنصر ، فشاعت تلك الأفكار بوساطة بعض الفلاسفة وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي "أرنست رينان" في القرن التاسع عشر .

٣ - تعريف "الأدب" قديما ، اذ نلاحظ أن تعريفه كان "الأخذ من كل علم بطرف" فاشتهره في ذلك الحين ، التأليف الموسوعي المكون من فروع الأدب المختلفة ،

(١) أحمد أبوحاقة ، فن الشعر الملحمي ٦١

وأضرب مثلا بمؤلفات الجاحظ "البيان والتبيين" و "الحيوان" ، فيجد فيها اللغوى بغيته في حل المعضلة النحوية أو اللغوية ، كما يجد الناقد تفسيرا تعبيرا أو تصوير فني في بعض الأبيات ، (مثله مؤرخ الأدب وهكذا... ويأتي ذكر الأسطورة عرضا في هذا الخضم الزاخر بفروع الأدب ودقائقه المختلفة ، وتبقى العادة مغفلة ، في انتظار الباحث الذي يعرف أين يجدها ، فيمد يده ليخرجها من ثنايا هذا الكتاب أو ذاك ، الى النور ، فيسلط الضوء عليها ويتناولها بالدرس والعناية .

٤ - غياب المنهجية في تأليف القدامى ، وامتزاج الأسطورة بالتاريخ ، اذ لا وجود للكتاب الخاص بالأساطير . وانما هي كتب تاريخية يحاول المؤرخ فيها ذكر ما كان يروى في عصره مما يتعلق بهذا الخبر أو ذاك ، ونجد اللاحق يتبع السابق من المؤرخين ، فيتكرر ذكر تلك الأساطير لديهم وتزخر بها كتبهم (الطبرى والمسعودى وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم) على الرغم من نصهم الصريح بعدم ايمانهم بحقيقة ذلك الأمر ، أو ينهون الخبر بقولهم (وهذا حديث خرافة... أو غيره) .

ويقبل الباحث على تلك الكتب فيعترف منها ماشاء من الأخبار التاريخية والأدبية التي يصدقها العقل والمنطق ، ويغفل الجانب الذى لا يستقيم أمامها لأنه يخضع المادة المقروءة لمعيار الصدق الواقعي ، لا الصدق الفني ، وبهمه في الأخبار صدقها وتمحيصها ، وينتج عن هذه الحال اغفال ذلك النتاج الأدبي للقوم .

ومن الغريب أن يبحث الكاتب عن الصدق الواقعي في الأسطورة ، عندما يقرر أن "بعض القصص لا يمكن ادخالها ضمن دائرة الأسطورة لعدم وجود الدلائل عليها"^(١) فلو صح ما يبحث عنه لبطلت أن تكون الأسطورة أسطورة . ويعترف أحد فلاسفة الأسطورة بتجلي الناحية اللاعقلية في الأسطورة بوجه خاص ، وبعدم وقوفها للوضوح والتبرير ، عند حديثه عن الأسطورة الحقيقية^(٢) .

٥ - عدم الشعور بأهمية الأسطورة وارتباطها بحياة القوم ومناحي تفكيرهم . وقد ظهر الاهتمام مؤخرا بعد الاهتمام بالدراسات الانثروبولوجية والاشنولوجية .

(١) مجلة الحكمة - العدد ٥٨ ، مقالة القرشي عبد الرحيم سلام ص ١٥

(٢) ه . فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ١٨

كما أن القرن التاسع عشر ، في أوروبا ، قد جلب معه ثورة فنية وجمالية أعادت للأسطورة رونقها وبهاءها كشكل فني تعبيرى من أشكال الفولكلور والأدب الشعبي ، بعد أن أراد أصحاب عصر الاستنارة في القرن الثامن عشر محوها ، ولم تكن إعادة الاعتبار هذه الا مرحلة أولى ، فما لبث الرومانتيكيون أن توغلوا في نظرتهم الى الأسطورة ، فاعتبروها أصلا للفن والدين والتاريخ ، وأصبحت لهم منهلا كرا وملهما . ثم اتجهت اليها العلوم الانسانية تبحث خلف الشكل الظاهر للأسطورة ، عن رموز كامنة ومعان عميقة تعين على فهم الانسان سلوكه وحياته الروحية والنفسية ، فقدمت لمختبرات علوم الاجتماع والنفس والانثروبولوجيا مادة قيمة لاتقدر بثمن ، وغدت منهلا للعلوم (١) .

٦ - اهتمام الباحثين في الأدب العربي بالشعر : لقد قصر معظم الباحثين دراستهم على الشعر ، متتبعين خطى البلاغيين القدماء ثم مؤرخي الأدب العربي ، متناسين أن جانبها كبيرا وخطيرا من أدبنا قد أهمل اهمالا وترك للنسيان .

ومعروف أن من أسباب العناية بتدوين الشعر الجاهلي الرغبة في معرفة معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم ، فاتخذ الشعر شاهدا على صحة تلك الألفاظ ومعناها ، فكان الهدف الديني هو الحافز على جمع شعر الجاهلين والانكباب على دراسته .

أما القصص فليس دينيا ، بل ربما تعارض مع المفاهيم الدينية ، فأدى هذا الى تجاهل عديد من القصص التي عرفت في العصر الجاهلي (٢) .

٧ - نظرة بعض المتكلمين للأسطورة : أخذ بعض العلماء من المتكلمين يقيسون الخرافات والأساطير بمقاييس الاسلام والعقل ، فوقفوا منها موقف المستنكر ، وكثير من فرق المتكلمين - وبخاصة المعتزلة - يسخر من روايتها ، حتي لقد جروء الجاحظ على أن يقول في أحد أجزاء حيوانه : "نعوذ بالله من الهذر والتكلف" .

ولاشك أن دافعهم الى اتخاذ مثل هذا الموقف هو اهتمامهم بالأمر الدينية والعقلية المحضة ، فكأنهم أرادوا بذلك عدم امتزاج الهزل بالجد ، وحصرت انتباه من حولهم في التفسيرات العقلية لأمر دينهم وديناهم ، فكان مدار اهتمامهم المسائل العقلية والفكرية الجادة ، وهذه تتنافى مع روح الأسطورة في ظاهرها .

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولي ٩

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٢٥

٨ - الخلط بين الأسطورة وغيرها من مثل الخرافة أو الحكاية الشعبية ، ولعل تشعب الدراسة في الأسطورة جعل بعض العلماء يضيق الخناق على تعريف الأسطورة ، فبعدها حكاية مقدسة أبطالها من الآلهة وأنصاف الآلهة ، وأحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة ، بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدسة ، بل هي سجل أفعال الآلهة التي نظمت الكون^(١) . فكان التأثير في مثل هذا التعريف بالأساطير الاغريقية ، وقياس نتائج الشعوب الأخرى عليه ، مما يضيق الخناق على الأساطير المختلفة فيبطل ادماجها ضمن الأسطورة ودراستها .

وعلى العكس من ذلك توسع بعض الباحثين في دراسة الأسطورة فرآها "دراسة كل ما سطر عن الجاهليين تاريخا كان أو دينيا ، لأنه لم يكن قد وجد في العصر الذي نسميه عصر توليد الأساطير ذلك التفريق الحديث ، فالعلم كان محدودا وممتزجا بالدين ولم تكن المعلومات تتجاوز حدود دائرة الضرورات العقلية"^(٢) .

ولا يمكن أن نقبل هذا التوسع الذي يبيح امتزاجا واسعا في موروثنا الثقافي ، على نحو تضع معه الخطوط الغامضة في فنون الأدب ، ولاهد من تلمس السبيل الصحيح بين هذين الاتجاهين ، فلا نميل الى التضييق التابع من دراسة الأسطورة لدى أمة معينة وفرضه على أدب الشعوب وراثتها ، مما ينتج عنه اخراج كم وفير من القمص ذات السمات الأسطورية من أدبنا العربي ، وحرمان الباحث من الاطلاع عليها ثم دراستها وادراجها فيما تندرج تحته من فنون الأدب المختلفة . كما ينهني عدم التوسع الذي لا يحفظ للأسطورة سماتها الأصلية ومميزاتها التي عرفت بها لدى الأمم المختلفة على مر الأزمان السالفة ، فتجنب بذلك مزلق الخلط والمزج الذي لا يضيف شيئا الى تراثنا ، بل يبيح للناقدين أن يجدوا منفذا الى الطعن فيه .

فما هو تعريفنا للأسطورة ؟ وقبل تلمس التعريف المناسب ، نحاول أن نستعرض بعض التعريفات المختلفة لدى الباحثين ، فمن قائل أنها "حكاية الأزمنة الخرافية والبطولية" وهي حكاية وهمية في أسلوب مجازي ، تبسط معارف تاريخية وفلسفية عامة ، وهي فكرة بدوية تاريخية صيغت بصيغة الاطناب ، والمغالاة لاطهار أهمية الحادثة الحقيقية في جيل زال أثره من ذهن الناس^(٣) .

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولي ١٥

(٢) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٢١

(٣) مصطفى الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٨ ، وانظر عبدالمعيد خان ٢٠

فالأسطورة بهذا المعنى قصة "وجود ما" ، بل هي "التاريخ في صورة متنكرة" كما نص على ذلك أحد علماءها^(١) .

وتعكس الأسطورة تفسير علاقة الانسان بالكائنات من حوله ، وصراع اللاوعي البشري ، لذا قيل أنها نوع من التعبير عن أحلام الشعوب وعقلهم الباطن ، بل هي حلم الجماعات^(٢) .

ومن الأفضل أن نعتد التعريف القائل بأن الأساطير حكايات خيالية ، توجد عند الأمم في حالتها الأولى . ومادتها أشخاص أو حوادث أو أعمال فوق طاقة البشر ، وتدور فكرتها العامة حول ظاهرة تاريخية أو طبيعية . فقد شغل الانسان قديما بمظاهر الطبيعة من حوله وأخذ يتساءل عن الكون ونشأته ، كما حار في تفسير بعض الظواهر التاريخية والاجتماعية ، وحاول الاجابة عن كل ذلك في قصص حملت اسم "الاساطير" .

ويلحق بالأساطير قصص المسخ ، وتحول بعض الناس الى حيوانات بقوة سحرية ، فباخوس اله الخمر في الأساطير الاغريقية أجر سفينة من قرصان تيرينا لتنقله من مكان الى آخر ، ولكنهم بدل أن يحملوه الى غايته اتجهوا به الى آسيا لبيعه رقيقا ، فصار باخوس أسدا ، وحول الشراع والمجاديف الى شعابين ، وأثبت اللبلاب حول السفينة وانطلقت الأصوات من كل جانب ، وجن الملاحون جميعا ، ووشها الى البحر ، وفيه مسخوا دلافين ، والأسطورة تبين على نحو واضح عقيدة الناس فيما تستطيع الالهة أن تفعله اذا أراد أحد بها سوءا^(٣) . ونجد مثل ذلك في قصص المسخ العربية كما سيرد في أسطورة اساف وناثلة ، وغيرها من حكايات المسخ .

الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية : يعد بعض الباحثين الحكاية الخرافية بقايا أساطير موهلة في القدم ، وكان من نتيجة هذا التصور أن خلط الباحثون بين الأسطورة والخرافة ، ومالوا الى الاعتقاد بأن الالهة التي تظهر في الأساطير عادة تتحول في الحكايات الخرافية الى مجموعة من الكائنات الأرضية الخارقة كالجن والفول والسحلاة .

وقد وضع الدكتور مكى التداخل بين الأسطورة والخرافة ، فجعل الأخيرة قصة أبطالها شخصيات غير عاقلة من الحيوان والجماد ، ولكنها تفكر وتتصف بالعقل

Echemerns, Introduction to Mythology P. 42 (١)

الجوزو ، من الأساطير العربية ١٣ ، وينظر خليل ٢ ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي . (٢)

الظاهر أحمد مكى ، القصة القصيرة ١٠ (٣)

والمنطق ، ولها عواطف ومشاعر كالبشر وتقوم بدور انساني واقعي ، وقد تتجاوز الواقع ، وتسرف في الخيال وتخرب بأبطالها عن حد الممكن فتدخل في نطاق الأسطورة^(١) .
ويقرر الدكتور أحمد كمال زكي أن الحكاية الخرافية لاتعتمد الحدث أساسا لها وإنما تعتمد البطل ، وهي تختار من الأحداث مايلقي الضوء على شخصيته ويؤثر في حركته ، مع امتلائها بعنصر الخيال ، ثم يسلم بوجود تلازم بين الأساطير والحكايات الخرافية ، وأظهر ما يكون هذا التلازم في التراث العربي الذي وجد في اليمن والعراق القديمين ، فكثيرا ماتحكي أسطورة أعمالا تسردها بتفصيلاتها الحكاية الخرافية ، والا فهل ثمة فرق كبير بين رحلة "أوليس" ورحلة "جلجاميش" أو السندباد^(٢) ؟

وقد انتبه أرسطو قديما الى هذا الالتحام ، فلم يفرق بين الخرافة والاسطورة ، بل ربما فهم من كثير مما رده في كتابه "فن الشعر" أنهما شيء واحد^(٣) .
أما الحكاية الشعبية ، فإنها لاتتطرق ، كما هو شأن الأسطورة ، الى موضوعات الحياة الكبرى وقضايا الانسان المعاصرة ، بل تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية كمكر النساء وغلبة القوي على الضعيف... الخ^(٤) ، ومع هذا يخلط اليوم بعض الباحثين بين الحكاية الشعبية والأسطورة ، وقد بني مؤلف كامل على هذا الخلط بين الحكايات الشعبية والأسطورة ، فعندما نتصفح كتاب محمود على عبده "من الأساطير اليمنية" نفاجأ بعدد من الحكايات الشعبية المتداولة اليوم بين الناس ، مما يدل على عدم وضوح الرواية في التفريق بين نمط كل من الحكاية الشعبية والأسطورة .

ومما يجدر عدم اغفاله - هنا - صلة الأساطير بالفولكلور الذي يعد متشعبا عنها عند بعض الدارسين ، ولهذا يعد مكملا لها . واذا كانت الأسطورة تشد مشاعر معينة في نفوس الذين يعتنقونها ، وتدفع بهم في مسارب النفوس ، وذلك لكي توجههم الى القيام بعمل محدد يتطلبه الصالح العام ، فإن الفولكلور في تصور هؤلاء يلتقي بالأسطورة في منتصف الطريق ، لانه بدلا من توجيه المشاعر الى سلوك عام أو موحد ، فإنه يفرغ شحنتها بالمحاكاة أو التمثيل . ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الفولكلور لايقصد الى مجرد التمثيل ، ولكنه يستهدف مواقف جادة في حياة الانسان ، وان اتخذت طريقا غير مباشر ، كما هو الحال في الحكايات البعيدة عن الواقع التي تعتصم بعوالم سحرية أو خرافية^(٥) .

-
- (١) الطاهر أحمد مكّي ، القصة القصيرة ١١
 - (٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٦٣ - ٦٦
 - (٣) أرسطو ، فن الشعر ١٣ ، ٢١ ، ٢٨
 - (٤) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولي ١٧
 - (٥) مقالة الفولكلور والمثيولوجيا ، مجلة عالم الفكر - العدد الأول سنة ١٩٧٢ ص ٥٣

أهمية الأسطورة :

إننا نلمس اليوم - في الدراسات الانسانية بعامة والأدبية بخاصة - اهتماما كبيرا بدراسة الأسطورة فهي جميع وجوهها ، فنشأ علم الأساطير ، وهو علم قائم بذاته ، وتناول علماء الأسطورة دراستها والتفصيل فيها ، كما لمسنا ذلك عند تعرفنا على تعريفاتهم المختلفة للأسطورة ، كل منهم بحسب الجانب الذي أقبل على الاهتمام به من جوانب الأسطورة المختلفة .

وتعد الأسطورة أقدم مصدر لجميع المعارف الانسانية ، ولذلك ترتبط لفظه "أسطورة" دائما بهداية الناس ، أو بهداشية البشر قبل أن يمارسوا السحر كضرب من ضروب العلم أو المعرفة . ومن الواضح أنها في هذه الحال تمس المأثورات الدارجة بأبعادها المادية والروحية ، وتعرض لكثير مما يعكف عليه الأركيولوجيون وبخاصة عندما يستنطقون النقوش المتبقية فوق الأواني والألواح والأدوات حيث تغطي أطرافنا عن حياة الانسان في الماضي البعيد أو القريب^(١) .

وقد أقبل علماء الانسان على استنباط كثير من الأمور من الأسطورة ، فبحثوا في التفكير الجاهلي الذي بني أساسه لا على التاريخ بل على الأساطير التي تناقلتها الأجيال المختلفة ، فأقبلوا على مقارنة الروايات المختلفة واستنباط مناحي التفكير لدى الأمم القديمة ، ولذا كان البحث في أساطير الأولين هو بحث في التفكير ومنهج النظر البشري ، إذ يرينا كيف شرع الانسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه وفي الرابطة بينه وبين الموجودات معنوية كانت أم مادية .

وربط المتخصصون المحدثون بين الأساطير وديانات الشعوب ، فاعتقد معظمهم أن الطقوس أسبق من الأسطورة في الظهور ، فالأسطورة تعد تفسيراً تمثيلاً للطقوس ، ويكاد العلماء يجمعون على وجود رابطة وثيقة بين الأساطير والطقوس ، وأثبتت الدراسات العلمية لحياة الجماعات البدائية أن الأسطورة عند الانسان البدائي إنما تعني حكاية واقعية لها مكانها الممتاز في حياته لسببين : أولهما قداسة الأسطورة عند الانسان البدائي ، وثانيهما : أن لها هدفا عظيما في تصويره^(٢) .

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٤٤

(٢) مجلة عالم الفكر ص ١٨ ، مقالة "الفولكلور والمثيولوجيا" العدد الأول ١٩٧٢

ويمكننا اكتشاف الحياة الدينية للأقوام والشعوب من خلال أساطيرهم . لذلك عدت الأساطير والملاحم سفرا مقدسا لا يقل أهمية عن الكتب المقدسة ، وان ابن الأثير عندما وصف الشاهنامه الفارسية بأنها قرآن القوم لم يكن مخطئا ، وانما أصاب كبد الحقيقة ، فالأساطير سجل لأمجاد الأمة وانعكاس لأصالتها في الحياة وصورة لوجدانها القومي^(١) .

ان الأسطورة - بجميع مواصفاتها - قد أصبحت من الأعمال الذاتية التي بلغ من سلطانها أن وجهت دراسات السيكولوجيين والأنثروبولوجيين الاجتماعيين توجيهات حاسمة وخطيرة . ولقد بلغ من اهتمام الباحثين فيها أن وضعوا لها تنظيما يربط بعضها ببعض في جميع أنحاء العالم للرجوع بها الى أصول واحدة تكون بداية التفكير الانساني . كما فعل ذلك مولر مستفتيا أسماء الآلهة ، ومن ثم نجد علاقة بين أوزيريس المصري وتموز البابلي ويونيسوس الاغريقي ، كما نجد العلاقة نفسها بين عنتر العربية وعشتار الفينيقية وعشتروت الآشورية البابلية^(٢) .

ويرى مالمينوفسكي أن الأسطورة احياء قصي لواقع فطري ، يروى استجابة لنزعات دينيه عميقة وميول أخلاقية وارتباطات اجتماعية ، بل لتحقيق حاجات عملية ، فالأسطورة تقوم من الثقافة البدائية بوظيفة لا غني عنها ، فهي تعبر عن العقيدة وتزكيها وتقننها ، وتصون الاخلاق وتدعمها ، وتبرهن على كفاءة الطقوس ، وتنظم قواعد عملية لهداية الانسان^(٣) .

والأسطورة بهذا المعنى عنصر حيوي في الحضارة الانسانية ، وهي ليست سمرا لقضاء الوقت فحسب ، ولكنها ميثاق عملي للعقيدة البدائية والحكمة الاخلاقية ، وهذه الحكايات ، عند المعتقدين فيها ، تقرير لواقع فطري ، لايزال يتحكم في حياة الناس وأقدارهم وأعمالهم في عصرنا الحاضر ، ومعرفتها تمد الانسان بالحافز على النهوض بالأعباء التي تحملها الطقوس والفضائل ، كما تزود بالارشادات التي توضح له طريقة أدائها .

(١) أحمد أبو حاقه ، فن الشعر الملحمي ٢٧

(٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٠٧

(٣) مجلة عالم الفكر ١٩ ، مقالة " الفولكلور والمثولوجيا " العدد الأول ١٩٧٢

وأقبل بعض علماء الأسطورة على دراسة النواحي النفسية فيها ، وأولوها عناية كبيرة ، أما ماكس مللر وهربرت سبنسر فقد جعلوا الأساطير مرآة لقراءة نفسية الذين ألفوا الأساطير فذهبوا الى تحليل نفسية الأولين مستشفين ذلك من أساطيرهم ، ولعل هذا الاهتمام بالناحية النفسية جعلهما يقتصران في شرح الأسطورة نفسها^(١) .

وتزداد أهمية الأسطورة لدى علماء التحليل النفسي ، فالأسطورة لديهم ، كما الحلم ، تكمن أهميتها في تقديمها حكايًا تشرح بلغة الرمز حشداً من الأفكار الدينية والفلسفية والأخلاقية ، وما علينا الا أن نفهم مفردات تلك اللفة ، لينفتح أمامنا علم ملء بمعارف غنية ثرت . ولفة الرمز هي اللفة التي تنطق عن الخبرات والمشاعر والأفكار والباطنة في شمولية تتجاوز بها فوارق الزمن والثقافة والجنس^(٢) .

وتعد الأسطورة أصلاً من أصول الثقافة الانسانية بعامة ، وأصلاً من أصول معرفة حياة الانسان الأول وتاريخه على هذه الأرض ، لذلك يرى علماء الانسان في الأساطير أبعاد الحضارات القديمة كما يجدون فيها مادة أدبية أو فناً قولياً يجسد ضمير الأمة . ومن ثم يربط الحاضر بالماضي السحيق ، ويوجد التاريخ الذي يعني بالمراحل الثقافية الأولى ، ولاشك أن التراث الأسطوري كله بهذه الصفة الأدبية - وان أحاط به الغموض وأصابه التحوير - فإنه يعد مفتاحاً لفهم الحضارات القديمة ، بل أساس كثير من الأفكار والانشروبولوجيا الهامة .

وربما ينبغي قائل بعدم وجود الحقيقة الواقعية أو الصدق الواقعي في الأسطورة فالواقع يبدو في الأسطورة خارقاً ، لا يخضع لعقل أو منطق يقيم به العقلانيون ، ولكن مع ذلك يظل الواقع في الأسطورة شيئاً قام حقيقة ليحكى تاريخاً مقدساً ، ويصور مواقع قديمة لعبادة آله ما ، أو يصور كائنات خارقاً أو مفكراً حاول أن يفسر ظواهر الكون والطبيعة ، وحاول أن يضع أوليات المعرفة بإجابته وتعليقاته عن أسئلة طرحها ذهن الانسان . وتظل الأساطير تحتفظ بكثير من القيم تكشف عنها ، في الوقت الذي تغوص فيه بعض جوانبها الى اللاشعور تحت وطأة التقدم الفكري المطرد .

(١) أنظر عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ١٧

Eric Fromm, The Forgotten Language

(٢)

ولاشك أن البحث يحتاج منا إلى جهد في تحديد معالم الواقع في كل أسطورة مع تسليمنا بأنه لاجدوى من المعرفة اليقينية في الأساطير ، وحسبنا أن نعرف أن هذه الأساطير تظل دائما علينا في أحلامنا ، وفي نتاجنا الأدبي الحديث ، وقد استعان بها ما أسموه بالنقد الأسطوري في تفسير كثير من الأعمال الأدبية العظيمة^(١) .

وفي الواقع لا يجدد بقارىء الأسطورة أن يسأل عن الحقيقة والوهم فيها ، لأنه لا مكان للحقيقة بعد أن اختلط عالمنا بعوالم أخرى مجهولة قوامها الآلهة والمردة والجن والمسوخ ، بل لعلها وهي بتأثيرها المباشر تبدو قاسية غريبة . غير أننا إذا تركنا أنفسنا لها كرت بنا على الفور إلى الوراء ، ولاشئنا فيها ، حتى أننا جزء منها أو هي جزء منا ، ولا يمكن أن نرد هذا وقد جعلناها نتاجا أدبيا بأشكالها التي رويت بها إلى عنصر الصدق الفني الذي يفرض منطقته بسهولة من خلال الأعمال الأدبية الناجحة ، ولكن تردج إليه وإلى ما فيها من القيم الوجودية التي تبدو كما لو كان أصلا لما جد ويجد على مدى الزمن^(٢) .

وإذا أردنا أن نتبين تقنية الأسطورة وطرحنا السؤال : ما منطق الأسطورة ؟ فالاجابة عن هذا أن منطق الأسطورة هو اللامنطق واللامعقول واللازمكان، وفي هذا كله تبدو الأسطورة وسطا بين الحلم واليقظة ، أو لعلها تبدو وكأنها ضرب ممتع من أحلام اليقظة^(٣) .

تعريف الأسطورة اليمينية :

بعد ترجيحنا لتعريف الأسطورة وطبيعتها بعامة ، ينبغي الوقوف أمام الأسطورة اليمينية بخاصة ، فما هو المعيار الذى أثبت به يمنية هذه الأسطورة ؟ هل راويها يمني ؟ هل يسيثها يمنية ؟ هل أبطالها يمنيون ؟ هل ارتبطت بتاريخ اليمن القديم ؟ وكيف يمكن التظلم من هذا التداخل بين عرب الجنوب وعرب الشمال ؟ والهجرة أمرها معروف بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها ، ولاسيما بعد تدهور الأحوال الاقتصادية في الجنوب .

(١) أحمد كمال زكي ١٢٣

(٢) المصدر السابق ١٠٩

(٣) المصدر السابق ١١٥

والطريق ليس شائكا في التعرف على الأسطورة اليمينية - كما قد يتبادر الى الذهن - عند مواجهة هذه التساؤلات ، وأحاول الاجابة عنها جميعها ، فعند الرجوع الى مصادر التاريخ والأدب العربي نجدها مليئة بالأساطير العربية ، وقد امتزج بعضها بالأخبار التاريخية فخرجت عن طور الحقيقة وعالم الواقع الى عالم الأساطير . وببهرنا - فنيا - وجود تلك الأساطير فنبحث عن الراوي ونتتبع سلسلة الرواة لنجدها في الأخير تنتهي الى الراوية اليميني ، وربما تكرر في السلسلة نفسها أكثر من راو يمني ، ونجدها في جميع الأحوال لاتكاد تخرج عن ابن اسحاق الكلبي ، ووهب ابن منبه وكعب الأحبار وعبيد بن شربة الجرهمي ، وجميعهم يمانيون ، كما سنفصل ذلك في الفصل القادم .

ولايغيب عن بالنا موضوع الهجرة بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، وسبل الاحتكاك المستمرة بينهما ، فعلاقة اليمن بالحجاز قديمة جدا ، ترجع الى أيام الدولة المعينية ، ثم استمرت أيام الدولة السبئية والحميرية فعند القرن الرابع عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي تقريبا ، وقد أسس اليمانيون مستعمرات لهم على طول الطريق التجارى في معان والعلا ، كما تشهد بذلك النقوش التي وجدت في هذه المناطق (١) .

ومن مظاهر الاتصال القديم استيطان جرهم القديم شمالي الجزيرة العربية وهو من ولد قحطان بحسب قول المصادر العربية ، ثم هاجرت قبائل يمنية أخرى نحو الشمال بعد اضمحلال شأن اليمن الاقصادى ، وتهدم سد مأرب ، فسكنت القبائل الجنوبية في شمالي الجزيرة العربية ، كما سيطرت قريش على التجارة منذ بداية القرن السادس ، وسيطرت قوافلها على نقل التجارة ، وقد دلت آيات القرآن الكريم على رحلة أهل مكة الى الشام صيفا والى اليمن شتاء للتجارة .

كما تحدثنا المصادر العربية عن وفد قريش برئاسة عبد المطلب الذى قدم الى اليمن لتهنئة سيف بن ذى يزن بعد انتصاره على الأحباش ، وربما كان قدوم هذا الوفد دليلا على حسن الصلة والعودة . كما كان للشعراء في الشمال علاقة بالجنوب ، فمدح الأعشى الأكبر عددا من ملوك اليمن وأقبالها (٢) .

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ١٢٤

(٢) الهمداني ، الأكليل ٢ : ١٩٥

وقد استمرت الوفادة بين الشمال والجنوب بعد الاسلام ، فقدم وفد همدان الى الرسول (طعم) (١) . كما قدمت الى اليمن وفود المسلمين لنشر الدعوة الاسلامية في عهد النبي (ص) والخلفاء الراشدين ، فوجدوا امامهم آذانا صاغية وقلوبا داعية لتقبلها . ولكن مع كل ما أوردت من مظاهر الاحتكاك وتسليمنا به ، فانه مما يلفت الانتباه التصاق الأساطير باليمن على هذا النحو أو ذاك ، فأحيانا ينتسب بطل الاسطورة الى اليمن ، كما شجده في عمر بن لحي وجرهم وذو القرنين وتبع وغيرهم ، وتتجلى محاولة راوي الأسطورة وحرصه على انتساب شخصياته الى اليمن .

وربما كانت البيثة اليمنية ، كما نرى في سيل العرم وقصر غمدان واربم عاد وغيرها من الأساطير التي ارتبطت بها .

وربما كانت الظاهرة في الأسطورة ترتبط الى حد بعيد باليمن ، كما نجد ذلك في ظاهرة الكهانة ، حيث اشتهر كهانهم بالسكهن ، ومحاولة استكشاف الغيب وتحذير من حولهم بما يمكن أن يقع - على حد زعمهم - كما في أسطورة سطيح وغيره من الكهان ، وتلمس هذا في ظاهرة أخرى هي (مصاراة الجن) وهذا أمر ارتبط بشخصيات يمنية في بيثة يمنية كما ورد في الروايات عن والد الملكة بلقيس ، الهدهاد بن شرحبيل وقصة زواجه من أمها الحروري وهي امرأة من الجن ، وتحكي الروايات أسطورة طريفة في طريقة لقاءه بها .

وربما كانت الأسطورة متعلقة بديانة القوم ومظاهر عبادتهم ، كما نرى في عبادتهم الكواكب ، أو تتصل بمعتقداتهم كما نجد ذلك في أخبار القبوريات التي يزخر بها أكليل الهمداني .

وعند دراسة هذه الأساطير المختلفة والتعمن فيها يلص المرء الصفة اليمنية التي أضفاها عليها الراوية اليمني ، ويتحقق المتأمل في الأساطير وجود بصماته واضحة فيها . ويجد ارتباطها الوثيق بواقع اليمن وتاريخه على مر العصور ، ويتضح للباحث تفسير كثير من الظواهر والخصائص التي تبدو سماتها مميزة لتلك الأساطير ، ولن يتاح له فهمها على نحو أفضل قبل الاحاطة بمدى ارتباطها بواقع اليمن وتاريخه ،

والا فهي الأخبار التاريخية السقيمة التي لا يستطيع عقل أو منطق أن يصدقها ، كما يفعل بعض المؤرخين ، أو بعض الأدباء - للأسف الشديد - فيقبلون على تمحيصها وبتحسبها بمقياس الصحة والخطأ ليعرفوا درجة قربها من الحقيقة والواقع ، وهم بذلك يغفلون الجانب الفني فيها ، والنظر اليها نتاجا أدبيا رفيعا يصور منحى من مناحي التفكير لدى الأتوام في حقبة زمنية معينة .

نشأة الأسطورة :

لقد ارتبطت نشأة الأسطورة دوما بمحاولة الانسان كشف حقيقة العالم والحياة والبدائيات ، وتفكيره في الغايات والنهايات ، فاعتقد في البداية أن العالم بكل مظاهره المتنوعة يخضع لقوانين وقواعد معينة ، وان معرفته بتلك القواعد والقوانين تمكنه من السيطرة على الطبيعة المحيطة به ، واخضاعها لرغباته ومصالحه بوساطة طقوس سحرية معينة . ثم تبين الانسان في مرحلة لاحقه فشل السحر وعدم خضوع العالم من حوله لتلك القوانين والقواعد ، فافترض وجود قوى خارقة تقف وراء المظاهر المتبدية لهذا العالم قوى آلهة فعالة فيه^(١) . وجعل من هذه القوى آلهة تعبد لها وتغنى بعظمتها ، وأصح في الامكان أن يمثل آله النور وآله الظلام ، الصراع القائم بين فكرتي الخير والشر .

ودار الزمن دورته ، ونشأت حروب بين الجماعات أو القبائل فتعمد كل واحدة منها الى تمثيل آلهة الشر في هيئة أعدائها ، فأنسنت الآلهة ، وجعلوها تتخذ شكل البشر ، وتعمل أفعالهم ، وان أنسنة الآلهة مصدره أمراه : أولهما محاولة الشعوب القديمة أن تصور أعداءها على صورة آلهة الشر ، وثانيهما أن هذه الشعوب نفسها عمدت من قبيل الاعتراف بجميل أبطالها ورجالها العظماء الذين حققوا لها النصر والتقدم الى أن تمثل آلهة الخير بصورهم وأشكالهم ، أو أن ترفع أبطالها الى مصاف الآلهة وقواها الخيرة ، واكتملت الملاحم الأسطورية حين ظهر شعراء أمثال هوميروس ، فاهتموا بتلك الأناشيد وصهروها ، فجعلوها ملاحم حقيقية مستوفية شروطها الفنية .

(١) جيمس فريزر ، أدونيس أو تموز ١٥

ولعل البطولة القاشعة في أساس كل صنيع ملحمي هي التي تغذى أذهان الشعوب وأذهان الشعراء بالخوارق ، حتي تبدو صنائع الأبطال جليلة مثالية ، وحتى تشبع قوت الشعوب البدائية الي معرفة المجهول ، والى الخروج مما هي عليه من عجز أو ضعف لتبلغ القوة التي تستطيع بها أن تلبى رغباتها ، وأن تحقق آمالها ، وتتغلب على أعدائها ، وعلى الطبيعة التي تشعر حيال قواها بشيء من القصور^(١) .

وتشعبت دراسة الأسطورة وتعددت وجهات النظر باختلاف منحنى الباحثين ومنطلقاتهم ، فيرى فريزر أن الأسطورة مستحدثة من الطقوس ، فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين ، وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته ، يبدو الطقس خاليا من المعنى . وتخلق الحاجة الي التفسير والتبرير ، فتأتي الأسطورة لاعطاء تبرير لطقس مبدل قديم ، لايريد أصحابه نبذه أو التخلي عنه^(٢) ، ولاتصح مثل هذه الرواية على العديد من أساطير الشعوب .

ويرى ماكس مولر أن الأسطورة نشأت نتيجة قصور في اللغة ، مما يؤدي الي أن يكون للشئ الواحد أسماء متعددة ، كما أن الاسم الواحد كثيرا ما يطلق على أشياء مختلفة ، وكان من نتيجة هذا التصور أن خلط الناس بين الأسماء ، ومالوا الي الاعتقاد بأن الالهة المتعددة ليست الا تصورات مختلفة لاله واحد ، وحنوا كذلك الي تصور الاله الواحد على هيئات متعددة ، ولم تثبت هذه النظرية للنقد .

ثم نواجه من يربط الأسطورة بالواقع ، فهذا مالينوفسكي الذي يرى أن الأسطورة لم تظهر استجابة لدافع المعرفة والبحث ، ولا علاقة لها بالطقس أو البواعث النفسية الكامنة ، بل هي تنتمي للعالم الواقعي وتهدف الي تحقيق نهاية عملية ، فهي تروى لترسيخ عادات اجتماعية معينة ، أو لتدعيم سيطرة معينة ، فهي اذن عملية في منشأها وغايتها^(٣) . ويذهب الي أبعد من ذلك في أن الأسطورة تعبر عن العقيدة وتذكيرها وتقنينها ، لتصبح عنصرا حيويا في الحضارة الانسانية^(٤) .

(١) أحمد أبو حاقه ، فن الشعر الملحمي ٢٨

(٢) James Frazer, The Golden Bough, chapter

(٣) Malinowski, Magic, Science and Religion P. 54

(٤) Malinowski, Myth in Primitive Psychology P.21

ولا يتجاهل هـ. فرانكفورت الواقع في نشأة الاسطورة ، فالتأمل الفكري لديه يسمو على التجربة لا لسبب الا لأنه يحاول تفسير التجربة وتنظيمها وتوحيدها . ويدرك هذه الغاية بواسطة الفرضيات ، ويتميز الفكر التأملي بأنه لاينفصل أبدا من تجربة الحياة ، وانما يرتبط بها ، لأنه يحاول تفسيرها (١) .

ومع تقادم الزمن يضيف الخيال الى الأحداث وأخبارها ، فيتحول الواقع الى أسطورة ، ويغدو العمل العادي فعلا خارقا ، وليس غريبا أن تسند الى الآلهة أعمال تتجاوز المعقول ، ولاتخضع للمقاييس البشرية العادية ، فالآلهة هم مرتكز القوى الطبيعية كلها .

وطبيعة الفن الأسطوري تفرض أن يمر على الأحداث فترة من الزمن بحيث يتاح للشعب أن يتحدث عنها طويلا ، وأن تتناقل الأجيال أخبار الرجال البارزين الذين ضمنوا لأمتهم النجاة من المخاطر التي كانت تهددهم ، وفي أثناء هذا التناقل للأخبار تعتمد مخيلة القاص الى التضخيم والمبالغة ، ونسج الأساطير والخوارق حول أبطال الأمة . ان الفاصل الزمني بين الأحداث ورواياتها كفيلا بأن يزيد من شدة حنين الشعب الى أمجاده الماضيات ، ومن توق الأحفاد الى سماع أخبار الأجداد .

والأسطورة عند العرب مثل الأسطورة عند سائر الشعوب الأخرى ، تنشأ مع نشأة التفكير عند الانسان ، ومع نشأة قدرته على الابانة والتعبير ، فيحاول عن طريقها أن يفسر ما يعجزه فهمه من ظواهر الكون حوله ، كما يحاول عن طريقها أن يعلل تعليلا خياليا ما يعجزه فهمه أو ادراك سره ليصبح قادرا على التلاوم مع الظواهر الكونية التي لا يدرك سرها ، لايفهم أسبابها ومكوناتها ، وطبيعي أن يعرف العرب الأساطير بكل أنواعها ، وأن يتداولوها ويتناقلوها كجزء من تراثهم العربي الذي يصاحب عباداتهم الدينية العليقة بالرمز المعقل بالخيال البدائي الجامح .

ومن هنا فان الكثير من قصصهم ، أو ما نقلته كتب الأخبار مما تبقى من هذه القصص مزدحم بآثار هذه الأساطير ، ملئ باشارات اليها والى رموزها ، والى ماكانت تقوم به في مراحل التفكير العربي الأول من دور هام كتعبير فني وكتفسير وجدائي تقدم به الانسان العربي ليساعده على اعادة التوازن بينه وبين الكون وظواهره وأسرارها (٢) .

(١) هـ . فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ١٣

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٣٥

وقد عرف العرب الوثنية ، ولابد أن ترتبط هذه بمجموعة من الأساطير المتعلقة بالوثن المعبود ، كما لابد أن يرتبط بمجموعة أخرى من الأساطير تتعلق بالطقوس التي يتبعونها في العبادة والتقرب الى أوثانهم ، وقد امتلأت الجزيرة العربية بالأوثان والأصنام من كل نوع ، فارتبط العرب بطقوس معينة تخلفت لهم عن طريق الأساطير .

ويؤكد بعض المستشرقين أن الجاهليين شحنوا مدوناتهم بالخرافات والأساطير ، وربما كان بعضها بالمعينية والسبئية التي كانت حتى السنوات الأولى للإسلام معروفة ومتداولة ، كما يقرر كل من نيلسون وفرانز هومل ، وأسقط أغلبها بعد الإسلام لوثنيته ومخالفتها للتقاليد الإسلامية الجديدة^(١) . ولكن مع ذلك ظل الرواة يتداولونها حتى القرن الهجري الأول في عهد بني أمية ، فنشطت حركة التدوين ، ولايبعد أن تكون قد دوت آنذاك . فاغتالت معظمها يد الضياع ، كما نلمس ذلك عند الاطلاع على قوائم الكتب المفقودة في فهرست ابن النديم ، ومن جملة ماضع الأجزاء المفقودة من مؤلف الهمداني النفيس " الأكليل " ، وقد اختص الجزء السابع منه بالأساطير والخوارق . هل أن خزائن كتب ومكتبات بكاملها قد ضاعت وانقرضت تماما ، وكان يمكن لهذه الكتب والمدونات القاء بعض الضوء على ما انقطع من أحقاب تاريخية بكاملها ، أصبحت لدى الدارس الحديث مظلمة مجهولة ، منها على سبيل المثال : أخبار وأساطير القبائل العربية التي يرجعها البعض الى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد ، والتي بيدت دون أثر ، ولم تظف مايدل على تراشها وملاحمها مثل قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهيم وغيرهم .

وقد كان العرب على اتصال دائم بمن حولهم ، وكان لهذا الاتصال سبل عديدة ، يذكرون منها التجارة وانشاء المدن المتاخمة لفراس والروم ، والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب وتدعو الى دينها ونشر تعاليمها^(٢) .

كما كان لليهود وجود في الجزيرة العربية ، فالبعض من الشقات يظن أن وجودهم باليمن يرجع الى أيام سليمان ، والبعض يرجعه الى عهد سقوط أورشليم على يد نبوخذ نصر^(٣) . ومن الجائز أن يكون نزوحهم الى الجنوب قد تزايد مباشرة بعد تخريب الهيكل الثاني بقليل ، ولا سبيل الى القول أنهم لم يحملوا معهم توراتهم بتعاليمها ومعلوماتها الى جانب أساطيرهم وخرافاتهم^(٤) .

(١) نيلسون وفرانز هومل ، في التاريخ العربي القديم ٢٦٢

(٢) أحمد أمين ، فجر الإسلام ١٣

(٣) Encyclopedia Britannica P. 262

(٤) محمود سليم الحوت ، في طريق الميثولوجيا عند العرب ٢٨ ، وأنظر الأساطير ٣٦

ولماذا نذهب بعيدا ونحن يمكننا الاستشهاد بالأساطير العربية ، وقد لمسنا في الصفحات السابقة تصدى عدد من الفلاسفة والعلماء لنشأة الأسطورة وتبيين معالمها ، ولكني أجد من المناسب - هنا - الوقوف مع توماس بولفينش في كتابه "ميتولوجية اليونان وروما"^(١) الذي لخص لنا فيه نظريات أربع في أصل الأسطورة وأوردنا هنا مع الدلالة على ما يمكن أن يقابلها من أساطير العرب ولاسيما أساطير اليمن :

النظرية الأولى دينية ، تقرر أن حكايات الأساطير كلها مأخوذة من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأن هذه غير أو حرفت ، ومن ثم كان هرقل أسما لشعثون والملك المارد ديوكالين - الذي أنقده زيوس مع زوجته من الغرق فوق أحد الجبال - هو نوح ، وهكذا...

ونجد مثل هذا لدى رواة اليمن ، فقد اتكأ كل من وهب بن منبه وكعب الأحبار وغيرهما على بعض ماورد في كتب العهد القديم ، وأضافوا اليه من خيالههم الخصب ، فأخرجوه حكاية أسطورية كما سنلمس ذلك - فيما بعد - وهناك القصص والاسرائيليات التي أتخذت من القصص القرآني منطلقا لقصص أسطورية ، كما في قصة بلقيس وسليمان ، وقصة ذي القرنين وقصة تبع ، وقد ورد ذكر كل منهم في القرآن الكريم .

النظرية الثانية تاريخية ، تذهب الى أن أعلام الأساطير عاشوا حقيقة ، وقاموا بسلسلة من الأعمال لفتت اليهم الأنظار ، وعلى مر الأيام أضيف اليهم من خلال الشعراء ماوضعهم في ذلك الاطار العجيب الذي يتحركون فيه . ولقد فطن هوميروس - شاعر يوناني في القرن الرابع قبل الميلاد - الى الجوانب التاريخية ، وقرر أن الأسطورة تاريخ تنكر ، وما أوليس - مثلا - الا بطلا من الأبطال الحقيقيين عاش وحارب ورحل ثم تجمع حوله ضباب الزمن^(٢) .

ونظرة واحدة الى تاريخ ملوك اليمن وما قام به كل منهم من العجائب الأسطورية كفيل بصدق مايمكن قياسه على هذه النظرة في وجود الأساطير اليمنية من مثل التبع أسعد الكامل وذي القرنين وغيرهما .

النظرية الثالثة مجازية ، وتقوم على أنه كل أساطير القدماء لم تخرج على أن تكون في شتى أشكالها الدينية والاخلاقية والفلسفية والتاريخية مجرد مجازات فهمت حرفيا .

Thomas Bolvinch, Mythology of Greece and Rome P.P. 286 - 288 (١)

أحمد كمال زكي ، الأساطير ١١٩ (٢)

ويمكن تطبيق هذه النظرية على الأساطير المختلفة عند الاهتمام بهذا المنهج في الدراسة ، ومحاولة استشفاف الرموز المختلفة وراء تلك الأساطير ، ولاشك في وجود مؤثرات عديدة يمكن أن تظهر عند اخضاع الأساطير المختلفة لمثل هذه الدراسة ، ولاسيما موضوع الكهانة ، وما يمكن استشفافه من أقوال الكهان ، وفي المرويات الأسطورية المنسوبة الى وهب بن منبه في تضاعيف الكتب المختلفة . اضافة الى ما سطر على ألواح القبور ، التي ملأ بها الهمداني أحد الأجزاء في أكليسه .

النظرية الرابعة طبيعية ، وبمقتضاها تشخص عناصر الكون من هواة ونار وماء أو تتحول الى كائنات حية أو تختفي وراءها مخلوقات خاصة ، وعلى هذا النحو وجد ازاء كل ظاهرة طبيعية - ابتداءً من الشمس حتى أضر مجرى ماء - كائن روحي معين .

وإذا أمعنا النظر في أساطير اليمن لن نعدم أن نجد مثل هذه التعليقات والتشخيصات العجيبة ، كما وجدنا ذلك في أسطورة سهيل والشعريين ، وفي أسطورة الزهرة (العزى) ، وفي أسطورة الغارة وارتباطها بانهباء سد مأرب ، وتعليل الرواة لذلك ، مع ماسبقها من انذار الكاهنة طريفة ، ونجد ذلك أيضا في تعليل كعب الأبحار ووهب بن منبه لبعض ظواهر الطبيعة والكون ، وحين يشتط بهما الخيال في تصوير كائنات حية متسببة في وجود تلك الظواهر الطبيعية ، كما سيأتي في الفصول القادمة عند الحديث عن أنواع الأساطير .

نشأة الأسطورة اليمنية :

ان تاريخ التمدن اليمني القديم ينقسم الى عصرين : العصر الحميري ، وعصر ما قبل ذلك ، والعصر الحميري يشمل تقريبا القرنين المتقدمين للإسلام ، وهذا يعد عصر الملوك التابعة وهم حميريون ، وكانوا يملكون البلاد اليمنية وحضرموت ومنطقة واسعة مجاورة لها في داخل الجزيرة العربية ، والتمدن الحميري على السواء يشيع في مثل تلك الحدود ، وهذا هو سبب تسمية العرب كما مايتعلق بجنوب الجزيرة قبل الإسلام (١)

بحميري .

ولقد بدأت الحضارة الجنوبية العربية تطورها ونموها في جنوبي شبه الجزيرة العربية في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد ، واستمر حتى بداية القرن السابع الميلادي . ولقد قامت دعائم هذه الحضارة على الحياة الرعوية والزراعة المتطورة تطورا عاليا ، وقد ازدهر اقتصاد اليمن القديم ، وذلك نتيجة لإدارة اليمنيين

(١) بستون ، "مشاكل النقوش" - مجلة "الحكمة" - العدد ٣٨ - السنة ١٩٧٥ ص ٢٨

الجيدة واشرافهم المميز على عمليات النقل التجاري في شبه الجزيرة العربية . فقد كان جنوب الجزيرة العربية على مدى ألفي سنة مشاركا ووسيطا في التجارة والتبادل الثقافي ما بين أقاليم البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى من جهة ، وشرق افريقيا والهند من جهة أخرى .

فأصبحت اليمن بذلك مركزا حضاريا رفيع المستوى من مراكز حضارة العالم القديم ، وبلغ تطور العمارة والرى وفنون النحت مستوى عاليا . لقد شيدت المدن الكبرى والحصون والمعابد والسدود الكبيرة ، كما وجدت كتابة خاصة (المسند) استخدمت على نطاق واسع في كتابة النقوش التي يرقى أقدمها الى القرن الثامن قبل الميلاد .

لقد اجتازت حضارة اليمن طريقا طويلا من التطور التاريخي الذي تمثلت أهم أحداثه بالصراع من أجل السيطرة على التجارة المنقولة عبر اليمن ، وبالصراع على القيادة السياسية بين الممالك اليمنية ، ثم غزو الحبشة لليمن ، وأخيرا خضوع اليمن لسلطان الساسانيين .

وهكذا مع سقوط الدولة الحميرية سقطت حضارة اليمن ، ولكن التراث الفني القديم لم يندثر كاملا ، بل نقل في خضم الأخبار التاريخية والجغرافية ، ووصف الآثار والنصب ، فوصلتنا القصص والأساطير الشعرية والنثرية التي تمثل ملاحم تاريخية أسطورية عن ماضي اليمن القديم .

واتخذ رواة اليمن من أمجاد اليمن الغابرة وحضارتها التليدة مادة غزيرة لأساطيرهم ، من هؤلاء الرواة كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبيد بن شربة الجهمي ، وابن اسحاق ، ويأتي ابن هشام فيخضع هو الآخر للمادة الأسطورية في مؤلفه ، فيذكر ملوك اليمن وما توالى من الأحداث فيها ، ونجد أن ملوك اليمن قد كانوا المادة الأسطورية الأولى عند رواة الأساطير العربية .

ويعنى وهب بن منبه بجمع الروايات حول ملوك اليمن بعامة ، وكأنما يريد أن يصور حضارة اليمن ومجدها عن طريق سرد أساطيرها ، كما ينتقي عبيد بن شربة الجهمي من أساطير اليمن ما يعطي معنى اسلاميا وما له علاقة بالقصص القرآني ، ولعل هدف التهذيب ومسامرة الخليفة الأموي معاوية قد أمليا عليه هذا الاختيار في حكاياته .

لقد حرص اليمانيون - منذ قديم العصور - على التأكيد على الذات الثقافية اليمنية انطلاقاً من حبهم لأرضهم ، وتفانهم بماضيهم الحضاري ، ثم أخذوا يفتخرون بدورهم الاسلامي الكبير في نصره الدعوة الاسلامية العظيمة ونشرها في العالم ، وانطلاقاً من هذا الهدف ، عاد اليمانيون الى رجال منهم في التاريخ ، جعلوا رمزا للقوة والحكمة والجرأة والعدل والايمان ، فوجدوا ضالتهم في العديد من ملوكهم وقادتهم ، ونسجوا حولهم الأساطير ، ونسبوا اليهم الأشعار ، فامتلت المصادر العربية بأساطيرهم وحكاياتهم ، وتوسعوا في انتشارها .

وأضرب مثلاً على ذلك مجموعة الأساطير اليمنية المحلية التي أسماها الباحث السوفيتي بيوتروفسكي بالملحمة القحطانية ، وبين كيف تعكس هذه الملحمة أحداث تاريخ اليمن الموجودة في المصادر العربية^(١) . إذ نجد الأساطير اليمنية موحدة في اطار تاريخي عام وذات تتابع زمني يتماشى مع خطر نظام الدولة وتطورها في اليمن .

زمن تدوين الأسطورة :

ان المعطيات المتوفرة تشير فقط الى أن الأساطير عن تاريخ اليمن قد وجدت في الفترة الأولى للخلافة ، أي في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، ومن الملاحظ أن القسم الأعظم من الأساطير قد تكون في هذه الفترة ، ولكن لا يمكن أن نتجاهل وجود الروايات والأخبار المتناقلة شفهيًا عن الرواة .

لقد نشط الرواة في تكوين الأساطير اليمنية في العصر الأموي ، وذلك لتوفر البيئة المتمثلة في نزوح اليمنيين الحديث من اليمن ، وبسبب توفر العوامل والنزعات السياسية المساعدة آنذاك على إثارة العصبية القحطانية ، فراح الرواة يفتخرون المصادر العربية وأمهات الكتب بأساطيرهم وأخبارهم ، فوصل اليها منها ما وصل ، وطالت يد الضياع قسماً كبيراً من تلك الكتب ، ويتضح ذلك - كما أسلفنا - من خلال قوائم الكتب التي يسردها علينا ابن النديم في فهرسه المشهور ، ولا نجد لها وجوداً اليوم ، وقد نسب بعضها لابن هشام الكلبي الذي خص اليمن بعدد من الكتب التي لم يملنا منها سوى بعض أسمائها : (كتاب ملوك اليمن من التباينة) وكتاب (اقبال اليمن) وكتاب (اليمن في أمر سيف بن ذي يزن) وكتاب (تفرق الأزدي)^(٢) .

(١) بيوتروفسكي ، ملحمة عن الملك أسعد الكامل ٤٥

(٢) ابن النديم ، الفهرست

وقد وصلنا من كتب الأخبار والأساطير كتاب " التيجان في ملوك حمير " لوهب ابن منبه ، وأخبار عميد بن شرية الجرهمي ، وشرح القصيدة الحميرية لنشوان الحميري ، والأكليل للهمداني ، وبين أيدينا من أجزاءه أربعة أجزاء فقط ضاع منها حتى اليوم ستة أجزاء لانعرف لها وجودا ، وربما كشفت الأيام القادمة عن وجود مخطوطه منسية من أجزاء هذا الكتاب ، وقد أفرد الهمداني جزءا خاصا لأساطير اليمن وأخباره ، كان في عداد الأجزاء الضائعة ، كما أورد كثيرا من الأخبار الغربية وأدب القبوريات في جزئه الشامن وفيه مادة أسطورية وفيرة .

ولا يقتصر وجود الأساطير اليمنية على الأخباريين والمؤلفين اليمنيين ، ولكننا نجد جميع المؤرخين والكتاب قد فتن بهذه الأساطير ، فضمنوها مؤلفاتهم ، واعتمدوها أصلا في كتبهم ، وبنوا عليها تواريخهم ، رغم ايمانهم ببعد هذه الأخبار عن العقل والمنطق وأنكر منهم الطبري والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم .

ولكن ما الذي حدا برواة اليمن الى انتهاج هذا السبيل في التأليف الأسطوري، وما هي الدوافع والأسباب التي دفعت اخباريي اليمن الى العمل على انتشارها ؟

انتشار الأسطورة اليمنية :

لقد أغرق أهل الأخبار والرواة اليمنيون المصادر العربية بمروياتهم وأساطيرهم ، فيكاد لا يخلو كتاب من ترديد تلك القصص الأسطورية ، في الدوافع التي حدث بأولئك الرواة الى النشاط المستمر في رواية الأسطورة ؟ وما الأسباب التي أدت بهم الى انتهاج هذا السبيل ؟

ان المتعمق في تاريخ اليمن لا يمكن أن يصل الى الحقيقة اذا أغفل الواقع التاريخي والاقتصادي في اليمن ، فلذلك الواقع ارتباط وثيق بنشأة الاسطورة اليمنية ، واتساع انتشارها على ذلك النحو الذي لمسناه . ونستطيع أن نتلمس أسبابا عدة كانت الدافع لسعة انتشار تلك الأساطير . وأفضل حصرها في الأسباب التالية :

- ١ - التفوق الحضاري .
- ٢ - الصراع التاريخي .
- ٣ - العصبية القبلية .

١ - التفوق الحضاري :

لقد كانت لليمن حضارة أصيلة ، وقد عرف تقدمه الرائع في فن الزراعة وال عمران ، وتشيد القصور والحصون وبناء السدود وصهاريج المياه وقنوات الري ، ومهارة فنانيه في النحت ، وقد أكد ذلك الباحثون من المستشرقين وعلماء اللغات العربية الجنوبية ، من مثل لورنس والمستشرق النمساوي ادوارد جلازر وفرتيز هومل وفيلبي والمستشرق الفرنسي يوسف هاليفي وغيرهم^(١) .

وقد أفرد الهمداني جزءا من أكليله لأخبار قصور اليمن ومحافدها وقلاعها وحصونها ، وما جاء فيها من أشعار ومرويات ، وقد يظن القارىء تعصب الهمداني لقومه والمبالغة في ما شاده قدماء ملوكهم ، ولكن الحفريات والنقوش والآثار التي اكتشفت حديثا تثبت صدق الهمداني والتزامه الدقة في الوصف ، وعندما ذهب المستشرقون وشاهدوا آثار القصور وسد مأرب وجدوا الرجل صادقا في ما ذكره عنها^(٢) .

وللحضارة أثر كبير في تقوية الدافع للرواية ، لأنها تكسب الراوى حسا مرهفا في تتبع ما حوله ، فتتسع ثقافته وتزيد معها حاجته للرواية . وقد تساءل كثير من الباحثين : ما السر في أن مبتدعي القصص والأساطير يمنيون كوهب بن منبه وعبيد بن شربة الجرهمي وكعب الأحبار ، وعند الاجابة على تساؤلهم يتجلى الأثر الحضاري لأهل اليمن ، وقد استتبع ذلك انتشار الثقافة اليهودية في اليمن بما فيها من شروح للتوراة والأساطير ونحو ذلك ، فلما أسلم يهود اليمن رروا ما تعلموا ، وكانت لقصصهم ورواياتهم أثر كبير^(٣) .

كما أن العرب اتطلوا بغيرهم من الأمم ، فشعروا بحاجتهم الى معرفة أحوال الأمم الأخرى وما سلف منها ، ووجدوا في رواة اليمن بغيتهم ، اذ أقبل هوءلاء على الرواية والقصص محاولين بذلك اثبات تفوقهم الحضاري ، ووجدوا المجال واسعا لاثبات معرفتهم وتحضرهم .

وكان للحضارة والثقافة السائدة في اليمن أثره في سعة الخيال والاغراق في التصوير عند الرواة اليمنيين ، لهذا اتخذت الروايات اليمنية المدونة في المصادر العربية طابعا أسطوريا .

(١) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ٥١

(٢) جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ١٠٥

(٣) أنظر أحمد أمين ، فجر الاسلام ١٦٢

٢ - الصراع التاريخي :

وظلت اليمن مسرحا للصراع التاريخ ، ولم يقتصر الصراع على القبائل في شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها ، ولكن عانت اليمن من الاحتلال الحبشي ثم الفارسي ، فكان مجال الاختلاط بالأمم الأخرى كبيرا ، ولاشك في أن هذا الاحتكاك بالجنسيات المختلفة - كان ماثرا لكثير من الحكايات والروايات ، وحافزا قويا لظهور الرواة اليمنيين صفات كثيرة لأبطالهم كالبطولة والاتيان بالخوارق ، محاولين بذلك دفع أى اتسام بالجنين أو تعبير بالوقوع تحت سيطرة الأجنبي ، وقد عرفت اليمن بعزلتها البيئية ، اضافة الى اطلاعهم على قصص وأساطير الأمم الأخرى ، فلذلك كانت المبالغات في رواياتهم ، وكان الجنوح الى الأساطير .

وصبغت المبالغات أخبار فتوحاتهم ، فأخرجتها من طور الحقيقة الى عالم الأسطورة والخيال ، والعجيب أن يفتن المؤرخون بهذه الأساطير ، فملأوا بها كتبهم ، على الرغم من انتقاد صحتها ومجانبتها للمنطق والواقع ، كما فعل ابن الأثير^(١) . ومثله ابن خلدون الذي انتقد هذه الحكايات ، وبين اغراقها في الخيال^(٢) .

لقد أقبل رواة اليمن على الرواية لمن حولهم ، وخلصوا ألباب سامعيهم بتلك القصص الطريفة والأساطير المعجزة ، ووجدوا فيها تغذية لنوازع التفوق والشعور بالعظمة عن استرجاع ذكريات الأمجاد الغابرة .

ولاتفى على الباحث المتأمل في أساطيرهم تلك النزعة الى الافتخار على من حولهم ، واذا رجعنا الى تاريخهم نجده يمدهم بدواعي عدة لذلك الافتخار ، يمكن تلخيصها فيما يأتي :

- ١ - لقد عرف عرب الجنوب حضارة قديمة أمدتهم بمعارف سالفه ، حين كان عرب الشمال يعملون في الرعي والتجارة .
- ب - اتسعت الهجرات اليمنية فشملت الجزيرة العربية كلها تقريبا ، وشغلوا الاصقاع النائية فيها ، بل سكنوا تخومها الشمالية والشرقية .
- ج - عرف أهل اليمن الأديان السماوية وعاشوا تجربتها ، فقد كان للنصرانية ولليهودية وجود في أنحاءها ، ثم ناصر أهل اليمن الرسول (عليه الصلاة والسلام) ومنعوا عنه أذى الكفار والمشركين .

(١) أنظر بترونسكي ، ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل ١٥

(٢) جواد علي ، " أحاديث تبع " ، مجلة " الحكمة " - العدد ٧٨ السنة ١٩٧٩ ص ٢٨

د - كان لليمانيين دور فعال في الفتوحات العربية والاسلامية ، ولم يخل منهم جيش اسلامي في تلك الفتوحات ، فقد كانوا عنصرا هاما فيها ^(١) .

ويربط الدكتور جواد علي بين أساطير التماهة وأخبار فتوحاتهم التي لا يصدقها عقل وبين نكريات الفتوح الاسلامية التي شاركت فيها قبائل يمنية ^(٢) .
ان تلك كلها دواعي أمدتهم بالشعور بالفخر والاعتزاز فترجموه في أساطيرهم وحكاياتهم .

٣ - العصبية القبلية :

لقد كانت العصبية القبلية بين شطرى الجزيرة العربية سببا في اندفاع أهل الأخبار في رواياتهم وحكاياتهم الأسطورية . وسببا في ظهور سمات مميزة لها ، ويرى أحمد أمين أن العصبية لقطان أو عدنان قد ظهرت قبل الاسلام ، وأرجع هذه العصبية الى الاختلاف بين البداوة والحضارة وما بينهما من نزاع طبيعي ^(٣) .

ويكاد يتفق معه في الرأي الدكتور جواد علي عندما أرجع دافع العصبية الى التفاوت الكبير بين البداوة والحضارة في كل من شمالي وجنوبي الجزيرة العربية ، كما نكر بالنزاع القديم بين القحطانية والمعدية ، ملغتا النظر الى مؤلفات الجاحظ في هذا الصدد ^(٤) . بينما أرجع الدكتور أحمد كمال زكي بذور الصراع بين القحطانيين والعدنانيين الى الخلاف بين يثرب ومكة باعتبارهما قوتين تمثلان نفوذ الجنوبيين والشماليين ^(٥) .

ولا أرجح هذا الرأي ، لأن تلك العصبية لم تتخذ شكلا ملموسا من قبل ، حيث أن الأصدادات السياسية الرئيسية التي حدثت في الخلافة في خمسينات القرن السابع لم تعكس أبدا مواجهة القحطانيين بالعدنانيين ، فنحن نجد في موقعة الجمل (٥٣٦هـ)

-
- (١) أنظر بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل ١٥
 - (٢) جواد علي ، " أحاديث تبع " ، مجلة " الحكمة " - العدد ٧٨ السنة ١٩٧٩ ص ٢٨
 - (٣) أحمد أمين ، فجر الاسلام ٦
 - (٤) جواد علي ، " أحاديث تبع " ، مجلة " الحكمة " - العدد ٧٨ السنة ١٩٧٩ ص ٢٩
 - (٥) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٨٠

القبائل نفسها في المعسكرين المتحاربين ، ونجد في موقعة صفين (٣٦هـ) ممثلي المجموعتين في كل من جيش علي ومعاوية ، مع وجود عدد وافر من القصاصد والأشعار التي قالها يمانيون في نصره هذا الفريق أو ذاك من المعسكرين في موقعة صفين (١).

ولكننا نرجح أن العصبية القبلية بين قحطان وعدنان لم تكن ملومة في عصر ما قبل الاسلام ، ولا يمكن أن نرجع أيام العرب والمعارك التي كانت تدور بين القبائل الى تلك العصبية ، فكما دارت معارك بين قبائل قحطان وقبائل عدنان ، دارت معارك أيضا بين قبائل قحطانية فيما بينها ، وقامت معارك أخرى بين قبائل عدنانية فيما بينها . ولكن تلك العصبية بدأت بواكبرها بعد الاسلام ، ثم وجدت في أحوال العرب السياسية أرضا خصبة لتعميقها وتقوية الشعور بها ، فبدأت سعة بارزة في تاريخ الدولة الاسلامية .

وربما ألمح بعض الباحثين الى ظهور سيدنا محمد (طعم) في عدنان سببا في وجود العصبية القحطانية واثارتها العصبية العدنانية ، ولكنني أستبعد هذا للأسباب والأدلة الآتية :

١ - استجاب أهل اليمن للدعوة الاسلامية ، وقدمت وفودهم الى الرسول (ص) مستجيبين للاسلام ، وأجمع المؤرخون على أن أرض اليمن عشيرة لأن أهلها أسلموا طوعا (٢).

كما قامت القبائل اليمنية في شمالي الجزيرة لنصرة النبي والوقوف بجانبه والتجرد للذور عنه ، ودفع أذى الكفار والمشركين عنه .
ب - قد أفلحت تعاليم الدين الحنيف في نشر الأخاء الإسلامي بين القوم ، وعملت على تناسي النعرات العصبية التي تدعو آيات القرآن الكريم الى نبذها ، وقد جاء في الآية الكريمة " ... لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى " ، صدق الله العظيم .

فأين مجال المفاضلة بين القبائل العربية بعد هذا القول ؟ وقد كان في الرسول الكريم (صلوات الله عليه) قدوة حسنة في الحد من غلواء العصبية ، لأنه كان يمقت المناظرات العشائرية ، ولايسمح للنعرات القبلية أن تظهر حتي في المناخلة بين المسلمين والمشركين ، من ذلك مثلا " أن شاعر المشركين هبيرة ابن أبي وهب المخزومي هجا المسلمين

(١) أنظر نصر ابن مزاحم ، موقعة صفين ٤٢٥

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ١ : ٧٠

بقصيدة مطلعها :

ما بال هم عميد بات يطرقني بالود من هند اذ تعد عواديهما

فانبرى له كعب بن مالك الانصاري اليميني - أحد شعراء الاسلام المعدودين - ورد

عليه بقصيدة مشهورة ، جاء فيها :
(١) مجالدنا عن جدمنا كل فخمة

مدربة فيها القوانس تلمع

وقبل أن يذبح كعب قصيدته بين المسلمين والمشركين تلاها على الرسول الكريم فقال له الرسول بما عرف عنه من لطف وحسن توجيه : " أياكعب أن تقول (مجالدنا عن ديننا) ؟ فقل له كعب : نعم يا رسول الله . فقال الرسول : فهو أحسن ! فبدل الشاعر بيته كما اقترح الرسول الكريم مستخدماً ديننا بدل (جدمنا) " (٢)

ج - تعددت ظاهرة البشارة بظهور النبي (صلم) ، فأخذ اليمانيون ينطقون بها ملوكهم وكهانهم وشعراءهم ، ورواياتهم في ذلك كثيرة منها ذكر الرائش النبي

(صلم) متعنيا أن يلحق عهده :

نبي لا يرخص في الحرام

ويملك بعدهم رجل عظيم

(٣) أعر بعد مخرجه بعام

يسمي أحمدا ياليت أني

كما نسبوا الى تبع هذه الأبيات في التنبؤ بظهور النبي (ص) :

رسول من الله باري النسم

شهدت على أحمد أنسه

(٤) لكنت وزيرا له وابن عم

فلو مد عمري الى عمره

وتتجلى في هذه النبوءات اعزاز ملوك اليمن للنبي القرشي وتمنيهم أني يلحقوا عهده ليناصروه ويؤازروه . وتنبا أيضا كهانهم كنبوءة سطح وشق الكاهنين ، كما نقلت الينا الروايات بشارة سيف بن ذى يزن بظهور النبي (ص) (٥) عندما قدم اليه عبد المطلب في وفد قريش للتهنئة بالنصر على الحبشة (٦)

(١) مجالدنا: المدافعون ، جدمنا: أصلنا العشائري ، الفخمة: الفرقة العظيمة من

المقاتلين القوانس: السيوف الثقيلة البائرة .

(٢) محمد عبد القادر بامطرف (الانساب اليمينية القديمة) - مجلة الحكمة العدد ١٠٩

سنة ١٩٨٤ - ص ١٠

(٣) النويري ، نهاية الأرب ١٥ : ٢٩٢

(٤) المصدر السابق ١٥ : ٢٩٨ ، وانظر التيجان ٣٠٨

(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ٥٤

(٦) ابن عدي ، العقد الفريد ٢ : ٢٧

ولاشك أن هذه البشارات كلها تدل على شدة افتخارهم بهذا أو ذاك من ألوان
الانتماء الى الرسول الكريم (ص) .

د - نظرة الرسول (ص) الى أهل اليمن ، واعتزازه بما حققه الانتصار منهم في نصرته
والوقوف بجانبه ، وشاعر الرسول حسان بن ثابت أشهر من أن يذكر وهو يمني
من الأزد . وتشير بعض الأحاديث النبوية الشريفة الى ما يكنه الرسول (ص) لأهل
اليمن . فقد روى البخارى في صحيحه عن أبي هريره الحديث النبوى :
" أتاكم أهل اليمن ، هم ألين أفئدة وأرق قلوبا ، الايمان يمان ، والحكمة
يمانية " (١)
ان تلك الأدلة مجتمعة تنفي احتمال وجود العصبية أو ما يهينها لشارتها في عصر
صدر الاسلام .

وفي الواقع أخذت العصبية تبرز واضحة منذ العصر الأموى ، يعود هذا الى
سياسة خلفاء بني أمية الذين رأوا في العصبية السلاح المناسب ضد بني هاشم وما
يتمتعون به من مكانة مرموقة في أوساط العرب والمسلمين . وزاد من حدة هذه العصبية
سياسة التحريش بين الشعراء والرجال البارزين التي اتبعها بعض الخلفاء الأمويين في
إثارة العصبية بين القوم ، وتطوير تلك العصبية لتنفيذ مآربهم وأغراضهم السياسية .

ولهذا كان الاقبال على كتابة تلك الأساطير والملاحم البطولية لملوك اليمن ،
فكان انتشارها واسعا في القرنين السابع والثامن للميلاد ، وذلك في فترة النشاط
السياسي والثقافي لمجموعة القبائل القحطانية ، مما دعا أحد الباحثين الى ربط نمو
الملحمة القحطانية المكونة من أساطير اليمن بأهداف سياسة القحطانيين ، فلذلك
عندما ضعف الصراع القحطاني العدناني في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي
توقف تطور الملحمة ، وتوقفت معه الدوافع التي كان من الممكن أن توصلها الى مصاف
الملاحم الحقيقية . (٢)

لقد اجتمعت الدوافع التاريخية والاجتماعية في حقبة معينة ، وكانت سببا في
اقبال رواة اليمن على الوقوف أمام المناوئين لهم والمنتقصين منهم ، ووجدوا في
تاريخهم الحضارى ما يمددهم بمادة أسطورية خصبة ، ظلوا يفترون منها ويصوغونها
حكايات جميلة تثبت لهم كل تفوق ، وتحيطهم بهالة من البطولة يفخرون بها .

(١) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ٥ : ٢١٩

(٢) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميرى أسعد الكامل ٤٦

الفصل الثاني

" مصادر الأسطورة اليمينية "

ان الباحث يلتمس الوفرة الكثيرة من القصص الخرافية والأساطير في المصادر العربية ، فمن هم رواتها ؟ وكيف عملوا على ازدياد انتشارها ، على نحو لا يكاد يخلو منها كتاب عربي قديم ؟ وما هي المنابع التي أمدتهم بتلك الأساطير ، فأقبلوا على الاعتراف منها بحدوهم ولع عجب بعالم الخيال والأسطورة ؟

ان هذه تساؤلات هامة لابد من الاجابة عنها عند تلعبنا مصادر الأسطورة اليمنية .

عندما نقرب النظر في هذا أو ذاك من المصادر العربية نواجه أحيانا بالحكاية أو الأسطورة منسوبة الى رايها اليمني من مثل كعب الأبحار ووهب بن منبه وعبيد بن شربة الجرهمي .

ولا يقتصر الأمر على من ذكرت من رواة اليمن الأوائل ، فنجد آخرين من مثل محمد ابن اسحاق وهشام بن الكلبي وابنه ، ولهم آثار ملموسة في مصادرنا العربية ، اضافة الى بعض كتبهم التي عرفنا قائمتها من ابن النديم^(١) ، واغتالتها يد الضياع ومنهم أيضا دغفل النسابة بن حنظل المدوسي المتوفى سنة ستين للهجرة ، وينسب اليه كتاب عنوانه " السيرة " يروي أخبار ملوك حمير ومن كان قبلهم من عاد وثمود ، ومن الكتاب نسخة في المكتبة الأمبروزيانية . وقد جاء في مقدمة الكتاب ان هارون الرشيد سمع بشخص من أهل الشحر اسمه عمرو بن مالك الشحري فطلب مقدمه ، وحين وصل أملى عليه هذا الكتاب ، وسأله من أين تلقيت هذا العلم ؟ فقال : عن دغفل بن حنظلة^(٢) .

وهناك الراوية الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري الذي قام في نهاية القرن السابع الهجري برواية عدد من الأشعار المتعلقة بالأخبار والأساطير حول ملوك اليمن ، وقد نسب اليه تعديل الملحمة القحطانية حول تبع^(٣) . كما اتهم الشاعر المذكور بنحل عدد وافر من قصائد تلك الحقبة التاريخية حيث طوع شعره لخدمة العصبية القحطانية والانتصار لها .

وفي الفترة اللاحقة لهؤلاء برز لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ، المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة للهجرة (٣٧٠هـ) ، ثم نشوان الحميري المتوفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة للهجرة (٥٧٣هـ) ، وكل هؤلاء يمانيون شغفوا بتلك الأخبار والقصص الأسطورية ، وحفظوها لنا في مدوناتهم المختلفة ، وكانوا معيننا لا ينضب ، ورافدا ثرا من روافد الأسطورة اليمنية .

(١) ابن النديم ، الفهرست ١٤٨

(٢) عبدالله الجشي ، دراسات في التراث اليمني ٨

(٣) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك أسعد الكامل ٤٧

وقد عرف الباحثون اليوم فضل أولئك الرواة ، لذا نجد فاروق خورشيد يقسم القصاصين الى طبقات ولا ينسى أن يضع كلا من وهب وعبيد في الطبقة الأولى من القصاصين الكبار الذين وجد في أعمالهم اشارات الى أساطير خالدة ^(١) .

وسأكتفي - هنا - بالتعريف بروادهم الذين كانوا الرواة الأوائل وهم :

كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبيد بن شربة الجرهمي .

١ - كعب الأحبار :

هو كعب بن مانع بن هيسوع الحميري ، ولعل في الاسم تصحيف فيكون الاسم حينئذ كعب بن نافع ، ويكنى "أبا اسحاق" . وهو من يهود اليمن ، أسلم هناك ، ثم قدم المدينة في خلافة عمر ^(٢) . سمي كعب الأحبار أو كعب الحبر لثراء معلوماته فقد كان من أخبار اليهود ، وله اطلاع واسع في كتبهم وأسفارهم القديمة . قرأ التوراة والأنجيل والزبور والفرقان ^(٣) .

وتسجل الروايات انبهار من حوله بغزارة علمه ومعارفه ، فذكر أبو الدرداء كعباً فقال : " ان عند ابن الحميري لعلماً كثيراً " ^(٤) . ويروون عن معاوية قوله : ألا أن كعب الأحبار أحد العلماء ، ان كان عنده لعلم كالبحار ، وان كنا فيه لعفرطين ^(٥) . كما وصفه الذهبي بأنه من أوعية العلم ، ومن كبار علماء أهل الكتاب ، وجعله في الطبقة الثانية ^(٦) .

ولم يكن كعب ليظفر بأعجاب أولئك جميعاً لولا رواياته الكثيرة التي يجيب بها عن تساؤل السائلين حول القصص الديني مما أثبت اطلاعه الواسع ومعارفه الجمة لقصص أهل الكتاب وأساطيرهم .

وكان من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، وأسلم في زمن عمر في السنة الثانية عشرة للهجرة ، وقد خرج من المدينة الى الشام ، فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في خلافة عثمان ، وقد بلغ من العمر مائة وأربعين سنة ^(٧) .

(١) انظر فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٨٦

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ٤٣٠

(٣) الهمداني ، الأكليل ١ : ١٣٠

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧ : ٤٤٦

(٥) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ٨ : ٤٣٩

(٦) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ٥٢

(٧) ابن قتيبة ، المعارف ٤٣٠

ونلمس من روايات كعب الأحبار ولعه بالأساطير وروايات الخوارق ، وكثيرا مايعزو ذلك الى علمه الذي اطلع عليه في الأسفار القديمة ، وقد ساعده على المضي قدما في هذا السبيل والافتخار بذلك أنه كان يعيش في بيئة قليل فيها عدد القارئين أو المطلعين على الأسفار والكتب القديمة .

وقد أخذ عنه اثنان هما أكبر من نشر علمه : ابن عباس ، وهذا يبرر ما في تفسيره من اسرائيليات ، وأبو هريرة . ولم يوثر عن كعب مؤلف كما هو الحال لدى وهب وعبيد ، ولكن رواياته كانت شفوية ، تدل على اطلاعه الواسع بالثقافة اليهودية وأساطيرها ، وقد بدا علمه بتلك الأسفار بارزا في معظم رواياته وأساطيره .

وقد نقلت روايات كعب شفاهة بواسطة عدد من الرواة ، فقد نقل عنه في حص معاوية بن صالح الحضرمي ، المتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة للهجرة (١٥٨هـ) ، كما نقل رواياته الحضرمي شريح بن عبيد ، المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع وابنه يزيد بن شريح ، المتوفى في نهاية القرن السابع^(١) . وروى له - أيضا - الثعالبي والكسائي الكثير من القصص .

وقد كان يحلو لكعب اتخاذ الكتب الدينية منطلقا لخياله ، فيبني علي ما ورد فيها عوالم غريبة ومخلوقات عجيبة ، كان يشفع رواياته بما يؤيدها من آي القرآن الكريم ، قال كعب في السموات والارضين :

"في السماء السابعة البحر المسجور ، وعليه من الملائكة ماشاء الله ، وميكائيل قائم على البحر المسجور ، لايعرف وصفه وعدد أجنحته الا الله تعالى ، ولو أنه فتح فاه لم تكن الغمرات فيه الا كخردلة في بحر ، ولو أشرف على أهل السموات والأرض لاحترقوا من نوره ، وله أعوان موكلون على جميع العالم من شأنهم احداث قوة النهوض في الأركان والمولدات وغيرها التي بها الوصول الى الغايات وبلوغ الكمال في الكائنات^(٢) .

لقد أدخل كعب في التراث العربي ما اصطلح على تسميته بالاسرائيليات ، ويتضح في رواياته تأثير كل من الثقافة اليهودية والثقافة النصرانية ، ولننظر الى قوله في عزرائيل : "انه في سماء الدنيا وخلق الله تعالى رجليه في تخوم الأرضين ، ورأسه في السماء العليا ، ووجهه مقابل اللوح المحفوظ ، وله أعوان بعدد من يموت والخلق كلهم بين عينيه ، ولايقبض روح مخلوق الا بعد أن يستوفي رزقه وينتقي أجله^(٣) .

(١) بتروفسكي ، ملحمة عن الملوك أسعد الكامل ٣٦

(٢) القزويني ، عجائب المخلوقات ٥٥

(٣) المصدر السابق ٥٦

ونجد أبطال كعب في رواياته من الملائكة أو الأنبياء ، وقد ترد في رواياته أسماء لملائكة لم يرد ذكرها في التوراة نفسها ، ولعل ذلك ما جعل الجاحظ ينص على أن كعبا لم يقتصر علمه ونقله على التوراة "وانما هي كتب الأنبياء" ، والذي يتوارثونه من كتب سليمان ، وما في كتبهم من مثل كتب أشعيا وغيره" (١١) .
وعلى الرغم من عدم وجود مؤلف ماثور عن كعب الأخبار ، فاننا نجد رواياته مبهوثة في المصادر العربية المختلفة ، وربما يقدر لأحد الباحثين جمعها ، واخضاعها للدراسة والتبويب في المستقبل .

٢ - عبيد بن شربة الجرهمي :

وهو من المعمرين ، فقد أدرك النبي (ص) ، وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان (٢) . وتوفي سنة سبع وستين للهجرة تقريبا ، عن عمر يقارب الثلاثمائة سنة ، وقال بعضهم مائتين وعشرين سنة (٣) .
وقد استدعاه معاوية بن أبي سفيان من صنعاء اليمن ليسأله عن الأخبار المتقدمة وعن ملوك العرب والعجم ، بعد أن أشار عليه عمرو بن العاص باستدعاء عبيد وسوءه عن الأخبار السالفة . فأحضره معاوية واتخذة سميرا له ، وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ونسبتها اليه ، فدونت تحت عنوان "كتاب الملوك وأخبار الماضين" ، كما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم .

وقيل ان عبيد بن شربة الجرهمي قد روى عن الكيس النعمري وابنه يزيد بن الكيس وعن الكسير الجرهمي وعبدود الجرهمي (٤) .
وينسب نشوان الحميري كتابها سماه "البليلة" الى عبيد بن شربة الجرهمي في بليلة الألسن وذكر ملوك حمير (٥) . وأراه قد التبس عليه الأمر فان ما يعنيه هو الكتاب المذكور آنفا ، لأن ابن النديم روى أن معاوية سأل عبيد عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم ، وسبب تهليل الألسنة ، وأمر افتراق الناس في البلاد فتوهم نشوان أنه كتاب آخر في البليلة (٦) .

-
- (١) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٢٠٢
 - (٢) ابن النديم ، الفهرست ١٣٨
 - (٣) السجستاني ، كتاب المعمرين ٣٩
 - (٤) ابن النديم ، الفهرست ١٣٨
 - (٥) نشوان الحميري ، شمس العلوم ١ : ١٢٧
 - (٦) انظر ابن النديم ، الفهرست ١٣٨

وكتاب عبيد من جمع ابن هشام ، وعمل فيه ماعمل في سيرة ابن اسحاق ، ولكن المستشرق كرنكو يذهب الى أبعد من ذلك ، ويصرح بأن عبيد بن شربة شخص خيالي . لوجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو البرقي أو محمد بن اسحاق مكملًا به المؤلف ماينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار ، ويستدل على ذلك بعدم ورود ذكر لعبيد في كتب الرجال ، ولكن عدم ورود اسم عبيد في كتب المحدثين يتخذ دليلا على أنه لم يرو الحديث ، وليس بدليل على عدم وجوده . ويحتج كرنكو بوجود قصة عجيبة يرويها عبيد لمعاوية ، ثم يجد القصة نفسها مسرودة في المصادر العربية المختلفة على لسان رواة آخرين^(١) .

ولا أرى في ذلك داعيا لانكار وجود شخصية عبيد ، فهذه الظاهرة ملموسة في كثير من مصادرنا العربية ، إذ نجد القصة الواحدة يرددها أكثر من راو ، ولا أستبعد أن يروي عبيد قصة عجيبة لما عرف به رواة اليمن من شغف بالأساطير والأمور الخفية ، فأعجب رواة آخرون بالقصة وأخذوا ينسجون على منوالها مقلدين عبيد في رواياتهم الأسطورية .

أما افتراض كل من كرنكو والدكتور حسين نصار في أن ابن هشام قد عمل في كتاب عبيد ماعمل في سيرة ابن اسحاق ، فإنه يلاحظ أن الراوي الذي أعاد تأليف كتاب عبيد كان حريصا ، حين يضيف شيئا من عنده أن يسنده الى من أخذه عنه ، فهو يصرح قائلا^(٢) "ونكر محمد بن اسحاق في غير حديث عبيد بن شربة" ، وهذا معناه أنه يلفت النظر الى أنه يستطرد ويخرج عن الكتاب الأصلي ، فيورد خبرا جديدا يسنده هنا الى ابن اسحاق ، ويستمر في سرده للخبر حتى ينتهي منه فيقول "ثم رجع الحديث الى عبيد"^(٣) .

ومن الواضح أن كتاب عبيد ليس تاريخيا ، وإنما هو مجالس سمر تاريخية ، تتخذ من التاريخ محورا للحكايات الأسطورية ، يحاول فيها عبيد أن يصور طول القحطانيين وعزهم . فعبيد يختار حكايات من التاريخ ، فنجده يصور لنا عادا ولقمان وأسطورة نسوره ، ثم يقص عن عدد من ملوك اليمن .

ويهتم عبيد في كتابه بإيراد قصص الأولين وأساطير ملوك اليمن ، ولكن مع ذلك تتضح في ثنايا الكتاب أهداف التهذيب والتعليم ، أو مايمكن أن نسميه العظة والعبرة ، اللتين تعتمد عليهما القصة ، إذ لاينسى عبيد أنه مسامر وموعدب ، فيحاول أن ينتقي قصصه وأساطيره ويطوعها لتلك الأهداف .

(١) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ١٩٠

(٢) عبيد بن شربة ، التيجان ٣٧٨ (طبعة حيدر آباد)

(٣) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٦٠

وتتجلى ثقافة عبيد الدينيه في الكتاب ، ويظهر حرصه على خدمة الدعوة الدينيه ، وعدم خروج الكتاب عما ورد في القرآن الكريم ، عند تعرضه لبعض القصص الذي كان له أصل في القصص القرآني ، كما في قصة بلقيس ، فيستعير عبيد آيات القرآن الكريم للاستشهاد بها على صدق قصته .

ولا يتوقف الأمر بعبيد عند الاستشهاد بالآيات ، ولكن كثيرا ما سأله معاوية عن تفسير بعضها ، أو عن معنى بعض الكلمات ، فيجيبه واثقا ، متأكدا من قوله ، ويعجب معاوية من غزارة علمه وسعة اطلاعه قائلا " ماتركت شيئا يا أخا جرهم الا وقد دخلت فيه وطلبت علمه " .

وقد أخذ عبيد العلم عن عبدالله بن عباس الذي اعتمد عليه في كل ماله علاقة بتفسير ما جاء في القرآن الكريم ^(١) .

وتلاحظ الكثرة الوفيرة من الأشعار التي ضمنها عبيد كتابه ، وعنايته بقول الشعر ، لأن معاوية كان يستزیده من قول الشعر للمسامرة ، كلما وجد الى ذلك سبيلا ، كما كان يعد الشعر دليلا على صحة الخبر بقوله " ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ، ولو ثلاثة أبيات ؟ " ^(٢) . والشعر ديوان العرب ، وساد الاعتقاد بأنه لا يخلو موقف لم ينظموا فيه الشعر .

وقد عد كتاب عبيد - لكثرة ماورد فيه من شعر - تدوينا شعريا للتاريخ ، وملحمة شعرية ترد على من ينكر على العرب معرفتهم الملاحم ^(٣) . وربما دعاهم ذلك الى مقارنتها بشاهنامة الفردوس الشعرية ^(٤) .

٣ - وهب بن منبه :

هو وهب بن منبه بن كامل بن مسيح بن ذى كنان اليماني الضماني الذماري ، وكنيته أبو عبدالله اليناري ^(٥) . وقد كان تابعيا جليلا ، عالما في أهل اليمن ، ولد سنة أربع وثلاثين للهجرة ^(٦) . ويروى أن نسبه ينتهي الى أحد أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى الى اليمن لنصرة سيف بن ذى يزن ^(٧) . كما قيل أن جده من أهل هراة في

-
- (١) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٥٢
 - (٢) عبيد بن شربة ، التيجان ٣٣١
 - (٣) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٦١
 - (٤) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ١٨٨
 - (٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ : ٢٧٦
 - (٦) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٠٠
 - (٧) ابن قتيبة ، المعارف ٤٥٩

خراسان ، أخرجه كسرى الى اليمن ، فأسلم في عهد النبي (ص) فحسن اسلامه وسكن ولده
باليمن^(١) . أما وهب فيقال أنه اعتنق الاسلام في السنة العاشرة للهجرة ، ولكن الأكثر
احتمالا أنه ولد مملعا^(٢) .

وقد وصف وهب بالاخلاق الفاضلة ، فيروى ابن كثير عن منير مولى الفضل ابن
عياش أنه كان جالسا مع وهب بن منبه ، فأتاه رجل نقل اليه شتيمة رجل آخر ، فغضب
وهب وقال : ما وجد الشيطان رسولا غيرك ؟ وعندما جاءه ذلك الشاتم وسلم عليه أحسن
استقباله وأجلسه الى جانبه^(٣) .

وقد وصف وهب بالفصاحة وسعة العلم ، مما أظفى عليه هيبة ووقارا ، فوصف^(٤)
الزبيدي اجلال ابن الزبير له اذا دخل عليه وهب أيام خلافته ، اذ كان يعظمه ويحترمه
مع أن وهبا كان لا يحب الاقتراب من ذوى السلطة ، يتمثل هذا في قوله ينصح عطا
الخراساني : " أخبرت أنك تحمل علمك الى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، ويحك ياعطا ،
تأتي باب من يغلق بابه دونك ، ويظهر لك فقره ، وتدع باب من يظهر لك غناه ويفتح لك
بابه " ^(٥) .

وحبس وهب في الأيام الأخيرة من عمره لأسباب لا تذكرها المصادر ، وكان حبسه
نتيجة لأمر من الوالي يوسف بن عمر الشقفي الذي حكم اليمن منذ عام ست ومائة للهجرة
الى عام عشرين ومائة للهجرة^(٦) . ويروى ابن حجر أن يوسف بن عمر ضربه حتى مات^(٧) ،
دون أن يذكر سبب ذلك .

وقد ولي وهب القضاء في صنعاء لعمر بن عبد العزيز حتى وفاته سنة أربع عشرة
ومائة للهجرة^(٨) . وقال بعضهم بل مات سنة عشر ومائة للهجرة^(٩) . ويقال ان قبره معروف
بزار بالعرض الأعلى خارج باب اليمن^(١٠) .

-
- (١) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ١١ : ١٦٧
 - (٢) هوروفتس ، المغازى الأولى ٢٧
 - (٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ : ٢٧٦
 - (٤) الشرجي الزبيدي ، طبقات الخواص ١٦٢
 - (٥) عبد الله الحبيشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ١٤
 - (٦) هوروفتس ، المغازى الأولى ٢٩
 - (٧) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ١١ : ١٦٨
 - (٨) ابن سمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ٥٧ ، وأنظر ياقوت الحمري ، ارشاد
الاربيب ١٩ : ٢٦٠
 - (٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ : ٥٤٣ ، وأنظر ابن قتيبة ، المعارف ٥٩
 - (١٠) الأكويع ، محقق قرعة العيون ، ابن الديبع ١ : ٣٤

وكان وهب اخباريا ، كثير النقل من الكتب القديمة ، وقد روى عن أبي هريرة وعن عبدالله بن عمرو وابن عباس وأبي سعيد وجابر بن عبدالله وغيرهم ، كما نقل عن أخيه همام بن منه^(١) . وقيل أنه قد أخذ الكثير عن ابن عباس إذ لازمه ثلاث عشرة سنة كما أدرك جماعة من الصحابة من مثل عبدالله بن عمر وعمرو بن العاص والنعمان بن بشير وأنس بن مالك وأبي موسى الأشعري وغيره^(٢) .

وينقلون قوله انه قرأ من كتب الله اثنين وسبعين كتابا ، وقيل أكثر من ذلك ، إذ نقل آخر عن سمعته يقول انه قرأ اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها في الكنائس في أيدي الناس ، وعشرون لا يعلمها الا قليل ، كما قال أيضا: لقد قرأت ثلاثين كتابا نزل على ثلاثين نبيا^(٣) .

ولاشك في مبالغة هذه الأقوال وعدم صحتها عند المقارنة بقوائم الكتب المقدسة المشار اليها ، ولكن مع ذلك فان وهبا قد عرف ماتحويه كتب اليهود والمسيحيين المقدسة عن طريق صلاته باليمنيين من أهل الكتاب الذين كثر عددهم في جنوب بلاد العرب ، ويوافق كثير من أقوال وهب ما في المصادر اليهودية والمسيحية ، وان خالفها في بعض الأحيان^(٤) .

وينص وهب في غالب نصوصه على منابع علمه التي استقى منها مادته ، من ذلك قوله: "مكتوب في الانجيل: لا ينبغي لامام أن يكون جائرا ومنه يلتبس العدل ، ولا سقيما ومنه يلتبس الحلم"^(٥) .

ويشبهونه بكعب الأخبار ، كما يصفونه بالصالح والعبادة لكثرة ما يروى عنه من أقوال حسنة وحكم ومواظ^(٦) .

وينقلون عن وهب اعتزازه بمعرفته إذ قال: "يقولون عبدالله بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب أعلم أهل زمانه ، أترأيت من جمع علمهما؟" يعني نفسه^(٧) . وقد عرف وهب بسعة اطلاعه وغزارة علمه ، لذا قيل أن الخليفة الوليد عشر على حجر عليه نقوش

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٠٠

(٢) الشرجي الزبيدي ، طبقات الخواص ١٦١

(٣) ابن سمره الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ٥٧

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ : ٥٤٣

(٥) هوروفتس ، المغازى الأولى ٣١

(٦) ابن عدي ، العقد الفريد ٢ : ٢٨٥

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ : ٢٧٦

(٨) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٠١

غير عربية أثناء بناء مسجد دمشق ، عام سبع وثمانين للهجرة ، فأرسله الى وهب لقراءته^(١) .

وهناك اشارات تدل على معرفة وهب بالعبرية ، وربما بالسريانية أيضا^(٢) .
وتكاد تجمع المصادر العربية على سعة علمه واطلاعه على كتب الأولين ، مما دعا ابن عباس الى وصفه بعلامة الدنيا^(٣) .

وقد ألف وهب كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم ، وغيره^(٤) . وقد ذكر ابن قتيبة أنه رأى هذا الكتاب ، ووصفه بأنه من الكتب المفيدة^(٥) . أما بروكلمان فيرى أن هذا الكتاب نفسه لابن هشام ، اعتمد فيه بصورة أساسية على اسرئيليات وهب بن منبه ، وإن روى أيضا عن مصادر أخرى مثل محمد بن السائب الكلبي^(٦) . ولا أرى صحة هذا القول ، فالكتاب تذكره المصادر القديمة ، وفضل وهب وريادته في هذا الفن ملموسة من أكثر من باحث ، وسنقف أمام هذا الكتاب بعد الانتهاء من معرفة مؤلفاته الأخرى .

تنسب الى وهب بعض المؤلفات القديمة ، فقليل أنه صنف كتاب " القدر " ثم ندم على تصنيفه ، وسعوه يقول : " كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء ، في كلها من جعل لنفسه مشيئة فقد كفر ، فتركت قولي " ^(٧) .

وقد أشار حاجي خليفة الى مؤلفه " قصص الأبرار وقصص الأخيار " ، كما ذكر له أيضا " قصص الأنبياء " ^(٨) ، وكتابا في " المغازي " ، وقد تبين صدقه إذ اكتشف " بيكر " بين مجموعة أوراق بردى (شت دينهاردت) المحفوظة في هايدلبرج مجلدا يحتوي على قطعة من هذه المغازي ، وتتناول هذه القطعة تاريخ العقبة الكبرى واجتماع قريش في الندوة والهجرة وغزوة بني خزيمة ، مما يدلنا على أن وهبا تناول الفترة الملكية والمدنية من حياة الرسول^(٩) . وقد حقق هذا الجزء من المغازي رشيد خوري وتم نشر الكتاب في السبعينات .

-
- (١) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣ : ١٥٢
 - (٢) انظر وهب بن منبه ، التيجان ٢٩
 - (٣) عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ١٤
 - (٤) ياقوت الحموي ، ارشاد الأريب ١٩ : ٢٦٠
 - (٥) ابن زلكان ، وفيات الأعيان ٥ : ٨٨
 - (٦) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٢٥٢
 - (٧) ياقوت الحموي ، ارشاد الأريب ١٩ : ٢٦٠
 - (٨) حاجي خليفة ، كشف الظنون ٢ : ٢٢٣
 - (٩) المصدر السابق ٢ : ٢٧٠
 - (١٠) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ٢٠٢

وينص بروكلمان أن الآثار المجموعة في أوراق من البردى بمكتبة هايدلبرج قد اعتمدت على كتابه "قصص الأنبياء" ، وهو في مكتبة الإسكندرية مخطوط رقم ٩٨٠ تاريخ^(١١) . فاعتبر كتاب المغازي وقصص الأنبياء واحدا .

وحفظت "حلية الأولياء" لوهب قطعتين من المغازي ، تتناول الأولى فتح مكة^(١٢) ، والثانية وفاة النبي (ص)^(١٣) . وهو يذكر الأسفار في القطعتين ، ويعلق الدكتور حسين نصار على أسلوبه في هاتين القطعتين ، فبرز الخيال واضحا ، إذ لم يكن وهب مؤرخا ، وإنما كان قصاصا^(١٤) ، وكان في أسلوبه تصوير دقيق فيه التمجيد وفيه المادة الأسطورية وتلك صفات بارزة في كتاب وهب "التيجان" .

ويعتبر هوروفتس كتابات وهب مدخلا إلى سيرة النبي (ص)^(١٥) ، كما ترتبط بالرسالات قبل محمد ، وإن كان وهب لا يذكر مع رواية سيرة النبي (ص)^(١٦) .

وقد ذكر المسعودي أنه ألف كتاب "المبدأ" ، وينسب حاجي خليفة إلى وهب أيضا كتاب "الاسرائيليات" ، ويرى روزنتال أن كتاب "الاسرائيليات" الذي ذكره صاحب "كشف الظنون" قد يكون كتاب "المبدأ" نفسه^(١٧) ، ويشير العنوان إلى مبتدأ الخلق ، ولعله الفصل الذي ابتدأ به ابن قتيبة كتابه "المعارف" .

وقد لاحظ ابن قتيبة الفرق بين معلومات وهب عن بدء الخليقة وبين سفر التكوين ومقارنة ابن قتيبة لمعلومات وهب تدل على أنه أضاف مادة إلى ما أخذه عن العهد القديم ، وعناصر هذه المادة تستند إلى شرح الآيات القرآنية ، وإلى الاسرائيليات وإلى تأملاته في كتب أهل الكتاب^(١٨) . كما جعل من الاسرائيليات مادة لتاريخ قبل الإسلام ، وتعد أول نموذج للتاريخ العالمي متمثلا في تاريخ الرسالات^(١٩) .

-
- (١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٢٥٢
 - (٢) الحافظ الأصفهاني ، حلية الأولياء ٤ : ٧٩
 - (٣) المصدر السابق . ٤ : ٧٣
 - (٤) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ٢٠٢
 - (٥) هوروفتس ، المغازي الأولى ٣٤
 - (٦) المسعودي ، مروج الذهب ٥ : ١٢٧
 - (٧) هوروفتس ، المغازي الأولى ٣١
 - (٨) ابن قتيبة ، المعارف (فصل مبتدأ الخلق) ٩
 - (٩) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ٢٦

ويرجع بروكلمان أن كتابه "الاسرائيليات" قد نقل منه ابن قتيبة كثيرا في
عيون الأخبار ، والغزالي في الاحياء ، كما نقل الغزالي أمثالا قال أن وهب بن منبه
وجدها على هامش التوراة ، ونقل عنه حكمة داود^(١) .

وقد انتشرت آثار وهب في تفسير الطبرى وتاريخه ، وفي كتب بعض المؤرخين
كابن قتيبة وابن اسحاق والمسعودى وغيرهم ، وكثيرا ما نجد الأخبار المنسوبة في مثل
هذه الكتب القديمة يعارض بعضها بعضا ، ولا بد أن تكون أخبار وهب قد عرض لها منذ
عهد مبكر بعض أنواع التحريف والتغيير في النسخ المختلفة . وربما عاد اختلاف تلك
الأخبار الى تغيير وهب نفسه في بعض تلك الأخبار ، كما يحتمل أن يكون التغيير
والتحريف من صنع أولئك الذين نشروها فيما بعد لملاءمة الذوق الشعبي ، فجلوها على
نمط أخبار القصص الشعبيين .

وربما تمت الاضافة الى قصصه على يد عبد المنعم بن ادريس واسماعيل بن
عبدالكريم ان معقل بن منبه المتوفى سنة عشر ومائتين للهجرة ، فلعلهما لجأ الى
الوضع لتجميد اسم وهب ، وقد أصبحت قصصه ارثا لعائلته التي حاولت نشرها .
ويتضح لنا عند دراسة المقتبسات في ابن قتيبة (المعارف) والطبرى والمقدسي
في (البدء والتاريخ) أن وهبا بدأ بالخليقة ، وتدرج الى تاريخ العهد القديم ثم
الى الأنبياء الذين نكروهم القرآن من مثل هود وغيره^(٢) .

ولقد كان وهب أول من وضع هيكله ، وان كان قصصا لتاريخ النبوة ، منذ بدء
الخليقة حتى ظهور الاسلام ، وقد أخذ عنه أو تأثر به من ناحية المادة أو الهيكل بعض
المؤرخين التاليين^(٣) .

وقيل أن وهبا ترجم زبور داود ، وذكر ذلك الوراق الاندلسي أبو بكر بن خير
الذى توفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة للهجرة^(٤) . وينقل وهب في بعض أقواله ما أنزله
الله على نبيه داود^(٥) .

(١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٢٥٢

(٢) عبدالعزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ عند العرب ٢٦

(٣) المصدر السابق ١١٣

(٤) هوروفتس ، المغازى الأولى ٣٤

(٥) ابن عبدربه ، العقد الفريد ١ : ٧

كما نسب اليه " الزهر الأنيق في قصة يوسف الصديق " وقد نسب اليه جامع فهرس
مكتبة جامعة الرياض ، وهو مصور بالجامعة ، ورقمه ثلاثة عشر مجاميع ^(١١) .
ولوهب باع طويل في الموعظة ، اذا انتشرت مواعظه الكثيرة في معظم المصادر
العربية ، ويضمنها أحيانا خبرته الطويلة ونظراته في الحياة .

كما أن لوهب بن منبه فضل الريادة في ادخال فن القصص الأسطوري الى تراثنا
العربي ، واعتماده في ذلك على التاريخ ليس للحقيقة العلمية في معرفة التاريخ ،
ولكن ليستمد منه تجاربه في ما قصه علينا من حكايات ، فبدأ وهب علما بارزا في هذا
المضمار ، وقد ظفر مؤخرًا باهتمام الباحثين المحدثين ، وأخذوا اهتمامهم يتزايد
بكتابه " التيجان في ملوك حمير " ، بل انتقد بعضهم المقولة التي ترجع فضل الريادة
للغرب في فن القصص ، وأخذنا ذلك الفن عنهم ، فيلفت فاروق خورشيد نظرنا الى كتاب
التيجان ، لما في قصص وهب من مادة قصصية أسطورية شيقة توافرت فيها كل عناصر
القصة الجيدة ^(٢) .

كتاب " التيجان في ملوك حمير " :

يجمع الكتاب بين دفتيه مؤلف وهب بن منبه ، ورواية ابن هشام ، وقد نشره
كرنكو في الهند سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، ثم طبع مع كتاب أخبار
عبيد بن شربة الجرهمي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة ^(٣) .

وتم طبع كتاب " التيجان " مؤخرًا طبعة أنيقة في بيروت ، وقد وفق من جمع
الكتابين ، فهما يسيران في اتجاه واحد ، مع مظاهر التشابه والاتفاق بينهما ، وحاز
المجلد اعجاب الباحثين وعدوه تسجيلًا لأولية القصص الفني القديم الذي اهتم بايراد
قصص الأولين وأساطير ملوك اليمن . وقد سبق لنا الحديث عن كتاب عبيد بن شربة ،
فلنقف الآن أمام كتاب وهب .

روى الكتاب ابن هشام ، وقد ظهر تصرفه فيه في الاضافات التي جلبها من
روايات أخرى ، وصرح بسندها في تضاعيف الكتاب كرجوعه الى ابن اسحاق ^(٤) ، وغيره من

(١) عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ١٤

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٧٦

(٣) عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ٤٠٢

(٤) وهب بن منبه ، التيجان ٧٣

الرواية كالهمداني والكلمي ، ثم يعود الى قصة وهب من جديد ، وترى ابن هشام يضيف ما يحس أنه يكمل القصة زمنيا ، أو يضيف الى القصة جديدا لم يعاصره وهب .

ويبدأ الكتاب بخلق العالم وقص آدم وأولاده حتي عهد نوح ، ثم يلتفت وهب الى العرب من الساميين والى عرب الجنوب بخاصة ويقص تاريخ أقبالهم وملوكهم ، وما حققه هؤلاء من ظفر ونصر أشناء غزواتهم المتعددة في أرجاء الأرض .

وانتشرت الاسرائيليات في كتاب وهب . وشاعت فيه ، ويظهر ذلك جليا في الفصول الأولى من الكتاب عند معالجته كيفية خلق العالم وآدم وأولاده ، وفي قصة سليمان وبلقيس ، ويغلب على وهب الطابع القصصي الأسطوري ، وان استقى مادته الأولى من التاريخ .

وفي حكايات وهب تلمح اتصالا كبيرا بكل شعوب الأرض من الهند والصين والأندلس والترك والفرس والصقالية والأحباش والمصريين وسكان الجزائر وغيرهم ، مما سبق عصر التدوين ، هذا الاتصال الذي حدث بعد فترة طويلة من ظهور الاسلام وانتشاره (١) .

فوهب قاص تغنى بمفاخر وطنه ملحمة نشرية بسيطة صريحة يزينها بالشعر ، وبما يقتبس من آيات القرآن الكريم ، كما حفلت بالرسائل والخطب والأحاديث . وقد صاغها الخيال في اطار فني جميل ، ولايمكننا الوثوق بما زان به قصصه من الشعر الموضوع ، وان روى لشعراء مشهورين من مثل لبيد والأعشى وأمرئ القيس ، اذ استخدم المؤلف الشعر لارضاء الساميين ، وكجزء من منهج تأليف القصص عند العرب . وان ظاهرة ورود الشعر على السنة أبطال هذه الروايات التاريخية لدليل على أنها وضعت للقصص وليس للتاريخ . فوهب مثل عبيد وغيره لا يورخون تاريخا حقيقيا ، وانما يقدمون قصصا فنيا حلوه بالشعر كلما وجدوه ، والا وضعوا الشعر ان أعجزهم ما جاء على السنة العرب . فهم ان وجدوا شعرا ذكروه وبهذا حققوا دون قصد حفظ صور من الشعر الجاهلي (٢) .

واسلوب وهب بسيط لا يشوبه التكلف أو التزيين ، وان وجدت عنده بعض القطع الارجوانية بحسب رأي الدكتور حسين نصار (٣) ، ولاتخفى علينا في الكتاب مظاهر التفاخر بين عرب الجنوب وعرب الشمال ، حين يجعل وهب الأسبقية دوما لعرب الجنوب في كل الأمور : في معرفة التوحيد وفي اللغة وفي الأدب وفي مرافق الحياة المختلفة .

(١) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٤٣

(٢) المصدر السابق ٧٢

(٣) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ٢٠٦

ويعد وهب صورة مكبرة مهذبة من عبید بن شریة الجرهمي ، أضاف الى المعلومات الاسلامية ما اطلع عليه من اتصاله بأهل الكتاب . ولايختلف كتاب وهب عن كتاب عبید ، ومن مظاهر التشابه بينهما في الكتابين اشتراكهما في طريقة العرض ، فهما يطلقان لخيالهما العنان في تصوير الوقائع ، ويخرجان بالأحداث التاريخية الى عالم الخيال والأسطورة .

ولاتفق حكاياتهما على الأحداث التاريخية ، ولكنها تعد صوراً انسانية صادقة تعبر بحق عن حيرة الانسان وقلقه ، وترسم في وضوح صراعه مع القدر وصراعه مع الطبيعة وصراعه مع الدهر والحياة ، بل هي في بعض فصولها ترسم صوراً للصراع ضد الغرائز ومحاولة التغلب عليها ^(١) .

والجدير بالذكر أن كتاب " التيجان في ملوك حمير " يعد رائداً في هذا المضمار إذ لم يسبقه ظهور مؤلف في القصة والحكايات ، وإن كان الكتاب مسامرات حققت أغراضاً ومطامح معينة ، ولكنها سجلت في عالم التأليف الأدبي ادخال لون جديد لم يعرفه الأدب من قبل ، هو ذلك اللون الزاهي الجميل الذي أطلق فيه الراوي لخياله العنان ، فأخذ يخلق في عوالم مجنحة في الخيال ، لاوجود لها في واقعه ، وتلك قدرة في الراوي ، لم تكن لتتيسر له لولا حظ كبير من الثقافة واطلاع واسع على كتب الدين القديمة .

وبعد .. لقد كان أولئك أبرز رواة اليمن وقصصها الذين اعتمدت المصادر العربية وأمهات الكتب على رواياتهم وأقاصيصهم ، فكانوا المنبع الذي ظل الرواة والكتاب من بعدهم يستقون منه أساطيرهم ، وقد لمسنا من خلال تعرفنا على مؤلفاتهم ورواياتهم أن لكل منهم طابعه الخاص الذي اتسمت به رواياته ، وذلك وفقاً لطبيعة الثقافة المعتمدة عند كل منهم ، إذ وجدنا اشتراك كل من كعب الأبحار ووهب بن منبه في الاعتماد على الثقافة اليهودية والنصرانية . فكان ما دخل روايتهما من اساطيريات ، في حين لاحظنا الطابع الاسلامي لدى عبید ابن شریة الجرهمي وتمثيله لطابع العصر الأموي خير تمثيل .

ولكن هؤلاء الرواة ، من أين استقوا أساطيرهم ؟ وما المصادر الأولى التي كان اعتمادهم عليها ؟ أو ما المنابع الأساسية التي أمدتهم بتلك المادة الخصبة التي بنوا عليها رواياتهم الأسطورية ؟

ان الدارس الفاحص - عن كتب - لتلك الأساطير يتبين له من خلال تنوعها وتعدد أنماطها ما يمكن أن يكون المادة الأساس الأصلية لهذه أو تلك من الأساطير ، وبعد القيام بدراسة متمعنة لرواية اليمن ثقافتهم وتنوع اهتمامهم نستطيع أن نتلمس هذه المنابع الثلاثة الأولى التي كونت روافد سخية ، أقبل رواة اليمن على الاعتراف منها مع ما فطروا عليه من ولوع بالأساطير والحكايات الخيالية ، وهذه المنابع هي :

- ١ - المرويات الشفهية المتداولة .
- ٢ - الكتب والأسفار القديمة .
- ٣ - القصص القرآني .

وأفضل القول في كل منها على حدة ، للوقوف أمام ما تقتضيه معطيات كل منها ، من الدرس والنقاش ، لتتجلى لنا الصورة واضحة :

١ - المرويات الشفهية المتداولة :

لقد استمرت الرواية الشفهية في التداول مدة طويلة قبل مرحلة التدوين عند العرب ، على الرغم من انتشار الكتابة ووفرة الكتاب ، والشواهد على ذلك عديدة . وتعددت الأسباب التي أخرجت مرحلة التدوين ، وأخذ المجتهدون يدلون بالآراء المختلفة في تلك الأسباب ، ولا أجد المجال يدعو الى ذكرها ، وربما كان السبب الأساسي في تأخر التدوين والاعتماد على الرواية الشفهية بعد الاسلام هو تقدير العرب للذاكرة وارتباط تقديرهم لها بقُدسية القرآن الكريم وارتباطه بالسمع والترتيل والحفظ ، حتى لدى من يجيد قراءته ، اذ كان المسلمون لا يثقون بمن يقرؤه من المصحف ثقتهم بمن يحفظه فارتبط ذلك لديهم بتقدير الذاكرة .

ويصدق الأمر نفسه على الأدب ، فقد اعتمد الرواة في أغلب الأحيان على الرواية الشفهية ولم يستخدموا الكتابة الا نادراً^(١) ، اضافة الى أن الرواية الأدبية من أخبار وأشعار كانت من الثقافة العامة السائدة في المجتمع الاسلامي . ومن المعروف أن القصص كانوا يجلسون الى الناس في المسجد أيام الخلفاء الراشدين ، يحكون لهم احاديث الأمم الأخرى ، ويقصون لهم الأساطير والحكايات ، ولاشك أن وجود هذه الظاهرة في صدر الاسلام لا يمكن أن يكون مستحدثاً ، كما ذهب الى ذلك الدكتور أحمد أمين في فجر الاسلام ، ولكن الأرجح أن تكون هذه الحال امتداداً لما كان يحدث قبل الاسلام ، وقد جعلت النفس الانسانية على الشغف بالاستماع الى مثل تلك الأحاديث الأسطورية وقصص الأولين .

(١) أنظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٦٥

وللرواية الشفهية أهميتها في موضوع الأساطير وموضوع القصص الشفهية ، لأن الحكاية في مسارها بين الأفراد تخرج من دائرة القاص الفرد في زمان ما الى الجماعة التي تلعب دورها تحويرا وتطويرا وحفاظا على الحكاية ، فبذلك تكون نتاج تراكبات خصائص الفرد والبيئة ، فيصبح معرفة دور القاص الفرد جد عسير في مثل هذه القصص ، وبمجرد أن يكتب القاص كتابا ونعثر على نسخة من هذا الكتاب ، تبدأ حياة هذه القصص في الذبول ، ويتوقف التحوير والتطوير والنمو ، لأنها تدخل المعامل للدراسة ، أو يمكن أن تكون مجالا لفنان فرد يعيد صياغتها ويؤلف - استيحاء منها - جديدا من القصص (١) .

ولاشك في تناقل الأساطير والحكايات مروية في المجتمع العربي قبل الاسلام ، وبعده ، ولا يمكن أن تكون تلك الأساطير بعد مسيرتها الطويلة عبر السنين الا نتاجا مشتركا لذلك المجتمع الذي كان له احتكاك واتصال مباشر بغيره من الشعوب والأمم ، وهذا أمر له أهميته في ظهور سمات مشتركة أحيانا بين الأساطير المختلفة لدى الشعوب في المناطق المختلفة من هذا العالم ، مما يدل على تناقل الأساطير بين الشعوب والأقوام في البلاد .

- الاتصال بين الأمم :

لقد كانت أرض العرب تقع ما بين (مصر وبابل) مهد الحضارات ، ولم تكن هناك عوائق طبيعية حادة تحد من سبل الاتصال بين حضارات العالم القديم وسكان بلاد العرب ، فكانت شبه الجزيرة العربية حلقة اتصال دائم بين شعوب العالم القديم . ولتسهيل التقصي نظم ثلاث دول نشأت في أطراف الجزيرة العربية الشمالية الشرقية وهي : بابل القديمة (دولة الأكاديين) ، وأشور ، وبابل الحديثة (دولة الكلدانيين) تحت اسم واحد هو (بابل) ، وحينئذ نستطيع القول أن بلاد العرب كانت عقدة تربط بين مركزي الثقافة القديمة (مصر وبابل) . فمن وادي الرافدين حيث حضارة بابل نجد طريقين يربطان الى آسيا الصغرى وإلى المنطقة السورية ، ومن المنطقة السورية تمتد طريق بريئة ساحلية الى مصر ، بينما تخترق شبه الجزيرة العربية عدة طرق ، أحدها من اليمن الى سوريا عن طريق مكة ، وأخرى من اليمن الى وادي الرافدين عن طريق نجد والمنطقة الشمالية لشبه الجزيرة ، وثالثة بين اليمن والمنطقة الشرقية . وهكذا (٢) .

(١) سهير القلماوي ، مجلة عالم الفكر ، مقالة "القصص الشعبي" - العدد الأول

سنة ١٩٧٢ - ص ١٢٣

(٢) جرجس داود ، أديان العرب قبل الاسلام ٢٠

وقد أفادت الدراسات الفولكلورية من المكتشفات الحفرية في البلاد العربية المختلفة من مثل مكتشفات رأس الشمرا في فلسطين أو أوغاريت في سورية (اللائقية) ، بالإضافة الى مكتشفات غيرها من نصوص سورية وبابلية في العراق ، ومكتشفات جوزيف هالفي وأحمد فخري في اليمن^(١١) . كما عثر على كتابات تدل على أسماء ملوك حكموا حضرموت ، وتخير أن أحد ملكوهم في "حصن أنود" قد استقبل ضيوفا وفدوا عليه من (هند) و(تدمر) ، وآراميين جاءوا من (كشد)^(١٢) ، ولهذا الأمر دلالة القوية في اتصال البلاد العربية بغيرها من الأمم والشعوب .

وقد قسم علماء اللغات تراث الشعوب السامية الى ثلاثة أقسام :

- ١ - القسم الشرقي أو البابلي في العراق .
- ٢ - القسم الغربي أو الكنعاني أو الآرامي في الشام وفلسطين .
- ٣ - القسم الجنوبي أو العربي في الحجاز واليمن .

وقد توارث أقوام الحضارات البابلية في العراق حضارة السومريين وأساطيرهم ومعتقداتهم ، وترجع أولى بدايات ممالك هؤلاء الساميين الى منتصف القرن الرابع والعشرين ق.م . وعن هذا القسم الشرقي البابلي سرى تراث الأقوام السومرية الأكادية المندثرة الى بقية الأقوام السامية الأخرى من أوربة وكنعانية وآرامية وعبرانية وعربية في ربوع الشام وشبه جزيرة العرب بقسميها الجنوبي والشمالي^(١٣) .

وقد كانت بابل وأشور المنبع الأكثر خصوبة ، الذي أسد ما جاوره من تخوم وقبائل على طول شبه الجزيرة العربية ، فنزحت قبائل ابراهيم وأشور الى الشام وفلسطين قبل انتهاء الالف الثالثة قبل الميلاد .

وكشفت الدراسات الأسطورية المقارنة عن وجود الأساس الأسطوري العقائدي المشترك لأغلب هذه الشعوب السامية منذ أكثر من ألفي عام ق.م . سواء فيما بين النهرين أو في مكة واليمن والشام وفلسطين^(١٤) .

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٢

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ٢ : ١٤٥

(٣) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٢٤

(٤) المصدر السابق ٣١

وقد اضطر العرب الى الهجرات شمالا لأسباب كثيرة منها سعيهم الدائب لاجتياح
العراقي الخصبة ، فتوسعوا في بلاد الشام ، ودخلوا أرض الرافدين ، كما تقدموا الى
طور سيناء فشواطئ نهر النيل ، ولاشك أنهم دخلوا أراضي خاضعة لنفوذ الفرس ، كما
أن علاقتهم بالفرس لم تكن سيئة . ففي سنة خمس وعشرين وخمسمائة قبل الميلاد ، ولما
قام قمبيز ملك فارس بغزو مصر حالف العرب ، فقدموا له المعونة ، وكانوا خير مساعد
له في عبور الصحراء^(١) ، كما أن لوجود كل من مملكتي المناذرة والغساسنة على أطراف
الدولتين الفارسية والرومانية أثره في التواصل الحضارى بين أقوام شبه الجزيرة
العربية .

وفي وقت لاحق كان لليمن اتصال خاص بفارس عندما أرسل كسرى جنودا من فارس
لتنصره الملك اليمني سيف بن ذى يزن ، فبقي هؤلاء في اليمن ، وكونوا فيها من
اصطلحوا على تسميتهم فيما بعد بالأبناء ، ولاشك أن الأمر لم يقتصر على الاحتكاك
العسكري ولكن تعداه الى الاحتكاك الحضارى في نقل أولئك الجنود لعاداتهم
ومعتقداتهم وأساطيرهم .

وبقدر ماتحقق التواصل الحضارى بين حضارة ما بين النهرين مع حضارة العرب في
جنوب الجزيرة العربية من جانب وجيرانهم الفرس الآراميين من جانب آخر ، حدث الأمر
نفسه للحضارتين المتجاورتين : المصرية القديمة ولاحقتها الحضارة الكنعانية
الفينيقية في الشام وفلسطين ، وهي الحضارة التي ترجع ارهاصاتها الى بداية الألف
الثالثة قبل الميلاد ، كما أنه من المعروف استعمار فينيقيا الجزر القرطاجنية في
البحر الابي ، ومركزها كريت في مرحلة ما قبل الهلينية بقرون طويلة ، فاستمد
اليونان عنهم دعائم حضارتهم التي نقلها الفينيقيون أثناء استعمارهم تلك الجزر^(٢) .

وقبل الميلاد بقرون عدة كان للعرب وجود في طور سيناء حتى مشارف النيل في
مصر حيث يمر خط برى بين مصر وشبه جزيرة سيناء . وجنوبا حيث تقرب الجزيرة
العربية من افريقيا عند باب المنذب . وتثبت الأدلة التاريخية وجود اتصال بين
المصريين القدماء والعرب ، حيث كان العرب تجارا ينقلون الى المصريين الطيوب

(١) جواد علي ، المفصل ١ : ٦٢٠

(٢) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٤٢

والبخور الذى يستخرجونه من شجر اللبان ، حيث ينمو بكثرة في جنوبي شبه الجزيرة ، وقد كان المصريون يحرقون هذا البخور في هياكلهم ، ويستخدمونه في تحنيط موتاهم^(٨) .

وقد عثر المنقبون على آثار في الجزيرة بمصر ترجع بتاريخها الى عهد البطالمة بمصر ، تثبت وجود كتابات بالخط اليميني (المسند) في مصر ، ونستدل بذلك على وجود الصلات الوثيقة التي كانت بين العرب واليونان من جهة وبين العرب والمصريين من جهة أخرى .

كما عثر المنقبون على رسوم وتمائيل في مينة "تمنع" اليمنية تشبه الى حد بعيد تماثيل الآلهة اليونانية ، اضافة الى عثورهم في مواضع أخرى على ضرب من النقود صك بعضه على زمن الإسكندر ، والبعض الآخر على أيام خلفائه ، وغير ذلك من الآثار^(٩) . ولاشك في أن هذا دليل على أن العرب كان لهم صلات وعلاقات بالشعوب القديمة ، اليونان والرومان وغيرهم مما يشير الى تأثرهم بعبادات تلك الشعوب وتأثيرهم فيها .

ويتمتع جنوبي الجزيرة العربية بموقع هام جعله مسرحا لجيوش المملكتين اليونانية والرومانية ، اللتين تتسابقان لاحتلاله ، أو على الأقل للسيطرة على طرق القوافل والتجارة . وقد أورد ياقوت الحموي أن البطالمة اليونان قد حذوا حذو الإسكندر الكبير ، فأسكنوا مواطنيهم أماكن متعددة من السواحل العربية لحماية سفنهم التجارية كما فعل هو من قبل حيث أسكن اليونان "كرخا" وجزيرة "سقطرى" بتأثير معلمه أرسطاطاليس ، وهم الذين طردوا اليهود منها حاملين معهم صنمهم العظيم الى بلادهم ، وبقي اليونانيون في سقطرى حتى مجئ المسيح^(١٠) .

كما كان جنوب الجزيرة العربية معقلا لكل من الديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية ، ومارافق ذلك من احتكاك اليمانيين بأقوام أخرى اتخذت الديانة ذريعة للاحتلال ، كما تمثل ذلك في غزو الأحباش لليمن ووجودهم فيها فترة من الزمن .

(١) فيليب حتي ، تاريخ العالم ٦٣

(٢) جواد علي ، المفصل ٢ : ٣١

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ٢٢٧

وقد اتضح فيما أسلفت عن احتكاك شبه الجزيرة العربية بغيرها من الأمم والشعوب في بلدان العالم المختلفة ، واتصالها بمنابع الحضارات القديمة بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولاشك أن هذا يعني عدم انعزال هذه الرقعة من الأرض عن غيرها من المناطق التي كانت في يوم ما مهدا للحضارات الأولى ، كما تعددت سبل ذلك الاتصال سواء كان الاتصال تجاريا أو عسكريا ، فلا بد أن يحدث أثره في تلك الأقوام ، فتحدثت مظاهر الاحتكاك المختلفة أثرها في الأمم ، ولا بد أن ينقل القوم في ترحالهم واستقرارهم قدرا كبيرا من نمط معيشتهم بل معتقداتهم وقصصهم وأساطيرهم .

وقد انتبه الهمداني الى تناقل العرب للأخبار والأساطير في كتابه " الوشي المرقوم " حي قال : " لم يصل الى أحد خير من أخبار العرب والعجم الا من العرب ، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد العتجاورات فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الأعاجم علم أخبارهم وأيام حمير وسيرها في البلاد ، وكذلك من سكن الشام خير بأخبار الروم وبني اسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه أتت أخبار السند وفارس ، ومن سكن اليمن علم أخبار الأمم جميعا لأنه كان في ظل الملوك السيادة " (١) .

ولهذا النص دلالة عميقة على انفتاح اليمن على ثقافات الأمم من حولهم واطلاعهم على حضارات الشعوب القديمة ، ومعرفتهم بأخبارهم وأساطيرهم . لقد كانت تلك نبذة عن سبل اتصال جنوبي الجزيرة العربية بغيرها من الشعوب أما اتصال الشمال بالجنوب في شبه الجزيرة العربية فأمره معروف ، إذ أن علاقة اليمن بالحجاز قديمة جدا ترجع الى أيام الدولة المعينية ، ثم استمرت أيام الدولة السبئية والحميرية منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي تقريبا . وقد امتد نفوذ اليمانيين على طول الطريق التجاري في معان والعلا ، كما تشهد بذلك النقوش التي وجدت في هذه المناطق (٢) .

أما موضوع هجرة أهل اليمن وتفرقتهم في أنحاء الجزيرة العربية وتخومها فأمر أشهر من أن يذكر ، فكانت الهجرة مستمرة ، وظل الاتصال قائما بين قبائل الشمال والجنوب في الجزيرة العربية .

(١) عن فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٥١

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ١٢٤

ولعل كل ذلك يدعونا الى تصديق الرأى القائل بانتقال الأساطير مع ماينقله القوم من معتقدات وحكايات ، ولاغرو أن نجد هذا التداخل بين عبادات الأقوام القديمة في الجزيرة العربية ، إذ ينسب لعمرو بن لحي الجرهمي - وجرهم قبيلة يمنية نازحة الى الشمال - أنه أو من جاء بأصنام هذه الآلهة من الكلدانيين - العراقيين - والانباط ، ونصبها حول الكعبة .

ولم يسلم جميع الباحثين بأهمية تناقل الأساطير بين الشعوب ، فيرد بعضهم هذا التشابه الى الصدفة البحتة ، ويعلل آخرون التشابه القائم بين أساطير الهند والفرس واليونان والجرمان والروس وشمال أوروبا بالرجوع الى وحدة أصلهم ، وأنهم ورثوها عن آباؤهم الأولين حين كانوا يعيشون معا في مرتفعات آسيا الوسطى ، وهاجرت معهم أينما حلوا ، وهو تعليل يضعفه أننا نجد هذه الأساطير عند شعوب أخرى غير آرية كالصينية وهنود أمريكا ، ويعتقد آخر أن الأساطير لون من الابداع الانساني يؤدى الى التقارب فيه تشابه المناخ والظروف المحيطة بالانسان دون لقاء أو تأثير أو نقل وبخاصة في طفولة الانسانية (١) .

وبعد طرحنا لوجهات النظر المختلفة في مسألة التشابه بين الأساطير ، فإننا نرجح قضية التأثير والتأثر بين الشعوب ، ونسلم بشبهات تناقل الأساطير بين الأمم مع ما أتيح لها من مظاهر الاحتكاك والتواصل ، اضافة الى ذلك لاننسى أن الأمر مرتبط بأساطير اليمن ومحاولتنا معرفة مايمكن أن يكتنفها من تأثير أو تأثر، ولاشك في ذلك للمسيرة الطويلة التي مرت بها الأسطورة اليمنية قبل الوصول الى مرحلة التدوين .

لذا آن لنا أن نتبين المظاهر المختلفة التي أسفرت عنها الدراسات الحديثة في اثباتها مسألة تناقل الأساطير بين الأمم المختلفة ، وتتبع ذلك التناقل حتى الوصول الى المنابع الأولى ، ويعني ذلك تقصي مظاهر التأثير والتأثر بين الأمم والشعوب المختلفة . وسوف أتناول تأثير كل حضارة أو قوم على حدة ، مع استقصاء مايمكن أن يصحب ذلك من تأثير أيضا ، مبتدئة بأقدم الحضارات .

التأثير البابلي :

لقد قدم السبي البابلي لليهود فرصة للاطلاع على أدب وديانة وأساطير أرض الرافدين ، وعندما عادوا الى أورشليم ، وقاموا بتدوين نصوص التوراة المتفرقة في

كتاب جامع شامل ، قدخلت خبراتهم أيام السبي على نحو تلقائي وطبيعي ، فيما دونوه من نصوص ، وكانت الاينوما ايليش درة الأدب والفكر البابلي عميقة التأثير فيهم .

وقد أورد فراس سواح نصوصا بابلية للمقارنة مع نصوص من التوراة في مسألة الخلق والتكوين ليتضح التشابه الكبير ، وخلص الى ترجيح اعتماد النص التوراتي على النص البابلي ، معتمدا على مبررات تاريخية معقولة ، اذ تم العثور في خرائب عاصمة الحيثيين على نصوص أدبية بابلية مكتوبة باللغتين الحثية والبابلية ، منها أجزاء ألواح تحتوي على مقاطع من ملحمة جلجاميش ، كما عثر في تل العمارنة أيضا على نصوص من الأساطير البابلية كأسطورة أربا وأسطورة ملكة العالم الأسفل ، وقد كتبت بلغة بابلية^(١) .

كما أثر البابليون في عقيدة بني اسرائيل ، وأشار الى ذلك كنج في كتابه ألواح الخلق السبعة^(٢) ، وألمح الباحث نفسه في كتاب آخر الى تأثير بابل في ديانة اليمن عندما ربط بين تقديس اليمن للقمر وتقديسه على الشمس ، وكما كان الكلدان أيضا يقدمون القمر على الشمس^(٣) .

وقد دعا آخر ملوك بابل الى عبادة "سن" أي القمر باعتباره أرفع الآلهة البابلية شأنا ، وذلك لأن الثالوث الذي يتألف من الشمس والقمر والزهرة كان في نظر الشعب البابلي وقتذاك مصدر القوى المؤثرة في العالم والكون^(٤) .

والآله القمر هو الآله (المقه) عند السبثيين ، وهو آله سبأ الكبير ، وهو (عم) عند القتبانيين وهو (ود) عند المعينيين ، و(سين) عند الحضارمة ، كان الآله القمري (سين) في الألف الرابعة قبل الميلاد ابن الآله عشترت في كتابات المسند الحضرموتية^(٥) .

فالأثر البابلي واضح في عبادة الكواكب ، اذ من المعروف أن البابليين بدأوا في القرن السابع قبل الميلاد بدراسة الأجرام السماوية ، وانتهوا الى التوحيد بينها

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولي ١١٩

(٢) King, Seven Tablets of Greation P. 31

(٣) King, Bablion Religion P. 52

(٤) Langdon, The Mythology of all the World vol. 3 - P. 35

(٥) جواد علي ، المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٤

وبين الآلهة ، وقد ذكر النيسابوري " أن الكلدان كانوا يعبدون الكواكب ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات والشور والسعادة والنحوسة ، ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية" (١) .

وقد ربط الدكتور الجوزو بين بعض الصور الأسطورية الكوكبية عند البابليين وبين الصور الشعرية والأسطورية الجاهلية ، فقد تخيلت شعوب ما بين النهرين والسومريون أن النجوم قطع غنم راعيه وصاحبه القمر ، واعتقد الهنود أن النجوم قطع من الحيوانات يحرسه القمر ، فقد ربط الأسود بن يعفر بين مصاعب حياته ومصائبها وبين يوم مولده فقال :

ولدت بحادى النجم يتلو قرينه وبالقلب قلب العقرب المعتوقد
والنوء يرتبط في عقيدة الجاهليين بالكواكب ، فهي التي تنشأ السحاب ، وتأتي بالمطر ، وفي ذلك قال بشر بن خازم :

جادت له الدلوو الشعرى ونوء وهما بكل أسحم داني الودق مرتجف

وهكذا يبدو أن للكواكب الدور الأول في تقرير مصير الناس ، والتحكم في حياتهم وزرعهم ، ولاريب أن الصلة واضحة بين هذا المعتقد وبين الجبرية الفلكية البابلية (٢) .

التأثير الفارسي :

لقد كان الفرس منذ اتصالهم المبكر بالساميين الشماليين - حلقة اتصال في تسريب التراث اللاهوتي والعقائدي الآري ، خاصة الهندي - الى الأتوام السامية بعامة والقبائل العربية في اليمن بخاصة ، وهذا لايعني بالطبع وجود الأثر الفارسي الواضح في الأساطير العربية .

ويسلم بعض الباحثين اليوم ، أن بعض الأساطير العربية تعتمد على أصل فارسي ، ولعل هذا الافتراض يعود الى أن الأساطير الفارسية عثر عليها واستغلها الباحثون ، ووجدوا فيها سمات متشابهة مع ما للعرب من أساطير وقصص ، ولكن ألم تكن الأساطير

(١) النيسابوري الثعلبي ، عرائس المجالس

(١) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٢٧

العربية امتدادا طبيعيا لما عرفوه قبل الاسلام من أساطير عن تاريخهم وحياتهم أخذ منها الفرس ما عادوا فردوه الى العرب^(١) ؟

كما ينساق بعض الباحثين وراء بعض مظاهر التشابه الجزئي في هذه الحكاية أو تلك للدلالة على ما أرادوا الوصول اليه وهو اثبات الأثر الفارسي في الأساطير العربية ، ولا سيما الأساطير اليمنية ، فنجد بتروفسكي يحتمل أن يكون مصدر حكاية أرض الظلمات أجزاء من رواية (قصة) فارسية لم تصل إلينا ، لأن حكاية الديك والضع المذكورة في قصيدة الوصية لانراها في أى عمل قصصي آخر ، كما أن حكاية الديك والضع معروفة في القصص الفارسي^(٢) . ولا أرى في هذا المظهر دليلا قويا يؤكد الأصل الفارسي للأسطورة اليمنية إذ لانجدها تختلف في مكوناتها عن الأساطير اليمنية الأخرى التي تصور تطلع النفس اليمنية لتحقيق طموحها والوصول الى أبعد الغايات .

ولا يبرز الأثر الفارسي في الأساطير اليمنية ، إذ من الواضح أن ما يرويه وهب بن منبه أو غيره من رواة اليمن عن ملوك حمير ، يستند الى أصل أسطوري يتعلق بهؤلاء الملوك ، فلم يكونوا ليؤلفوا من عندهم حكايات مختلفة يتضح شبهها ببيئات غريبة عن تلك التي ارتادها أولئك الملوك ، وانما كانوا يروون ما تناقله أهل اليمن عن ملوكهم من حكايات وأساطير ، وما يمكن أن يكونوا سطروه في صف تناقلوها الى أن وصلت الى الرواة المعروفين لوهب وعبيد وغيرهم .

ولا يذكر التأشير الفارسي دون أن تذكر قصة الملك الحميري الضحاك الذي دخل الأساطير الفارسية ، ويذكرها الدكتور يحيى الخشاب في كتابه (حكايات فارسية) .

وملخصها أنه في عصر جمشيد كان بجوار بلاد الفرس في بلاد حمير ملك عربي عظيم وكانت أخباره تصل ايران فيعجب أهلها بهدله واستقامته ، وكانت أخباره تصل مع التجار الذين كانوا يتنقلون بين اليمن وايران ، وكان أولئك التجار يحدثون قومهم عن جور جمشيد وبغيه وغروره ، ويظنون يفرون مرداس حتى يفزوا ايران ويقتل جمشيد . وما تنتهي القصة الا وقد أصبح ملك حمير ملكا على ايران ، ثم يقتله ابنه بيورسف - الذي لقبته بعض المصادر العربية بالضحاك - ليصبح ملك حمير وايران .

(١) انظر ، فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٤١

(٢) بتروفسكي ، ملحة عن أسعد الكامل ١٠٨

وأساطير الفرس تثبت ما كان لملوك حمير من حضارة عريقة ، وما كانت تتمتع به بلادهم من رخاء وأمن واستقرار ، ولعلها تثبت أيضا ما كان لهم من سطوة ونفوذ وما قاموا به من فتوحات .

ثم بلغت النظر فاروق خورشيد الى أوجه الشبه العوجودة بين أسطورة جمشيد الفارسية وقصة سليمان التي يرويها وهب ، فكل من جمشيد وسليمان كان يملك الخاتم الذي يسخر به الجن والطير ، وفي القصة العربية يفقد سليمان الخاتم عندما ينسى ذكر الله ويلتهي برواية خيول الماء ، أما في القصة الفارسية فجمشيد يفقد الخاتم بحيلة ملك البحر (صخر) الذي يسرقه من الأمانة عليه ، والنتيجة في القصتين متشابهة فسليمان يتوه فترة من الزمن ، بينما يتولى مكانه شيطان يتزيا بهزيه ، وجمشيد يخرج من قصره وقد تغيرت صورته وراح يلتمس الرزق في معاونة الصيادين في البحر . وفي القصة العربية يعود الخاتم لسليمان بعد أن علمه الله أن الملك لا يدوم لأحد ، أما في القصة الفارسية فجمشيد يعثر على الخاتم في سمكة يحطادها ، وفي فترة غياب الاثنين يحكم الشيطان ويعيث في الأرض فسادا ، ثم تبرز فجأة نقطة التقاء واضحة حين تذكر القصة أن وزير سليمان اسمه آصف بن برخيا ، ثم تفرق القصتان لولا أن نهاية جمشيد تأتي على يد بطل حمير وبرضاء من أهل ايران ، وهذا الجزء من الارتباط يشير بوضوح الى أن الأصل هو القصة العربية ، واقتباس القصة الفارسية منها . فالقصة العربية تسير على نمط باقي قصص ملوك حمير ، أما القصة الفارسية فتستورد بطلا حميريا تختم به حوادثها ، ويمكن القول أن الفرس عرفوا فيما عرفوا عن ملوك حمير هذه الأساطير ، فنقلوا عنها ما زودوا به قصصهم .

ويؤكد فاروق خورشيد نقل الفرس عن العرب في هذه القصة لأن الجزء المشترك ليس أساسا في القصة العربية ، بينما هو جوهر في القصة الفارسية ، كما أن القصة العربية تظل من كل سمات اتصال بالفرس ، بينما القصة الفارسية تعتمد في كثير من أجزائها على علاقة متينة بالدولة الحميرية وملكها ، بل يدخل أحد ملوك حمير في أساطير الفرس باسم الضحاك العربي^(١) .

- التأثير الاغريقي :

لقد بلغت شهرة الأساطير الاغريقية حدا بعيدا ، ظل معه الباحثون مهوورين بالتراث الأسطوري العجيب للاغريق ، ولكن بعد تقدم الدراسة في علم الأسطورة ، وبعد

(١) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٤٠

مضي الدراسات المقارنة قدما في اثبات مسألة تناقل الأساطير ، لوحظ اطلاق الاغريق على حضارة الفنيقيين والتأثر بها ، وقد حاول "فيلو البيبلوسي" أحد كبار مصادر الأساطير الفنيقية منذ منتصف القرن الاول الميلادي اثبات أن الأساطير والتراث الشعائري الفنيقي هو ما أخذه اليونانيون وأقاموا عليه تراشهم الأسطوري^(١) .

وكان يعبد أدونيس الأقوام السامية في وادي الرافدين في سوريا ، ثم أخذ الاغريق عنهم عبادته حوالي القرن السابع قبل الميلاد ، وكان اسم الآله الحقيقي "تموز" ، وما التسمية "أدونيس" الا الكلمة السامية ومعناها "السيد" وهو لقب احترام كان يطلقه عليه عباده . وفي النص العبري لكتاب العهد القديم كثيرا ما يطلق هذا الاسم على يهوه بشكل "ادوناي" ، ولعلها أصلا أدوني أي "سيدى" غير أن الاغريق أساءوا الفهم فحولوا لقب الاحترام هذا الى اسم علم .

وإذا كانت عبادة تموز أو مرادفه أدونيس قد انتشرت بين الأقوام السامية الأصل ، فان هناك أسبابا تدعو الى الظن بأن عبادته بدأت أصلا بين السومريين الذين قطنوا في فجر التاريخ البطح المترامية في رأس الخليج العربي ، وأوجدوا هناك حضارة دعيت فيما بعد بالحضارة البابلية^(٢) .

وفي هذا القول دلالة كبيرة على اثبات التواصل الحضارى بين الأمم والشعوب المختلفة ، فينتج عن ذلك أخذ اللاحق عن السابق ، كما تفعل ظروف الهجرة والاحتلال والانتقال التجارى أثرها في نقل الأساطير وتعرف الشعوب في بقاع العالم عليها .

ولعل اليونان تركوا آثارهم ، هم أيضا ، على الأسطورة العربية ، بدليل دور الهيلينيين في تشجيع عبادة الكواكب ، وللتشابه الملحوظ بين بعض الأساطير العربية والأساطير اليونانية ، فالكاهن شق وهو بعين واحدة ويد واحدة ، ورجل واحدة يشبه السيلكوب عند اليونان^(٣) . وربما نعتش أثناء دراستنا لانعاط الأساطير اليمنية المختلفة على بعض مظاهر التشابه بينها وبين الأساطير اليونانية لنجد عليها أثناء البحث .

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٤٤

(٢) جيس فرسزر ، ترجمة جبرا ، أدونيس أو تموز ١٨

(٣) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٤٧

وهكذا أخذ العرب القصص عن الأمم المجاورة لهم ، أو تلك التي ربطتهم بها علاقات تجارية ، فخالطوها واطلعوا على تراثها الحضاري ، ونقلوا مع ما نقلوه عنها الأساطير والحكايات ، وربما راقى لهم بعض تلك القصص ، فاقبلوا عليها مقتبسين ومحورين في القصة ، لتتلاءم بعد ذلك مع ذوقهم وبيئتهم وحياتهم . وامتزجت تلك الأساطير بأساطيرهم المتوارثة في تفاعل حيوي أتاح للأسطورة العربية أن تطوى في ثناياها تلك الاقتباسات وذلك التمازج ، على نحو طبيعي لا يجعلها تبدو شاذة أو غريبة عن مجتمعها العربي ، ليكون الناتج عن ذلك كله أساطير لاتمثل المفاهيم العربية فحسب ، ولكن المفاهيم الانسانية وتراثها في مرحلة من مراحل تطورها ، فتشرب الأسطورة العربية ، وتبدو ملامحها وخصائصها جلية واضحة أمام الباحث المتفحص لتلك الأساطير .

٢ - الكتب والأسفار القديمة :

ان المنبع الثاني الذي استقي منه رواه اليمن مادتهم الأسطورية هو الكتب والأسفار القديمة ، وقد لاحظنا من الأقوال المنسوبة الى وهب ماينص على اطلاعه على عدد كبير من الكتب والأسفار القديمة ، وان ادعى وهب بأن معظمها تمثل الأديان السماوية . ومع مايمكن أن يبدو في قوله من مبالغة فإنه اشارة واضحة الى وجود الصحف المكتوبة آنذاك ، والشواهد المتناثرة تدل على معرفة أهل اليمن للكتابة ، وأرجعوا تاريخها الى بداية الألف الثانية قبل الميلاد^(١) . كما عرف الكاتب اليمني في أنحاء الجزيرة العربية من خلال شواهد شعرية متعددة ، فهذا أبو ذؤيب الهذلي (توفي سنة ٥٢٧هـ) يشير الى الكاتب الحميري في قوله^(٢) :

عرفت الديار كرقم السدوا	ة يزيها الكاتب الحميري
برقم ووشي كما زخرفت	بميشها المزدهاة الهدي ^(٣)
أدان وأنباء الأولو	ن أن المدان العلي الوفي
فمنظر في صحف كالريسا	ط فيهن ارت كتاب محسي ^(٤)

(١) جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ١٥٥

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٦٤

(٣) الميشم : الابرة التي تشم بها المرأة على كفها ، المزدهاة : المستخفة من فرط الحسن ، الهدي : العروس

(٤) الرياط : العلاءة ، وكل ملاءة لم تلغف فهي ريطة

فيشبهه الشاعر آثار الديار في دقتها وخفائها بالخط في الصحيفة .
ومثله قول امرئ القيس :

(١) لمن ظلل أبعده فشحاني كخط زبور في عسيب يمان

وذكر العسيب اليماني لأن أهل اليمن كانوا يكتبون في عسيب النخلة عهدهم
وصكاكهم .

وقد عرفت اليمن كلا من الديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية ، فلا شك
في معرفة رواة اليمن الكثير من أحداث العهدين القديم والجديد^(٢) ، كحديث التكوين
وأطورة الطوفان ورحلات ابراهيم الخليل وقصة موسى مع فرعون ، ثم مجيء المسيح
وحديث العنزة وغيره .

ويرجع الدكتور جواد علي أساطير التهاجرة في اليمن الى أصول متعددة منها
الأصل التوراتي الذي استمد منه رواة اليمن قصة ملكة سبأ وزيارتها لسليمان ، ونسب
الأسرة المالكة في الحبشة ، ثم ما جاء عن زيارة ملكة سبأ له في القرآن الكريم ،
مما حمل المفسرين وأهل الأخبار على تتبع أخبار هذه الملكة فجمعوها من أهل الكتاب
وأضافوا إليها من خيالهم^(٣) .

كما أشار بتروفسكي الى موضوع (مآثر السلف) الذي أخذ يردده اليمانيون طويلا
وأنه قريب في فكرته من الأفكار التلمودية عن ($\beta\omega\lambda\tau$ و $\alpha\kappa\omega\lambda\tau$) أي مآثر السلف الذي
نرى فيه تأثير الصفاء الروحي للسلف على خلفهم ، ويرى في التأثير اليهودي أمرا
ممكنا لأن اليهودية في اليمن تملك جذورا ثقافية عميقة ، ولأن تكوين الملحمة
القحطانية مرتبط بشدة بأسماء معتنقي اليهودية أمثال كعب الأخبار^(٤)

واستبعد هذا التأثير اليهودي وذلك لارتباط ظاهرة (مآثر السلف) لدى
اليمانيين بواقعهم وبأحوالهم التاريخية على مر العصور ، ويتضح أن رواة اليمن في
تغنيهم بمآثر السلف لا يظهر لديهم ذلك التقديس الديني ، والافتخار المجرد ، ولكن
مآثر السلف لديهم ترتبط ارتباطا وثيقا بأمجادهم الفاهرة وبحضارتهم البائدة التي

(١) ديوان امرئ القيس ، ٨٥

(٢) ينظر لويس شخو ، النظرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٢٥٤ : ٢٨٢

(٣) جواد علي ، مقالة "أحاديث تبع" - مجلة "الحكمة" اليمنية العدد ٧٨ سنة ١٩٧٩

(٤) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ٩٨

أقبلوا ينقبون عن مآثرها ومدلولاتها العلموسة فوجدوها ممثلة في ملوكهم القدماء ، فصاغوا البطولات القحطانية ملحمة وضح فيها تقديرهم للسلف المندثر من خلال ماحققوه من تقدم ورقى وحضارة ظلوا يفتخرون بها في أشعارهم ومروياتهم الأسطورية .

ولعلمهم وجدوا في اللجوء الى (مآثر السلف) بعض العزاء عن واقع ممزق لم تعد فيه كلمة اليمن موحدة وذلك عند انطواء اليمن تحت زمام الدولة الأموية ، فانتهج الخلفاء الأمويون سياسة التفريق وعملوا على اشارة العصبية لدى اليمنيين لتحقيق مآربهم السياسية بما يرضي طموحهم في السلطة واخضاع الأحزاب المناوئة لهم وفيها عدد من اليمنيين .

أما الدكتور الجوزو فقد سلم بوجود أثر الأساطير اليهودية والنصرانية ، وأرجع عدم وضوح هذا الأثر الى السبب الديني ، عندما لم يدع لها القرآن الكريم أن تطبع الأساطير العربية بطابعها الخاص ، وقد يصح هذا الحكم حتى على أكثر الأساطير تأثرا بالاسرائيليات ، ويعني اسطورة خلق العالم كما رواها الطبرى ، ثم أخذ يوضح الفرق بينها وبين ما ورد في التوراة .^(١١)

ولكن عند تلمسنا لهذا الطابع العربي الخاص كسمة في الأسطورة العربية بعامة ، والأسطورة اليمنية بخاصة ، ينبغي أن نلتفت الى أمر هام هو أن القصص التي تروى في العهد القديم أو التي سجلت على ألواح سومر وبابل ليست وقائع تاريخية ، ومن الواضح أنها تنتمي الى تلك الطائفة الكبيرة من الأساطير التي صيغت في قلب الجزيرة العربية - من أزمته حقيقة - لكي تفسر رؤية أو تدعم شعيرة دينية . وربما استمدت شيئا من بقاع مجاورة ، أو منحت هي أشياء ، فثمة متشابهات حقيقية أو متخيلة ، منها ما رأيناه فيما بعد عند البابليين أو العبرانيين متصلا ببعض الطقوس والشعائر .^(١٢)

وقد أشار أحد الكتاب الى رواج رأي عربي - لم يثبت مصدره - بأن سفر أيوب وهو جزء من توراة اليهود يعود الى أصل عربي بناء على ماورد في هذا السفر من وصف لنبي الله ، فاذا هو أشبه برجال العرب في عيشه وتفكيره ونفسيته وبيئته ، وليس هنالك من دليل على أن العرب قد صاغوا هذا السفر .^(١٣)

(١) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٤٧

(٢) أحمد زكي ، الأساطير ٢٦

(٣) أبو حاقبة ، فن الشعر الملحمي ٦٠

والمعروف أن كتب العهد القديم أي التوراة قد حرفت بكاملها مرات متعددة ، مثل الأسفار الخمسة ، فقد وجد الباحثون اليوم سهيلهم الى الطعن فيها ، فأحدهم يهدى الشيك في قيمتها التاريخية^(١) ، وآخر يهدى منحاهما السياسي وخطل الرأي فيها ، كما يدل على عبث كتابها بالحقائق والمعلومات التاريخية^(٢) .

وقد انتبه العقاد للأمر نفسه عندما رد على من تساءل عن تراث العرب الأسطوري بأنه موجود في كتب التوراة المتداولة بين اليهود ، فمسألة التأثير في تناقل الأساطير بين الأمم أمر وارد وملحوس في العديد من أساطير الشعوب المختلفة .

٣ - القصص القرآني :

لقد ورد في القرآن الكريم كثير من القصص وأخبار الأمم الماضية ، ولكنه يشير اليها اشارة عابرة لأنه ليس كتابا تاريخيا ، وانما كان الهدف من هذه القصص هو استخلاص العبرة والعظة وتبصرة القوم بالنهج القويم الذي عليهم اتذائه ونهجه ، كما في قوله تعالى "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"^(٣) ، وفي آية كريمة أخرى "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"^(٤) ، فأقبل الناس يطلبون المزيد مستوضحين عن هذه الشخصية أو تلك الأمة المذكورة في قصص القرآن ، يحدوهم شغف عجيب للاستزادة من أخبار تلك الأمم الغابرة ، وقال تعالى "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق"^(٥) .

وكانت البيئة الاسلامية - آنذاك - تزدهر بأهل الكتاب وبالرواة ممن اطلع على الكتب القديمة ، فأقبل الناس عليها يتساءلون عن أمور كثيرة ، يملوهم التشوق والتطلع وحب المعرفة ، ثم الميل الفطري في نفس الانسانية لمعرفة خفايا الأمور ، وقد لعنا في القرآن الكريم عدم الاهتمام بالجزئيات وتفاصيل الأمور ، فلم يشف غليلهم حتي يعرفوا تلك الموضوعات كاملة ، ويجدوا اجابة لتساؤلاتهم حول ما اكتنفها من أمور وحوادث وملابسات .

(١) موريس موجان ، التوراة والانجيل ، والقرآن والعلم ٢٨

(٢) ترجمة وتعليق سهيل ديب ، التوراة وتاريخها وغاياتها .

(٣) سورة يوسف ، الآية ١١١

(٤) سورة الاعراف ، الآية ١٧٦

(٥) سورة طه ، الآية ٩٩

ووجدوا في الرواة اليمنيين ما يشفي هذا القليل ، وما يحقق بغيتهم في الاطلاع على القصص مفصلة ، فكان وهب بن منبه وكعب الأحبار وشعيب الجبائي وهو يمانى يروى من أساطير أهل الكتاب ، فقال عنه ابن حجر في ترجمته " أخبارى متروك" كما ذكر عنه ماهو أدخل في باب الأساطير من الاسرائيليات .^(١)

وأخذ الرواة من تلك القصص مادتها وفكرتها ، ثم راحوا يطلقون لخيالهم العنان في نسجها وتأليفها ، وأخذوا يروون القصص والحكايات العجيبة ، بل أخذوا يحددون أماكنها ، ويتحدثون عن الأمم المذكورة بأسباب وتفصيل عجيبين . فكان الناتج عن ذلك النشاط الدائب في الرواية علما زاخرا من الأساطير الجميلة والحكايات الغريبة .

وكان لليمن نصيب وافر من تلك القصص لما أضافه الرواة اليمنيون إليها ، وما اختلقوه حولها من أخبار . وقد تتبع أحمد أمين في تفسير ابن جرير ، تفسير الآيات التي وردت عن اليهود ، فاذا بها تروى عن وهب بن منبه الذي كان من يهود اليمن ثم أسلم .

ولعل في ذلك دليلا على أن تلك القصص لم تكن جديدة على الرواة كل الجدة ، ولكنها اشارات الى قصص سبق أن عرفوا بآمرها ، وحملت لهم من الدلالات ماشاء القرآن الكريم أن يمحوه ويحل محله دلالات أخرى . لذلك حرص أولئك الرواة على ألا تختلف رواياتهم في شيء عما جاء في قصص القرآن ، بل يستندون دوما الى تدعيم مروياتهم بآيات القرآن الكريم ، كما لمسنا ذلك لدى وهب بن منبه في كتابه " التيجان" ، بل تبدو قصته أحيانا وكأنها تفسير قصصي للآيات التي يذكرها في موضوع القصة .

وكان الاهتمام بالقصص المتجمع حول قصص القرآن منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وأقبل الناس عليها لأسباب مختلفة ، ناقشها بتفصيل فاروق خورشيد^(٢) ، ويمكن اجمالها فيما يأتي :

- ١ - الحاجة الى تفهم سور القرآن الكريم والتعرف على دلالات ماتحكي من قصص ، فكان لابد من معرفة هذه القصص بتفاصيلها ووقائعها .
- ٢ - التطلع الى المعرفة ، وقد وجدوا في قصص القرآن الكريم ما يسد حاجتهم الى الكثير من المعرفة .

(١) ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ٣ : ١٥٠

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٧٨

٣ - الدافع النفسي الى تمجيد الأبطال الجدد ، فقد كان للجزيرة أبطالها ومثلها في الأساطير القديمة ، وجاء الاسلام بأحداث خطيرة ظهرت فيها بطولات المسلمين فطبيعي أن تتطلع النفوس الى خلق القصص والأساطير حول أولئك الأبطال .

٤ - دخل الاسلام كثير من أبناء الشعوب الأخرى . ولهؤلاء قصصهم وأساطيرهم ، ومن الطبيعي أن يدخل هؤلاء أساطيرهم وحكاياتهم قبل العلوم الجادة .

٥ - اتخاذ القصص أداة للنضال بين الجماعات والشيع ، فاستغل استغلالا سياسيا للترويج للأشخاص والمبادئ ، كما فعل وهب بن منبه في كتابه " التيجان " عند اثباته الدائم فضل اليمنيين على غيرهم .

٦ - حاجة المسلمين في تفسير آيات القرآن الكريم الى معرفة أسباب نزولها ومكان نزولها والحادثة التي تشير إليها ، وقد أورد السيوطي في الجزء الثاني من " الاتقان " قول الامام أحمد بن حنبل "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمعازي" .

ولعل هذا القول يوضح ارتباط القصص والأساطير بكتب التفسير نتيجة لاحتفاء القوم بقصص القرآن الكريم ، ومعرفة التفاصيل حولها .

لقد كانت قصص القرآن الكريم منبعا للعديد من قصص وأساطير رواة اليمن ، فسعوا بجميع الوسائل لربط مادة تلك القصص باليمن ، وحاولوا جاهدين تطويع الاشارات والالماحات الموجودة في قصص القرآن الكريم لخدمة أفكارهم . كما جاء في ذكر آيات القرآن الكريم لتبع^(١) ، مع عدم ذكره في التوراة ، فوجد الرواة سبيلهم الى ارجاع انتماؤه الى اليمن لما لها من عز ومنعة ، ومثله ذو القرنين المبجل في القرآن الكريم ، فقد جعله كعب الأخبار ملكا حميريا .

ولعل مرجع قصص الصعب ذي القرنين الى قصص الأسكندر الكبير الذي كانت له قصصه عند اليهود والسريان والمصريين والحبش والفرس ، لما تركته فتوحه في الشرق الأدنى التي بلغت الهند ، من أثر في نفوس الناس آنذاك ، وقد لونت حياته فيها فجعل

(١) انظر سورة الدخان وسورة الكهف

ملكا حكيمًا وفتاحًا عظيمًا ومؤمنًا صالحًا ، يلتبس الحكمة وعين الحياة حتي بلغ المشرق والمغرب ووادى الرمل . فحول هذا القصة الي تبابعة اليمن ، كما زعم وهب بن منبه أن التبغ الأقرن هو الأسكندر وهو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم^(١١) .

كما جبل كعب الأضبار " ارم ذات العماد "^(٤) ، المذكورة في القرآن الكريم ، تقع في الجنوب العربي مع اختلاف الآراء حولها ، حيث يجعلها أحد الباحثين تطابق المعبد الشبطي الموجود في جبل رام بالحجاز^(١٢) .

ويمكننا هنا الاستشهاد ببعض ما ابتدعه رواة اليمن من القصص الأسطورية مستنديين الي قصص القرآن الكريم ، ومستعدين المادة الأولى منها .

١ - عماد :

لقد ورد ذكر "عماد" في أكثر من آية وفي أكثر من سورة في القرآن الكريم :
"وتلك عماد جحدوا بهايات ربهم وعصوا رسوله"^(٤) و "كذبت عماد المرسلين"^(٥) و "فأما عماد فاستكبروا في الأرض بغير الحق"^(٦) و " ألم تر كيف فعل ربك بعاد"^(٧) و " الا بعدا لعاد قوم هود"^(٨) .

كما ورد ذكر عماد في الشعر الجاهلي ، فذكر طرفه بن العبد في قوله :
ولقد بدا لي أنه سيفولني ما غال عادا والقرون فأشبعوا^(٩)

-
- (١) جواد علي ، " احاديث تبغ " ، مجلة " الحكمة " اليمنية - العدد ٧٨ سنة ١٩٧٩
 - (٢) انظر سورة الفجر
 - (٣) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ٣٨
 - (٤) سورد هود ، الآية ٥٩
 - (٥) سورة الشعراء ، الآية ١٢٣
 - (٦) سورة فصلت ، الآية ١٥
 - (٧) سورة الفجر ، الآية ٦
 - (٨) سورة هود ، الآية ٦٠
 - (٩) طرفة بن العبد ، الديوان ١٠٨

فأرجعت الروايات نسب عاد الى سام بن نوح ، وان عادا هذا كان لسانه العربية ، وسكن بنو عاد الشحر^(١١) . وقيل بل سكنوا الأحقاف ، وهي جبال الرمل واسم واديهم مغيث^(١٢) . وقد نكر موطنهم القرآن الكريم في قوله تعالى "وانكر أخا عاد ان أنذر قومه بالأحقاف ، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه...".^(١٣)

ولعل نكر موضع الأحقاف وجه الاخباريين الى أن يعدوا حضرموت اليمن موطننا لهم لأن بها منطقة الأحقاف اليوم ، مع العلم أن كلمة الأحقاف تعني الرمال^(١٤).

وأخذ الاخباريون يحكون الروايات التي تنسب بضخامة أجسام عاد ، مستنديين الى ما جاء في الآية الكريمة "وانكرو ان جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة"^(١٥) ، فجعلوهم في هيئات النخيل طولا ، كما كانت نفوسهم قوية ولم يكن في الأمة أشد بطشا منهم ، مستشهدين بمخاطبة نبيهم هود ايهاهم : "واذا بطشتم بطشتم جبارين"^(١٦) . ومدوا في أعمارهم ، وعلل المسعودي طول أعمارهم بقوله "ولم يكن الهلك يعرض في أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيهم ، وما أتوه من الزيادة في تمام البنية"^(١٧) ، فأكسبهم مناعة طبيعية لاتجعل أجسامهم تفسى بسهولة .

ولم ينته الأمر بالرواية عند هذا الحد بل نسبوا الشعر الى عاد في قوله :

اني أنا عاد الطويل البادي وسام جدى بن نوح الهادي
فقد رأيتم يعرب الزبيادي وسوقه الطارف والتلاد^(١٨)

-
- (١) ابن حبيب ، المعيطر ٢٨٤
 - (٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١ : ١٢٠
 - (٣) سورة الأحقاف ، الآية ٢١
 - (٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١١٠ ، القلقشندى ، صح الأعشى ٥ : ١٨
 - (٥) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ١ : ١٥٢
 - (٦) سورة الاعراف ، الآية ٦٩
 - (٧) سورة الشعراء ، الآية ١٣٠
 - (٨) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٢
 - (٩) المصدر السابق ٢ : ١١٠

فأنطقوا عادا بما أرادوه له من صفات ، كما نلمح في البيتين النفس اليمني في الافتخار بيعرب التي تنسبه الروايات الى قحطان ، وفي هذه النبرة الخطابية المشوبة بالفخر والاعتزاز بصفات جسمية (الطويل البادى) ومعنوية في قوة شخصيته المتمثلة في (سوقه الطارف والتلاد) . وتروج روايات اليمانيين وتجد صداها في من حولهم من الشعراء ، فهذا النابغة يصف عادا بقوله :

أحلام عاد وأجساد مطهرة
من المعفة والآفات والأثم^(١)

وأرسل الله الى قوم عاد رجلا منهم هو النبي (هود) ، فكذبوه ، فعاقبهم الله ونقل في ذلك قول حسان بن ثابت :

وان أبا الأحقاف اذ يعدلون
بجاهد في دين النبي ويعذل^(٢)

وهذا الشاعر اليمني علقمة بن ذى جدن يفخر بانتسابهم الى هود ، وظاهرة الانتساب الى الانبياء شائعة لدى رواة اليمن ، قال علقمة :

أهونا نبي الله هود بن عابر
لنا الملك في شرق البلاد وغربها
ونحن بنو هود النبي المطهر
ومفخرنا يسمو على كل مفخر
فمن مثل كهلان القواضب والقنسا
ومن مثل املاك البرية حمير^(٣)

ولايقف الشاعر في افتخاره عند الانتساب الى نبي الله هود ، ولكن أخذت نبرة الافتخار تملو بذكره القبائل اليمنية وامتلاكها الأرضين شرقا وغربا . ولاتخلو الأبيات في قوم عاد من عظة وعبرة دينية ، مما يدل على أن الأبيات قد وضعت بعد الاسلام ، لانها تتضمن المعاني والالفاظ الاسلامية ، كما ورد في قول مهد بن سعيد :

دعاهم خليفة الله هود
فلما أن أبوا الا اعتسوا
فما نفع النذير ولا أجابوا
أصابهم ببعضهم العذاب^(٤)

وقيل ان هودا رحل من آمن معه الى مكة ، فلم يزالوا بها حتى ماتوا^(٥) . وفي رواية أخرى انهم نزلوا الى اليمن ، وعندما أدركت هودا الوفاة دفن في حضرموت^(٦) .

-
- (١) النابغة الذبياني ، الديوان ١٢٧
 - (٢) شرح ديوان حسان بن ثابت ٣٢٠
 - (٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأفيال اليمن ٢
 - (٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٢٦
 - (٥) ابن قتيبة ، المعارف ١٥
 - (٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٢٣١

ب - أصحاب الرس :

وقد جاء ذكر أصحاب الرس في القرآن الكريم في الآية "وعادا وشمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا" ، وفي قوله تعالى "كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وشمود"^(٢) .

ويتفق الاخباريون على أن الرس اسم لمكان^(١) ، فالرس بحسب قول ابن خلدون "ما بين نجران الى اليمن ، ومن حضرموت الى اليمامة" ، وروى ياقوت " أن الرس قرية باليمامة ، يقال لها فلج ، وهي ديار لطائفة من شمود"^(٣) ، أما الهمداني فقد جعل الرس بناحية صهيد ، وهي بلدة من فيحان ومأرب والجوف فنجران ، فالعتيق فالدهنا ، فراجعا الى حضرموت"^(٥) ، وكلها مواضع في اليمن .

ويشير الاخباريون الى ظهور نبي فيهم هو حنظلة بن صفوان الذي أرسل اليهم وعندما قام فيهم قتلوه ، فأوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل من سبط يهوذا أن يأمر بختنصر بأن يسير اليهم^(٦) .

وروى النويري حكاية خروج حنظلة بن صفوان في قومه ، عندما نهاهم عن عبادة الأصنام ، فلم يستجيبوا له ، فعطل الله بشرهم ، كما قيل ان القوم كذبوه وطرحوه في بئر رس^(٧) ، فأهلكهم الله^(٨) ، وعبادة الهمداني في أخبار القبور ذكر رواية من اكتشف رجلا مدفونا كتب على خاتمه "أنا حنظلة بن صفوان رسول الله"^(٩) .

ولعل هذه الأخبار قادت الرواة والخباريين الى الربط بينها وما جاء في القرآن الكريم ، "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها ، وبئر معطلة وقصر مشيد"^(١٠) ، فرووا أن المطر انقطع عن أهلها فأعطاهم الله البئر على

-
- (١) سورة الفرقان ، الآية ٢٨
 - (٢) سورة ق ، الآية ١٢
 - (٣) ابن خلدون ، العبر ٢ : ٨٧
 - (٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ٤٣
 - (٥) الهمداني ، الأكليل ١ : ١٩٥
 - (٦) المسعودي ، مروج الذهب ١ : ٧٨
 - (٧) الرس : البئر القليلة الماء
 - (٨) النويري ، نهاية الأرب ٣ : ٨٧ ، وياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ٤٣
 - (٩) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢١٣
 - (١٠) سورة الحج ، الآية ٤٥

ألا يشركوا به شيئا ، وكانوا قد بنوها بألوان الصخور ، ولعل هذا ماجعل بعض الباحثين المحدثين يظنون أن البثر المعطلة ربما كانت الصهريج الأقدم من صهاريح عدن الأثرية التي لاتزال الى الآن . واستبعد ذلك لأن الصهاريح خزانات حفرت في الصخور وبنيت بها ، كما أنها متعددة وليست صهريجا واحدا .

ونقل الكسائي رواية عن كعب الأحبار حول ما أسماه (القصر المشيد) فقال ان جند بن عاد لما رأى ما نزل بقوم هود عزم على بناء قصر مشيد ، فبالغ في تشييده وانتقل اليه ، وكانت له قوة عظيمة ، ثم طغى في الأرض وتجر وكثر فساده ، فأهلكه الله بصيحة جهنم^(١) .

ونكر أحد المؤرخين أن هؤلاء كلهم أمة واحدة ، ذكروا أحيانا باسم أصحاب الرس ، وحينما بأصحاب القصر المشيد ، وتارة بأصحاب البثر المعطلة ، ويؤكدون أن أصحاب الرس هم أصحاب القصر المشيد^(٢) .

وهكذا كان الرواة والأخباريون - على نحو دائم - يتناولون من القرآن قصة قوم أبيدرا ، ويستمدون منها المادة الأولى لقصصهم ، فيبتنون عليها ما يوحى به خيالهم . وكان خير معين لهم على ذلك ماتجود به قرائحهم من التعليل أو ربط الأسباب بالمسببات .

ج - بلقيس :

عندما ذكر القرآن الكريم سليمان وزيارة ملكة سبأ له ، أخذ الرواة وأهل الأخبار ينتهجون أخبار هذه الملكة ، فجمعوها من أهل الكتاب ومن الخيال ، وحولوا اسم آله سبأ " المقه " الى " بلقمة " و " بلقمة " وصبروه اسم الملكة " بلقيس " ^(٣) .

وذكر نشوان أن بلقيس اسمان جلا سما واحدا مثل حضرموت وبعل بك وذلك أن بلقيس لما ملكت بعد أبيها الهدهاد ، قال بعض حمير لبعض : ماسيرة هذه الملكة من سيرة أبيها ، فقالوا: بلقيس ، أى بالقياس . فسميت بلقيس ^(٤) ، ولعل هذا الاشتقاق أو ادعاء التركيب في الاسم ، دليل على التصنع والتكلف الذى حمل الرواة على التفسير الغريب لهذا الاسم .

(١) صالح بن حامد العلوي ، تاريخ حضرموت السياسي ١ : ٧٧

(٢) النويري ، نهاية الأرب ١٣ : ٨٦

(٣) صالح بن حامد العلوي ، تاريخ حضرموت السياسي ١ : ٧٨

(٤) جواد علي ، " أحاديث تبع " ، مجلة " الحكمة - العدد ٧٨ ص ٢٦

(٥) نشوان الحميري ، شمس العلوم ١ : ١٨٩

وادعى أهل الأخبار أن بلقيس شخصية غريبة متولدة من الانس والجن ، وابتدعوا
قصصاً أسطورية عن زواج أبيها من أمها ^(١) .
وقد ذكرت التوراة ملكة سبأ ، ونبأ زيارتها للملك سليمان في القدس ، كما
قيل أن زيارتها كانت ذات قيمة تجارية ، إذ أنها أعطت الملك من الذهب والأحجار
الكريمة مالم يشاهد مثلها من قبل ^(٢) .

وروى أهل الأخبار في مصادرهم العديد من الروايات حول حكم بلقيس اليمن ،
ولكنهم يختلفون في طريقة تسلمها مقاليد الحكم والملك ، فتعددت الروايات ، فمن
قائل أن أباهما عندما حضرته الوفاة ، جعل الملك لها من بعده ^(٣) ، كما قيل أن أباهما
لم يكن ملكاً ، وإنما كان وزير الملك ، وسامت سيرة الملك فقتلته بلقيس ثم ملكها
الناس عليهم ^(٤) .

وبالغ الرواة في تعظيم ملكها ، وكثرة جندها - شأنهم في ذلك التعميد شأن
رواة الأساطير - فقيل كان إذا جلست قام على رأسها ألف قيل ^(٥) . وتفنن الرواة في وصف
قصرها خارج مدينة سبأ ^(٦) .

ثم بنى أهل الأخبار رواياتهم على ما جاء في القرآن الكريم ، إذ تذكرها مع
الملك سليمان عدة آيات ، فكونوا بذلك قصة طويلة متخذين من آيات القرآن الكريم
الأساس الأول لها عند ذكره تعالى سليمان وملكة سبأ وما كان من أمر الهدد إلى
تفقد سليمان قائلًا: "مالي لا أرى الهدد أم كان من الغاشبين ، لأعذبه عذاباً شديداً
أو لأنحنه أو لياتيني بسلطان مبين" ^(٧) .

وحكوا أن الهدد عندما مر على قصر بلقيس رأى فيه ههدداً لها ، فتبادل
الهددان المعلومات عن سليمان وبلقيس ، وعجب ههدد بلقيس مما سمع ، كما عجب ههدد
سليمان أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ^(٨) . "أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم" ^(٩) ،

(١) انظر النويري ، نهاية الأرب ١٤ : ١١١ - وأنظر البحث ص

(٢) التوراة ، سفر الملوك الأول ، الاصحاح العاشر

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ٦٢٨

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١ : ٢٢٢

(٥) ابن حبيب ، المجد ٣٦٧

(٦) النويري ، نهاية الأرب ١٤ : ١١٣

(٧) سورة النمل ، الآية ٢٠ ، ٢١

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٢٩٠

(٩) سورة النمل ، الآية ٢٣

(١١)

فلما أتى الهدهد سليمان قال "أخطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبياً يقيناً" وأخذ الهدهد يحدثه عن بلقيس وقومها ، ويصف له عظمة عرشها . ثم قال "وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله" ، فقال له سليمان "سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم" .^(٢)

وعندما ألقى إليها الكتاب في قصرها ، قرأته فجمعت قومها ، وقالت: "يا أيها الملأ اني ألقى الي كتاب كريم ، وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين" "يا أيها الملأ افتوني في أمري ، ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون" . وعندما استشارت الملكة رجال دولتها ، أخذتهم الحماسة وقالوا لها "نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين" .^(٣)

ووصفوا الملكة بهرجاحة العقل والفظنة ، فلم تغتر بما أبداه رجال دولتها من الحماسة والاعتداد بالنفس ، فقالت متخوفة "ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة" ، وعرضت عليهم رأياً آخر ، "واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون" .^(٤)

وبالغ الرواة في ما أحضرته بلقيس وقومها من الهدايا ، يسردون في ذلك تفاصيل عجيبة أمدتهم بها خيالهم الخصب . ثم يرجعون الي قول سليمان ، في الآية الكريمة "أتمدونني بمال ، فما أثاني الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون" "ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة ، وهم صاغرون" .^(٥)

فلما جاءت الرسل إليها بالرد سارت في رجال دولتها ، فأراد سليمان أن يظهر لها من دلائل عظمته ، ونعم الله عليه ، فقال: "أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين" "وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك" .^(٦)

- (١) سورة النمل ، الآية ٢٢
- (٢) سورة النمل ، الآية ٢٤ : ٢٨
- (٣) سورة النمل ، الآية ٣٠ : ٢٢
- (٤) سورة النمل ، الآية ٣٣
- (٥) سورة النمل ، الآية ٣٤ ، ٣٥
- (٦) سورة النمل ، الآية ٣٦ ، ٢٨
- (٧) سورة النمل ، الآية ٣٨ : ٤٠

ونظر سليمان فاذا العرش أمامه ، وقال "نكروا لها عرشها ننظره أتتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون... فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو...".^(١)

وانطلق الرواة يستطون في خيالهم ، فأخذوا يدلون على من حمل عرشها وأسموه آصف بن برخيا ، كما بالقوا في وصف عرشها ، مضيفين كل ما وصل إلى أسماعهم من دلائل العظمة والفخامة^(٢) ، ورددت المصادر العربية تلك الروايات وقد انتقد ابن الأثير تلك المبالغات ، ولكنه لم يحجم عن ادخالها كتابه ، وأورد الكثير منها ، وبذلك أسهم في تداولها .

وقيل ان بلقيس أسلمت وحسن اسلامها " ... وقالت رب اني ظلمت نفسي ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين " . وروى أنها فضلت البقاء مع سليمان فتزوج بها^(٣) . وتعددت الروايات بعد ذلك واختلفت . فروى وهب أنها ولدت لسليمان داود ورحبهم ، فمات داود ، وبقي رحبهم بعد سليمان وسرح بلقيس على ملكها ونزلت بمأرب^(٤) .

وقد قال نشوان الحميري في بلقيس متحسرا على الأمجاد الفاهرة :

أم ابن بلقيس المعظم عرشها أو صرحها العالي على الأصرح
زارت سليمان النبي بتدمر من مأرب دينا بلا استنكاح
في ألف ألف مدجج من قومها لم تأت في اهل اليه طـلـاح^(٥)

وتقول رواية ان سليمان أمرها بأن تختار رجلا من قومها يزوجها به ، فاختارت ذا بتع ملك همدان ، فزوجه ايها ، وسلطه على اليمن^(٦) . وحكوا أن مدة سليمان في ملكه كانت أربعين سنة ، وماتت بلقيس بعده بعدة^(٧) .

ونسبوا لأسعد تبع أبيات في بلقيس ، قال فيها :

-
- (١) سورة النمل ، الآية ٤١ ، ٤٢
 - (٢) الديميري ، حياة الحيوان لكبرى ٢ : ١٦٦
 - (٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١ : ٣٣٣
 - (٤) سورة النمل ، الآية ٤٤
 - (٥) ابن حبيب ، المجد ٣٦٧
 - (٦) وهب بن منبه ، التيجان ١٧٢
 - (٧) نشوان الحميري ، شمس العلوم ١ : ١٩٨
 - (٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٤٩٥
 - (٩) ابن قتيبة ، المعارف ٦٢٩

ولقد بنت لي عمتي في مأرب عرشا علي كرسي ملك متلد (١)

كما روى أن قبر بلقيس بمأرب ، وقد قال النعمان بن الأسود بن عمرو بن يصفير الحميري ، يرثي بلقيس ويصف ملكها في قصيدة منها :

ان بلقيس قد أدل لها الملك سليمان واصطفاه قديسر
ويواصل الشاعر سرد قصتها مع سليمان في قصيدة طويلة (٢) .

وقد جاء في قصة الحضارة ذكر بلقيس وقدمها الى سليمان ، فقالوا جاءت اليه من بلاد العرب ملكة سبأ تخطب وده ، ولعلها جاءت أيضا لتطلب معونته (٣) ، ولكنهم لم يفتلوا في نوع المعونة التي جاءت من أجلها .

ومع ذلك ينشأ الشك في أن الملكة بلقيس بنت الهدهاد هي غير ملكة سبأ صاحبة القصة المعروفة مع سليمان ، التي ذكرتها التوراة في الاصحاح العاشر من سفر الملوك الأول . ولعل المؤرخين الاسلاميين الذين ذهبوا الى أن بلقيس الحميرية هي صاحبة القصة متأثرون بما راج في ذلك الحين من أقوال الرواة وأهل الأخبار . والأمر بحاجة الى تأمل لأن هذا العصر متأخر عن عصر النبي سليمان الذي يرجع تاريخه الى القرن العاشر قبل الميلاد ، بينما جعل بعض الباحثين حكم بلقيس في القرن الرابع الميلادي ، ومع هذا فان ملكة أخرى سبأ قد عاصرت سليمان ، وتربعت على عرش مأرب الذي لاتزال آثاره جنوب مدينة مأرب الحالية ، وهو المعروف عند المؤرخين بقصر (سلحين) ويسميه السكان باسم (عرش بلقيس) (٤) .

وخلامة القول أن ملكة سبأ حقيقة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، كما ذكرتها التوراة ، ولكن لم يذكر اسمها . لذا لا نعرف من هي ، أما بلقيس فاسم مفتعل من صنع الرواة والقصاصين الذين نسجوا حوله رواياتهم وأساطيرهم .

ولعل الأمثلة الثلاثة شاهد على أن القرآن الكريم كان منبعها ثرا أمد الرواة بالمادة الأساس لقصصهم التي ينطلقون منها في تكوين قصصهم وأساطيرهم ، ويمدهم الخيال الواسع بعد ذلك بالاضافات والاجابات المتعددة عما يمكن أن يقوم حول الآيات من تساؤل واستفسار .

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير واقبيال اليمن ٨٦

(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٦٧

(٣) ديورانت ، قصة الحضارة ٣ : ٢٢٢

(٤) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ٩٥

وقد كان لانسياق الرواة ، وانجرافهم في تيار القصة الأسطورية ظواهر ونتائج طبعت نتاجهم الذي ملأ المصادر العربية بطابعها المميز ، وتكاد تكون تلك النتائج سمة عامة في معظم الأساطير ، ناهيك عن الخصائص الخاصة بكل نوع من أنواع الأساطير التي سنعرض لها مفصلين في صفحات لاحقة من البحث .

من تلك الظواهر أو تلك النتائج :

١ - مزج التاريخ بالأسطورة :

وهذه صفة تجعل الباحث في الأساطير العربية لا يجد بغيته الا في المؤلفات التاريخية ، ونظرة الى كتب التاريخ العربية المختلفة تبين مصداق هذا القول ، عندما نجد تلك المادة الغنية من الأساطير التي انطوت في ثنايا الأحداث التاريخية ، وهي قد تتعلق بحدث كما هو الحال عندما تذكر الروايات التاريخية انهيار سد مأرب ، وما صحب ذلك من أقوال الكاهنة طريفة ، وحكاية الفأرة التي شقبت جدران ذلك السد العظيم ، وقد تتعلق الأسطورة بشخصية معينة كما هو الحال في الحديث عن معظم الملوك اليمنيين كما وجدنا ذلك في حديثهم عن تبابعة اليمن . وفي الحديث عن شخصية اجتماعية كحاتم الطائي ، فجعلت هذه الشخصية رمزا للكرم والسخاء ، فوصل بالرواية الخيال أن جلوه يقري الضيف بعد موته^(١) ، وغير ذلك كثير مما تحفل به كتب التاريخ .

وان امتزاج التاريخ بالأسطورة لايعني ضياع الحقائق التاريخية ، فكثيرا ماتستند الأسطورة الى الأساس الواقعي المنبثق من الحقيقة التاريخية ، فقد وجدت بين الأخبار الخيالية بعض المعلومات الصحيحة عن الأوضاع السياسية وعن التقاليد الدينية والأحوال الاجتماعية . وقد اعترف أكثر من باحث بوجود الأساس التاريخي للأساطير^(٢) .

وربما أدى مزج التاريخ بالأسطورة الى عزوف الباحث المؤرخ عن النظر في تلك المعلومات التاريخية التي لاتخضع لعقل أو منطق ، فيجدها أدخل في عالم الأساطير منها في عالم الحقائق التاريخية . وهنا تبدو مهمته شاقة في اكتشاف الأساس التاريخي الواقعي الذي بنيت عليه تلك الأسطورة .

(١) أنظر الأصفهاني ، الأغاني ١٧ : ٣٧٤

(٢) بتروفسكي ، مقاله في " الحكمة " العدد ٣٨ - ص ٥٨ / د. يوسف عبدالله مقاله في

الحكمة العدد ٣٨ ص ٤٦

وان امتزاج الأسطورة بالتاريخ قد دعا بعض الباحثين الى تسميتها "التاريخسطورة" Legend Myth، فهي تتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق تأخذ اطار الحكاية ، وهذه الحكاية تنقل بالتواتر من جيل الى جيل ، لأنها تتعلق بمكان واقعي أو بأشخاص حقيقيين ، وضرب مثلا بحكاية "سد مأرب" و"الجرهمي التائه" وغيرها ، كما نجد عند الاغريق "حرب طرواده" وعند البابليين "ملحمة جلجاميش"^(١) .

ويعد الدكتور جواد علي التاريخ مصدرا لأهل الأخبار في الكثير من أساطيرهم ، وضرب مثلا على ذلك بأساطير التهبانة وفتوحاتهم العظيمة الخيالية ، اذ يرى أن لقصص الفتوح أصل ومنه ما يرجع الى ما قبل الميلاد قبل فتح سبأ للسواحل المقابلة لليمن ، وهو الذي أوحى الى أهل الأخبار قصص فتح افريقيس لأفريقيه ، وقصص وادي الرمل وبلاد النسناس . وأما فتوح الهند والصين واذربيجان وقصص استيلاء شميرعش على سمرقند فتعد جذورها الحروب المتوالية التي وقعت في جزيرة العرب بين قبائل معد ونزار ، أو بين ملوك الحيرة وبين السبثيين ، مثل حروب شميرعش مع ملوك الحيرة والفرس ، وأما فتح سمرقند وبلوغ التبت والصين فانها من ذكريات الفتوح الاسلامية التي ساهمت فيها قبائل يمانية^(٢) .

وعلى هذا النحو امتزج التاريخ بالأسطورة في تراث اليمن الثقافي ، فكان التاريخ أساسا ينطلق منه الرواة في تكوين الأسطورة حينما ، وكان التاريخ مصدرا مشجعا للرواة على نسج الأساطير المستمدة منه حينما آخر . فلذلك نرى أبطال الأسطورة أحيانا شخصيات معروفة لها وجود في تاريخ الأمة ، كما هو الحال في أساطير ملوك اليمن القدماء ، كما نجد الأسطورة أحيانا تتعلق ببيئة اجتماعية معينة عرفها التاريخ القديم ، وكان لها الوجود الحقيقي ، كما هو الحال في الأساطير التي اكتنفت بناء قصر غمدان ووصفه .

ب - دخول الاسرائيليات المصادر العربية :

لقد نتج عن نشاط الرواة في رواية الأساطير وتداولها دخول كثير من الاسرائيليات في المصادر العربية من كتب تفسير وتاريخ وسيرة ، والاسرائيليات اصطلاح

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٥١

(٢) جواد علي ، الكلمة العدد ٧٨ - مقالة "أحاديث تبع" ص ٢٧ سنة ١٩٧٩

أطلقه المدققون من علماء الاسلام على القمص والأخبار اليهودية والنصرانية التي عرفها المجتمع الاسلامي بعد دخول عدد من اليهود والنصارى الى الاسلام أو تظاهروا بذلك^(١) .

وقد كانت البيئة الاسلامية آنذاك تزخر بأهل الكتاب أو من اطلع على الكتب القديمة ، كما عرف الرواة اليمينيون باطلاعهم على كل من الشقافتين اليهودية والنصرانية مثل وهب بن منبه وكعب الأحبار . ويروي عن وهب قوله "لقد رأيت اثنين وتسعين كتابا كلها من السماء : اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدي الناس وعشرون لا يعلمها الى قليل"^(٢) .

وروي عن عمر بن الخطاب تخوفه من احاديث كعب في الناس من حوله ، فنهاه عن الحديث وهدده بالنفي الى بلاده اليمن^(٣) . ومن الواضح أن تصرف عمر ذلك كان نابعا من خوفه من دخول ما يخالف الشريعة الاسلامية ، اذ خشي على عامة الناس أن يفتنوا بما يسمعون من احاديث كعب ، فتختلط لديهم الأمور لما يصاحب ذلك من أساطير وقصص خيالية قد تشوش عليهم عقائدهم ، وقد كان يرى أن يصرف الاهتمام الى مدارسة القرآن والحديث بدلا من هذه الاسرائيليات التي يرويها كعب وتلقى رواجها بين الناس .

ولما جاء الاسلام دخلت فيه طائفة من أخبار اليهود مثل عبدالله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم . وكان بعض المسلمين يسألهم عن جزئيات الأحداث والقصص والشخصيات والاعلام القرآنية . ومن ذلك مثلا مارواه المفسرون في سياق تفسيرهم لآيات ذى القرنين من سورة "الكهف" عن خلاف وقع بين ابن عباس ومعاوية في قراءة جملة "عين حمئة" ، حيث كان معاوية يقرأها "عين حامية" بمعنى نبع ماء حار وكان ابن عباس يقرأها "عين حمئة" بمعنى طينة سوداء ، فاتفقا على تحكيم كعب الأحبار ، فسألاه : كيف تجد الشمس في التوراة ؟ فقال لهما : في طينة سوداء ، فوافق جوابه كلام ابن عباس . وهكذا تسرب الكثير من الاسرائيليات الى المسلمين عن طريق تلك الاستفسارات والاجابات عنها .

(١) رمزي نعناعة ، الاسرائيليات ٧٣

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ : ٥٤٣

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٨ : ١٠٨

(٤) سورة الكهف ، الآية ٨٦

(٥) الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١٦ : ١١٠

ودخلت الاسرائيليات كتب التفسير ، فيكاد لا يخلو منها كتاب من تلك الكتب ، وان كانت تتفاوت في القلة والكثرة . فهناك مفسرون تصدوا لهذه الروايات ووقفوا منها موقف الناقد المتأمل ، فنبهوا على بطلان ماروي من الاسرائيليات في كتب التفسير كابن الكثير والفخر الرازي والشيخ محمد عبده .

ويعلل ابن خلدون لشيوع تلك الظاهرة ، ويرى السبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود انما يسألون عنه أهل الكتاب ، ويستفيدون منهم ، وهم أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك الا ماتعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لاتعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدشان والملاح وأمثال ذلك . وهو لاء* من مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وغيرهم . فامتألت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات ^(١) .

وقد انتبه ابن خلدون في نصه الى الميل القطري الذي كان يدفع العامة من الناس الى حب المعرفة والتطلع الى سر الخليقة والوجود ، فلا يجدون من حولهم من يجيب على تلك الأسئلة والاستفسارات غير أهل الكتاب الذين يزودون بأحاديث طويلة حول بدء الخليقة والوجود ، ثم يتناولون التاريخ القديم وما حدث في الأزمنة القديمة من أحداث وملاحم ، وهم يقصون عليهم ويسعفهم في كل ذلك خيال خصب يضيف الى التفاصيل الكثيرة التي ترضي شغف السامعين ، وتملك عليهم ألبابهم ، فيقبلوا مبهورين عند سماعهم تلك الأساطير والقصص ليطلبوا منها المزيد حول هذا أو ذاك من الأمور المتعلقة ببعض الآيات القرآنية أو القصص القرآني .

وقد ظهرت جماعة - فيما بعد - من القصاص الذين عرفوا بتفسير القرآن ، فأرادوا أن يشرحوا ما أبهم في القرآن الكريم ، متأثرين بما سمعوه من اليهود والنصارى ، وأكملوا من ابتداع خيالهم ما وجدوه من نقص فيما تعلق ، وقد تحدث النظام المعتزلي عن هؤلاء المفسرين الذين لا يتورعون عن تفسير القرآن بمثل هذه الخيالات والأوهام " . . . كلما كان المفسر أغرب عندهم ، كان أحب اليهم ، وليكن عندكم

عكرمه والكلبي والسدى والضحاك ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الأعمى في سبيل واحدة ، فكيف أشق بتفسيرهم وأسكن الى صوابهم ؟" ^(١) .

فالأمر اذن انسياق وراء الخيال ، فكلما كان اغراقهم في الخيال قويا ، فتعمتلى تفسيراتهم أو قصصهم بغرائب الأمور ، كلما وجدوا اقبالا عليهم ممن حولهم . فتحول الحال بذلك الى دائرة لحكاية القصص الأسطورية .

وقد أكثر الطبرى في تفسيره من رواية الاسرائيليات ، ولكنه كان يسندها الى أصحابها ممحما وناقدا ، وكثرا مانقدا المروييات الاسرائيلية التي يحاول بعض المفسرين أن يفسروا بها ماوراء ظاهر اللفظ القرآني ، وهو بموقفه الجيد ذلك يحارب المنزع القصصي الخيالي الذي استفاض في عصره ، وحاول معرفة كل شيء أبهم في القرآن الكريم ، مما لانفاذة في معرفته .

وعندما أورد ذكر ذى القرنين حدث أنه أمة من الانس صالحة قالت لذي القرنين " ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ، وكثير منهم مشابه للانس ، وهم أشباه البهائم ، يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله في الأرض ، وأضحوا خوفهم من غزوهم لهم ، ورجوه أن يجعل بينهم سدا ، فذهب ذو القرنين يستطلع أمرهم . فوجد لهم مخالبا في موضع الأظفار من أيدينا وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحناك كأحناك الابل ، وعليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريههم ، ومايتقون به الحر والبرد ، ولايموت واحد منهم الا بعد أن يلد ألفا ، وهم يتداعون تداعي الحمام ، ويعوون عواء الكلاب" ^(٢) .

ويستمر الطبرى في وصف هذه العوالم الغريبة من البشر ، فيسرد حال أمة أخرى صالحة يصف منحاهما في الحياة ، وهكذا دواليك . وكأن قصص القرآن كانت مشارا لنشاط الرواة وشحن خيالهم ، فجاءوا بأساطيرهم التي تصور عوالم خيالية لوجود لها الا في تموارتهم وتخيالاتهم .

(١) الجاحظ ، الحيوان ١ : ٣٤٣

(٢) الطبرى ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١٦ : ١٦

ونجد الطبري يعتمد في تفسيره على النقل والرواية ، وكأنه أحس الصلة بين التاريخ والتفسير ، واعتماد التاريخ عليهما أيضا ، ومما يدل على ذلك أن كثيرا من المصادر التي اعتمد عليها في تاريخه قد اعتمد عليها في تفسيره أيضا ، ولاسيما في تاريخ الأمم السابقة على الاسلام^(١) .

ونستشهد بمؤلف آخر هو ابن كثير ، فنجده أحيانا يسرد بعض الاسرائيليات ثم يعقب عليها منتقدا ، ولكنه مع ذلك توسع في النقل عن رواة اليمن ، فنقل عن وهب بن منبه حديثه حول خراب سد مأرب "وكانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرد ، فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان ، فلما جاء القدر غلبت الفأر على السنانير ، وولجت الى السد ، فنقبت ، فانهار عليهم"^(٢) .

ولقد انتقد ابن كثير الاسرائيليات وتزيد الرواة ، ولكنه ينقل أحيانا تلك القصص والاضافات الكثيرة الى قصص القرآن ، فنذكر مثلا أن هدهد سليمان اسمه عنبر . ولم يختلف عن غيره من كتاب التفسير عند وصفه بلقيس وعظمة عرشها وكثرة من حولها من الاقيال^(٣) . ولكن نجده يحذر - بعد ذلك - في قبول تلك الأقوال وينبه الى أنه ينبغي عدم تصديقها واعتمادها حقائق مسلم بها ، فبعد أن يسرد الأقوال المختلفة حول مجيء بلقيس الى سليمان ، وما كان من أقوال المفسرين حول العرش ، ينتقد كل ذلك قائلا "والأدب في مثل هذه السياقات أنها متلقاه عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب وهب سامحهما الله ، فيما نقلاه الى هذه الأمة من أخبار بني اسرائيل من الاوهد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ، وما حرف وبدل ونسخ"^(٤) .

ونأتي الى الزمخشري الذي ينحو في كشافه منحى عقليا ، ونجده ينساق مع الرواة ، فجاء بتفصيلات في أمر بلقيس وسليمان بعدت عن تفسير الآيات الكريمة^(٥) . وكان المتوقع من الزمخشري أن يقف من الاسرائيليات موقف الناقد ، لمجانبتها العقل والمنطق ، ولكننا وجدناه متسامحا ، لا يرى بأسا في سرد أسطورة أو خرافة اسرائيلية ، متناقضا في موقفه هذا مع منهجه العقلي الذي اتخذه في التفسير .

(١) رمزي نعناعة ، الاسرائيليات ٢٤٢

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥ : ٥٤٢

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥ : ٢٢٨

(٤) المصدر السابق ٥ : ٢٤٠

(٥) الزمخشري ، الكشاف ٣ : ٣٦٦

ودخلت الاسرائيليات كتب السيرة والتاريخ ، وتوسع الاخباريون والمؤرخون في قبولها وروايتها ، وكانوا أقل احترازا من كتاب التفسير ، وتساهلوا في قبول الروايات ولاسيما فيما يتعلق بهده الخلق وأسرار الوجود وأحوال الأمم السابقة والملاحم .

ونظرة الى ابن هشام في "السيرة النبوية" نجده لا يختلف عن غيره ، لأنه يعتمد كثيرا على ابن اسحاق في مروياته ، وان حرص على ذكر السند أحيانا ، فيذكر سد مأرب وما ورد فيه من آي الذكر الحكيم ، ثم يذكر قصة الجرد الذي حفر سد مأرب وخرج عمرو بن عامر من اليمن^(١) .

ولا يختلف عنه ابن كثير في السيرة النبوية ، اذ يتوسع في أقوال الكهان ، وما كان من نصيحتهم لعمرو بن عامر اللخمي في الخروج من مأرب قبل وقوع السيل ، وما كان من خبر الجرد الذي حفر في السد فسبب خرابه^(٢) .

كما يذكر في موضع آخر كهانة سطيح وشق لربيعة بن نصر وتاويلهما رؤياه^(٣) . وهو لا يختلف في كل ذلك عما يكتبه أهل الأخبار في كتب التاريخ ، بل ينقل عنهم في رجوعه دوما الى ابن اسحاق . ثم يعقب ابن كثير مبررا بقوله : " وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته وماتضمن من الفتن والملاحم"^(٤) . فكانت الغرابة في مثل هذه الحكايات شفيعا للرواة وأهل الأخبار في تداولها وحسن انصات الآخرين لها واستزادتهم منها .

وننظر في كتب التاريخ فنجد الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك والأمم" يروي الحكايات المختلفة عن الأمم الماضية ، ولعله لمس بعدها عن الحقيقة والعقل والمنطق ، ومع ذلك توسع فيها ، وتزيد منها على الرغم من الانتقاد الذي ضمنه مقدمته وأنه مجرد ناقل^(٥) .

وخير شاهد على دخول الاسرائيليات تاريخه هو بابه : "القول في ابتداء الخلق"^(٦) .

-
- (١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٣
 - (٢) ابن كثير ، السيرة النبوية ١ : ١٢
 - (٣) المصدر السابق ، ١ : ١٣
 - (٤) المصدر السابق ١ : ٣٨٤
 - (٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١ : ٨
 - (٦) المصدر السابق ١ : ٣٢

ويعنى الطبرى بذكر سلسلة السند حيث ينقل عن وهب بن منبه واسحاق بن شاهين وابن اسحاق ، بل ينقل أحيانا عن يسميهم (أهل التوراة) أو (أهل الانجيل) ، ويرجع في بعض رواياته الى هشام الكلبي .

أما ابن كثير في "البداية والنهاية" فنجده قد اتخذ موقفا من الاسرائيليات نص عليه في مقدمته مبررا لما أدخل منها ".... فتذكره على سبيل التحلي به ، لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه" ^(١) ، فوضع منهجه في تناول الاسرائيليات ، ولعل "نظرة التحلي" هذه كانت المنفذ الذي تسربت منه الاسرائيليات الى تاريخه ، وان انتقدها في بعض الأحيان .

وقد كان ابن كثير أقل المؤرخين اعتمادا على الاسرائيليات ، وان توسع في سرد بعضها أحيانا ، مفتونا بالغرابة في أقوال أهل الأخبار ، وقد روى من ابن عساكر خبر ذى القرنين وبحثه عن ماء الحياة في أرض الظلمات واجتماعه بالملائكة هناك ^(٢) . كما نقل عن كعب الأخبار ووهب بن منبه العديد من رواياتهم .

ونجد ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" لا يكاد يختلف عن الطبرى ، فيبدأ بابتداء الخلق ، وينقل عن الرواة من مثل وهب بن منبه ، وابن اسحاق وغيرهما فيحدثنا عن أنسر لقمان ^(٣) ، كما يذكر في أخبار بلقيس الحكاية الأسطورية لزواج أبيها بأماها ، ويعلق على ذلك كله بقوله : "والجميع خرافة لا أصل لها ولا حقيقة" ^(٤) .

ومع ذلك هو يسرد كل ما رددته المصادر الغربية التاريخية ، وان كان حديث خرافة كما يذكر ، ولعله أورده على سبيل التحلية لمادة التاريخ كما صرح بذلك ابن كثير .

ويتضح مما سبق اتخاذ المؤرخين والمفسرين موقفا واعيا من الاسرائيليات وتعبير مقدماتهم وتعقيباتهم عن ادراك ماتنطوى عليه من اغراق في الخيال يخرج بالرواية عن نطاق العقل والمنطق لتصبح حكاية أسطورية . وقد كان تداولهم لها مع معرفتهم بمجانبتها الصواب والعقل ، وفي هذا دليل على افتتانهم بالمادة الأسطورية فيها ، وتناولهم لها كقصص أسطوري يحبون الاطلاع عليه .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١ : ٦

(٢) المصدر السابق ٢ : ١١٧

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١ : ١٥٠

(٤) المصدر السابق ١ : ٢٣٥

ويظن أن كثيرا من الاسرائيليات المبتوثة في كتب التفسير والسيرة قد نقل بعضها من أسفار أهل الكتاب مع وجود اختلاف يسير بين النصين أحيانا .
وإذا تتبعنا المرجع القديم في تلك الروايات فاننا نجده يبعد عن عهد الكتاب المقدس في قدمه ، إذ كانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد الى ثلاثة الألف سنة أو نحوها قبل الميلاد ، وربما أخذ اليهود بعضها من الأدب البابلي ، والمرجح أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى^(١) .

أما الباحثون المحدثون فتختلف نظرتهم اليوم الى الاسرائيليات ، فقد أهدوا اهتماما بالرواية والاعخباريين الذين رووا مثل تلك الحكايات ، أيام الاسلام الأولى من مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبيد بن شربة الجرهني ، فرأوا في حكاياتهم دنيا خرافية ينبغي الاهتمام بها لأنها تخلد معتقدات العرب وأساطيرهم^(٢) .

ج - تفشي ظاهرة النحل :

لقد أحدث النشاط المتزايد في الرواية الأسطورية ظاهرة طبعت معظم تلك القصص الأسطورية بطابعها ، وهي ظاهرة الشعر المنحول ، وان نظرة الى القصص الأسطورية في كتاب "التيجان" تجعلنا ندرك مصداق هذا القول ، حيث نجد تلك الكثرة الوفيرة من القصائد والأهيات على لسان هذا الملك أو ذلك الفارس . ومعظم تلك الأشعار تنضح بالفخر والاعتزاز بأمجاد اليمن والتحسر على حضارته القديمة ، مما يجعلنا مدركين أن وضع الشعر كان لأسباب لعل أهمها ارضاء العصبية القبلية في تلك الآونة .

كما أن الشعر اتخذ مقياسا لصدق الخبر نلمس ذلك في حوار معاوية لعبيد بن شربة الجرهني ، واستزادته من قول الشعر للمسامرة قائلا: "ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ولو ثلاثة أهيات؟"^(٣) ، وعبيد يروي الشعر على لسان هذا أو ذاك .

(١) ديورانت ، قصة الحضارة ٢ : ٣٦٨

(٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٧٣

(٣) عبيد بن شربة ، التيجان ٣٣١

وقد نحلوا الشعر بعض من لم يقل الشعر كالتبابعة القدماء ، من مثل الشعر المنسوب الى تبع بن الأثرن^(١١) ، والشعر المنسوب الى الحارث بن الراش^(١٢) ، والشعر المنسوب الى أسعد تبع^(١٣) ، وليس هذا فحسب بل نسبوا الشعر الى الأقرام البائدة عاد وعمليق وطسم^(١٤) .

وقد أشار الى هذه الظاهرة ناقد قديم هو ابن سلام الجمحي ، وانتقد تلك الأشعار الموضوعة قائلا: " أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف السنين " ، واستدل على ذلك بالآيات القرآنية التي تذكر عادا ، وتنص على عدم وجود باقية لهم^(١٥) .

ونحلوا الشعر أيضا شعراء مشهورين من مثل حسان بن ثابت ، وأممية بن أبي الطلت وأمريء القيس ، والنعمان بن بشير الانصاري . وقد ذكر طه حسين مقطوعة لحسان بن ثابت ، ولغت النظر الى ضعف آخرها على نحو لا يتناسب وقوة الأبيات الأولى في المقطوعة^(١٦) . كما نقل طه حسين قصيدة للنعمان بن بشير الانصاري يخاطب فيها معاوية وأوضح كيف حملت الأبيات الثلاثة الأخيرة عليه حملا^(١٧) .

ويذكر الاصفهاني حكاية من نحل الشعر حسانا ، وهي شاهد آخر على أن النحل كان مألوفاً لديهم . وبسبب دوافع معينة لاتخفي على الباحث المتمعن .^(١٨)

وقد ناقش طه حسين أسباب النحل في كتابه ، مغلبا جانب العصبية والسياسة ، وقد فند كل ذلك مفصلا . كما فصل في قضية النحل وأقوال القدامى والمحدثين فيها شوقي ضيف ونوري القيسي^(١٩) .^(١٠)

-
- (١) ابن قتيبة ، المعارف ٦٣٠
 - (٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٨١
 - (٣) المصدر السابق ٨ : ٢٨٢
 - (٤) عبيد بن شربة ، اليتجان ٢٣٠ - ٢٣٢
 - (٥) ابن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء ٤
 - (٦) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ١٢٤
 - (٧) المصدر السابق ١٢٦
 - (٨) الاصفهاني ، الأغاني ١ : ٦٣٠
 - (٩) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ١١٣
 - (١٠) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ١٦٤
 - (١١) نوري القيسي ، تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ٧٥

وقد كثر النحل في الشعر الذي ورد على لسان أبطال القصص والأساطير كما أسلفت ، وقد ذكر الاصفهاني أن قصة (تبع) وشعره من وضع يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري المتوفى سنة تسع وستين للهجرة ، وهو شاعر عرف بتعصبه لليمن .

ومع كل ذلك فالشعر المنحول نتاج القوم الأدبي ، وقد كانت لروايته دوافع وأسباب ارتبطت ارتباطا وثيقا بالواقع التاريخي لليمن^(١) .

ان تلك الظواهر التي سلفت مناقشتها - في رأيي - نتيجة طبيعية أسلمتنا اليها المنابع الأساسية المتعددة للأساطير العربية ، فطبعت الأسطورة اليمنية بطابعه الخاص ، وظهرت نتائجها في أساطير اليمن المتنوعة الأسس حيث سنتعرف عليها ونناقشها لاحقا على نحو مستفيض .

الباب الثاني

" أنواع الأساطير اليمنية "

" أنواع الأساطير اليمنية "

ويتضمن هذا الباب فصلاً ثلاثاً نتعرف من خلالها على أنواع الأساطير اليمنية مع مقارنتها بما عرف عن الشعوب القديمة الأخرى من أساطير مشابهة ، وليتضح لنا تناقل الأساطير بين الأمم ، وارتباطها بحياة الشعب حيث يتم تحويلها وتطويرها بما يتفق وواقع القوم الذين تمثل الأسطورة نمط تفكيرهم ، ومنحاهم في الحياة .

وبعد الحصول على جمع وفير من الأساطير اليمنية ارتأينا أهمية تقسيمها الى أقسام رئيسية ثلاثة ، وذلك لتسهيل مهمة التعريف بها ، ودراستها عن كثب ، واستنتاج الخصائص المستقاة منها ، فكان هذا التقسيم الذي لا يستند في الأساس على صفاتها أو أنماط أبطالها ، لأن مثل هذا التقسيم يوقعنا في مزالق متعددة ، منها التداخل والتكرار الذي سيواجهنا في دراسة معظم تلك الأساطير ، إضافة الى اتساع تلك الأساطير وشموليتها مما يجعلها قابلة للانزواء في الأنماط المختلفة ، وأضرب مثلاً لذلك : "بلقيس" .. هذه الاسطورة المتعددة الجوانب ، يمكننا ادخالها في القصة الديني اذا اعتمدناها ملكة لسبأ ، التي ذكرها القرآن الكريم ، ويمكننا التفصيل في قصتها مع سليمان أثناء عبادتها وقومها للشمس ، ويمكننا ذكرها في أساطير النتاج المشترك الذي عرف في أساطير اليمن حيث تجعلها الروايات مولودة من أم تنتمي الى "الجن" .. ويمكن ادراجها في القصة التاريخي باعتبارها من ملوك اليمن القدماء ، اكتنف توليها الحكم قدر كبير من الحكايات الأسطورية .. وهكذا .

لذلك حرصت في ثنايا البحث على التعريف بمعظم الأساطير اليمنية ولاسيما تلك التي تحمل طابع الرواة اليمنيين ، وتضيف أشياء الى معارفنا عن حياتهم ونمط تفكيرهم ، مع محاولة تجنب هذا التداخل والتكرار ، ولا يتأتى ذلك الا بالتقسيم المنهجي لأنواع هذه الأساطير ، ذلك التقسيم الذي يركز على الأساس الذي تقوم عليه الأسطورة ، وباتباع هذا المنهج وجدتها تنقسم الى ثلاثة أقسام بحسب الأسس التالية :

- ١ - الأساس الديني .
- ٢ - الأساس الطبيعي .
- ٣ - الأساس التاريخي .

لقد وجدت اعتماد هذا التقسيم ييسر مهمة تعريف القارئ بها ، ودراستها لاستخلاص الخصائص الخاصة بها ، كما لاحظت استجابة الأساطير التي أخضعتها للدراسة لمثل هذا التقسيم ، وامكانية انطوائها في سهولة ويسر ضمن أحد الأنواع الثلاثة بحسب ما يقتضيه الأساس الذي تعتمد عليه الأسطورة .

" الفصل الأول "

" الأساس الديني "

نناقش في هذا الفصل الأساطير التي تركز على أساس ديني ، فتمس عن قرب أو بعد معتقدات القوم ودياناتهم القديمة ، وتتصل بمظاهر عباداتهم وشعائرهم الدينية كما أنها تتضمن نتائج تلك المعتقدات وما أسفرت عنه قرائح الرواة وأهل الأخبار من تفسيرات وتأويلات حول الطقوس والعبادات القديمة ، فملأت به المصادر العربية القديمة ، كما هائلا من القصص الأسطورية الجميلة التي تمثل مرحلة من مراحل نمو التفكير الانساني قبل سطوع شمس الاسلام .

فكان الاهتمام بجميع ماورد من أساطير حول عبادتهم الكواكب ومظاهر الطبيعة ومقارنة تلك الأساطير بمشيلاتها لدى الشعوب والأمم القديمة ليمتضح لنا وضع الأساطير اليمنية في هذه السلسلة الطويلة من الأساطير المنتقلة بين الأمم ، عن طريق الهجرات أو رحلات التجارة وغيرها .

ولعل الهدف الخلفي ينطوي في سياق الاهداف الدينية لما يتضمنه من وعظ وارشاد خلقي يحقق معه انتظام الكون في سياق سهل يشعر معه الانسان بالراحة النفسية والدعة والطمأنينة ، فلا تخلو أساطيرهم الخلقية من الموعظة التي لاتقل شأنها عن التوجيه والارشاد الدينيين، فكان ادراجها ضمن هذا النوع من الأساطير .

ويجمع بين هذه الأساطير جميعها اشتراكها في الأساس الديني الذي تعتمد عليه ويكون عصا رئيسيا فيها ، وظفرت كل أسطورة منها بالدراسة الوافية والمقارنة الواضحة مع غيرها من الأساطير العربية أو من أساطير الأمم والشعوب المختلفة ، مع انتهاء الفصل بالملاحظات والخصائص المستنتجة من دراسة هذه الأساطير .

عبادة الكواكب :

لقد مرت الأقوام في جنوبي الجزيرة العربية بمراحل في التطور الديني ، وتلفتوا حولهم الى مظاهر الطبيعة ، فعبدوا الكواكب والنجوم ، وكان الشمس والقمر أول كوكبين سماويين لفتا أنظار الناس اليهما ، فعبدهما مجردين في بادئ الأمر ، فلما تقدمت مداركهم تصوروا لهما قوى غير مدركة ، روحا وقدرة ، فأصبحت الشمس والقمر مظهرين لقوى روحية .^(١)

وقد وردت في القرآن الكريم الآيات الكريمة التي تثبت عبادة الانسان للكواكب "ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس والقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم ايها تعبدون"^(٢) .

ولم يقف انبهار الانسان عند الشمس والقمر ، ولكنه أيضا فتن بالزهرة وان كانت غير بارزة بروز الشمس والقمر ، ولعل ذلك هو السبب الذي جعلها ابنا للشمس والقمر في أساطير العرب الجنوبيين ، وقيل بذلك عرف الجنوب التثليث بعبادتهم للآلهة الثلاث "ود" القمر، و"اللات" الشمس و "العزى" الزهرة . فالقمر والشمس والزهرة ثالوث مقدس ، وربما قادتهم هذه الفكرة الى مقارنتها بظهور فكرة التثليث هذه بين الكواكب . فهذا الثالوث هو نفسه عند البابليين: الآله (سين) القمر و(شمش) الشمس و(عشتار) الزهرة ، وقد قدم العرب القمر على الشمس وهذا ما فعله البابليون والكلدان^(٣) .

عبادة القمر :

لقد لوحظ ما للقمر من منزلة خاصة في ديانة العرب الجنوبيين ، وهذا ما جعل بعض المستشرقين يدعو ديانة العرب الجنوبيين باسم "ديانة القمر" على سبيل التغليب ، وبذلك تميز أهل الجنوب عن أهل الشمال ، ويرجعون تقديم القمر على الشمس في ديانة عرب الجنوب الى الاختلاف في طبيعة الأقاليم والى التباين في الثقافة .^(٤)

-
- (١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٢٢
 - (٢) سورة فطت ، الآية ٣٧
 - (٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥١
 - (٤) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٢

والآله القمر هو الآله (المقه) عند السبثيين ، وهو آله سبأ الكبير ، وهو (عم) عند القتبانيين ، و(ود) عند المعينيين ، و(سين) عند الحضارمة ، وكان الآله القمري (سين) في الألف الرابعة قبل الميلاد ابن الآله عثرت في كتابات المسند الحضرموتية^(١) .

وقد جرت أولى محاولات التنقيب في حضرموت ، قام بها عالم أثري يدعى "جيرترود كارتون تمسون" الذي اكتشف معبد القمر في الحريضة "بحضرموت" ذلك المعبد الذي يرجع تاريخه الى ما بين القرن الخامس والرن الثالث قبل الميلاد^(٢) .

ويعد الآله "سين" الآله القومي الرئيسي لشعب حضرموت ، فكان الناس يندرون له النذور ، ويتقربون اليه بالأدعية ليمنحهم العمر الطويل والخير والبركة . ونظرا لوجود معابد كثيرة في حضرموت لعبادة (سين) ، فقد ورد هذا الاسم مضافا اليه كلمة أو كلمات لتمييز المعابد بعضها عن الآخر ، مثل "سين ذو مذاب" و"سين ذو مشور" و"سين ذو علم آله علق احن" وعلق احن اسم موضع قديم في حضرموت .

وتفيد النصوص التي عثر عليها أنه كان عند الحضارمة نوع من الشعور الديني الجامع نحو هذه الآلهة ، فقد ورد في بعضهما ما ترجمته "ان جسمه وروحه وأولاده وما يمتلكه وبقنتيه ونور عينيه وكل مايفكر به في قلبه هو لسين آله حضرموت" . وفي نس ظهر فيه اسم الملك العذيلط دونه رجلا ربما كانا من موظفي هذا الملك جاء فيه أنهما قدما سبعة تماثيل من الذهب باسم ملك حضرموت الى الآله سين ذو علم^(٣) .

وفي تنقيبات البعثة الامريكية في مأرب اليمن في حوالى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد وجدوا جزءا من معبد القمر (المقه) يعود تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد^(٤) . كما وجدوا تماثالا من البرونز لرجل تحمل يده اليسرى خاتما رسميا وقد ثبت خنجر في حزام الرجل ، وعلى التمثال نقش يمتد الى الكتف حتى أسفل الركبة اليمنى ، ويقول هذا النقش "ان هذا التمثال تمثال معدى كرب" وقد أهدى الى الآله القمر "المقه"^(٥) . ويبدو أن ذلك نوع من تقديم القرابين للآله القمر .

-
- (١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٤
 - (٢) فيليبس ، كنوز مدينة بلقيس ١٦
 - (٣) سعيد عوض باوزير ، صفحات من التاريخ الحضرمي ١٥
 - (٤) فيليبس ، كنوز مدينة بلقيس ٣٦٢
 - (٥) المصدر السابق ٢٢٢ ، وانظر وصف الضم عند ابن الكلبي ، الأضام ٥٦

ثم انحدرت هذه الديانة ومالت الى الانكماش كمية النقوش المكرسة لمعبد المقه آله القمر في مأرب ، وقد ذكر آخر ملوك الحميريين في نقش هذا المعبد - شاران يحمن وابنه ملك كرب أبو أسعد - منتصف القرن الرابع ، ثم اختفت النقوش الوثنية في نهاية حكم مليك كرب^(١) .

وقد ارتبطت عبادة البقر بعبادة القمر خاصة ، فقد أشار الشهرستاني الى أن عبدة القمر من الهنود اتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعة ، ويبد الصنم جوهر ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه ، وأن يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع ، ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ، فاذا فرغوا من الافطار أخذوا في الرقص والغناء واللعب بالمعازف بين يدي الصنم القمر^(٢) . وذكر الألوسي أن كنانة عبدوا القمر وفعلوا ماكان يفعله الهنود من طقوس^(٣) .

ولعل هذا يفسر السبب في تمثيلهم أو كنيائتهم لآله القمر (المقه) بشور في اليمن ، وكان هذا اسمه في كتابات المسند ، ووجدت صور لرأس الشور كثيرة في الجزيرة العربية ، كما وجدت كثير من رؤوس الشيران محفورة وأمامها مسایل لدماء الحيوانات التي كانت تقدم قرابين^(٤) . كما أن قبائل وعشائر سمت باسم "شور" .

وربما كان اهتمامهم بالشور بسبب التشابه بين الهلال وقرني الشور في الصورة ، وان كان الارتباط الأول بعبادة القمر أقوى وأرجح .

ويمدح الأعشى الأسود بن المنذر اللخمي ، فيقرن علاقة الناس بممدوحه وعلاقتهم بالقمر المعبود قائلا :

أربحي صلت ، يظل له القوم م ركوعا ، قيامهم للهلال^(٥)

فيظل القوم واقفين في خشوع وسكون للمدوح كأنهم في صلاة ورعة للهلال ، وهو أحد أشكال القمر .

-
- (١) بتروفسكي ، مقالة في مجلة "الحكمة" اليمنية - العدد ١٠٩ ص ٢٩
 - (٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ٢ : ٢٥٨
 - (٣) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢١٦
 - (٤) فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس ٨
 - (٥) الأعشى الكبير ، الديوان ٩

وجعل أحد الباحثين آلهة القمر السبئية من الآلهة الدهرية القدرية، سماها نسر أو نسور ، وقال أنه ورد في نصوص المسند السبئية باسم "بيت نسور" بل لقد أطلق على أهل سبأ بعامية "أهل نسور" ، وربط بينها وبين أسطورة لبد وأنسر لقمان (١).

وينقل الدكتور أحمد كمال زكي مسجعة عربية قديمة لعلها كانت تصاحب الطقوس وما يمكن أن يرافقها من موسيقى ، يقول النص :
(٢)

ود الهنا الحكم (٣)

رب الخلائق والأفاعي والعناجد والبهيم

أن تملك .. فله الحياة

في السبد والقفار والأجم

سأله ، فلا تفض

ولا رفض

الرغد ورية الأثر

ذات حميم . لا ذات حمم (٤)

ومن صراع الآلهة في الأساطير اليونانية يتضح لنا ظهور القمر للوجود قبل الشمس ، وكونه فيما بعد أباً للشمس ، ويرجع ذلك الى أسبقية عبادة القمر على عبادة الشمس في المجتمعات البدائية السابقة لظهور الحضارات ، مجتمعات الثقافة التي قدست القمر واعتبرته رمزا للألم الكبرى الهة المجتمع الأمومي ، وقدمته على الشمس التي كانت رمزا للذكر ، والتي قدستها المجتمعات الأبوية بعد ذلك باعتبارها رمزا للإله الذكر ، آله السماء الأعلى (٥).

عبادة الشمس

وعبد أهل الجنوب الشمس كما عبدها أكثر الساميين ، وقد نص على ذلك القرآن الكريم على لسان الهدهد وهو يحدث سليمان بخبر ملكة سبأ "ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله" (٦).

-
- (١) شوقي عبد الحكيم ، الفلكلور والأساطير العربية ١١٠
 - (٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٩٧
 - (٣) يلاحظ أن "نا" في "الهنا" هي أداة تعريف عند العرب في الجنوب .
 - (٤) يلاحظ أن "ذات حميم" أحد أسماء الشمس بمعنى الحامية أو الحارسة .
 - (٥) فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ٣٤
 - (٦) سورة النمل ، الآيات ٢٢ - ٢٥

وقد كان الانسان القديم يميل الى تقديس الأشياء التي يعتقد أنها تمنحه الحياة والخصوبة ، فكان الناس قديما يعبدون الالهة - وخاصة الشمس - حماة العدل والقانون ، كما ظنوا أنها تنتقم من الظالم والمعجم ، لذا عبت الأمم القديمة الشمس ، فقد كان الاله " شمش " من أشهر الالهة البابلية والآشورية ، وتدل الاثار على أن اسمه قد تردد أكثر من ستة آلاف سنة . وذهب الأقدمون الى أنه ابن " سن " آله القمر ، مما يؤكد أن التقويم الشمسي قد حل محل التقويم القمري ، كما حدث في كثير من بلاد الشرق القديم ، وتصفه النقوش بأنه " آله النور العظيم " ، وأنه " سيد الأحياء " و" مسبح النعم على الأرضين " .

ولقد ارتبط النور بالحق والعدل والخير في نفس الانسان منذ أقدم العصور ومن ثم نسب البابليون والآشوريون اليه القدرة على التمييز بين العدل والظلم والخير والشر ، ومثلهم سائر الشعوب لأن الانسان رأى أشعة الشمس تنفذ الى كل مكان وتتخطى جميع الحواجز والأستار ، ولقد ورد اسمه على رأس النقوش التي سجلتها ألواح حمورابي المشهورة ، وفيها يرمز الى العدالة ^(١) .

وقد ظهرت الشمس في الأسطورة العربية مرفوعة آنا على قرني ثور ، وأنا آخر على هيئة بعير له قرنان ، والبقر أو الثور هو الوحيد من ذوى القرون بين البعير ، كما لاحظنا ذلك في عبادة القمر ^(٢) . ورمز العرب الجنوبيون للشمس بالحصان لما في ذلك من معنى التمتع والاباء ، فكانوا يتقدمون بهتمائل الخيل تقربا الى الالهة ^(٣) .

وقد عبد الشمس قبائل عربية عديدة في الجزيرة شخصوها بصنم ، وخصوا لها هيكلا ، كما كثر في بلاد العرب وجود الأسماء التي انتسبت لها كعبد شمس ، وقيل أن أول من تسمى به سبأ الأكبر لأنه عبد الشمس ^(٤) .

وتسمى الشمس عند المعينيين (ذات نكرج) وعند السبئيين (ذات حميم) أي الشديد الحرارة و(ذات بعدان) و(ذات غفران) و(ذات بران) ، وعند القتبانيين (ذات صنم) و(ذات محزن) و(ذات رحبن) ^(٥) .

Carl Clemen, Religion of the World P. 52 (١)

أنظر الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ١٤ (٢)

جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ١٦٩ (٣)

المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ٥٠ (٤)

أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ١٤٨ (٥)

ويستشهد الباحثون على عبادة العرب للشمس بهذا البيت لمية بنت أم عتبة
- ويروى لغيرها - قالت :

تروحنا من اللعاب عصرا فاعجلنا الالهة أن توهوبا

(١)

وسموا الالهة تعظيما لها لأنهم كانوا يعبدونها .

ونجد لدى الأصفهاني هذه الأسطورة حول طلوع الشمس وغروبها ، قال : "لاتطلع
الشمس حتى ينخسها^(٢) سبعون ألف ملك ، ويقولون لها "اطلعي" فتقول "أطلع على قوم
يعبدونني من دون الله ؟" فيأتيها شيطان حين تستقبل الضياء ، يريد أن يصدها عن
الطلوع ، فتطلع على قرنيه ، فيحترق تحتها ، وما غربت قط الا خرت لله ساجدة ،
فيأتيها شيطان ، يريد أن يصدها عن السجود ، فتغرب على قرنيه فيحترق تحتها . فهي
تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان"^(٣) .

ولعل الألوسي تأثر بهذه الحكاية الأسطورية عندما زعم أنهم كانوا اذا طلعت
أو غربت أو توسطت الفلك سجدوا لها ظنا منهم أن الشيطان يقارنها في هذه الأوقات
الثلاثة^(٤) . ولكن كيف يمكن أن يسجد لها القوم مع ظنهم بمقارنة الشيطان لها ؟ فلاشك
أن سجودهم لها أمر سابق لأسطورة مقارنة الشيطان لطلوعها أو غروبها ، إذ كان
سجودهم لها من طقوس عبادتها ، كآله يعم نوره الكون ، فينتفع به الخلق .

أما اذا قصد الألوسي سجود القوم في مرحلة تالية لعبادتها الأولى ، فذلك
يعني أن القوم كان سجودهم لله استنجادا به لمساعدتها على التغلب على الشيطان
الذي يصاحب طلوعها أو غروبها محاولا صدها عن السجود ، لأنها كانت تخر لله ساجدة
كما ورد في نص الأصفهاني السابق .

وقد لاحظنا في عبادة القمر كيف اعتبروا الشمس أبا في الثالوث الالهي ، ثم
طراً بعد ذلك التحول الذي يفسره الانثروبولوجيون بالأطوار الأربعة التي طرأت على
تلك القبائل خلال تحولها من الأمومية الى الأبوية . وهكذا أصبح القمر الأب ،

(١) ابن منظور ، لسان العرب ١٧ : ٣٦٠

(٢) نخس الدابة : غرز مؤخرتها أو جنبها بعود أو نحوه .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ٤ : ١٣٠ - ١٣١

(٤) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢١٦

والأم الشمس ، والابن الزهرة ، ويلاحظ أن هذا التعريف النوعي ما يزال محفوظا في اللغة العربية ، فالقمر مذكر بينما الشمس مؤنثة .^(١)

عبادة الزهرة :

بيروي هومل ^(٢) معتمدا على النقوش - أنه كان لعبادة النجوم في ديانة عرب الجنوب مكانة عظيمة . كما كانت الزهرة تؤلف مع الشمس والقمر الثالوث الرئيسي عند الساميين الأقدمين ، وهي ترادف افروديت اليونانية وفينوس الرومانية وعشتار البابلية وعشتروت الكنعانية ، آلهة الفتنة والجمال والحب .^(٣)

وقد احتفلت شعوب الأرض جميعا بهذه الكواكب ، وأقيمت للزهرة المعابد ونحتت لها التماثيل ، واقتربت الزهرة بالاقبال على الحياة والمبالغة في السرور وطلب المتعة ، وكان الاحتفال بها يقام في التحول من الشتاء بظلامه وبرده وتجرد أشجاره الى الربيع بنضرتة وخضرتة وتبرج الطبيعة والحياة فيه . ولهذا حملها العرب معاني البياض والحسن والبهجة ، فقال الشاعر :

وقد وكلتني ظلتي بالسمره وأيقظتني لطلوع الزهرة^(٤)

وكان اليونان يمثلونها امرأة عارية على صور شتى ، ويحتفلون بعيدها ليلا تحت أشجار الأس في ليالي الثلث الأول من شهر نيسان^(٥) . كما صورها الفن الميثولوجي الفارسي في الإسلام حسناء تعزف على العود^(٦) .

ومن الميثولوجيا العربية الجميلة ما أورده المقدسي عن الزهرة وفتنتها الملائكة أيضا ، وقد بنى الرواة الأسطورة على ما ورد في القرآن الكريم ، لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم ، قال للملائكة : " اني جاعل في الأرض خليفة ، فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " ^(٧) . ووضعت بعد حين

-
- (١) شوقي عبد الحكيم ، الفلكلور والأساطير العربية ٩٥ - ٩٧
 - (٢) Ency. of Islam 1 : 379
 - (٣) Langdon, The Mythology of all the World 3 : 25
 - (٤) ابن منظور ، لسان العرب ٤ : ٣٢٤
 - (٥) البستاني ، دائرة المعارف ٩ : ٢٨٧
 - (٦) انظر الحوت ، على طريق الميثولوجيا ٨٩
 - (٧) سورة البقرة ، الآية ٣٠

ذرية كثيرة تعاطت الفساد ، فنادت الملائكة " يارب ، أهؤلاء استخلفتهم في الأرض ؟ ، وعندئذ أمرهم الله أن يختاروا من أفاضلهم ثلاثة ينزلهم الى الأرض ليحملوا الناس على الحق ، ففعلوا" (١) .

وأورد الطبري أنه أمرهم باختيار ملكين من أعظمهم علما وزهدا وديانة ، فاختاروا هاروت وماروت ، وأهبطا الى الأرض ، وأمرنا أن يعبدنا الله وينهيا عن المعصيات . وفي الأرض عرضت لهما امرأة هي " الزهرة " ، فأقبلتا عليها وراودوها على نفسها فأبت الا أن يكونا على أمرها ودينها ، وأخرجت لهما صنما يعبدانه ويسجدان له ، فامتنعا ، وصبرا ردحا ، ثم أتياها ثانية ، فأبت وأشترطت عليهما احدى ثلاث : اما عبادة الصنم ، أو قتل النفس ، أو شرب الخمر ، ولم يتوانا عن اختيار أهون المطالب وهو شرب الخمر . فسقتهما حتى اذا أخذت الخمر منهما وقعا بالزهرة ! ويريدان الصعود الى السماء بعد أن عرفا وقوعهما في الخطيئة ، فلا يستطيعان ، ويكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء ، فتنظر الملائكة الى ما وقعا فيه من الذنب فيعجبون كل العجب ، ويأخذون بالاستفسار لمن في الأرض من البشر .

ثم طلبت الزهرة منهما تعليمها الكلام الذي يصعدان به الى السماء ، فعلمتها وصعدت به الى السماء ، وهناك نسيت ماتنزل به ، فبقيت مكانها ، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل . وأما هاروت وماروت فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا لأنه ينقطع ، فجعلنا بهما منكوسين في بئر الى يوم القيامة (٢) .

وفي رواية أخرى تقول الأسطورة أن الزهرة عند صعودها الى السماء مسخت كوكبا ، وقد عرف المسخ في الحكايات العربية ، ونجد المقدسي ينقل أيضا انتقاد ربيع بن أنس في قوله " .. ويظهر من هذه الرواية أن خرافة مسخ الزهرة دخلت في قصة هاروت وماروت على يد المفسرين تحت تأثير دواعي العصر" (٣) .

وما أظن دواعي العصر الا افتتان الناس بالقصص الخيالية ، واستجابة الرواة لهذا الشغف بروايتهم الأساطير العجيبة التي أقبل الجميع على تداولها .

(١) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٤ - ١٥

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١ : ٣٤٣ - ٣٤٦

(٣) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٥

وان هذه الأسطورة لدليل على ما كان لدى العرب من أساطير ترتبط بمعتقداتهم القديمة . وقد عرفت الزهرة عند العرب بأسماء أخرى حسب طلوعها بعد غروب الشمس أو قبل شروقها فكانوا يدعون نجمة المساء "عتر" وهي أيضا "استار" أو "عترتنا" .^(١)

وروي في أساطير الشعوب القديمة أن الناس يرون عشتاروت ، خليفة تموز الآلهية ، في كوكب الزهرة "فينوس" ، وكان الفلكيون البابليون يتبعون بدقة تحولها من نجمة صبح الى نجمة مساء ، فيستخلصون الآيات وبزوغها وأقولها المتعاقبين .^(٢)

ويقول نولدكه أن الشاعر السوري اسحاق الانطاكي الذي كان يعيش في أوائل القرن الخامس الميلادي ذكر احتفاء العرب بعبادتهم العزى أو نجمة الصباح أو الزهرة - فينوس - كما يقال أنهم كانوا يقدمون لها التضحيات ، إذ قدم لها المنذر ملك الحيرة قربانا من الأسرى ، وقيل أنه نهب ابن حليفه المسيحي الملك الحارس قربانا لها .

ويضيف "سميث" ان عبادة الزهرة - أو نجم الصباح - انتشرت في اليمن ، وكانت تقام في أعيادها الاحتفالات والأفراح البهيجة^(٣) كما روي أن باليمن واديا يعرف بوادي عشار ، كثير الاخصاب نسبة الى الآلهة "ايشار" أو "عشتروت"^(٤) .

وكانت عشتار كايزيس ربة للخصب ، وسميت بالآلهة الأم أيضا ، بل أن السومريين لقبوها "Ama" في النصوص التي تعنى بعبادتها في طقوس محورها الخصب ، ونظيرها عند عرب الجنوب "عتر" ، وهي الزهرة الكوكب الذي شاعت عبادته في اليمن وحضرموت .^(٥)

وفي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد تقريبا اكتشفت بعثة التنقيب الأمريكية في شمال اليمن "معبد عشتار" ، وسموها آله الجمال عند العرب ، وبعد انتهاء رجال هذه البعثة من الحفر وجدوا أن المعبد الكبير قد بني خلال أربع مراحل

-
- (١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٣٥
 - (٢) جيمس فريزر ، ترجمة جبرا ، أدونيس أو تموز ١٨٧
 - (٣) شوقي عبد الحكيم ، الفلكلور والأساطير العربية ٣٧
 - (٤) المصدر السابق ٦٥
 - (٥) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٢

أقدمها في حوالى القرن السابع أو القرن الثامن قبل الميلاد^(١) ، وآخرها في القرن الأول قبل الميلاد . وقيل بقوم "عشتر" قوما كبيرا ، فقد وجد في نقوش قليلة في مارب ، مقرونا في بعضها بالمعق^(٢) .

وهناك من يعتقد أن "عشتر" هو "الشعري" لا الزهرة ، لأنه أسطع نجوم السماء في الليل^(٣) . وفي الآية الكريمة "وأنه هو رب الشعري"^(٤) إشارة الى عبادة الكواكب ، وعد هذا النجم معبودا جاهليا ، فيقول الطبرى في تفسير الآية "هو ذلك النجم الوقاد الذى يتبع الجوزاء" ، عبده قوم من العرب في الجاهلية ، فلذلك قيل لهم : اتعبدون الشعري وتتركون ربها"^(٥) .

وقد جاء ذكرها في الشعر مع الشمس والقمر ، كقول النمر بن تولب يوم وفد على الرسول (طعم) :

ياقوم اني رجل عندي خبر الله من آياته هذا القمر
والشمس والشعري وآيات أخر^(٦)

وهذا الشغرى يذكرها مع الإشارة الى صفة من صفاتها عرفها العرب قديما ، وهي طلوعها في شدة الحر ، فقال في لاميته المشهورة :

ويوم من الشعري يذوب لوائيه أفاعيه من رمضائه تتعلمل^(٧)

كما ذكرها بشر بن ابي الخازم في قوله :

جادت له الدلو والشعري ونوءهما بكل أسحم داني الودق مرتجف^(٨)

-
- (١) فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس ٢٠٥
 - (٢) زيد بن عنان ، تاريخ حضارة اليمن القديم ٥٩
 - (٣) نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ١٠٩
 - (٤) سورة النجم ، الآية ٤٩
 - (٥) الطبرى ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ٢٧ : ٤١
 - (٦) شعر النمر بن تولب ٦٩
 - (٧) الشغرى ، الديوان ٦٥
 - (٨) بشر بن ابي الخازم ، الديوان ١٥٧ - النوء : النجم اذا طال للمغيب .

والعرب تطلق اسم "الشعريين" على "الشعري العبور" التي في الجوزاء ،
و "الشعري الفميصاء" التي في الذراع^(١) . واطلق على الأولى "اليمانية" وعلى
الثانية "الشامية" في أسطورة لطيفة آثرت ادراجها في الأساطير الطبيعية لعدم
تعلقها بالعبادة .

وقيل أن بعض قبائل لخم وخزاعة وحمير وقريش عبدوا (الشعري العبور) .
وسميت كذلك لأنها تعبر السماء عرضاً^(٢) .

وقد ورد ذكر (الشعري العبور) في شعر الأخطل في مقدمة قصيدته اللامية :

وقد غابت الشعري العبور وقاربت لتنزل والشعري بطيء نزولها^(٣)

وهناك اعتقاد بأن العرب لم يعبدوا الأجرام السماوية لذاتها ، بل
لاعتقادهم أنها تمثل ملوكهم وأجدادهم ، فربطوا بين تسمية بعض الملوك ، وبين
عبادة تلك الأجرام السماوية ، والدليل على ذلك ورود اسم "رب الشمس نمران" في
الكتابات العربية الجنوبية ، وكان من ملوك سبأ وذي ريدان ، فاما أن يكون هذا
الملك هو "الاله الشمس" مع وضوح الأثر اليهودي في هذه التسمية ، واما أن يكون
هو "رب الشمس" أي أنه الإله والشمس خاضعة له ، فهو كذلك أعلى مكانة منها^(٤) .

ولا أرجح هذا الاعتقاد القائل بعبادة اليمانيين الكواكب لأنها تمثل
ملوكهم وأجدادهم ، ولكن يلاحظ انتفاع القوم بهذه الكواكب . فقد رأوا الشمس
تنير العالم وتخرق أشعتها الأستار والحجب وتحيطهم بالدفة ، وتنشر الحياة من
حولهم ، ومثل ذلك يمكن قوله في عبادة القمر الذي ينير ظلام ليلهم الدامس ،
ويبرسل أشعته لتنير لهم الطريق ، فيرحل السارون مستنيرين بنوره وهديه . ان
عبادة الكواكب مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياة القوم ومظاهرها ، كما لمسنا ذلك في
تاريخ عبادات الشعوب القديمة .

عبادة الأشجار :

لقد روى ابن اسحاق أن "أهل نجران" كانوا يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم
لها عيد كل سنة ، إذا كان ذلك^{العيد} علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء

(١) ابن منظور ، لسان العرب ٦ : ٨٤

(٢) الزبيدي ، تاج العروس (مادة شعر)

(٣) شعر الأخطل ٢٤١

(٤) مصطفى الجوزو ، مجلة "الفكر العربي" - العدد ٢٢ أيلول ١٩٨١ ص ٢٣١

ثم خرجوا اليها ، فعكفوا عليها يوماً ^(١) .

ولم تقتصر عبادة الأشجار على أهل نجران وسكان الجنوب ، إذ تذكر المصادر عبادة العرب شجرة عظيمة يقال لها ذات أنواط ، يأتيها الناس كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ، وكانت قريبة من مكة ^(٢) .

ولم يكن العرب يدعوا في هذه العبادة ، فقد سبقهم اليها الكنعانيون وعدد من الشعوب ، فكانت النخلة شجرة الميلاد المقدسة عند أغلب الشعوب السامية مثل نخلة نجران عند عرب الجنوب ، ونخلة تدمر أو تمر عند القحطانيين ^(٣) . وكانت النخلة هي الشجرة المقدسة عند الكاهنة دبور ، أقدم شاعرة عبرية ^(٤) .

وتصف أسطورة عربية أن العرب عندما عبدوا العزى كانت شيطانة تسكن ثلاث سمرات (السمرنوع من الأشجار) ^(٥) ، وقد خرجت على خالد بن الوليد حين قطع أشجارها ، على هيئة امرأة حبشية شمطاء ، نافثة شعرها ، ولعل في هذه الأسطورة دليلاً على عبادة العرب للأشجار ^(٦) .

وتستحضر إلى الأذهان - هنا - أسطورة الشاعر اللاتيني أوفيد (٤٣ ق.م - ١٧ م) الذي يروي أن مرها (Myrrha) الجميلة ومعناها (شجرة المرالكاوي) أو سمرنا عشقت أبها ، وأغوته ، وحملت منه دون أن تتح له تعرف شخصيتها ، وعندما اكتشف الأب الحقيقة المرعبة راح يطارد ابنته في الغابة ، لكن افروديت حولت البنت إلى شجرة ، وعندما أدركها الأب سعد الدم إلى رأسه ، وضرب الشجرة بالسيف فشطرها شطرين ، فولد من الشق ادونيس الجميل .

ولنلاحظ أن الاسم الثاني لمرها هو سمرنا ، وهو قريب من اسم شجرة السمرة ، كما أن أسطورة أوفيد تجعل مولد ادونيس في أرض سبأ . ويلاحظ التشابه الواضح بين

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٢٢

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ٢٧٣

(٣) لم يرد ذكر لهذه النخلة في المصادر القديمة .

(٤) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٨٧

(٥) يختلف الراح في وصف شجرة السمرة ، وقيل هي شوكية ضخمة

(٦) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ١٨

الأسطورتين ، في التسمية وفي الصفات المعزوة الى الآلهة ، وفي موطن ولادة الطفل الأسطوري "أدونيس" . ان كل ذلك يؤيد الظن بالقرابة الشديدة بين الأسطورتين ، وبأنهما كانا من مصدر قديم واحد ، ولعله من هنا ربط بعضهم العزى بفينوس أو بأفروديت^(١) .

ولا يمكننا تجاهل هذا التشابه الواضح بين الأساطير العربية وأساطير الشعوب الأخرى ، وان من ينظر الى أساطير الشعوب متتبعا احدى الآلهة يلاحظ التسلسل والتعاقب فيها ، وكان اللاحق يضيف الى مارواه السابق متأثرا به .

ولابس من الاستطراد المفيد هنا لايضاح هذا الأمر حول الأسطورة القديمة لتتجلى لنا المقارنة . يظهر الاله الشرقي (أدونيس) أو (تموز) في الأساطير الاغريقية في شكل شاب جميل أولعت به افروديتي حبا ، ولما كان طفلا خبأته الآلهة في صندوق ، ووضعت في عهدة "برسيفوني" الهة العالم السفلي ، بيد أن برسيفوني عندما فتحت الصندوق ورأت جمال الطفل ، رفضت أن تعيده الى افروديتي ، مع أن الهة الحب نزلت بنفسها الى الجحيم لتفدي حبسها من سلطان القبر . ولم يحسم النزاع بين الهة الحب والهة الموت الا "زفس" اذ حكم بأن يبقى أدونيس مع برسيفوني تحت الأرض شطرا من السنة ، ومع افروديتي في العالم العلوي شطرا آخر ، وان قرار "زفس" الحاكم هذا ما هو الا شكل آخر عبر به الاغريق عن احتجاب أدونيس ودعوته الى الظهور مرة ثانية .

وينظر الى تموز في أساطير بابل كزوج أو محب شاب لعشتاروت الالهة الأم الكبرى التي كانت تتجسم فيها قوى التناسل في الطبيعة ، والعلاقة بينهما غامضة ، ولكن الناس يعتقدون أن تموز يموت كل سنة متنقلا من أرض المسرات الى العالم المظلم تحت الأرض ، وان قرينته الالهية ترحل كل سنة في البحث عنه الى البلاد التي لا عودة منها ، الى دار الظلام ، وف أثناء غيابها تنقطع عاطفة الحب عن الشبوب في الصدور ، فينسى الانسان والحيوان على السواء تكثير جنسه ، ويهدد الفناء الحياة بأجمعها^(٢) .

ولا أظن كل هذه الأساطير الا تعليل لظواهر الطبيعة التي تنشأ الكون والحياة أثناء فصول السنة وحلولها في تعاقب مستمر ، اذ لابد لديهم من التعليل الأسطوري لتلك الظواهر التي تشير في نفوسهم تساؤلا وحيرة حول سر التغيير الذي يشمل الكون والأحياء على بسائطه .

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٢٢٨

(٢) جيمس فريزر ، أدونيس أو تموز ٢٠ - ٢٢

ويعزو بعض الباحثين عبادة الأشجار الخضر الوارفات الظلال الى مايراه
الجاهلي من خضرتها الدائمة ، على الرغم من الجفاف القاتل الذي ينشر الخراب من
حولها ، ومايراه من ضخامتها وقوتها ونفعها^(١) ، فيعتقد أن كائنات غير طبيعية
تسكنها وتمنحها من روحها القوة والملاحة .

وترى بعض الأمم البدائية أن الانسان الأول خرج من بطن الأشجار والأحجار ، كما
نجد في أساطير قبائل افريقيا واستراليا ومدغشقر وبورنيو وفي أساطير الساميين
أيضاً^(٢) . ولعبادة الأشجار بين السريان الوثنيين مكانة عظيمة ، كما أنها كانت عامة
في بلاد اليونان الذين تحدثت أساطيرهم عن تحول الآلهة الى أشجار ، أو عن نمو
الشجر في دماء الآلهة^(٣) .

عمرو بن لحي والأصنام :

لم أفرد للأصنام دراسة خاصة أولاً لارتباط عبادتها الأولى بشخصية عمرو بن لحي
الخزاعي - التي تذكر المصادر العربية أنه ان أو من أدخل عبادتها الى بلاد العرب -
ومعرفة الأسطورة المصاحبة لهذه الشخصية تفنينا في الموضوع ذاته ، وثانياً لتكرار
حكاية عبادة هذه القبيلة أو تلك لبعض الأصنام وتمثيلهم ايها في صورة انسان ،
ولايتعدى الأمر ذلك مما سنعرض له أثناء دراسة أسطورة عمرو بن لحي وادخاله الأصنام
الى بلاد العرب ، والتفصيل حولها .

وقد عرفت العرب الوثنية قبل وجود عمرو بن لحي ، إذ ذكر ابن الكلبي أخذ
العرب الحجارة المقدسة من الحرم في سفرهم وترحالهم تيمناً وتبركاً ، وقد تمر
السنون فترقى تلك الحجارة الى مرحلة التقديس والعبادة ، كما كان عند غيرهم من
الأمم . ولكن المصادر العربية تربط دخول الأصنام الى الجزيرة العربية بعمرو بن
لحي ، وتذكر في ذلك الأساطير المختلفة حول تعرفه على تلك الأصنام ثم احضارها معه
الى مكة . . وقبل التعرف على تلك الأساطير ، ينبغي التعرف على شخصية عمرو بن لحي ،
فمن هو ؟ ومتى عاش ؟

-
- (١) الجوزد ، من الأساطير العربية والخرافات ١٨
(٢) عبد المعيد خان ، الأساطير العربية والخرافات ٤٣
(٣) Religion of the Semites 186 - 191
(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ٦

هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو ، أي أنه حفيد قبيلة خزاعة التي هاجرت الى شمالي الجزيرة العربية ، فسكنت تهامة ، ثم نشب نزاع بين عمرو بن لحي وجرهم ، وأجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم (١).

أما تحديد الزمن الذي عاش فيه ، فيمكن التخمين لأن بعض الروايات تنص بأن كان في عهد لايبعد كثيرا عن عهد ابراهيم واسماعيل ، لأنه قاتل جرهما ونفاهم ، وجرهم هم الذين نزلوا على أم اسماعيل بمكة ، وقد ترعرع اسماعيل فيهم (٢) . ولكن الشهرستاني يورد بأن عمرو بن لحي كان في زمن سابور ذي الأكتاف ملك الفرس (٣) ، أي في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد ، ولعل هذا أقرب الى التصديق من الروايات الأخرى التي لا تثبت عند التعميم وتتعارض مع العديد من الشواهد التاريخية ، كما أن الناس تداولوا أخبار عمرو بن لحي ، وقد جاء ذكره في حديث للرسول (طعم) على أنه أول من غير ديانة ابراهيم عليه السلام (٤).

وتعددت الأساطير حول جلبه الأصنام لعبادتها في مكة ، فتقول الرواية الأولى أن عمرا مرض مرضا شديدا "ف قيل له ان بالبلقاء من الشام حمة ان أتيتها برأت ، فأتاها واستحم بها ، فبرأ . ووجد أهلها يعبدون الأصنام وسألهم عنها ، فقالوا : نستقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٥) . وتكرر المصادر العربية الرواية نفسها مع اختلاف طفيف في عدد الأصنام أو تسميتها ، أو البلاد التي أحضرها منها ، إذ ينص بعض المصادر أنه جاء بالصنم "هبل" من "هيت" من أرض الجزيرة العربية ، وهي بلدة تاريخية تقع على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار (٦).

ولاتهمنا تلك الاختلافات في أمر بقدر ما يهمننا اطلاع عمرو بن لحي على ذلك النوع من عبادة الأصنام وادخالها لأول مرة الى مكة ، كما تعرفنا تلك الرواية على وجود الوثنية في تلك البقاع في القرن الميلادي (الثالث) ، واستخدامهم للأصنام

-
- (١) ابن الكلبي ، الأصنام ٨
 - (٢) الأزرقي ، أخبار مكة ١ : ٢١
 - (٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ٢ : ٢٢٣
 - (٤) صحيح البخاري ٦ : ٦٩
 - (٥) ابن الكلبي ، الأصنام ٨
 - (٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ : ٩٩٧

لتحقيق المنافع الشخصية من استسقاء للمطر أو استنصار على العدو ، ففي تحقيق تلك المآرب تعليل لاقبال عمرو على ادخالها الى البلاد .

أما الأسطورة الثانية لعمرو بن لحي وادخاله الأصنام الى مكة ، فتتلخص في أن ود وسواع ويعقوب ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين ، ماتوا في شهر واحد ، فجزع عليهم أقاربهم جزعا شديدا ، فقال لهم رجل من بني قاهيل : يا قوم هل تعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ؟ غير أنني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ! فوافقوه على ذلك ونحت لهم خمسة أصنام على صورهم ، ونصبها لهم ، فكان الرجل من أقربائهم يأتي الى الصنم فيعظمه ، ويسعى حوله حتى انقضى القرن الأول .

ثم جاء القرن الثاني فاشتد معه تعظيمهم لهم ، وتلاه القرن الثالث فارتبط التعظيم برجاء الشفاعة عند الله ، فعبدوهم ، وعظم أمرهم ، واشتد كفرهم .

ثم بعث الله اليهم ادريس نبيا ، ودعاهم الى عبادة الله فكذبوه ، فرفعه الله اليه . ثم بعث الله اليهم نوحا ، فعصوه وكذبوه ، فأمره الله أن يصنع الفلك ففرغ منها وزكبتها ، فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها | وأهبط هذه الأصنام من جبل "نوذ" - وقيل هو الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند ، وهو أخصب جبل في الأرض^(١) - وأخذ الماء يشدد جريه وعبابه من أرض الى أرض حتى قذف الأصنام الى أرض "جدة" ، ثم نضب الماء وبقيت على الشط ، فسفت عليها الريح حتى وارتها |

وتجعل هذه الرواية الأسطورية "عمرو بن لحي الخزاعي" كاهنا يستعين بالقوى الخفية ، إذ أن له رثي من الجن يطلعه على بعض خفايا الأمور فيأتيه هذا الرثي قائلا : "عجل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة" ، ويستفسر عمرو فيقول له الرثي : أيت ضف "جدة" تجد فيها أصناما معدة ، فأوردها تهامة ولاتهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب |

فأتى ضفة جدة فأخرجها ثم حملها الى تهامة ، وأحضرها معه الى الحج ، وهناك دعا العرب الى عبادتها قاطبة .

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ : ٩١٣

وأجابته القبائل كلها ، فأخذ يوزع عليها تلك الأصنام ، وزع الى كلب "ودا" حيث أقر بدومة الجندل ، والى هذيل "سواعا" ، والى مذحج وأهل جرش "يغوث" ، وكان بأكمة في اليمن يقال لها مذحج ، والى همدان "بعوق" ، فكان بقرية لهم يقال لها "خيوان" على ليلتين مما يلي مكة ، والى حمير "نسرا" ، فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع ، ولم تنزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي فأمر بهدمها (١).

ويمكننا استخلاص أمور عدة من هذه الأسطورة البديعة ، إذ علل الرواة تعليلا جميلا سبب نحت القوم لتلك الأصنام ، فليس أشجى الى النفس من فقدان عزيز لها ، عندما يقهرها الموت بأخذه ، وتجده بين لحظة وأخرى وكأنه لم يكن ، فيشتد بها الحزن ، وتتلمس الأسباب والوسيلة لرويته ، للاتصال به ان وجد الى ذلك سبيل . . ولكن لاسبيل الى ذلك ، وتروعها الحقيقة التي لامناس من مواجهتها ، فيشتد الأسى بهذه النفس الانسانية الضعيفة ، ويسلمها اليأس الى قبول ما يذكرها بمن فقدت بالأمس ويجد الاقتراح صدها لدى القوم عندما يقترح عليهم ذلك من نحت لهم الأصنام الأولى ، وتكسب تلك الأصنام قداسة لعلها درجة أشد تحول اليها الحب والتعظيم الكبيران ، وربما كانت فيها إشارة الى تقديس الموت لدى القدماء ، وبمرور الزمن تنزل الأسباب التي وجدت من أجلها تلك الأصنام ، وتبقى الرموز المقدسة تقام لها الطقوس والشعائر المختلفة حتى يتحول الرمز في مرحلة لاحقة الى آله معبود .

ويخلق الخيال بعيدا في هذه الأسطورة ، إذ يرسل الله أكثر من نبي على عبدة هذه الأصنام ، فلا يهتدى أولئك القوم الى سبيل الرشاد ، ويظلون على عبادتها والاستمرار في غيهم ، حتى يأتي الطوفان بعد ظهور نوح فيهم ، فينقل تلك الأصنام عبر المسافات البعيدة ليستقر بها على شاطئ جدة ، وتدفن في التراب ، لتظل غير مرئية آلاف من السنين ، لا يعلم بها أحد ، حتى يأتي ذلك الرثي من الجن ، التابع لعمرو بن لحي ، إذ تشق أمامه الحجب فيراها ويستحث عمرو للذهاب اليها ، واحضارها متكهنًا بقبول القوم واستحسانهم لها ، وتسند الخارقة لهذا الرثي ومعرفته بتلك الأصنام .

ونستشف أمرا آخر من هذه الأسطورة لايبعد بها عن النفس اليميني ، فينظر الى القبائل التي أخذ عمرو بن لحي في توزيع تلك الأصنام عليها ، وكلها يمانية - عدا هذيل - شغلت جهات مختلفة في أرجاء الجزيرة العربية ، بل الشخصية الرئيسية في الأسطورة تنتمي الى قبيلة خزاعة اليمينية ، فلا يستبعد أن يكون راويها يمانيا وضع

الهدور الأولى للأسطورة ، وأتى الرواة من بعده يبنون عليها ويضيفون إليها أمرا هنا أو هناك ، إنما تظل الشذعة الأسطورية الى التعليل والاغراب بارزة فيها وهذه سمات معروفة لدى الراوي اليمني ، كما سنفصل ذلك في الخصائص الخاصة .

ويجدر بنا الوقوف أمام أضنام نوح التي تدعي الأسطورة عشور عمر بن لحي عليها واحضارها الى قبائل الجزيرة العربية ، وقد ورد ذكر تلك الأضنام في الآية الكريمة "وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايفوث ويعوق ونسرا" (١) :

وكان الضم "ود" معبود قبيلة كلب بدومة الجندل ، وصفه ابن الكلبي بأنه كان على شكل رجل عظيم ، وورد ذكره في قول النابغة الذبياني :

(٢)
حياك ود ! فانا لايجل لنا لهو النساء ، وان الدين قد عزما

كما وجدت في النصوص المعينية والسبئية والشعودية كتابات دينية من مثل "أموت على دين ود" و "يا الهي ود ، احفظ لي ديني وأيده" (٣) . وليس ذلك بالمستبعد اذ كان "ود" أحد أسماء آلهة القمر .

أما سواع فقد عبده همدان ثم صار لهذيل ، وقد قال رجل من العرب :
تراهم حول قيلهم عكرفا كما عكفت هذيل على سواع
يظل جناحه برهاط صرعى عتاش من ذخاشر كل راع (٤)

ودفع عمرو بن لحي بالضم "يقوث" الى أنعم بن عمر المرادي ، فعبده مذبح ومن والاهما من أهل جرش ، وقد بقي لدى أنعم الى أن قاتلتهم عليه بنو غطفان من مراد فهربوا به الى نجران ، وأقروه عند جماعة من بني الحارث بن كعب . (٥)

-
- (١) سورة نوح ، الآية ٢٢
 - (٢) ابن الكلبي ، الأضنام ١٠
 - (٣) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٠٠
 - (٤) الزبيدي ، تاج العروس (مادة ساع) - عتاش: جمع عشيرة وهي الذبيحة المنذورة من الغنم .
 - (٥) ابن حبيب ، المعبر ٣١٧

قال الشاعر في ذلك :

وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح (١)

وقد سمي عدد من الرجال بعبد يغوث ، منهم عبد يغوث الحارثي من مذحج ، وهو الشاعر المعروف ببيئته المشهورة .

ويلفت النظر جرجي زيدان الى وجود صنم في آكهة المصريين على صورة أسد أو لهوة يسمونها "تفنوت" ، ولا يخفى ما بين هذه اللفظة ولفظ يغوث من المشاكلة الصورية ، فربما يكون "يغوث" تحريفا لما كان معروفا لدى المصريين أيضا باسم "تفنوت" . (٢)

وروى ابن الكلبي أن خيوان اتخذت "يعوق" ، ورد ذكره في بيت ينسب الى مالك ابن نمط الهمداني حين قال :

يريش الله في الدنيا ويريش ولا يبري يعوق ولا يريش (٣)

أما آخر هذه الأصنام "نسر" فقد كان من نصيب حمير في موضع بلخع من أرض سبأ ولم تزل حمير تعبده حتى تهودت أيام ذي نواس ، وقد أورد ياقوت شعرا للأخطل يذكره فيه ، ولا وجود لهذه الأبيات في ديوانه ، حيث قال :

أما ودماء ماشرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما (٤)

وقد عرف "نسر" بصيغته الآرامية "نشرا" وعده التلمود وبعض الوثائق السريانية آلهة عربيا . (٥)

تلك هي الأصنام التي روى الاخباريون الأساطير حول التعرف الأول عليها وقرنوا ادخالها أو مرة الى الجزيرة العربية بعمر بن لحي .

ولتكتفي الروايات بجعل عمرو بن لحي سببا في ادخال الأصنام الى البلاد ، ولكنها تنص أيضا على أنه ابتدع بعض الشعائر الدينية ، فهو أول من بحر البحيرة

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ١٠

(٢) جرجي زيدان ، أنساب العرب ٤١

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٦٣

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ : ٢٨٤

(٥) Ency. of Religion and Eth. 1 : 664

وسبب السائبة ، ووصل الوصيعة ، وحصى الحامي (وكلها أنعام كانت تجعل ندورا للأوثان) ، كما قيل أنه أول من غير تلبية إبراهيم التوحيدية^(١) .

وتروى الروايات أن عمرو بن لحي قد لقي معارضة من القوم في مكة ، فذكرت بعض الأشعار التي تعبر عن ذلك ، إذ نسب إلى شحنة بن خلف الجهمي قوله^(٢) :

شئ بمكة حول البيت أنصبا	ياعمر بنك قد أحدثت آلهة
فقد جعلت له في الناس أربابا	وكان للبيت رب واحد أبدا
سيطفي دونكم للبيت حجابا	لتعرفن بأن الله في مهمل

ومن الواضح أن هذه الأبيات منحولة في نسبها إلى رجل من جرهم ، ولا بد أن تكون قد نظمت بعد ذلك بزمان طويل ، ولا يستبعد أن تكون من صنيع الرواة المتأخرين .

أساف وناثلة :

تقول الروايات " أن أسافا هو رجل يدعى أساف بن يعلى ، وإن ناثلة هي بنت زيد من جرهم أيضا"^(٣) . وقد كان أساف يتشقق ناثلة في بلاد اليمن ، وأقبلا حجاجا إلى البيت الحرام ، فدخلا الكعبة ، ووجدوا غفلة من الناس ، وطلوة في البيت ، ففجر بها فمسخا حجريين ، ثم أخرجوا ليتعظ الناس بهما ، ولما تقادم الزمن عبدا . وقد كان أحدهما يلمق الكعبة والآخر في موضع زمزم ، ثم نقلت قريش الذي يلمق الكعبة إلى جوار الآخر ، وكانوا ينحرون عندهما^(٤) . كما روي أنهم كانوا يكسونهما كلما بليت الشياطين عليهما^(٥) .

وقيل عندما اندرس الأمر ، وتقادم الزمان نسي الناس حديثهما وما كان من سبب مسخهما حجريين ، فأصبح يتمسح بهما كل من وقف على الصفا والمروة ، ولم يلبثا

-
- (١) الأزرقى ، أخبار مكة ١ : ١٢٦
 - (٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٣٠
 - (٣) ابن الكلبي ، الأضواء ٩
 - (٤) المصدر السابق ٢٩
 - (٥) الأزرقى ، أخبار مكة ١ : ١٧٨

أن أصبحا وثنين يعبدان .^(١) وتقول رواية ان الصفا والمعروة كانا اسم رجل وامرأة
أثما في الكعبة ، فمسخهما الله تعالى حجرتين ، فوضعوا كل واحد منهما على الحجر
المسمى باسمه لاعتبار الناس .^(٢)

ويبدو أن قصتهما كانت تتناقل بين عرب الجاهلية وحتى الاسلام ، وقد نقل عن
عائشة قولها "مازلنا نسمع أن أسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أحدثا في
الكعبة ، فمسخهما الله حجرتين .^(٣)

كما ورد ذكرهما في شعر ينسب الى أبي طالب حين تحالفت قريش على بني هاشم
في أمر محمد (طعم) :

أحضرت عند البيت رهطي ومعشري وأمسكت في أثوابه بالوصائل
وحيث ينسج الأشعرون ركبهم بمفضي السيول من اساف ونائل^(٤)

وذكر الشاعر بشر بن أبي خازم اسافا في قوله :

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف^(٥)

وربما برز تساؤل أو تعجب حول قصتي المسخ وعبادة هذين الصنمين اللذين
كانا على هيئة رجل وامرأة ، فاتخذها بعض الباحثين دليلا على ميل العزى قديما الى
تقديس الانسان .^(٦)

ونستبعد مثل هذا الارتباط المباشر لأن الروايات القديمة نفسها قد انتهت
الى ما يمكن أن تشير الرواية الأسطورية من تعجب ، فقبل أن اخراجهما الى الناس
كان للعظة والعبرة ، ومع تقدم الزمن أقبل الناس على عبادتهما ، بعد أن درست
حكاية مسخهما .

-
- (١) الأزرقى ، أخبار مكة ١ : ٨٨
 - (٢) المصدر السابق ١ : ٧٣
 - (٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٨٣
 - (٤) ابن الكلبي ، الأصنام ٢٩ / السيرة النبوية ١ : ٢٧٢
 - (٥) ابن الكلبي ، الأصنام ٢٩ ، وانظر ملحق ديوان بشر بن أبي خازم ١٣٤
 - (٦) جرجس داود ، أديان العرب قبل الاسلام ٣٤٦

وفي الأسطورة تحليل خيالي لطيف ربما أشاره وجود تمثالين على شكل امرأة ورجل ، فربطوا بينهما بعلاقة غرامية ، وجعلوا البيت الحرام مسرحا لاتمامها ، لتتضح في الأسطورة الغاية الخلقية منها ، فيردع الحجاج في الكعبة عن ارتكاب الفاحشة أو التفكير فيها ، لاسيما أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة أو شبه عراة .^(١)

وقد رأى بعض الدارسين في اساف وناثلة صورة للزوجين الالهيين السوريين : بعل وبعلة . وتوسم فيهما بعض المستشرقين صورة أدونيس وافروديت ، لبعض المظاهر والصفات التي عرفنا بها في الأساطي التي تروي قصصهما ، ولكن المصادر العربية تقف عند حادث ارتكابهما الفاحشة ، وتحولهما الى تمثالين ، ولاتعرفنا عن حياتهما العاطفية شيئا ، كما أنها لاتصور شيئا من صراع حدث بينهما وبين القوى الطبيعية من حولهما . ولعل ما أوقف الرواة هو نزعة الموعظة التي تتجلى في الأسطورة ، فكأن الرواة لم يحفلوا بشيء عن الشخصيتين الأسطورتين ، ولم يظفر باهتمامهم شيء من ماضي خلفاه وراءهما . فقد انحصر جل اهتمامهم في حادث المسخ الى حجرين ، ووضع ذينك الحجرين أمامهم ، ثم تحول العثال الذي وجد للموعظة الى نوع من القداسة صاحبها طقوس معينة لعبادتهما .

وشبهه بتلك الأسطورة ماروي الرواة حول رجل من قريش أعجبهته امرأة تطوف عارية بالبيت ، فأراد أن يلمسها ، فلما فعل ذلك لصق بها ، ولم يستطيعا أن يفترقا الا بعد أن دعوا الله مخلصين ألا يعودا الى مثلها .^(٢)

ويتجلى الهدف الخلقى وراء رواج مثل هذه القصص والحكايات التي فتن بها الشعراء ، وأقبل عليها الرواة يتداولونها في شغف ، وأقبل الاخباريون على نشرها ورواجها .

ويمكننا الحاق قصص المسخ المختلفة بما ورد سلفا عن اساف وناثلة .

أساطير المسخ :

لقد وجد في عقائد العرب القدماء شغفهم بحكاية مسخ الانسان حجرا أو شجرا أو حيوانا ، وكما قالوا ذلك في اساف ، فهم يروون أيضا حكايات كثيرة مسخ فيها الانسان الى جماد أو حيوان أو نبات لسبب أو لآخر .

(١) الأزرقى ، أخبار مكة ١ : ١١٤

(٢) المصدر السابق ١ : ١١٥

ورويت أسطورة حول جبلي طيء ، فقيل سار طيء بأبيه وولده حتى نزل الجبلين
فراهما أرضا لها شأن ، ورأى فيها شيخا عظيما جسيما ، مديد القامة ، على خلق
العاديين ، ومعه امرأة على خلقه ، يقال لها سلمى ، وقد اقتسما الجبلين بينهما .
فأجا رجل من العماليق يدعى أجا بن عبدالحى ، عشق امرأة من قومه ، فسألها طيء
عن أمرها ، فقال الشيخ : نحن من بقايا صحاره غنينا بهذين الجبلين عصرا بعد عصر
أفئتنا كر الليل والنهار . فسأله طيء أن يأذن له بمشاركته في المكان ليكون له
مواثنا وخلا . فقال الشيخ (الجبل) : ان لي في هذا رأيا فأقم... (١)

ويتضح من الأسطورة ايمان طيء بأن الشيخ هو الجبل ، ولذلك جبل الشاعر
الجاهلي على تصوير الجبل في صورة شيخ أسطوري على خلق العاديين وهيبة مظهرهم حين
شبه الجبل بكبير أناس في قوله :

كأن شبيرا في أفانين ودقه كبير أناس في نجاد مزمل

وكان للغويين تصور آخر في الأسطورة السابقة ، إذ رأوا أن "أجا" الرجل
بمعنى "فر" (٢) ، فابتكروا أسطورة جديدة منطلقين من التفسير اللغوي الجديد للفظ
"أجا" ، مكونين أسطورة جديدة من أجزاء قديمة حول ثلاثة أجبل ، وهي أجا وسلمي
والعوجاء . فقالوا: ان أجا اسم رجل أحب سلمى ، وجمعتهما العوجاء ، وكانت لهما
حاضنة ، يجتمعان في منزلها حتى نزر بهما أخوة سلمى ، فهرب أجا بسلمى وذهبت معهما
العوجاء ، فتبعهم زوج سلمى ، فأدركهم وقتلهم . وقيل طلب كل واحد منهم على أحد
الأجبل الذي سمي باسمه فيما بعد (٣) . فكأنه توحد بالأجبل أو مسخ في هيئته التي سمت
باسمه . ويلاحظ أن القتل أو المسخ قد كان جزءا لعلاقة آثمة ربطت بين سلمى
المتزوجة وحبيبها المدعو "أجا" ، كما شاركت الحاضنة "العوجاء" في نمو هذه
العلاقة الآثمة ، فلم يكن هناك مفر من أن تلقى جزءاها بالقتل أو المسخ على يد
الزوج المخدوع الذى انتقم لشرفه ، فنكل بالشخصيات الثلاثة في نهاية مروعة ساوت
بين كل منها والجبل الذى تسمى باسمها .

-
- (١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ١٢٧
 - (٢) ابن منظور ، لسان العرب . مادة " أجا "
 - (٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ١٤٣ وابن كثير ، البداية والنهاية ٢ : ٩١

ويلاحظ الجانب الأخلاقي في هذه الأسطورة التي ترى في علاقة المرأة المتزوجة "سلمى" بحبيبها "أجا" علاقة آثمة لابد أن تلقى جزاءها ، وتنتهي نهاية وخيمة ، فتنتصر فيها القيم الاخلاقية على كل شعور آثم ، أو حتى ماكان له صلة بذلك ، كما لاحظنا في تلقي الحاضنة المصير الذي تلقاه العاشقان لاشتراكها في هذه العلاقة الآثمة بتشجيعها واطاحة الفرصة لنوها بينهما .

وأولع الرواة بأخبار الجبال ورأوا في سموخها وعلياتها شخصيات أسطورية باثدة ، حاولوا أن يقرنوا بينها وبين تلك الجبال من حولهم . ف قيل في جبل "أبي قبيس" أنه أضيف إلى رجل من مذبح كان يتعبد فيه ، اسمه أو قبيس ، ومعنى "أبو قبيس" : "شيخ الجهل"^(١) ، ولم يتوقف الرواة عند هذا الحد حول هذا الجبل ، بل نسجوا أسطورة لطيفة رويت على لسان الحارث بن مضا بن عبد المسيح .

وخلاصتها أن هذا الجبل سمي باسم أبي قبيس بن سامخ ، وهو رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضا وبين ابنة عمه "مبة" ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليقتلن أبا قبيس عند رؤيته له ، فهرب أبو قبيس منه في الجبل الذي تسمى به ، وانقطع خبره . وكان انقطاع خبره وتسمية الجبل باسمه قد عنى لدى الرواة توحيده بهذا الجبل الذي أصبح يمثل أسطورة أبي قبيس ، ويخفى بين جوانحه سر اختفائه بعد أن دس بالنميمة بين عمرو بن مضا وابنة عمه "مبة" .

ويعتقد بعض القبائل أن قبيلة بني صخر من أولاد جبل رملي يقع قريبا من مدائن صالح .^(٢)

لقد رأى الرواة في الجبال الشامخات صدورا عريضة تضم بين جوانبها أخبارا وحوادث تتعلق بكائنات أسطورية ، طواها الزمان فلا يعرف عنها اليوم شيء ، ولدى الرواة استعداد دائم لخلق هذه الأساطير العجيبة التي تستخرج تلك الشخصيات من ضباب القدم ، وتصوغها في قالب أسطوري جميل ، يجد صداه لدى السامعين الذين يفتنون بالاستماع إلى الأساطير وتداول روايتها .

(١) العقريزي ، الطرفة الغرمية في أخبار وادي حضرموت العجيبة ١٨

(٢) وهب بن منبه ، التيجان ١٨٠ - ١٩٧

(٣) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٩

ولعل الانسان - في مرحلة من مراحل تفكيره في الحياة والموت والوجود - حار في تفسير النهاية التي يؤول اليها البشر ، وسمع قصصا حول بطولات وشخصيات ملأت الأسماع يوما بما حققته ، ولكنه بعد ذلك يتلفت حوله فلا يرى لذلك كله وجود ملموس ويرى الجبال من حوله شامخة لاتمسها يد الحدثان ، ولاتنقص منها شيئا ، فهاله هذا الشموخ وهذه العظمة ، وراعه هذا السكوت المطبق من حولها ، وظل السكون يتردد في نفس الراوي أصداء لما تناهى الى سمعه من روايات وأخبار أسطورية ، ولما عرفه من حكايات حول الانسان في العصور القديمة ، فروايات الأسلاف وأخبارهم لديه سلسلة يرويهما السابق للاحق ، وتبقى تلك الروايات والأخبار مجردة لايجد من سبيل الى الدلالة عليها ، أو الاستشهاد بأمر ملموس في أي منها ، وكأنني به يستصرخ الطبيعة من حوله لتمده باجابة عن بعض تساؤلاته التي لايجد لها تعليلا أو تأويلا . فأقبل على الكائنات الطبيعية ، أقبل على تلك الجبال يستشف منها اجابة لاستفساره ويتخذها أساسا لرواياته ، فيجعلها دليلا ملموسا على من درست الأيام ذكراه من أبناء البشر . فربط بين تلك الجبال وحكايات الأقوام السالفة في قصص أسطورية لاتخلو من المغزى الديني والمغزى الخلفي . وقد قوى هذا الارتباط معرفة العرب القديمة لقضية المسخ وإيمانهم بها .

وكانوا يخاطبون الجبل كما يخاطب الرجل أخاه ، فنسب الى المشركين اذا أرادوا الافاضة قولهم " اشرق يا شهبير كيما نضير" وكانت الشمس تشرق من ناحية جبل شبير . (١)

وللرواة أساطير عجيبة في مسخ الانسان الى حيوان ، ويظهر تواتر الاعتقاد بالمسخ ما قيل عن امتناع العزى عن أكل الضب لأنه كان يظنه شخصا اسرائيليا ثم مسخ (٢) . كما روى الدميري عن مسلم عن ابي سعيد وجابر حديثهما عن امتناع الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أكل الضب قائلا: " لا أدري لعله من القرون التي مسخت" ويعقب الدميري أن ذلك كان قبل أن يوحى اليه (صلى الله عليه وسلم) .

ولا يقتصر اعتقادهم على المسخ بل نسبوا الى قوم القدرة العجيبة في الرجوع ثانية الى هيئة الانسان ، كما ورد في قول المقرئ " أن بوادي حزموت .. بالقرب منه على مسيرة يومين الى نجد - قوم يقال لهم " الصيعر" يسكنون القفر في أودية ،

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان :

(٢) الأزرقى ، أخبار مكة ٦٩

وفرقه منهم تنقلب ذئابا ضارية أيام القحط ، واذا أراد أن يخرج أحدهم من مسلاخ الذئب الى هيئة الانسان وصورته تمرخ بالأرض واذا به يرجع بشرا سويا . (١)

واذا تأملنا المسخ في هذه الأسطورة نجد اختياريها ، بل هو قدرة عجيبة على الخروج من جنس الانسان الى عالم الحيوان ، ونلاحظ ارتباط هذه القدرة على التحول الى ذئاب بأيام القحط ، عندما تقل الغلات فلا تكفي القوم ولا تقوم بسد حاجتهم الغذائية فكأنهم يحتاجون في تلك الحقبة القاسية في حياتهم الى استخدام ضراوة الذئاب في الحصول على ما يسد أودهم ويحفظ رمقهم . ونسبوا الى الانسان القدرة في التخلص من مسلاخ الذئب الى هيئة الانسان ، فحالة الكينونة ذئابا أمر اقتضته ظروفهم المعاشية للخروج من حالة القحط ، اذ يستطيع الذئب ما لا يستطيعه الانسان من انقراض على فريسته والبحث عنها في الحيوان من حوله ، بينما يبقى الانسان مكتوف الايدي أمام ما يهدد حياته أيام القحط والمحل . فوجدت الأسطورة مخرجا لحل أزمتهم المعاشية تلك بالقدرة على التحول الى ذئاب .

ومن أساطير المسخ أن في وادي حضرموت قبائل منها البراوجة ، والجلابية والنباشنة وآل ابي مالك وآل مسلم وآل ابن الربيع وآل ابي الحشر . وجميع هذه القبائل لها أحوال عجيبة ، منها أن الرجل منهم يمر في الهواء ليلا من حضرموت وقد انقلب في هيئة طائر كالرخصة والحدأة حتى يبلغ أرض الهند . (٢)

فتنسب الأسطورة الى عدد من القبائل تلك القدرة العجيبة على التحول الى طائر . يطير بالفرد منهم حتى يصل به أرض الهند ، وربما كانت هذه الأسطورة معهدا للرواة الذين يدعون القدرة على الطيران ، والوصول الى أرض الهند العجيبة . فتأتي مرحلة تالية يتلون فيها ماشاهدوه من المناظر العجيبة والحوادث الغريبة أثناء تجوالهم ليلا وقدرتهم على الرحيل في شكل طائر من حضرموت الى الهند .

ويلفت نظرنا في الياذة هوميروس الحديث عن هيلين ثمرة الحب المسافر ، ابنة زيوس زهر النساء ، من ليذا الفاتنة التي حولها حبيبها كبير الآلهة السيد أرباب الألب ، الى بجة بيضاء تنهاوى في مرايا المستنقعات والغدران ليسهل عليه لقاءها دون رقيب . (٣)

(١) المقرئزي ، الطرفة الغربية ، أخبار وادي حضرموت العجيبة ١٩

(٢) المصدر السابق ٢٠

(٣) هوميروس ، الياذة - ترجمة دريني خشبة ٢٨

فالأطورة اليونانية أيضا نسبت القوى الخارقة الى أبطالها من الآلهة ،
والقدرة على مسخهم حيوانات أحيانا بحسب ماتقتضيه الضرورة .
كما قيل ان بخت نصر مسخ أسدا ، فكان ملك السباع ، وذلك ايغالا في تصوير
القوة والسطوة . (١)

ومثل ذلك ماحدث في الأساطير الاغريقية لباخوس اله الخمر ، الذي أجر سفينة
من قرصان "تيريينا" لتنقله من مكان الى آخر ، ولكنهم بدل أن يحملوه الى غايته
اتجهوا به الى آسيا لبييعوه رقيقا ، فصار باخوس أسدا ، وحول الشراع والمجاديف
شعابين ، وأثبت اللبلاّب حول السفينة ، وانطلقت الأصوات من كل جانب ، وجن الملاحون
جميعا ، ووثبوا الى البحر ، وفيه مسخوا دلافين ، فتبين الأسطورة عقيدة الناس فيما
تستطيع الآلهة أن تفعله اذا أراد أحد بها سوءا . (٢)

وقد ارتبط في التراث العربي العصيان الديني أو الخلقى بالمسخ قردة ،
فربطوا قديما بين القدر الذي وحدوه بقدرة الله الخالق ، وقالوا: "انه في آخر
الزمان ، تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قردا ، لأنه لا يوء من بالقدر" . كما رددوا
الكثير من الحكايات عن اناس خلطوا اللبن بالماء فمسخوا قردة . (٣)

ولهذه الأسطورة ظل يعيش حتى اليوم في اليمن ، حيث يسود في أوساط الشعب
اعتقاد بمسخ الانسان قردا اذا عاث فسادا في الطعام ، أو اذا دأب على الغش
والخداع في توزيع طعام أو غداء .

وكثرت رواية الأساطير المتعلقة بمسخ الانسان حيوانا وأحجارا ، واختلف
الناس في مسألة المسخ ، فمنهم من زعم أن المسخ لا يتناسل ولا يبقى ، ومنهم من زعم
أنه يبقى ويتناسل حتى جعل الضب والأرانب والكلاب من أولاد تلك الأم التي مسخت في
هذه الصور . (٤)

(١) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٩

(٢) الطاهر مكي ، القصة القصيرة ١٠

(٣) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ١٨٠ - ١٨٣

(٤) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٢٣

ومن الطريف ارتباط اليمن بالقردة والنسانيس ، بل حدد المسعودي بلاد النسناس ، ونص على أنها في بلاد حضرموت من أرض الشحر ، وروى حكاية اصطاد فيها أحدهم نسناسا ، ونسب إليه حديثا ، بل أبيات شعر . (١)

كما رووا عن الاطخري رواية تنبئ عن كثرة القرود والنسانيس باليمن ، ونسج الحكايات حولها (٢) . وربما هذا ما دعا عبد المعيد خان الى الربط بين تصورهم لشكل شق وسطيح وبين القرده وبقيّة أفكارهم عن المعلّاة . (٣)

ولاشك أن هذه الحكايات والأساطير حول القرده تعبر عن بقايا الاعتقاد بالمسخ الى حيوان ، وربما قوى هذا الشعور لديهم قدرة القرد العجيبة على الحركة كالانسان فاطلق الرواة لخيالهم العنان في تكوين أمة من القرود ، لها همومها وقصصها الكثيرة ورواياتها التي تعبر بها شعرا أحيانا ، كما نقل المسعودي .

أما وهب فقد شطح به الخيال بعيدا في تصوره ، ففي حديثه عن رحلة أحد الفراعنة الى بلاد الجنوب ، فرأى بها أقواما خلقتهم كخلقة القرود ، ولهم أجنحة يلتفون فيها . وكعادة وهب ، لا يقف به الخيال فيستمر في حديثه عن الفرعون بأن غزا أقواما عند البحر العظم فرأى واديا مظلما ، فكانوا يسمعون فيه صياحا عظيما ، ولا يرون فيه أشخاصا لشدة ظلمته ، ورأى هناك سباعا سودا غريبة الخلقة ، وهي مخزومة الأنوف . وسار حتى انتهى الى البحر الأسود فرأى هناك عقارب طائرة ، أهلكت عسكره ، ثم وصل مدينة بها حية عظيمة الخلقة طولها ميل ، وكانت تبتلع النيل العظيم ، فرجع ذلك الفرعون الى مصر . (٤)

فلم يقف الخيال بوهب عند تصور القوم من القرده ، ولكنه أضاف اليهم القدرة على الطيران ، فجعلها قرده ذات أجنحة ، كما أوجد في بلاده حيوانات مختلفة غريبة الخلقة ، ذات أحجام وصفات أسطورية ، فالعقارب تطير أيضا والحية مفرطة في الطول والضخامة ، وما الى ذلك من مبالغات خرافية . وقد حشد وهب حيواناته

-
- (١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٠٨
(٢) الديميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ٤٨١
(٣) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٢
(٤) ابن ابياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ١ : ١٥

الأسطورية للدفاع عن وطنه ضد فرعون الذي جاء بعسكره غازيا لبلاده ، فأوجد في تلك البلاد حشدا من حيواناته العجيبة التي أخافت الفرعون وعسكره ، فانقلب عائدا الى مصر ، فيمكننا أن نلمس في مثل هذه الأسطورة المنطلق الوطني الذي انطلق منه وهب في تكوينها حبا لبلاده ، ودفاعا عنها ضد أي غاز دخيل .

وفي حديث عبيد لمعاوية أخذ يسرد له أخبار أبرهة ذي المنار ، ومعاوية يسأله عما قيل في هذا الملك من شعر ، فنسب عبيد هذه الأبيات الى رجل من حمير تربطه القرابة بذي المنار ، ويدعى المحموم بن مالك بن يزيد ، ويرد فيها ذكر لارض التنسار العجيبة ، حين قال مادحا :

ولقد بلغت من البلاد مبالغنا	ياذا المنار فما يرام لحاقتنا
قدت الجنوب فأمعنت في برهنا	وحملت منها في السفين كذلكنا
حتى وطى الجمعان حيث تبسوات	أولاد حام ثم جئت بلادكنا
أوغلت عبدا فاستقر به النوى	حيث العجيب بغير خلق جالكنا
فاتاك بالتنسار خلق وجوههم	في الصدور منهم قابض لقناتكنا ^(١)

ويستمر الشاعر في مدح الملك ، وينتهي بمدح حمير التي علت بعلو كعبه . والتنسار في هذه الأبيات أرض أو بلاد يقطنها قوم ذات صفات أسطورية عجيبة ، نرى وجوههم قد خلقت في صدورهم ، ودانوا جميعا للملك الفاتح .

انها عوالم غريبة خلق فيها الراوي اليميني بعيدا ، فجاءت أساطير جميلة ، تروي قصا من البطولات الخارقة ، وأوصافا لانماط عجيبة من البشر أو المسخ أو النتاج المشترك كما سنفصل ذلك في الفصل القادم .

النار في اليمن :

لقد ارتبط ذكر النار باليمن لما ورد في روايات الاخباريين حول دخول اليهودية الى اليمن ، اذ رووا أن التبع أسعد أبا كرب رجع الى اليمن ومعه حبران من اليهود ، كانا قد أخلصا له في النصيحة أثناء اقامته في الحجاز ، فأحضرهما معه الى اليمن . ولما وصل اليهما دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه ، أي أن يتبعوا الحبرين ويدينوا باليهودية ، فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن .

(١) عبيد بن شربة ، التيجان ، ٤٢١

ويصف ابن هشام تلك النار قائلا: "وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئا" .

فخرج أهل اليمن بأوثانهم وقرايبهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدين بها حتى قعدوا للنار عند مخرجها ، فخرجت النار اليهم واقبلت نحوهم حتى غشيتهم ، وأوكلت الأوثان وماقربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير . وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما ، فوافقت حمير على اعتناق اليهودية .

ويحكى الراوي نفسه رواية أخرى حول الموضوع نفسه . "أن الحبرين ومن خرج من حمير اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا: من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال حمير ليردوها ، فلم يقدروا ، ودنت منهم لتأكلهم ولم يستطيعوا ردها ، فدنا الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وهي تنكص الى مخرجها الذي خرجت منه ، فرجعت عند ذلك حمير الى دين الحبرين (١) .

ونستخلص من الروايتين التأثر باليهودية وثقافتها والانتصار لها ، وقد كان وهب بن منبه يهوديا ، مطلعاً على الثقافة اليهودية واسفارها ، ومثله كعب الأحبار أيضا ، فلعل رواة اليمن أرادوا اثبات القداسة والمعجزة لليهودية عند دخولها اليمن ، ما صاحب تدين القوم بها من أفعال خارقة أثبتت لأهل اليمن أنها الحق الذي يجب اتباعه ، ولا نستغرب مثل تلك الروايات ممن ذكرنا من الرواة وهم على ما كانوا عليه اما يهود اليمن أو متهوديها .

ولكن مايلفت الانتباه هو وجود هذه النار في اليمن ، ولاتدل الروايات على ابتداء الحبرين لوجودها ، فقد عرفها أهل اليمن من قبلهما ، وكأنهم قد اعتادوا التحاكم اليها ، فنجدهم يعتقدون أنها تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئا ، بدليل ابداء استعدادهم للتخلي عن معتقداتهم الوثنية القديمة اذا أثبتت لهم النار اصابة الحبرين ، مما يدلنا على قدسية تلك النار لديهم ، وانهم يعدونها الحكم الفيصل في أمورهم الدينية والدنيوية ، فمارس هذه النار ؟ ومتى عرفتها اليمن ؟ وهل وصل تقديس القوم لها الى درجة العبارة ، كما كان حال المجوس ؟

وفي الواقع قد عرف العرب النار ، وكان لها أثرها في حياتهم الاجتماعية ، ومن نيرانهم نار التحالف ، ونار القرى ، ونار المزدلفة ، ونار الاستسقاء ، ونار الزائر ، ونار العذر ، ونار السلامة ونار الحرب ونار الصيد ونار الأسد ونار السليم ، ونار الغداة ونار الوشم . ولقد كانوا يقولون للرجل: ما نارك ؟ وقد فصل الجاحظ في إيقادهم النار لتلك الحاجات جميعها ^(١) .

وهذه كلها يستعين بها القوم في حياتهم وفي طقوسهم الاجتماعية . ولاتسبب بتقدسهم لها . وان كان بعض الباحثين يرون أن العزبي كان يرى نارا في الأشجار الخضراء ، وفي بطون الأحجار والجبال ، فليس ببعيد أن يعتبر النار شيئا قدسيا لارتباطها لديه بالمنفعة والاستفادة منها في أموره المختلفة ^(٢) . مع العلم بعدم وجود ما ينص على عبادة العرب للنار ، وان ذكر النويري بعض الطقوس التي تدل على عبادتهم لها ، فهم يحفرون اخدودا مربعا في الأرض ، ولا يضرمون فيه النار ، ثم لا يدعون طعاما ولا شرابا ولا ثوبا ولا عطرًا ولا جوهرا الا طرحوه فيها تقربا اليها ، وحرموا القاء النفوس فيها ^(٣) . ويسمون الرجل القيم بأمر تلك النار "المهول" وقد ذكرته الشعراء ، فقال الكميت :

" كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هولوا " ^(٤)

وقال أوس بن حجر ، وذكر غير قائما فوق نشز :

إذا استقبلته الشمس صد بوجه كما صد عن نار المهول حالف ^(٥)

وإذا عدنا الى النار في اليمن نجد اسطورة تعلق منشأ تلك النار فيها ، ان قيل "لما قتل قاهيل أخاه هاهيل ، وهرب من أبيه آدم الى اليمن ، جاءه ابليس وقال له : انما قبل قربان هاهيل وأكلته النار لأنه يخدمها ويعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك ، فبنى بيت نار" ^(٦) .

-
- (١) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ١٧٢ - ١٧٥
 - (٢) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٩٨
 - (٣) النويري ، نهاية الأرب ١ : ١٠٥
 - (٤) الكميت بن زيد ، الديوان
 - (٥) الحوت ، الميثولوجيا عند العرب ١١٨ / أوس بن حجر ، الديوان
 - (٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٨٢

ولعل الرواة بذلك أرادوا اثبات صفة القدم للنار التي كانت موجودة في اليمن ، أي منذ عهد قاهيل ، كما نصوا أنها كانت بصنعاء^(١) . وقد ورد ذكر النار المقدسة في أكثر من نقش (C1H353 و C1H337) كما عد بتروفسكي ذلك مؤشرا على وجود هذه الديانة الوثنية^(٢) .

ومن الواضح في حكاية النار المقدسة بروز الأثر اليهودي ، فالتحاكم الى النار تقليد معروف عند اليهود ، وقد قام به ايليا النبي الذي كان غاضبا على ايزابيل ملكة اسراييل وزوجها اللذين قادا شعب اسراييل الى عبادة البعل . وقد طلب هذا النبي من الملك أن يجمع الشعب الى جبل الكرمل ، وأن يحضر أنبياء البعل . وتقدم محرقة يطلي عليها هو وأنبياء البعل ، ومن تستجاب صلاته وتأتي نار من الهه لتلتهم المحرقة فهو صاحب الحق ، والهه هو الاله المعبود^(٣) .

وقد استجاب الله صلوات " ايليا النبي " ، وأرسل نارا التهمت محرقة ليظهره على أنبياء البعل ، " الكذبة " .^(٤)

ونلاحظ الشبه الواضح بين هذه الحادثة وقصة الحبرين وتبع ، وما كان من احتكام أهل اليمن الى النار قبل استجابتهم لتبع وأتباع اليهودية .

ويرى الأب جرجس داود أن الأثر اليهودي الواضح وتأثر العرب بتعظيم النار وتقديسها ربما كان تشبها بالعبرانيين ، إذ "سمع موسى أول نداء الهه من العليقة التي رآها تشتعل ولا تحترق، يقول له : اخلع نعليك من رجلك فان الموضع الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة" .^(٥)

ومما يجدر ذكره أن النار قد قدست لدى الشعوب والأمم القديمة على نحو يتفاوت في درجة القدسية ، فقليل أنه كان في قانس وهي من أقدم المستعمرات السورية على ساحل اسبانيا الأطلسي ، معبد قديم لهرقل ، ذائع الصيت ، واسع الشراء ،

-
- (١) عبيد بن شربة ، التيجان ٤٩٣
 - (٢) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ١١٦
 - (٣) قاموس الكتاب المقدس ١٤٤ / سفر الملوك ١٧ : ٥
 - (٤) التوراة ، السفر الثالث صموئيل ١٨
 - (٥) جرجس داود ، أديان العرب قبل الاسلام ١٨٦ / وانظر سفر الخروج ١٠:٣ - ٦

فقالوا أن الاله مدنون هناك ، ولم يكن في هيكله تمثال أو صورة ، بل كانت هناك نار دائمة اللهب ، يلقي بالبخور فيها كهنة ^(١) .

وكان الناس في أرض الرافدين يعتقدون أن المرء يستطيع الانتقام من ظالميه وأعدائه بحرق صورهم أو تماثيلهم في النار ، وهو يخاطب اللهب بقوله :

أيها اللهب اللاطي ، يا ابن السماء المقاتل
يامن أنت أشد اخوتك بطشا
وتحكم في القضايا كالقمر والشمس
احكم في قضيتي ، وانطق بحكمك...^(٢)

ومن الجلي هنا أن المرء يلجأ الى النار لما يعرف من قدرتها على التدمير . ولكن للنار ارادتها ، وهي لن تحرق الصور - وبالتالي اعدائه - الا اذا شاءت هي . وحين تقرر النار أن تحرق أو لاتحرق الصور ، فانها تصح حكما بين الرجل وأعدائه ، وهكذا تتخذ قوة النار شكلا محددًا ، وتصح النار حاكما .

أما الادعاء القائل باحتمال وجود تأثير العجوسية على اليمن ، فأمر بعيد الاحتمال على الرغم من وجود الاحتكاك بالفرس ، ولكن لم تورد المصادر شيئا يجزم بذلك أو يصف شبيها لطقوس الفرس ، كما أن النقوش لم تثبت شيئا لدى أهل اليمن مما كان لدى الفرس حيث كان للنار بيوتها ومعابدها وسدنتها ^(٣) .

ولانستبعد وجود النار في اليمن نتيجة لظاهرة طبيعية ، فقد نص المؤرخون على أن مصدر النار قد يكون الغاز الطبيعي الذي يتسرب من الأرض لتشعله البروق . وقد عرفت النيران الطبيعية التي من هذا النوع في الجزيرة العربية منذ آلاف السنين ، ولعل كانت هناك وسائل معينة للاحتفاظ بها ^(٤) .

-
- (١) جيمس فريزر ، ادونيس أو تموز ١٠١
 - (٢) فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ١٥٦
 - (٣) انظر الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢٢٣
 - (٤) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٩٢

وقد أشار بتروفسكي الى أن لأسطورة النار المقدسة سندا واقعيًا ، وذلك لأن منطقة "أرجب" حيث معبد ريام ، غنية بمخلفات براكين قد خمد أوارها الآن . (١)

وفي هذه المعلومات مايقوى الاعتقاد بأن نار اليمن قد كانت ذات أصل بركاني كما هو معروف عن بعض مناطق في المين ، ولم يكن لوجودها ارتباط بعبادة القوم في اليمن ، وليست اسطورتها الا صدق لما كان يردده يهود اليمن ، محاولين بذلك اثبات المعجزات لليهودية .

رشام :

لقد ذكر الهمداني أن "رشام بيت ، كان متنسك تنسك عنده . ويحج اليه في رأس جبل "أتوه" من بلد همدان" ثم ذكر نسبة هذا البيت الى شخص يدعى رشام بن نهفان بن تبع بن زيد بن عمرو بن حمدان .

وفيه قال علقمة بن ذي جدن :
وذا رشام وبني فارس
وأجدع القيل آخا يسحما (٢)

وهذا يتفق مع رواية ابن اسحاق عن رشام بأنه "كان بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه اذ كانوا على شركهم... (٣)

وينص أحد الباحثين أن "تالب ريام" في النقوش اسم اله معروف ، ولاشك أن الهمداني قد ألتبس عليه الأمر - كما يحدث دوما - عندما جعله في الأصل اسما لشخص ينتهي نسبه الى همدان (٤) . ولكننا نجد بتروفسكي يسميه معبد ثعلبية في ريام (٥) ، مما يدل على أن ريام اسم بلدة أو أرض ، ويتفق هذا مع القول بأن "رشام مخلاف من مخاليف اليمن ، فنقل عن الأصمعي: هي مدينة من مدائن حمير ، تحل فيها أود ، واستشهد بقول الافوه الاودي :

انا بنو أود الذي بلواشه منعت رشام وقد غزاها الأجدع (٦)

-
- (١) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ١١٦
 - (٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٢٨
 - (٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٧
 - (٤) يوسف عبدالله ، مجلة "الحكمة" ، " العدد ٢٨ - ص ٤٧
 - (٥) بتروفسكي ، ملحمة عن أسعد الكامل ١١٥
 - (٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ١١٠

ويوجد اليوم مكان أثري بهذا الاسم في الجهة الجنوبية من مدينة رداع ،
وفيه آثار حميرية (١).

كما انتقد جواد علي خلط الهمداني وعدم تمكنه من ترجمة النصوص ترجمة
صحيحة عندما جعل (تالبا) ، وهو اسم اله من آلهة اليمن ومعبود قبيلة همدان - اسم
رجل من رجال الأسرة المالكة لهمدان ، وجعل (رباط) - وهو اسم مكان به معبد معروف
للالة (تالب) - ابنا من أبنا (نهنان) ، ومن أبنا (تالب) (٢).

ويصف الهمداني قصر رشام العظيم الذي كان الحجيج يفدون اليه ، وفيه قلعة
أمام بابها حائط فيه بلاطة نقش فيها صورة الشمس والهلال ، وكان اذا خرج الملك
رفع بصره اليها ، ثم خر بذقنه عليها (٣) . وكعادة الهمداني يسوق الشواهد الواقعية
لأشياء ما يرويه من أخبار اليمن وأساطيرها ، فجعل حال الملك في قصر رشام تفسيراً
لقوله تعالى "ويخرون للذئبان يبكون ويزيدهم خشوعاً" (٤) .

وقد روى ابن اسحاق حديث الحبرين لتبع عندما أرادوا القضاء على كل مظهر
ديني تمهيدا لنشر اليهودية ، فأخبراه أن في البيت المقدس رشام شيطان يملؤون له
حياضاً من دماء القربان . فيخرج فيصيب منها ويكلمهم . فوافقهما تبع على ضرورة
استخراجه والقضاء عليه ، فاستخرجا - فيما يزعم أهل اليمن - كلباً أسود ، فذبحاه
ثم هدموا ذلك البيت ، وظلت بقاياها بها آثار الدماء التي كانت تهدمت عليه مما
يقدم اليه من قرابين ، حتى زمن ابن اسحاق (٥) .

وقيل بل أخذ الخبران يتلوان التوراة عنده ، فتخاذل ذلك الشيطان ، وطار
حتى وقع في البحر (٦) .

ولاشك في وضوح البصمات اليهودية على هذه الأساطير التي عمل الرواة على
رواجها انتصاراً لليهودية ، ومحاولة لأشبات قدرتها على المعجزات ، وذلك بواسطة
نسبتهم الى الحبرين بعض خوارق الأفعال كما أسلفنا .

-
- (١) القاضي السباعي ، معالم الآثار اليمنية ٦٠
 - (٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١ : ١٠١
 - (٣) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٦٦
 - (٤) سورة الاسرى ، الآية ١٠٩
 - (٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٧
 - (٦) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٦٦

ويلفت الانتباه نقشهم لصورة الشمس والهِلال ، ولعل في ذلك ارتباط بعبادتهم الكواكب ، اذ ربما كان رثام معبدا لتأدية هذه الشعائر نحو الكواكب ، ولكن درج اليمانيون على تمجيد مآثر اسلافهم من القصور والمآثر العمرانية ، لأنهم يجدون في ترديد نكراها وفي تعظيمها ما يدل دلالة ملموسة على حضارتهم القديمة ، فكأنهم قد اتخذوا منها شاهدا ودليلا على ما كان عليه قدماءهم من تقدم وحضارة وفن معمار ، لذا أكثروا من التغني بعظمتها وفخامتها ، وحاولوا اكسابها هالة من القداسة ، وجهت أنظار الباحثين المحدثين الى امكانية تعدد الالهة لديهم ، وأن يكون ذلك المعبد لاله يعبد باسم رثام . وقد سبقهم القدماء الى هذا الاعتقاد ، فهذا اليعقوبي قد ذكر أن للازد صنما يقال له رثام ^(١) .

ومما يقوي هذا الرأي أن ينص باحث - جعل اعتماده الأول على النقوش - أن هذا المعبد في ريام لم يكن معروفا كثيرا خلافا للمعبد المأربي (المخا) الذي كان مرتبطا بوثنية اليمن ^(٢) . فلماذا فتن الرواة بمعبد ريام ونسجوا حوله الأساطير ، وحاولوا لفت الانظار اليه ، لاشك أنه الترويج للمعجزات المقترنة بالديانة اليهودية ، ثم هذا الولوع العجيب بذكر القصور والمعابد و اظهار عظمتها ومحاولة نسج الأساطير من حولها .

أسطورة التنين :

وكما ارتبط دخول اليهودية الى اليمن بالأساطير والحكايات ، فقد صاحبت النصرانية أيضا بعض الأساطير والقصص الخيالية التي حاول فيها الرواة اثبات ما للنصرانية من معجزات ، كما لمسنا منهم ذلك في الحكايات المرتبطة بدخول اليهودية ونشرها .

فنسجوا الأساطير حول ابتداء دخول النصرانية الى اليمن ونشرها ، وردد الرواة وأهل الأخبار أن عبدالله بن الشامر كان رأسا للنصارى في نجران وسعى الى نشر النصرانية في القوم . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ولكنهم أيضا رددوا أن ابن الشامر كان يشفي العليل الحقيم ^(٣) ، وهي من صفات المسيح عيسى بن مريم .

-
- (١) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٥
 - (٢) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل ١١٦
 - (٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٢ : ١١٩
 - (٤) تاريخ اليعقوبي ١ : ١٦١

ويرجع أهل الأخبار والرواة تلك القدرة وذلك الاطلاع على تعاليم النصرانية لدى ابن الشامر الى شخص اسمه "فيميون" كان يبشر بالنصرانية ويدعو اليها . فروى ابن اسحاق أن عبدالله بن الشامر تتلمذ على يد "فيميون" في نجران ولازمه ، وكان يشفي كل سقيم ، ثم ينصحه باتباع دينه النصرانية ، فأقبل أهل نجران ممن به ضرر للاستشفاء لديه ، واتبعوه . ورفع شأنه الى ملك نجران ، فاتهمه بافساد أهل نجران عليه ، ومخالفتهم دين قومهم ، وهدده ، "ثم أخذ يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه ، فيقع الى الأرض ليس به بأس" (١) فتبعه ذلك الملك ، وكان انتشار النصرانية .

وفتن الرواة اليمينيون بفيميون هذا ونسجوا حوله الأساطير ، وأضفوا عليه صفات خاصة يعلو بها على مستوى قدرة البشر ، فوصفه وهب بن منبه - رواية ابن اسحاق - بأنه كان زاهدا عرف بالصلاح والاجتهاد ، وكان بناء يعمل الطين ، وجد أهل نجران يعبدون النخلة ، فأخذ ينصحهم ببطلان ما يعبدون ، وسأله القوم أن يدعو ربه بهلاكها ليشبعوه ، فدعا الله عليها ، فأرسل ريحا اجتثتها من أصلها ، فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران ، ودخلوا النصرانية . (٢)

أما اغناطيوس فقد جعله تاجرا وشنبا من نجران اسمه حيان ، عاش في أوائل القرن الخامس ، فسافر ذات مرة الى القسطنطينية في تجارة وعاد الى بلاده ، ومر بالحيرة ، فتنصر ، ولما عاد الى نجران أوقف قومه على بطلان الشرك ، وهداهم الى النصرانية . (٣)

ويلاحظ في هذه الأساطير تأثيرها بروايات النصراني ، وذلك من مثل شفاء عبدالله بن الشامر للسقيم ، ونجاته من الفرق ، وهاتان صفتان من صفات المسيح حيث كان يسير على الماء دون أن يغرق ، ويشفي السقيم .

ويذكر الرواة ملازمة عبدالله بن الشامر لفيميون في رواياتهم على نحو يذكرونا بما ورد في القرآن الكريم من ملازمة موسى للحكيم الذي ظل يسأله عن سر أفعاله ، والأخير يضيق بها ذرعا قائلا: " ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا " (٤) ولا يدل ذلك الا على تأثير قصص القرآن في أولئك الرواة .

-
- (١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٣٥
 - (٢) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٨٢
 - (٣) اغناطيوس ، الشهداء الحميريون ٧
 - (٤) انظر سورة الكهف ، الآية ٦٦ فما بعدها

ونسب الرواة المعجزات الى فيميون ، ويذكرون من تلك المعجزات أن التنين أقبل عليه وهي يملي فلم يصبه بأذى . (١)

وتلفت نظرنا أسطورة التنين الذي لم يجرؤ على ايذاء فيميون لتحضه بقوى خارقة منعت عنه أذى ذلك الوحش الماشي الرهيب الذي دخل معظم الأساطير العالمية القديمة ، فأسطورة التنين شائعة في كل مناطق الشرق القديم ، وأجد من النافع تتبع هذه الأسطورة في بعض أساطير الأمم ، لنرى كيف دخلت الى الأساطير اليمينية ، ولنقارن بين وجودها في الأسطورة اليمينية والأساطير العالمية الأخرى لنلاحظ ما أضافه الراوي اليميني ، أو ما أحدث في دلالة رمز التنين من تغيير أو تحوير بحسب ما اقتضته ظروف عصره ، أي عصر الرواية لا عصر الأسطورة .

وقد أقر فراس سواح في كتابه فضلا أسماء سفر التنين لمقارنة أسطورة التنين في الأساطير العالمية القديمة . (٢)

١ - التنين في الأساطير السومرية :

يندفع من باطن الأرض تنين العالم الأسفل "كور" الاله المطلق لعالم الموت والظلام ، في محاولة لمد نفوذه على بقية العوالم ، وارجاع الحياة الى جماد ، والحركة الى سكون والنور الى ظلمات ، ولكن الالهة الشابة تتصدى له وتعيده الى عالمه .

وقد تصدى لكور على التوالي ، وفي مواقع مختلفة ، كل من "انانا" آله الحياة والحب والخصب ، و "انكي" آله الماء واهب الحياة ، و "ننورنا" ابن انليل آله الهواء والحركة .

وبطل التنين في الأسطورة السومرية هو اله "انانا" اله الخصب والحب ، واله الحرب والدمار أيضا . تتصدى لاله "كور" فتغلب عليه ، فتحمل لقب "قاهرة كور" الذي نعتها به كثير من الروايات السومرية ، جاء في أحد النصوص :

(١) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٨٢

(٢) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٧٠

سأرميه بالحربة الطويلة
وسأوجه ضده كل أسلحتي
وبالغابات المحيطة به سأضرم النار
وفيه سوف أغرس فأسى البرونزي
وكجبل آرارنا ، سأنزع عنه هيئته
وكما يفعل جيبيل اله النار المقدسة سأجفف ماءه
وكمدينة لعنها آن لن يعود سيرته الأولى
وكمدينة نهذا انليل ، لن ينهض ثانية

ورغم أن "آن" يحذرنا من المخاطرة ، إلا أنها في حماسة شديدة تشهر القتال
وتوجه أسلحتها في صراع ناجح ضد "كور" لتطأه أخيراً بقدميها .^(١)

ب - التنين في الأساطير البابلية :

وصف التنين وحشا جبارا ، وقد خرج هذا الوحش من الأعماق المائتية إلى ديار
الحضارة ، محاولاً تدمير كل ما بناه الإنسان ، إلى أن ينجح أحد الآلهة - أي بطل
التنين - في القضاء عليه ، وأسمت النصوص هذا الوحش "باللابو" ، ووصف اللابو في
أحد النصوص ، جاء فيها :

تنهدت المدينة ...
تناقصت أعداد البشر ...
ولم يكن لنواحيهم أحد
ولا لصراخهم أحد
من الذي أنجب الحية ؟
البحر (من أنجب الحية)
قام انليل لرسم شكل (للتنين) في السماء
كان طوله خمسين ساعة مضاعفة وارتفاعه ساعة مضاعفة
وكان اتساع فمه ستة أذرع ...
أما محيط أذنه فستة أذرع ...
كان يستطيع قنص الطيور عن بعد ستين ذراعاً
وتسعة أذرع في العمق يستطيع الانسلاخ تحت الماء

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٧٤

كان يرفع ذيله...
وجميع آله السماء...
سجد الآلهة أمام سن في السماء
وبلهفة أمسكوا بأذيال ردائه:
"من الذي سيمضي لقتل اللابو
وتخليص الأرض الواسعة
فتكون له السيادة من بعد علي الجميع؟
فقال الآلهة سن:
"امض يا تيشباك واقتل اللابو
خلص الأرض الواسعة من شره
فتكن لك السيادة من بعد علي الجميع"
لقد أرسلني سيدي لقتال وحش النهر
ولكنني لا أعرف اللابو" (١)

ونقف عند خوف تيشباك وتردده في قتال التنين ، ثم نجد أنفسنا في المعركة ،
دون أن نعرف أي إله قد تجرأ على المعضي للقاء اللابو :

... فحرك الغيوم وصنع زوبعة
وخاتم حياته (وضعه) أمام وجهه
أطلق سهمًا (وصرع) اللابو...
ولثلاث سنوات ، وثلاثة أشهر ، ليل نهار
جرى دم اللابو" (٢)

ويرى البابليون أن البحر أنشئ تدعى تعامت ، وهي الأم التي ولدت الآلهة
والتنانين بخصب زاخر أدى إلى تعريض بناء الكون إلى الخطر ، وفي أحد النصوص
يروون أن مردوك قد قتلها في إحدى المعارك ، وضع الدنيا من جسمها . (٣)

-
- (١) فراس سواج ، مغامرة العقل الأولى ١٨٠
(٢) King, The Seven Tablets of Creation 162
(٣) فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ٢٦٥

فالتنين هنا مولود من أم الاله (تعامت) أي البحر ، ووجود التنانين بكثرة يتطلب دوما وجود الاله البطل الذي يستطيع أن يصرع التنين الذي يهدد بناء الكون والبشر . بينما في الأسطورة السومرية السالفة نجد التنين مخلوقا كونيا اندفع من باطن الأرض ، لذا جعلوه اله العالم الأسفل "كور" ، وتتفق الأسطورتان في أن وجوده يهدد الكون ، بل أن السومريين جعلوا التنين الاله المطلق لعالم الموت والغناء ، ولهذا توالى صراع الالهة معه وتصديهم له الى أن صرعه "انانا" الهة الحياة .

ج - التنين في الأساطير الاغريقية :

وتذكر الاساطير الاغريقية التنين في أكثر من موضع ، بل جعلته وحشا رهيب المنظر ، له مئة رأس تنين ، وأسمته احدى الاساطير "طيفون" . وكما ورد في الاساطير السابقة - لايقدر على مصارعة التنين سوى الالهة ، وفي مصارعة الالهة لطيفون ، تغلب عليه "زفس" وألقى به في البحر . وهناك روايات تقول أنه مسجون في كليكييا أو تحت بركان اثنا أو المناطق البركانية الاخرى التي يسبب انفجاراتها . فهو لذلك يمثل القوى البركانية ، ويعد أيضا اها الاعاصير المريعة التي تسبب الفيضانات والهلاك . (١)

وتتفق الأساطير الاغريقية مع غيرها في جعله مصدرا للهلاك ، وارتباطه بصراع الالهة ، ونجد هذا في الياذة هوميروس عندما كان قتل التنين على يد هرقل بطل الأبطال ، فأنقذ بذلك عذارى طروادة من شره . ونعرف ذلك من الحوار الدائر بين باريس وأبيه حول محنة طروادة التي صنعها "لايوميدون" الجد . قال له الاب :

"أجل | جدك .. أبي لايوميدون ، هو الذي نكت بعهدة لبطل الأبطال "هرقل" . الرجل العظيم الذي أنقذ هسيونيين من براثن هذا الوحش البحري الهائل .. الوحش الذي فتك بعذارى طروادة ، لقد أعلن أبي أن من يقتل التنين فانه يتزوج هسيونيين .. ولما قتله هرقل العظيم .. (رفض ذلك) . (٢)

(١) جيمس فريزر ، ادونيس أو تموز ١٣٩

(٢) هوميروس ، الالياذة ٢٦

د - التنين في الأساطير الاوغاريتية :

وقد ارتبط ذكره بالالهة "عناة" التي هي مجموعة من الخصائص المتناقضة ، فهي من جهة ربة الحب والجنس والخصب وربة الحياة ، ومن جهة أخرى هي ربة الحرب والدمار ، ويرسل اليها الاله "بعل" مبعوثين طالبا ايها ان تترك الغضب وأن تضع السلاح ، وترفع راية السلام ، واعداء ايهاا بكشف أسرار الطبيعة ان هي أتت لزيارته .

وعندما يقترب الرسولان تتطير "عناة" وتظن أن مكروها ما قد أصاب "بعل" ، فتسأل الرسولين ملهوفة :

أي عدو قام في وجه " بعل " ؟
وأي خصم قد ناهض ركب الفيوم ؟
ألسنت التي محقت بهم حبيب ايل ؟
ألسنت التي قضت على نهر الاله العظيم ؟
ألسنت التي أفنت التنين !
وسحقت الحية العلتوية ذات الرؤوس السبعة
لقد قضيت على موت مختار آلهة الأرض

وتستمر "عناة" في سرد بطولاتها ، وتعيد تساؤلها للرسولين ، فيجيبها الشاهان قائلان :

لم يتم في وجه بعل عدو
لا ولم يناهض ركب الفيوم خصم
ولكن هي ذي رسالة من بعل العلي
وكلمة من علي المحارب :
"ضعي في الأرض خبزا
وضعي في التراب لفاحا
واسكبي في الأرض قربان السلام
والتقدمات في وسط الحقول"

وعندما ينتهيان تجيبهما ملهوفة :

سأضع في الأرض خبزا
وسأضع في التراب لفاحا
وسأسكب في الأرض قربان السلام
والتقدمات في وسط الحقول

ثم انها لا تنتظر عودة الرسولين بجوابها ، بل تطير لتوها قاطعة مئامات
الأميال ، تطوي الفيافي والقفار ، وعندما يراها بعيل قادمة من بعيد ، يرسل جمعا
من النساء في استقبالها ، ويحتفل بها احتفالا مشهودا ، ويقدمها تبتهج الطبيعة ،
فيرقص النبات ، ويتكاثر الحيوان (١) .

فالالة "عناة" اذن هي بطلنة التنين في النص الاوغاريتي ، أما التنين فمعجود
وحش يهدد البشر بافناء ، ويستعصي القضاء عليه ، من الأفراد العاديين ، لا يستطيع
صرعه سوى الالة الأقوياء ، لذا نلاحظ لدى "عناة" نبرة الافتخار والتعالي لانها "التي
أفنت التنين" .

ه - التنين في التوراة :

لقد جاء في التوراة ذكر التنين في هذا النص :

"في ذلك اليوم ، يعاقب الرب بسيفه
القاسي العظيم ، لويثان الحية الهاربة (٢)
لويثان الحية الملتوية ، ويقتل التنين الذي في البحر" .

وننظر الى ما جاء في اسطورة اوغاريتية ، وندهش للتشابه العجيب بين
النصوص :

"في ذلك لوقت سنقتل لويثانا
الحية الهاربة ، وتضع النهاية (٣)
للحية الملتوية ، ذات الرؤوس السبعة" .

وفي هذا دلالة قاطعة على تأثر النصوص التوراتية المتداولة بما ورد في
أساطير الأمم القديمة ، فيبوه اله اليهود بطل يمارع الوحوش ، والتنانين تماما
كاله السومريين والبابليين والاغريق ، وهو مدلل الميابه الأولى كمردوخ وبعيل ، وهو
يركب السحاب كما يفعل بعيل ، جاء في أحد نصوص التوراة :

استيقظي ، استيقظي
الهي قوة ياذراع السرب
استيقظي كما في ايام القدم
كما في الأدوار القديمة
ألسنت أنت القاطعة رهيب
الطاعنة التنين

-
- (١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ٩٩
(٢) التوراة ، سفر اشعيا ، الاصحاح ٢٧ : ١
(٣) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٦٩ عن
H. Gordon, Ugarit

أنت هي المنشفة البحر
مياه الغمر العظيم
(١)
الجبالة أعماق البحر طريقا لعبور المفديين"

وتذكرنا هذه النصوص بحديث الالهة "عناة" في النص الاوغاريتي السالف الذكر،
عندما تتساءل "أنت التي محق يم ١٠٠٠ الخ ، ويهوه (الذي يبس أنهارا دائمة الجريان)
كما جاء في النص الثاني (منشف البحر مياه الغمر العظيم) .

ونجد في روميا يوحنا وصفا مرعبا لليوم الآخر وظهور الشيطان والاختتام
السبعة والمعائب السبعة ، فكلما يهوق أحد الملائكة تحل مصيبة فادحة بالعالم ،
وعندما يهوق السابع معلنا انتصار المسيحية في هذه الفترة يظهر الملاك ميكائيل ،
ويحارب التنين حتى ينتصر عليه ، وخرجه من السماء .

وينبغي الإشارة هنا الى ما أصاب التوراة "الكتاب المقدس" من تشويه وتحريف
أدخله فيه من عالجوا نصوصه حسب هواهم ، وفقا للظروف التي وجدوا فيها ،
والضرورات التي واجهوها ، ولا يعزل ذلك كله عن تأثير أولئك المدونين بأساطير الأمم
السالفة .

بعد هذا العرض السريع للتنين في أساطير الأمم القديمة وأسفارهم ، نقف
أمام التفسيرات المختلفة لهذا الوحش المائي ، فالتنين في معظم الأساطير هو نتاج
القوى البدئية ، السابقة لتنظيم الكون ، دفعت به المياه ، التي ترمز في الأسطورة
لقوى العماء والغوض ، الى الكون المرتب لزعة بنيانه واعادته الى حالته
السابقة .

ولعله انطلاقا من هذا التصور جعلته الأسطورة السومرية اله العالم الأسفل
"كور" ، اله الموت والظلام الذي يحاول القضاء على مظاهر الحياة في الكون ، ومن
الواضح أن الأسطورة السومرية قد أدهشتها قوة ذلك الوحش الذي لا يمكن أن تتوفر الا
لاحدى الالهة المتعددة . فعزت اليه الوهية العالم الأسفل عالم الظلمات الذي لا يعرف
عنه شيئا .

-
- (١) التوراة ، سفر أشعيا ، الاصحاح ٥١ : ٩ - ١٠
 - (٢) فوءاد حسنين علي ، اليهودية واليهودية المسيحية ٢٢٠
 - (٣) التوراة والانجيل والقرآن والعلم ٢٢
 - (٤) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٨١

ولم تكتف الأساطير بعده لها ، ولكن نجد فيه مزيجا من الصفات المتناقضة أحيانا ، فمع ارتباطه بالفناء والقضاء على الحياة ، ترى أسطورة أن التنين وغيره من الكائنات في معقل سماوي حصين ، الى أن يصل البطل الموعد الذي يصرع التنين أو غيره من الوحوش وينقذ العذارى (١).

لقد جعلوا للتنين صفات متناقضة ، كما كان للآلهة ذلك ، ألا يذكرنا هذا بصفات الآلهة "عناة" في الأسطورة الإوغارييتية ؟ إذ نجدها ربة الحب والجنس والخصب وربة الحياة ، وفي الآن نفسه هي ربة الحرب والدمار والكوارث . والتنين كذلك هو يحرس الكنوز والعذارى الفاتنات ، وهو ينقض عليهم أيضا كما في الياذة هوميروس عندما أنقذ هرقل العظيم هسيونية من براثن التنين الذي فتك بعذارى طروادة .

فالتنين قوة عظيمة تنطلق من أعماق العمياء لتبسط بمظاهر الحياة في هذا الكون ، كما أن الصراع الدائر بين الآلهة أمره معروف في أساطير الشرق القديمة وفي الأساطير الإغريقية ، فلا بد أن يدور صراع بين الهة الخير والهة الشر ، تنتصر فيها قوى الخير وقوى الحياة والخصب والنماء .

كما أن هذا العالم المزدان بمظاهر الجمال التعددة ، تبدو فيه الطبيعة متناقضة أحيانا ، فكثيرا ما عكر هذه الطبيعة وصفوها زمجرة الرعد ولمعان البرق وهياج الموج ، فينقلب وضع الانسان من حال الى حال ، فعندما فكر الانسان في بدء تفكيره لم يستطع أن يعزو أي فعل عظيم الا لقوى خارقة ، جعلها تلك الآلهة المتعددة في أساطيره .

ولعل هذا يفسر ظاهرة صاحبت تواتر تلك الأساطير ، هي ظاهرة الاقتراب من الواقع ، والنزول من عالم الآلهة والتخليق في السماء الى العالم الأرضي ، كلما مضى الانسان في مسيرته عبر الزمان . فلا نجد التنين لها الا لدى السومريين ، أما بعد ذلك ، فعدته الأساطير المختلفة مجرد وحش يتطلب للقضاء عليه وجود قوى الآلهة الخارقة . وربطته بعض الأساطير بعالم الظلمات ، كما لاحظنا ذلك في الأسطورة السومرية .

ومال بعض علماء الأساطير الى اعتبار التنين رمزا للظلام ، وتربطه أحداث صراعه بالسحب الكثيفة السوداء التي تنذر بالبرق والرعد ، وتحجب النور ، الى أن يصل البطل ويقوم بتبديدها (٢).

ويقوى هذا الارتباط لديهم الأسطورة المصرية التي تجعل الشمس متنقلة بزورق ، وجلوا لها زورقا للنهار وآخر لليل . وللزورقين بحارة من آلهة ذوي شأن ومكانة . ولم تتصف هذه الرحلة دائما بالآهبة والسلام ، فقد يكمن في الطريق شعبان ينوي مداومة الزورق والتهام الشمس ، ولا بد من القتال لقهر هذا الحيوان .

ولهذا نشأ الاعتقاد الشائع في أقطار كثيرة بأن الكسوف ناجم عن ابتلاع شعبان أو تنين للشمس . ولكن الكسوف لم يكن الظاهرة الوحيدة في الأمر ، ففي كل ليلة تجابه الشمس محاولة لالتهامها ثم تقهرها ، في العالم السفلي^(١) .

وعدت بعض الأساطير التنين رمزا للقوى الطبيعية المتفجرة ، فهو لذلك يمثل القوى البركانية ، ويعد أبا الأعاصير المريعة التي تسبب الفيضانات والهلاك^(٢) . وذلك عندما مال الانسان - في فترة لاحقة - الى التعليل والتبرير ، وربط الأسباب بالمسببات على نحو يرضي تفكيره وتصوره .

أما أصحاب التفسير النفسي من علماء الأساطير فيشتتون كثيرا في خيالهم ويذهبون بعيدا في تصورهم ، إذ تؤكد أحد تفسيراتهم أن التنين ليس الا قوى اللاشعور المكبوتة ، ذلك أن اللايو - مثلا - قد اندفع من أعماق المياه التي ترمز في الأسطورة الى أغوار اللاشعور^(٣) . وأجد في هذا التحليل محاولة توفيقية لربط الظواهر الملموسة في الأسطورة القديمة بما جد اكتشافه من مواضع مختلفة تتكون منها دائرة التحليل النفسي .

وبعد ، يقتضينا الحال الوقوف أمام البطل الذي يتولى القضاء على التنين ، من هو في الأساطير المختلفة ؟ ما الصفات التي تحاول معظم الأساطير اتسامه بها ؟ وذلك لنقارن بينه وبين البطل في الأسطورة اليمينية المتعلقة بالتنين .

ان البطل في معظم ما مر بنا تقريبا من الآلهة ، إذ تتوفر لديه قوى خارقة فوق قدرة البشر ، وقد امتاز هذا البطل دوما بالذكاء الخارق والظروح الشديد ، والعزم العظيم والقوى الجبارة والجرأة الفاتكة ، في تصديهم للتنين ومحاولتهم صرعه وانتقاد البشر والكون منه . والبطل يتحدى المخاطر ويستهيئ بالموت ، ليتسنى له قتل التنين ، ويعلو فخارا بذلك ، كما لمسنا في أكثر من أسطورة . فاذن هناك

-
- (١) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ٦٣
 - (٢) جيمس فريزر ، ادونيس أو تموز ١٣٩
 - (٣) فرانسوا سواح ، مامرة العقل الأولى ١٨٢

تشابه كبير في معظم ما مر هنا من الأساطير بين الأبطال الالهة من مثل بعل ومردوخ وعناة ويهوه الذي "بقوته يزعم البحر ، وبفهمه يسحق رهب . بنفحته السماوات مسفرة ويدها أبادتا الحية الهاربة" (١).

وقد انتقل "رهب" الى الأساطير المسيحية فيما بعد ، ولكن الاله هنا لا يباشر معه قتال التنين ، بل يترك ذلك لأحد القديسين ، وهو القديس جاورجيوس الذي تمثله الأعمال الفنية المسيحية في القرون الوسطى وهو يطعن بحريته التنين الرهيب . (٢)

ويعزز هذا القول الاعتقاد باقتراب الأسطورة من الواقع كلما مر الزمن بالأقوام والجماعات ، فالبطل في الأساطير المسيحية من الملائكة ثم أصبح من القديسين ، ولم يعد من الآلهة ، ومثل ذلك مارواه "وهب بن منبه" عن فيميون الذي نسب اليه المعجزات ، و "فيميون" هذا شخص من البشر ، ارتبطت حياته ببعض المعجزات ولكن ليست لديه القوى الجسدية الخارقة في مصارعة التنين كما لمسنا ذلك في آلهة الأساطير القديمة ، ولم يعد الصراع مجددا بين التنين والقديس ، لذا نجد "تنين" وهب يرعوي عن ايذاء القديس ولا يصيبه بأذى ، فالقوى الخارقة لدى "فيميون" أصبحت قوى روحية ومعنوية ، ولم تعد تلك القوى الجسدية التي كانت الأساطير تصف بها الآلهة التي تصرع التنين . فيتمكن القديس بوساطة تلك القوى من التمدي للتنين . ونستطيع أن نستشف من أسطورة "فيميون" أن تلك القوى هي اتصاف فيميون بالزهد والصلاح والعبادة .

ويظل القضاء على التنين وصرعه - في ذهن وهب بن منبه - مرتبطا بالبطولة والقدرة ، فقد ذكر من جملة أساطيره التي تعجد اليمانيين - أسطورة تتعلق في أساسها بتولي بلقيس ولاية الملك على قومها ، وملخص هذه الأسطورة :

أن بلقيس عندما وليت الملك أنف بعض قومها من أن تحكمهم امرأة ، وبلغ ذلك عمرا ذا الأذعار ، فجمع الجيوش ونهض الى بلقيس ، فهربت مصطحبة معها أخاها عمرو بن الهدهاد حتى أتت جعفر بن قرط الأزدي ، ويذكر نسبه في سلسلة طويلة تنتهي به الى حمير بن سبا .

كان جعفر بن قرط أنجد فارس في زمانه ، نزلت عليه بلقيس في حصنه علعال على نهر الحفيف من أرض الأحقاف ، وطلبت منه أن يجيرها وأخاها ، فأجارها جعفر بن قرط ، وقد اعتاد في كل عام أن يحج الى مكة للعمرة مدة شهر، ثم يرجع الى حصنه علعال .

(١) التواراة ، سفر ايوب ، الاصحاح ٢٦ : ١٢ - ١٣

(٢) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ، ١٨٧

رحل جعفر بأهله وولده وبصحبته بلقيس وأخوها عمرو الذي كان طفلا ، فسار جعفر وعندما نزل بالاحقاف بجوار قبر هود ، اتبعته السباع ، فيقاتلهم ويقتل من لقيه منهم ، ثم يخرج اليه اثنين عظيم ، فيقاتله حتى يولي من بين يديه ويقول لأهله : "لاتجزعوا فانه لص شيطان" .

وفي تلك الأثناء يداهمه صلوكان هما عمرو بن عباد وشريك بن عمرو ، فتصدى لهما جعفر بن قرط ، وأبدى بطولة فائقة في النكال بهما ، وأظهر مروءة عالية في أسرهما ، ولم يتمكن الصلوكان من جعفر بن قرط على الرغم من شيخوخته وشبابهما . . والأسطورة طويلة تتخللها أشعار الفخر التي يتبادل فيها الصعاليك الحوار مع جعفر ابن قرط .

وبعد أن يفرغ جعفر من أسراه يقول لهم : "أقيموا حتى أقارع الاثنين" . فأخذ بيده شجرة أم غيلان ، وأخذ بيمينه خشبة عظيمة ، فاذا هجم عليه الاثنين أدخل الشجرة في فمه ، وضربه بالخشبة في الرأس ، فلم يزل يقاتله حتى كل الاثنين وانصرف . وانه كان كذلك يفعل^(١) .

وتستمر القصة في اثبات قدرة جعفر ، ثم تصف ظهور الريح العقيم التي هبت من جور عمرو ذي الاذعار ، ويذكر وقوف جعفر وصحه على ما كشفت لهم تلك الريح من القبور ومناهر القدماء المتوارية تحت التراب . ثم يغدر عمرو بجعفر ، فانتمت بلقيس له ولشعبه وقتلته في قصة لطيفة ، واستقر لها العلك من بعد ذلك .

ويمثل سير الأسطورة تمثيلا واضحا الاتجاه الغالب في أساطير اليمن ، اذ يحاول الراوي اليمني دوما اثبات البطولات الخارقة لملوك اليمن وشخصياته المعروفة ويتخذ منها طريقا الى التغني بأمجاد اليمن الغابرة . وان من يرجع اليها كاملة يلمس نبرة الفخر والشعور والاعتزاز . فالبطل اليمني - لدى وهب - لاتقل قدرته عن آلهة الشعوب القديمة والقديسين الذين تمكنوا من صرع الاثنين .

ويختلف البطل - هنا - في كونه فردا عاديا من سراة قومه ، أراد وهب أن يثبت له كل شجاعة فائقة وكل قدرة ممكنة . وكان لاطلاع وهب على الكتب والأسفار القديمة أثره في التعرف على بطل الاثنين ، وكانت لتلك البطولات أثرها في نفس وهب ، لذا لم يتورع عن جعل البطل اليمني أيضا يتصدى للثنين فيما يواجه من مخاطر الحياة وأهوالها . وقد كان دأب وهب - بشأن رواة اليمن - اثبات البطولات الخارقة والمعجزات لملوك اليمن القدماء وشخصياته المشهورة .

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١٥٠

ويتضح تأثر وهب بالأساطير القديمة في وصفه لصراع جعفر بن قرط مع التنين ، فجعل البطل (يحمل بيده شجرة وبالأخرى خشبة عظيمة ، فإذا هجم عليه التنين أدخل الشجرة في فمه وضربه بالخشبة في الرأس) . . . ويستحضر قوله هذا الى أذهاننا - صورة صراع الالهة الأسطورية القديم ضد التنين حيث قالت بطلة التنين الآلة "انا" سأرميه بالحربة الطويلة . . . وفيه سوف اغرس فاسي البرونزي) . . . كما يخاطب الكتاب المقدس يهوه (شرخت رؤوس التنانيين على المياه) . لقد حمل وهب بطل التنين اليمني كل ما اختزنته ذاكرته من تلك الثقافات القديمة ، وأخذ يثبث البطولات الفائقة لمواطنيه اليمانيين ، بل يؤكد عليها بكل ما أوتي من قوة . وان المتأمل في اسطورة جعفر بن قرط يتضح له ذلك من عبارات الرواي (فلم يزل يقاتله حتى كل التنين وانصرف ، وانه كان كذلك يفعل . . .) .

والبطل في اسطورة وهب يستمر في قتال التنين ، ولكنه لا يصعه كما وجدنا ذلك في أساطير الأمم القديمة . . . وانما يظل يقاتله حتى يكل التنين وينصرف . فكان التنين في اسطورة وهب رمز للمخاطر الدائمة التي تواجه الفرد في حياته ، ولا يعرف في أية لحظة يمكن أن تداهمه وتحيط به ، وبحسب ما أوتي الفرد من قوة وقدرة على التغلب عليها يمكنه الصمود أمامها ، وان انتصاره وتغلبه يعني القضاء المطلق عليها وفناءها من الوجود ، بقدر ما يعني الأمر مرور هذا الفرد بتلك الأزمة الطارئة ، وتلك المخاطر المحدقة ونجاته منها . . . ولعل وهبا يرى الحياة مليئة بتلك المحن والمخاطر التي تداهم المرء في حياته ، وتقلبها رأسا على عقب ، فلا يعرف لنفسه منها خلاصا أو مخرجا ، الا بقدر ما وسعته الشجاعة والحكمة في التغلب عليها . وليس ما يمثل تلك المخاطر لديه غير التنين ، ذاك الحيوان العائلي الخرافي ذي الأيدى الطويلة المتعددة ، أو كما تصفه الأساطير (الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة) ، ذاك الذي يحيط بفريسته من كل جانب ، والخلص من التنين وخطره أمر هام لدى الرواة والتغلب عليه قدرة خاصة ، توفرت للآلهة القدماء في أساطير الشعوب القديمة ، ثم لبعض القديسين في الآثار المسيحية ثم للباطال اليمانيين في أسطورة وهب بن منبه .

ويذهب المنطق الفرويدي في التحليل الى أن هذه التنانيين تعد تمثيلا لقوى اللاشعور الفردي ، الذي يظلم على الدوام بكل ما يناقض الوضع الحضاري للإنسان ، تلك القوى التي تحاول دوما اقتحام عالم الشعور . وعلى هذا يمثل البطل الذي يقهر التنين الفرد السوي داخل المجتمع ، أي الذي يستطيع كبح جماح لاشعوره والسيطرة عليه ليحيا متوازنا مع قيم الجماعة . (١٧)

وتجد هذه الصفات المعنوية في بطل التنين لدى وهب ، اذ يصف جعفر بن قرط بالسيادة على من حوله ، يجبر من يستغيثه ، عند اغاشته بلقىس واخاها ، ويعطف على من حوله ، فلا يتوانى عن اصطحاب أهله وولده عند الرحيل للعمرة خوفا عليهم من أي مكروه يلم بهم في غيابهم ، ويجمع هذه الصفات بقوله (كان أنجد فارس في زمانه) . . وكان شجاعا يصد أي خطر يداهمه ، فيأسر (المعلوكين اللذين هدداه بالاغارة على من معه ، ويظهر مروءة عالية في معاملتهما) . . فأية خلة حميدة لم يجعلها له وهب ، فهو خير ممثل للشخصية السوية المتلائمة مع مجتمعها ، الفاعلة في أحداثه وتغيير مجريات الأمور فيه (عندما يجبر من تنقذ قومها وتتولى الملك فيهم) . . وتبلغ هذه الشخصية السوية لدى وهب ذروتها من كبح اللاشعور والسيطرة عليه بالتغلب على التنين الذي تظل تقاتله حتى بكل وينصرف .

أساطير أخلاقية :

ويمكننا الحاق هذه الأساطير بالأساطير الدينية ، فقد وجدت في أساطير اليمن بعض الأساطير الاخلاقية التي تدور حول التحلي بالاخلاق الغاضلة والخصال الحميدة التي كانت مجال اعتزاز العزي ومفاخرته من حوله بها كالكرم وطاعة الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك .

١ - في بر الوالدين :

روي اليباعي^(١) هذه الأسطورة قائلا :

كان النبي سليمان جالسا على عرش ملكه ، شاكرا لله على ما أولاه من النعم ، اذ أوحى اليه أن يخرج الى ساحل البحر فيرى عجبا . ولم يتوان ، بل خرج توا ومعه الانس والجن والوحش والطيور ، حتى بلغ الساحل ، فنظر يمينا ، ونظر شمالا لكنه لم ير شيئا ، عندئذ أمر أحد العفاريث من الجن أن يغوص في البحر ويأتيه بما يجده فيه ، فغاص العفريت ، ورجع بعد ساعة من غير أن يصل الى القاع أو يرى شيئا غريبا في الماء ، وكذلك فعل عفريت آخر مما أشار دهشة سليمان ، وجعله يأمر آصف بن برخيا وزيره بالقيام بهذا العمل . وصدع آصف لارادة سليمان ، وغاص في البحر ساعة ثم عاد بقبة عظيمة من الكافور الأبيض ، لها أربعة أبواب : باب من الدر ، وآخر من الياقوت ، وثالث من الجواهر ، ورابع من الزبرجد الأخضر ، وكلها مفتوح ، ومع ذلك لم يدخل في أي منها قطرة من الماء .

ونظر سليمان ، فاذا وسط القبة شاب جميل ، حسن الشباب ، نظيف الأثواب ، قائم يحلي ، فدخل اليه وسلم عليه ، وسأله عما أنزله الى قاع البحر ، فقال الشاب: "يا نبي الله ، تريد أن أحدثك بقصتي؟" أجاب سليمان : "نعم" .

(١) وهو يمانى نسب الى "يباع" منطقة تقع في جنوب اليمن .

فبدأ الشاب يروي: "كان لي أب مقعد ، ووالدة عمياء ، أقمت في خدمتهما سبعين سنة ، فلما حضرت والدتي الوفاة سألت الله أن يطيل حياتي في طاعته ، ولما احتضر والدي قال علي سرير الموت: "اللهم استخدم ابني في مكان لا يكون للشيطان فيه عليه سبيل".

وذات يوم خرجت أريد النزهة ، فجئت الى ساحل هذا البحر ووجدت قبة عظيمة ، دفعني فضولي لأدخلها وأنظر مافيهما ، وما كدت أعبر الباب حتى احتملها ملك من الملائكة وأنزلها في قاع هذا البحر كما رأيت ، وذلك في زمن ابراهيم عليه السلام".

وحسب سليمان التاريخ فوجد له حتى تلك اللحظة الفتي سنة واربعمائة سنة ، وعجب لكون الرجل لم يشب ، بل انه لم يزل في ريعان الشباب ، وسأله عن طعامه وشرايه في البحر ، فأجاب: "يأنيبني الله ، يأتيني كل يوم طائر أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الانسان ، فأكله وأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا ، ويذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة" . فسأله : "أتحب أن تكون معنا أم ترجع الى موضعك ؟" فأجاب الشاب: "بل ردني الى موطني يا بني الله" . فيأمر سليمان آصف برده الى مكانه ، ويتفكر في فضل هر الوالدين وأثر دعائهما...^(١).

انها اسطورة طريفة يمكن أن نستشف منها أموراً عدة ، منها:

١ - تتضح فيها الغاية الخلقية في اعلاء شأن هر الوالدين ، والعناية بهما في الشيخوخة والمرض ، وأثناء حاجتهما الى عناية الأبناء ورعايتهم ، فكان آن صورت لنا صهر البطل على خدمة أم عمياء وأب مقعد مدة سبعين سنة ، وما كان من دعوات والديه له بطول العمر في طاعة الله ، وبألا يجعل للشيطان عليه سبيل ، فاستجاب الله دعاء والديه ، وجعله في مأمن من الشيطان أي في قبة أرسلها الى قاع البحر ، يقضي وقته في عبادة الله ، وجعل البطل أيضا في مأمن من مرور الدهر وأثره في البشر ، فرغم مرور السنين نجده شابا (بل في ريعان الشباب) ، فلم تطله غوائل السنين ، ولم تبله بمرورها كغيره من البشر ، فقد اكتسب البطل مناعة خاصة بفضل دعاء والديه .. اكتسب مناعة ضد الشيطان ومنعاه له في دفع البشر الى ارتكاب المعاصي ، ومناعة ضد التأثر بمرور السنين التي لا ينجو منها بشر .

٢ - تعتمد الأسطورة على عنصر الادهاش وخوارق الأمور ، فالأعمار والسنون ملغية في حساب الزمن ، يصرف البطل سبعين سنة في خدمة والديه ، وتمر عليه بالاضافة اليها ألفان واربعمائة سنة وهو في قاع البحر ، دون أن تحدث أثرا على مظهر البطل ، وكأنه بمعزل عن الارتباط بهذا الكون ومجريات الأمور فيه .

(١) اليافعي ، مختصر روض الرياحين في مناهج الصالحين ٥٧

كما نلاحظ محاولة ادعاش الراوي للسامع في وصف القبة وأبوابها المكونة من الأحجار الكريمة الثمينة من در وياقوت وجوهر وزبرجد أخضر ، كما يثبت الراوي الخوارق لتلك القصة ، فهي في قاع البحر ، وأبوابها مفتوحة ، وعلى الرغم من ذلك لم يدخل فيها قطرة من الماء ، فهي معصومة من الماء ، لا ينفذ إليها شيء منه .

ولا يترك الراوي شيئاً لتساؤل السامع إذا عجب كيف يحصل على الغذاء هذا المخلوق المعزول عن الكون في داخل قبة في أعماق البحر ، فيجيب عن ذلك كله ، معللاً ومفسراً ، لحياة ذلك الكائن وحسن الجزاء الذي حظي به نتيجة بره لوالديه ، ففسر أن الغذاء يأتيه به طائر في منقاره ، والغذاء "مادة صفراء" مثل رأس الإنسان" فهي غذاء اليوم كاملاً ، وتغنيه عن أي طعام وشراب ، وليس هذا فحسب ، ولكنها تذهب عنه الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة" أنها لا تقتصر على الغذاء ، وإنما هي تسد كل حاجة بشرية ، فتسد جوعه وتحفظ له الحرارة المطلوبة في جسمه ضد الحر والبرد ، كما تذهب عنه النوم (وهو حاجة بشرية) ، وتزيل عنه وحشة الوحدة والانقطاع عن العالم .

٣ - نلمح في الأسطورة ناحية اجتماعية طريفة تكمن في نبذ البطل للمجتمع الذي كان يعيش فيه ، فأثر حياة الانعزال في تلك القبة القابعة في أعماق البحر ، لا يحيط به بشر ، وعندما خيره سليمان بين البقاء معهم أو الرجوع إلى موطنه بداخل القبة ، فضل العودة إلى موطنه الجديد (أعماق الماء بداخل القبة) على السكن معهم ، فأمر سليمان آصف برده إلى مكانه .

فكان الراوي أراد أن يضمن هذه الأسطورة هرب الشاب من المجتمع الإنساني الذي كان ينتمي إليه ، فأثر الوحدة في تلك القبة ، والسكن في أعماق المياه يعبد الله ، على أن يسكن مع البشر في مجتمعهم المملوء بالشور والآثام ، لأن (الشیطان لا يجد إليه سبيلاً) ، فقد جعل انعزاله في ذلك المكان بمأمن من الشيطان نتيجة دعوة والده (بأن يكون في مكان لا يكون للشیطان فيه عليه سبيل) ، فالراوي يرى في المجتمع الإنساني مرتعاً للشیطان يمارس فيه أعماله بدفع الإنسان إلى الحاق الأذى بأخيه الإنسان ، وبارتكاب الشور والآثام المختلفة ، فلا يتيسر الابتعاد عن الشيطان ولا يتحقق الاعتصام منه - في نظر الراوي - إلا بالعزلة والوحدة ، التي فرضها على البطل . . وهو يعلم ما يمكن أن يشعر به الإنسان من قسوة الوحدة وألم الانقطاع عن البشر ، فجعل العوض في انهماك البطل في عبادة الله دون أن يشعر بمثل الحياة في الانقطاع عن حوله . . كما عالج ألم الشعور بالوحدة وقسوتها في ابتكار (مادة صفراء) يتعاطاها البطل الأسطوري على يد طائر أخضر يأتيه بها كل يوم وهي في حجم رأس الإنسان ، وفيها الغناء عن الأكل والشرب ، بل يجد فيها متعة تعادل طعم كل نعيم في دار الدنيا ، وهي أيضاً تذهب عنه وحشة الوحدة وقسوتها . فحاجة البطل المادة إلى الطعام والشراب قد أشبعت ، كما أن حاجته المعنوية إلى زوال أثر الشعور بالوحشة والوحدة قد أرضيت على ذلك النحو ، ببساطة متناهية جداً ، ضمنها تلك المادة الأسطورية المتضمنة أكسير الحياة .

ب - الكريم الحاتمي :

كانت غنية امرأة سخية ، تقري الضيف ولاتدخر شيئا ، ولا تمنع شيئا عن سائل أبدا . فلما رأى أخوتها حالها تلك حجروا عليها ، ومنعوها مالها . فمكثت دهرًا لا يدفع اليها شيء منه ، حتى إذا ظنوا أنها وجدت ألم ذلك ، أعطوها قطيعا من الابل فجاءتها امرأة من هوازن ، كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها غنية : "دونك هذا القطيع فخذيه ، فوالله لقد عضي من الجوع ما لا أمنع معه سائلا أبدا" .

وتزوج الفتى عبدالله غنية ، وحملت منه . واذ هي في المنام ذات ليلة جاءها آت يسألها : "أغلام جواد يقال له حاتم ، أم عشرة غلمان كالناس ، ليوث ساعة الباس ، أحب اليك ؟" أجابت : "هل حاتم" . فولدت ولدا أسمته حاتما .

فلما ترعرع كان يخرج طعامه ، فان وجد من يأكل معه أكل ، وان لم يجد طرحه . فلما رأى أبوه أنه يوزع طعامه ، ألحقه بالابل ، ووهب له جارية وفرسا ومهرا ، فطفق يبغى الناس فلا يجدهم ، حتى بصر يوما بركب على الطريق ، فسارع اليهم ، واذا هم يبأدرونه السوء ال: "يا فتى هل من قري ؟" وكانما وجد ضالته ، فنحر لهم ثلاثة من الابل ، مما أدهشهم ، وجعل أحدهم يقول : "انما أردنا بالقرى اللبن ، وكانت تكفيننا بكرة^(١) اذا كنت لاهد متكلفا شيئا" . فأجاب حاتم : "قد عرفت ، ولكني رأيت وجوها مختلفة ، وألوانا متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، وأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى اذا أتى قومه" . عندئذ قالوا فيه أشعارا امتدحوه بها ، وذكروا فضله ، فما كان منه الا أن فرق فيهم سائر ابله ، حتى أصاب كل واحد منهم تسعة وتسعين بعيرا ، ومضوا في سفرهم .

وبلغ الأمر أبا حاتم ، فهرع يسأل ابنه عن ابله ، فقال له حاتم : "يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجد الدهر ، وكرما لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أشنى به علينا عوضا من ابلك !" فخاصمه أبوه ، وخرج بأهله عنه .

فبينما حاتم ، يوما نائم ، اذ انتبه وحوله ماشتا بعيرا أو نحوها ، تجول ويدفع بعضها بعضا ، فساقها الى قومه ، ووزعها بينهم .

وظل حاتم يحيا حياة الفارس الكريم ، بين مال يسخر به على الفقراء أو يطلق به الأسرى ، وقتال يدفع به عن نفسه الأعداء واللصوص حتى هرم ومات ، فوضعوا حول قبره أنصابا متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح .

(١) البكرة : الشاة الفتية .

ومر يوماً نفر من بني أسد بالقبر ، وقالوا : "لنجعلنه بخيلاً ، ولنجدن العرب
إننا نزلنا بحاتم فلم يقرنا" ، وجعلوا ينادون : "ياحاتم ، ألا تقري ضيفك ؟" وكان
رئيس القوم رجلاً يقال له أبا الخيبري ، فإذا هو بصوت ينادي في جوف الليل :

ظلم العشرة شتامها	أبا الخيبري ، وأنت امرؤ
ببادية صخب هامها (١)	فماذا أردت إلى رمية
وحولك غوث وأنعامها	تبغي أذاهما وأعمارها
من الكرم بالسيف نعتامها (٢)	وانا لنطعم أضيافنا

فلما كان آخر الليل ، نام القوم حتى إذا كان السحر وثب أبو الخيبري
خائفاً ، وأخذ يصيح : "واراخطاه ا" (٣)

فسأله أصحابه عن أمره ، أجاب : "خرج والله حاتم بالسيف ، وأنا أنظر إليه ،
حتى عقر ناقتي" ، فقالوا : "كذبت ا" ، لكنه أقسم لهم أنه صادق . فنظروا إلى
راخلته ، فإذا هي منقطعة لا تتحرك . فقالوا "قد والله قراك" . وظلوا يأكلون من
لحمها ، ثم اردنوا أبا الخيبري وساروا ماشاء الله .

وفي الطريق نظروا ، فإذا عدي بن حاتم راكب جملاً أسود يلحقهم ويقول : "أيكم
أبا الخيبري ؟" فقالوا : "هو هذا" . فأخبرهم أن أباه جاءه في النوم ، وذكر له
شتم أبي الخيبري أباه ، وأنه أقرى راحلته لأصحابه ، وقال فيه شعراً ردهه لعدي حتى
حفظه ، وهو الشعر الذي سمعه أبو الخيبري في جوف الليل (٤) .

وتصور هذه الأسطورة كرم حاتم الطائي ، ولا يقتصر الأمر على رواية الأصفهاني
للأسطورة ، فقد أغرق الرواة المصادر العربية بأخبار حاتم الطائي وكرمه ، شعراً
ونثراً ، حتى أصبح علماً بارزاً يشار إليه بالبنان في مضممار الكرم والجود ، بل هم
نسبوا إليه الكرم في قولهم "كرم حاتمي" .

وعند تأملنا هذه الأسطورة تلفت الانتباه فيها بعض الأمور التي ينبغي الوقوف
عندها والتفصيل فيها :

-
- (١) الرمة : العظام البالية ، الهام : جمع هامة - الطير التي كان العرب
يظنون خروجها من رأس القتيل .
 - (٢) الكوم : النوق العظام السمان . اعتام : اخذ
 - (٣) الراحلة : الناقة
 - (٤) الجوزو ، من الأساطير العربية ١٧٣ عن الأغاني للأصفهاني ١٧ : ٣١٣

١ - ربما من متعجب لنسبة هذه الأسطورة الى اليمن ، وراويها أو ناقلها هو الأصفهاني . كما أن نشأة حاتم الطائي في شمالي الجزيرة وليس جنوبها .

وردا على مثل هذا التعجب أقول ان حاتم الطائي من قبيلة طيء اليمنية التي نزحت منذ القديم مع من هاجر من القبائل اليمنية من جنوبي الجزيرة العربية الى شماليها ، ولكن ظلت نظرة الرواة اليمنيين الى هذه الشخصية بحسب انتسابها الى اليمن ، فكان مالها من قصص وحكايات أسطورية وكان ما اكتنف أخبارها من مبالغة أجدها من سمات المرويات اليمنية ، على الرغم من نشأة هذه الشخصية في شمالي الجزيرة العربية .

ونستشف من الأسطورة النفس اليمني في سرد الحكايات وأقاصيص الفخار الذي لا يعلو عليه فخار ، والكرم صفة ظل العربي يفخر بها ويطول على من حوله بالاتصاف بها ، ورواة اليمن لا يدخرون سبيلا في اثبات كل مجد وفخار للشخصيات التي تتصل باليمن بسبب ، ناهيك بمن ينتهي نسبه الى قبيلة طيء وهي قبيلة يمنية .

كما سنلاحظ شبه هذه الأسطورة ببعض الأساطير اليمنية التي سنعرض لها في البحث ، مما يقوي الاعتقاد باهتمام رواة اليمن بهذه الشخصية وكونهم رافدا شرا لكل ما ملأ المصادر العربية من روايات وأخبار حول حاتم الطائي .

٢ - تتجلى الغاية الاخلاقية في الاشادة بالكرم ، كصفة محببة الى النفوس ، تكسب المتحلى بها حب من حوله واحترامهم له ، كما تكسبه مجدا وشهرة عظيمين ، وامعانا في تحلي حاتم بهذه الخصلة الحميدة فقد بدأ راوي الأسطورة بأمره "غنية" التي كانت لا تتوانى عن اعطاء مالديها لأي سائل يأتيها . فالمجد في حاتم متوارث لم يكتسبه حاتم في نشأته فحسب ، وانما فطر عليه ونشأ على تقديره حتى أصبح صفة ملازمة له جعلته يتعرض لانتقاد أبيه وبعض أهله ، كما كان أخواله ينتقدون أمه لبعثرتها المال والاهل على من يسألها من النساء .

والمقت صفة الكرم بحاتم مذ كان جنينا في بطن أمه حين خيرت في المنام بهين عشرة أولاد شجان وبهين حاتم كمثال للجود والكرم ، فاختارت حاتم على أن ترزق بعشرة من الأولاد . فكانه قد أصبح رمزا للجود والكرم من قبل أن يأتي الى الوجود . ثم ظل طوال حياته مثال الفارس الكريم الذي لا يتوانى عن اكرام من يأتيه ، ولا ينتهي كرم حاتم للضيف وقراه بموته ، بل تجلده الأسطورة يقري الضيف حتى بعد موته ، حين عز عليه أن يتهم بالبخل ، كما أراد ذلك أبو الخيبري . فلقى الرد العاجل بنحر راحلته ، فانتقم لنفسه منه بتلقينه الدرس الذي لن ينساه ، وجعله يولول حزنا على ناقته ، كما كان في نحر الناقة قري له ولاصحابه في ذلك الخلاء .

٣ - يتضح في هذه الأسطورة أسلوب رواية اليمن في نسب المجد والشهرة الى الشخصيات اليمنية ، وعدم اقتصار تمجيدهم للملوك المنتسبين الى اليمن . فهم باحثون عن المجد والشهرة دوما في أية شخصية تنتمي الى اليمن بسبب ، وحاتم الطائي أحد تلك الشخصيات .

ويمكن أن نستشف البحث عن المجد في انتهاج حاتم سبيل الجود والكرم مع السعي الى الشهرة والصيت الذائع ، ويتضح ذلك عندما ترى الركب النازل عنده ينحدر ثلاثة من الابل ، وعندما رأى دهشتهم أخبرهم أنه يحسبهم من مناطق مختلفة ، فأراد كل واحد منهم أن يذكر لقومه مآراه من حسن ضيافته لهم . وحينئذ عرف القوم قصده ، فانطلقت ألسنتهم بالمديح شعرا ونثرا ، كما تروي ذلك الأسطورة ، وبذلك حقق شهرة واسعة ، وعرف القريب والبعيد ماكان من كرمه وقراه .

فالكرم والجود خصال مغروسة في حاتم الطائي وقد جبل عليها ، ولكنه أيضا ينتهج طريق الجود والكرم لتحقيق المجد وطلب الشهرة بين أقوام العرب .

٤ - يعتمد الراوي على الاحلام - كعادة رواية اليمن - فأما حاتم غنية "بأتيها آت في الحلم ليخيرها بين حاتم وعشرة من الأولاد، فتختار حاتما" . مما يذكرنا بطريفة بنت الخير الحجورية الكاهنة التي أتاهها في الحلم من يخيرها بين الولد أو العلم الذي تقر به عينها ، فأثرت الحصول على العلم ، وأصبحت بذلك كاهنة تتنبأ لقومها بما سيحدث ، فيسعى الراوي الى تقوية الصفات المرجوة في أبطاله ودلالاتها المعنوية من خلال تلك الأحلام .

وهذا عدي بن حاتم - أيضا - يرى أباه في المنام وقد حكى له ما كان من أمر أبي الخيبري معه ، فعلم عدي بما جرى على قبر أبيه في حلم أطلعه فيه أبوه على ذلك . وهكذا يتخذ الراوي من الاحلام منفذا الى التعبير عن اشراك بعض الأبطال في الاطلاع على مايريد من ايصاله من مضامين ومعان .

" خصائص الأسطورة اليمينية ذات الأساس الديني " :

بعد اطلاعنا على نماذج من الأساطير اليمينية ذات الأساس الديني ، يمكننا أن نستخلص منها بعض الخصائص التي اتسمت بها ، وقد لاحظنا في هذه الأساطير اتصالها الوثيق بمظاهر التقديس والعبادة لدى اليمانيين ، من هذه الخصائص :

١ - لوحظ في مظاهر عبادتهم وتقديسهم للالهة القديمة أنه يتوفر فيها عنصر المنفعة على نحو دائم ، مما يدل على ارتباط تقديسهم بما تحققه لهم تلك الالهة المتعددة من منافع جمة في حياتهم اليومية ، فكان التقديس جاء مرحلة تالية بعد الانبهار بقدرة تلك الالهة وقوتها . ووجدوا أنفسهم يتمتعون بتلك المنافع دون أن يستطيعوا التعليل لما يحيط بهم من نعمها ، من ذلك عبادتهم للكواكب والأشجار وغيرها من مظاهر الطبيعة .

وفي عبادتهم للأصنام الأولى التي قيل أن عمرو بن لحي قد جلبها معه وذرعها بين القبائل نجد الدافع الأول لعمرو بن لحي في جلبها هو ماتقوله الأسطورة في أن قوم نوح كانوا يعبدونها استسقاء للمطر واستنصارا على العدو ، فأراد عمرو بن لحي نفع قومه بها بعد كما ماسمعه عنها في تحقيق آمال القوم في شؤن حياتهم اليومية ، وهم بحاجة دائمة إلى المطر الذي ينتج عنه الغذاء الكافي للقوم ولماشيتهم ، كما أنهم لا يأمنون دوما إغارة العدو وهم بحاجة دوما إلى القوى الخفية التي تعينهم في التغلب على العدو المغير عليهم . فكانت عبادة تلك الأصنام ترتبط بمنفعتها لهم ارتباطا وثيقا وبمدى ماتحققه لهم من مآرب في حياتهم اليومية .

٢ - تقودنا الخاصة الأولى على نحو تلقائي إلى السمة الثانية وارتباط أساطيرهم بالواقع الذي يحيونه . فالأسطورة تعد تمثيلا حيا للواقع ، وإن اقبالنا على دراسة الأساطير - مع فهمنا لهذا الجانب فيها - يجنبنا الوقوع في اللبس .

وقد رأينا ذلك في تمثيلهم المادى لمعبوداتهم ، فصورت معظم الأصنام على أشكال مخلوقات واقعية من بشر أو حيوان ، كما مثلت الالهة من الكواكب أحيانا على شكل حيوانات مألوفة لديهم ، إضافة إلى تقديم القرابين للالهة في تماثيل مصنوعة على شكل حيوانات ، كما لمسنا ذلك في تقديم التماثيل التي على شكل حصان لاله الشمس وغيرها . حتى الشيطان الذي نسبوا إلى الحيريين إخراجهم من بيت رثام قد مثل بكلب أسود ، أمعانا في واقعية الأسطورة .

وتلاحظ النزعة الواقعية في أسطورة المسخ الاختياري عندما تعزو الأسطورة إلى الجماعة التي تدعى "بالصيعر" قدرتهم على الانسلاخ إلى هيئة الذئب الضاربة أيام القحط ، ليتمكنوا بذلك من الحصول على أقواتهم ، وليستطيعوا الانخراط في عالم الحيوان مستخدمين ضراوة الذئب في انتزاع قوتهم ومايسد أودهم ويحفظ لهم الحياة .

وبعد زوال ظروف القحط والمحل ، نجدهم يعودون ثانية الى هيبنتهم الانسانية ، فما كان ذلك الانسلاخ الموقت الا تلبية لحاجتهم الغذائية ، وتمشيا مع ظرف طارئ يأملته عليهم حالة القحط . وبزوال تلك الحال يعود القوم الى انسانيتهم أي (آدميتهم) بحسب زعم الأسطورة .

ومما يتخذ دليلا على النزعة الواقعية في أساطيرهم تعلق الأسطورة دائما بمخلوقاتهم الواقعية من بشر أو حيوان ، أو بما يحيط بهم من مظاهر الكون المحسوسة (أي المرئية والمسموعة) لديهم . فالصيعر خلق منهم ، وقوم يعيشون بينهم ، وعمرو بن لحي الذي جلب الأضام شخصية معروفة لديهم وتنتمي الى إحدى قبائلهم ، والكواكب المعبودة تحيط بهم كل يوم ومألوفة لديهم . والنار التي عرفت في اليمن وكانوا يحتكمون اليها ، هي أيضا ذات أساس واقعي ، لأن البلاد قد عرفت بهراكينها ، ووجدوا النار في أكثر من موضع فيها ، بل نص الباحثون على أن منطقة الأسطورة "أرجبا" غنية بمخلفات الهراكين التي خمد أوارها .

ان أبطال عبادتهم أي آلهتهم وأبطال أساطيرهم شخصيات وكائنات منتزعة من واقعهم . ولم يصل بهم الحال الى التجريد والتعميم ، الذي يتطلب منهم التصور الذي لا يستند الى الواقع . وقد لاحظنا ذلك في بطل التنين الذي تحلق به الأساطير العالمية في السماء بين الآلهة وتنزل به الأسطورة المسيحية في شكل القديسين ، أما الأسطورة اليمنية - لدى وهب - فقد تمثل لنا بشرا عاديا هو "جعفر بن قرط" الذي اتصف بالشجاعة والنجدة ، واستطاع ردع التنين ودحره ...

٣ - تتضح الغاية الخلقية جلية في معظم هذه الأساطير ، ولانستغرب ذلك والأمر متعلق بديانات القوم وعبادتهم ، فتجلت فيها النزعة الى الوعظ والارشاد وهداية القوم الى الطريق المستقيم .

ونضرب مثلا على وضوح الغاية الخلقية في أسطورة اساف وناثلة اللذين مسخا حجرين نتيجة لارتكابهما الاثم الفاحش في ربوع البيت الحرام ، فكان هذا المسخ ، وتصرح الأسطورة بالغاية من هذا المسخ ، كما تنص على سبب وضع الحجرين أو التمثالين في الكعبة ، وذلك ليتعظ القوم بما لقياه ، وليعرفوا عاقبة من أتى الفاحشة ولاسيما في البيت الحرام .

وتتضح الغاية الخلقية في جميع قصص المسخ ، فقد مسخ أجا وسلمى وحاضنتهما العوجاء الى جبلين هما الجبلان المعروفان (أجا وسلمى) بعد أن خالف كل منهم العرف الخلقى واتبعوا الهوى ، ومثل ذلك القوم الذين مسخوا قردة لعدم ايمانهم بالقدر ، أو لارتكابهم الغش والخداع في تعاملهم مع من حولهم في مجتمعهم ، ولذلك مسخهم الله قردة .

ونجد تلك النار التي الف القوم الاحتكام اليها في شوقهم والخاصة والعامه في اليمن ، فقد كان سبب اقبالهم عليها الانتصار للمظلوم وانصافه من الظالم الذي يظف ويحور عليه ، فارتبطت عند القوم بقدرتها ، أو ماتوسموه فيها من قدرة على تحقيق تلك الغاية الخلقية النبيلة التي تظهر الحق وتنتصر له ضد الباطل .

وننظر الى أسطورة الزهرة التي كانت امرأة جميلة ، استطاعت غواية الملكين "هاروت وماروت" ، وبعد أن علمت منهما ما استطاعت به الصعود الى السماء لم تتمكن من النزول ثانية ومسخت كوكبا مضيئا . ويتضح في الأسطورة الجانب الاخلاقي في صراع الملكين ومقاومتها لاغرائها بارتكاب المآثم حتى وقعا فيها ، ثم مسخها كوكبا في السماء رحمة بالبشر والخلق من قوة اغرائها واستجابتهم لدعوتها الى ارتكاب الفواحش وتبصيرا للملكين هاروت وماروت بما ارتكبا به بسبب "الزهرة" .

٤ - تتجلى النزعة الرطنية في تبعض هذه الأساطير ، وتصبغها بطابع معين ، نجد فيه الراوي ينتصر لبلاده ويكسبها مناعة وقوة ضد المعتدين الغازين ، فلا يستطيع ملك أو غاز دخولها واسترقاق أهلها ، ويمكننا هنا الاستشهاد بأسطورة وهب الذي جعل اليمن تستعصي على الفرعون باهتكار مخلوقات غريبة الخلقه وحيوانات مفترسة وعقارب طيارة أخافته وأهلكت عسكره ، فهرب ينجو بمن بقي منهم . لقد أطلق وهب لخياله العنان في تصور تلك المخلوقات المخيفة ، وحشدها جميعا ليجعلها سببا في انصراف فرعون القوي بجنوده ، كل ذلك تحقيقا للهدف الوطني وهو حماية بلاده من أي غزو خارجي ، مهما أوتي الغازي من عدة وعتاد ، فمخلوقات وهب الغريبة كقيلة باخافته وهروبه واكساب البلاد القوة والمناعة .

٥ - يبدو الافتتان بمظاهر الطبيعة واضحا في أساطير اليمن ، ولانستغرب هذا الأمر متعلق بالأسطورة التي تصبب بداية التفكير في المخلوقات الكونية والطبيعية . ويتضح لنا هذا في عبادتهم الكواكب التي تكون الثالوث المعبود لدى الامم القديمة وهي الشمس والقمر والزهرة ، ولعل بروز الشمس والقمر وارتباطهما بحياة الناس جعلهما أول معبودين قبل غيرهما من الكواكب وتلتتهما بعد ذلك الزهرة ، وقد رأينا في عبادة الكواكب تجسيد القوم لتلك المعبودات من حولهم بعدد من الحيوانات ، فمثل القمر بثور وصوره في معابدهم ، كما كانت الشمس تصور على هيئة بعير له قرنان ، اضافة الى صور الحيوانات الكثيرة التي كانت تقدم قرابين وصورتها النقوش أمام مسابيل الدماء في المعابد .

ان الافتتان بمظاهر الطبيعة من حولهم جعلهم يعبدونها متأثرين بنفعها الكبير لهم ، ثم أخذوا يبحثون عن محسوسات من حولهم تمثلها ، وتجسدها لهم في تأدية طقوسهم الدينية ، فلم يجدوا أفضل من الحيوان الذي يملأ حياتهم ويسد حاجتهم اليومية من الغذاء ، فمثلوها به . . كما قدموه لها قربانا .

وأوصلهم افتتانهم بالنجم المضيء " الزهرة " الى تخيلها امرأة حسناء تتولى غواية الملائكة واخراجهم من ملكوت السماء والتحليق فيها ، وأدى هذا الى تلك الأسطورة الجميلة حول " الزهرة " النجم والملكين هاروت وماروت .

ومن مظاهر الانبهار بالطبيعة من حولهم عبادة الأشجار وما اكتنفها من روايات وأساطير صورت الأشجار ممثلة لقوى خارقة أوجدوا لها تفسيراً في أساطيرهم .

ومثل ذلك يمكن قوله حول الجبال ، فكان لشموخ الجبال وعظمتها رهبة في قلوب الناس دفعهم الى خشيتها ، وهالهم ذلك الشموخ والعلو ، ولم يجدوا لذلك تفسيراً في الطبيعة من حولهم ، فأقبلوا يربطونها بمظاهر اجتماعية في حياتهم ، وأخذوا يبحثون عن تعليل لوجودها ، وأخذ الرواة يحكيون الأساطير من حولها متخيلين هذا الصمود وهذا الثبات قوى متحولة عن الانسان الذي مسخ في تلك الهيئة وتوحد بها .

فجعلوا تلك الجبال ممثلة للانسان الذي تحول اليها لأسباب معينة كما لاحظنا ذلك في أساطير المسخ الى جبال .

والنار أيضاً مظهر طبيعي مألوف ، لم يتورع الناس عن اكسابها قوة معنوية تسيرهم في شؤن حياتهم حين أكسبوها تلك القدرة على الحكم بين الناس والفصل في أمور حياتهم ، لجعلوها تنتصر للمظلوم على الظالم ، وقبلوها حكماً في التخلي عن وثنيتهم وقبول اليهودية ديناً لهم .

٦ - تظهر في أساطير اليمن النزعة الى الخيال الجامح الذي ينفي القول الشائع عن افتقار العربي قديماً الى الخيال الابتكاري ، كما مر هنا في رأي عبدالمعيد خان وغيره من المستشرقين . وقد لمسنا في مامر هنا كيف انساق الراوي وراء خياله المعجج في ابتكار أساطير جميلة حول عدد من الكواكب كما لمسنا ذلك في أسطورة الزهرة المرأة الحسنة التي تولت غواية الملكين . والطريقة التي عللوا بها مسخ تلك المرأة الى كوكب مضيء ظل في السماء لعدم استطاعتها معرفة ماتنزل به الى الأرض ، أو خوفاً من غوايتها للناس في الأرض ، وايضا في أسطورة اساف وناثلة وتخيل الرواة لأسطورة خلقية بعد رؤيتهما تمثالين لرجل وامرأة لم يتوانوا في الجمع بينهما عن سبيل الى ابتكار أسطورة تجمع بينهما ، وعدوا ذينك التمثالين أو الحجرين ممثلين لرجل وامرأة جمعت بينهما قصة غرامية فكانت أسطورة وقوعهما في الخطيئة في الكعبة .

وننظر الى أصنام نوح وخیال الرواة في الطريقة التي دفنت بها تلك الأصنام بعد الطوفان ، ثم انتقالها عبر السنين الطويلة الى " عمرو بن لحي " ، فجعلوا له رثياً يستشف الغيب ويتكهن بما يمكن حدوثه عندما أخبر عمرو بن لحي بالذهاب الى ضفة جدة وجلب تلك الأصنام وتقسيمها بين القبائل ، وكان ذلك كله في أسطورة لطيفة لعب الخيال فيها دوراً كبيراً .

وأضيف الى ما ذكرت ذلك الحشد من المخلوقات الغريبة التي تمتلئ بها أساطير وهب بن منبه ، وهي تدل على خيال ابتكاري في تصور مخلوقات عجيبة ليس لها وجود في حياتهم . فترى القوم أحيانا وقد خلقت وجوههم في صدورهم والحيوانات لديه مفرطة في الغرابة ، فالسباع سود ومخزومة الأنوف والعقارب تطير ، والحية ضخمة وطويلة ، تستطيع ابتلاع الفيل والنسنان يتحدث بل يقول الشعر .

ان في كل ما ذكرت لدليل على ابتكار الرواة ووجود قدرة عجيبة لديهم على الخيال المعجذب في ابتكار عوالم وشخصيات لا وجود لها في حياتهم اليومية .

٧ - ولح الراوي العميني بخفايا الأمور وغرائبها ، ولعل هذا ماوجه المفسرين الى الاغراب في تفسيرات بعض الآيات القرآنية ، والامعان في الخيال بعيدا عن النص الذي تتقيد به الآية أحيانا ، وقد انتبه المقدسي لهذه الظاهرة ، وانتقد المفسرين ، وأرجع دخول الأساطير والروايات في تفسيراتهم الى تأثير دواعي العصر ، ولا أظن تلك الدواعي تخرج عن ولوع الرواة والناس بخفايا الأمور وغرائبها ، مما جعل المفسرين ينساقون وراءهم ، مقتنصين أية فرصة تتيحها لهم آية من آيات القرآن الكريم ، للولوج في عالم الخيال والأساطير ووجدوا في الرواة اليعنبيين ومالديهم من تفسيرات وولع بتلك الأمور ما يغذي هذه الحاجة ويقوي هذا الميل لديهم .

فعمرو بن لحي يطلع على أصنام نوح على نحو عجيب على الرغم من بعد المسافة وبعد الزمن فكل ذلك بوساطة قوى خفية يتمتع بها الرثي الذي كان يلزمه ويطلع على خبايا الأمور وخفاياها .

وقد ساقهم الولع في الاغراب الى ابتكار تلك المخلوقات الغريبة ، والعوالم العجيبة مما حدا بهم الى ربط النسنان ببلاء اليمن ، وما صاحب وجودهم من قصص وأساطير .

٨ - يلاحظ في معظم الأساطير النزعة الى التعليل والتبرير ، فيربطون الأسباب بالمسببات على نحو عجيب يدعو الى التأمل والملاحظة ، فهم لا يكتفون بنسج الأساطير والحكايات الخيالية العجيبة ، ولكننا نلاحظ محاولتهم ايجاد المنطق الذي يربط بين الظاهرة وسبب نشوئها ، أو بين الحدث وسبب وجوده . وتسعفهم قرائحهم بابتكار الصلات الطريفة بين الأسباب والمسببات ، والروابط بين العلة والمعلول .

فتلك الأصنام التي عبدها قوم نوح ، لم يعبدوها فجأة ، ودون سابق انذار ، ولكنهم ابتكروا قصة لوجودها عندما جعلوها معثلة لخسة من القوم الصالحين ، افتقدتهم أهلهم عند وفاتهم وبلغ بهم الحزن مبلغه ، فصنعها لهم المشال على هيئة صورهم .

وحار القوم أيضا في اختفاء البشر من بينهم ، وأخذوا يربطون بين اختفائهم ووجود تلك الجبال المحيطة بهم في شموخ وشمم ، فوحدوا بينهم وبين تلك الجبال التي خلبت ألبابهم بوجودها الدائم ، وصاغوا في ذلك قصص المسخ الطريفة .

وهذه الشمس التي تظهر في بداية اليوم لتعود الى الاختفاء ثانية بعد جولتها ، أخذوا يبحثون في سر اختفائها ، وابتكروا أسطورة طريفة تعليلا لشروقها وغروبها كل يوم . . كما ابتكر غيرهم من الأمم أسطورة يعللون بها كسوف الشمس . (١)

ان كل تلك التفسيرات والتعليلات لدليل على وجود هذه النزعة لديهم ، والميل الى التعليل والتبرير على نحو منطقي يقنع سامعيهم في عصر الرواية .

٩ - تسود أساطير اليمن نزعة الى الافتخار بملوكهم القدماء وما حققه اليمن من حضارة وسوءدد في الزمن القديم ، فيميلون الى تضخيم وتفخيم ما حققوه وما أنشأوا من معابد ومبان دينية وقصور .

ونلمس هذه النزعة في الخلط بين المعدلوات المأثورة عن اليمن وما صاحبها من أساطير ، فهذا رشام الذي جعله الهمداني اسم شخص امعانا في التعظيم والدلالة على ماكان عليه القدماء من ملوك اليمن ، فتتسم المعابد والبيوت الدينية باسمائهم ، أو يرجع الفضل اليهم في انشائها ، مع أن النقوش تثبت عكس ذلك ، وتنص على أن رشام مخلوق عبد فيه الاله الذي تسمى باسمه وأقيم فيه ذلك المعبد المعروف ، ولكن النزعة الى تمجيد الملوك القدماء جعلتهم يربطونهم برشام وما تحيط به من قداسة وغرابة . وأخذوا يروجون له في أساطيرهم ، وينسجون حوله الحكايات .

ان الميل الى تمجيد الملوك جعل أحد الباحثين يربط بين تسمية بعض الملوك وبين عبادة تلك الأجرام السماوية مستشهدا بتسمية الملك "رب الشمس نمران" (٢) ولا أظن ذلك الا من مظاهر اللبس الناتج عن الخلط الذي ساقهم اليه الافتتان بالملوك القدماء وتمجيدهم .

ومثل ذلك ما قيل في اسطورة تولي بلقيس الملك وقصتها في القضاء على الملك السابق الذي طغى وتكبر ، فعانى أهل اليمن من جوره وظفياه الى أن تم خلاصهم منه على يد بلقيس في تلك الأسطورة ، فأثبتوا للملكة اليمانية بطولة فائقة في التغلب على الملك الظالم بالدهاء وحسن الحيلة ، وكان خلاص شعبها من ظلمه وظفياه .

(١) أنظر البحث ص ٩٨

(٢) أنظر البحث ص ٩٧

١٠ - ولايكتفي رواية اليمن باثبات البطولات للملوك ، ولكن أعيان اليمن أيضا وقادتها المشهورون قد حققوا بطولات فاشقة كما لمسنا في أسطورة جعفر بن قرط ، وماكان من خبر رحلته الى الحج للعمرة ففضى على كل مصادفه من صعوبات وعوائق كانت تعترض طريقه ، فأثبت شجاعة نادرة في قضاءه على المملوكين الشابين ، وأسرهما وأخذ يعاملهما بلطف في الأسر ، كما أن الراوي لم يكتف بذلك ولكن جعل البطل اليمني يجابه التنين ذلك الوحش الرهيب الذي دخل معظم الأساطير العالمية ، وكلها تصور خطره وفتكه ، ولايتأتى القضاء عليه الا على يد أحد الالهة الذي يتولى صرعه . أما الراوي فقد جعل البطل اليمني يصارع حتى كل التنين وانصرف ، ولعل في ذلك منتهى الشجاعة ومنتهى القدرة على الدفاع عن النفس ، وحماية الأهل والحمى ، عزاءها الراوي الى الشخصية اليمنية "جعفر بن قرط الأزدي" .

ويحرص الراوي على اكساب أبطاله من اليمنيين قدرات خارقة لاتتأتى البشر كما لمسنا ذلك في أسطورة فيميون الذي جعلوه سببا في دخول النصرانية الى اليمن ، فجعلوا فيميون متحصنا بقوى أخافت التنين منه ، وجعلته ينصرف دون أن يصيبه بأذى.

ومما يلحق بتلك النزعة محاولة الرواة اكساب عمرو بن لحي - وهو يمني خزاعي - قوة خفية تعثلت في وجود الرثي الذي يلازمه ويطلععه على مواطن الأمور ومكنه من معرفتها ، واستشفاف مايحقق النجاح منها ، عندما أملى عليه وجود تلك الأصنام ، وأشار عليه باحضارها وتوزيعها على القبائل العربية المعروفة كما مر بنا . ولعل لهذه الاشارة ارتباط بظاهرة الأولوية التي أولع بها رواة اليمن وحاولوا دائما ارجاعها الى اليمن بشخصياته المختلفة من ملوك وقادة وأبطال . فلذلك عمرو أول من جاء بالأصنام المعروفة بأصنام نوح ، وأول من أدخل عبادتها الى بلاد العرب ، فكأنني بالراوي - هنا - لايهمه فحوى عبادة الأصنام ما تحمله من مضامين دينية وثنية ، ولايهمه ماكانت عليه عبادة القوم بقدر مايهمه اثبات الأولوية لشخصية يمنية كانت لها قدرة خارقة في استشفاف الأمور ، وهمه عجيبة في تنفيذها .

١١ - يتضح في أساطير اليمن التأثر بالثقافة اليهودية ، ووجود بصماتها جلية على روايات اليمنيين وهم على ماكانوا عليه من اطلاع على تلك الثقافة ، بل كان تدينهم باليهودية ، كما قيل عن كعب الأحبار ووهب بن منبه . وقد نص وهب على الاطلاع على العديد من الاسفار القديمة . ويتضح هذا في الأسطورة التي حكى ابتداء دخول الديانة اليهودية الى اليمن ، وحديث الحبرين اللذين اصطحبهما تبع معه الى اليمن ، وما كان من احتكام أهل اليمن الى النار التي اندحرت بعد أن تلا الحبران التوراة ، فكان دخول اليمن الى اليهودية ايمانا منهم بتلك المعجزات التي أثبتها الحبران ، وتعددت تلك الأساطير حول الحبرين وتنوعت ، بعد احتكامهم الى النار التي كانوا يؤمنون بحكمها الحق في أمور حياتهم المختلفة . والتحاكم الى النار تقليد يهودى قام به بعض أنبيائهم كما أسلفنا .^(١)

ومثل ذلك ماصاحب وجود معبد ريام من حكايات أسطورية تحاول اثبات المعجزات لليهودية وذلك في قضاء الحبرين على الشيطان الذي ادعيا وجوده في بيت ريام ، فأمرهم العلك باستخراجه ، وكان ذلك عندما استخرجا كلبا أسود اعتبراه ممثلا للشيطان الذي خلاص البلاد من شره .

ان الترويج لليهودية واضح في تلك الأساطير ، كما أن صيغة الثقافة اليهودية تبدو جلية .

١٢ - وتأثرت الأساطير أيضا بالثقافة النصرانية ، كما لمسنا ذلك في الأساطير التي تحكي عن ابتداء دخول النصرانية الى اليمن . فربطوا دخولها بشخصيتين هما فيميون وتلميذه عبدالله بن الشامر ، فنسبوا الى ابن الشامر قدرته الى شفاء العليل والسقيم ، ثم نجاته من الغرق عندما ألقاه ملك اليمن في (بحور نجران) التي لايقع فيها شيء الى هلك . والملاحظ أن هاتان الصفتان من صفات المسيح حيث كان يشفي السقيم ويسير فوق الماء دون أن يغرق .

وجعل الرواة هذه المعجزات سببا في اتباع اليمن وملكها وأهلها الديانة النصرانية ، كما تغنوا في اثبات المعجزات ونسبها الى فيميون عندما جعلوا التنين (الحيوان الخرافي) يقبل عليه دون أن يلحسه بأذى ، وذلك لتحصن فيميون بقوى خارقة جعلت التنين يتراجع عنه ويتورع عن ايذائه ، ومسألة التنين وخطره أمر لاشك في اطلاع الرواة عليه من أسفار العهد القديم التي تنص على وجوده وتكوينه خطرا يهدد من حوله ، وهم يتوسمون في يهوه القدرة على صرع التنين وخلصهم منه كما مر بنا (١).

ان في كل ذلك تأثر بالثقافة النصرانية ، وبما كان يروجه معتنقوها من محاولات تثبت للنصرانية الخوارق والمعجزات .

١٣ - ويظهر التأثر بالقصص القرآني في عدد من هذه الأساطير ، فكان قصص القرآن كانت منطلقا للرواة في البناء عليها ، واتخاذ مادتها أساسا لأساطيرهم ورواياتهم العجيبة .

وقد ألفتنا أن القصص القرآني قد ورد للعظة والعبارة لأولي الألباب ، فل يشف شغف الناس الا الاطلاع على ماوراء هذه القصص من تفاصيل أخذ الرواة يفرقون بها المصادر العربية ، ووجدت تلك الأساطير طريقها الى كتب التفسير ، كما ألمحنا . ويتضح أثر القرآن في حكاية عبدالله بن الشامر وملازمته لفيميون ، وشبهها الواضح بحكاية النبي ومسي مع الحكيم الذي ظل يلزمه ويسأله عن سر أفعاله ، والحكيم ضيق بها لأنها ناتجة عن جهله بهواطن الأمور .

كما يتضح بناءً على أسطورة الزهرة والملكين هاروت وماروت على ماورد في القرآن الكريم من آيات ، وذلك عندما أراد الله تعالى أن يخلق آدم ، فقال للملائكة: " اني جاعل في الأرض خليفة " قالوا: " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسف الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " (١) ، وتستمر الآيات ، ويستمر معها تفسير الطبري عندما جعل الملكين المختارين في الأرض هاروت وماروت ، ويأخذ في سر أسطورة الزهرة التي كانت امرأة حسناء ، وماكان من أمر غوايتها لهما . (٢)

وربما كان ذكر الأصنام الخمسة في القرآن الكريم حافظاً على وجود أسطورة عمرو بن لحي وحصوله على تلك الأصنام التي اصطلح الرواة على تسميتها بأصنام نوح ، وهي التي جاء ذكرها في الآية الكريمة " وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ردا ولاسواعا ولايفوث ويعوق ونسرا " (٣) . فحكا الرواة أسطورة لطيفة تروي كيف اختبأت تلك الأصنام طوال السنين حتى عثر عليها عمرو بن لحي .

١٤ - ان الشعر الذي قيل في هذا النوع من الأساطير قليل اذا قورن بما دخل الأساطير بعامة من شعر انطق به الرواة أبطالهم على نحو دائم ، فلماذا قل الشعر في هذه الأساطير التي تعنى بأديان القوم ومعتقداتهم ، ويحتمل قول الرواة الشعر على لسان بعض أبطالهم ، ولكنه حذف على يد الرواة المتأخرين بعد الاسم تخرجاً وخوفاً من اتباع السامعين لما يسمعون ، فيكون الحذف حينئذ ناتجاً عن غيرة دينية أملت على الرواة حذفه واسقاطه من رواياتهم .

ولانستطيع الجزم - هنا - بوجود ذلك الشعر ، وان ما دعانا الى احتمال وجوده في مثل هذه الأساطير هو تلك الكثرة من الأشعار التي حرص الرواة على حشدها في أساطيرهم ، وانطاق أبطالهم بها في أنماط أخرى من الأساطير ، كما سنلاحظ في الأنواع القادمة .

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٠

(٢) أنظر البحث ص ١٠٠

(٣) سورة نوح ، الآية ٢٢

الفصل الثاني

" الأساس الطبيعي "

نخضع في هذا الفصل مجموعة من الأساطير التي تركز على الأساس الطبيعي ، وتتناول مظاهر الطبيعة والكون والحياة ، ووقوف الانسان ازاءها حائرا . لقد وقف الانسان في حيرة أمام بعض مظاهر الطبيعة التي أحاطت به ، ولمس في الكون أسراراً أشارت في ذهنه تساؤلات عديدة ورسمت فيه علامات استفهام وتعجب ، وثار في وجوده الاجابة الشافية عن ذلك كله . ثم تلفت حوله لعله يجد في واقعه ما يعينه على ذلك في تفسير مسألة أو تحليل قضية تتعلق بالحياة ، ولكن الواقع لايسعفه في الوصول الى الاجابة التي تشفي غليله وتروي صده .

حينئذ لم يجد ذلك الانسان بدا من اللجوء الى عالم الخيال ، وكانت تلك الحيرة دافعا لانطلاق في عالم التصور والتهويم ، فأخذ يبحث فيها عن أسرار الطبيعة والكون ، ويفلسف تلك الظواهر ويعلل لوجودها في قصص أسطورية طريف ، يحمل آراءه وتعليقاته في تفسير تلك الظواهر .

وكانت النتيجة مجموعة من الأساطير الجميلة حملها الانسان نظراته في الحياة مستخلصا اياها من تجاربه في الحياة وعراكه مع الدهر الذي كانت له وقفة خاصة معه في الأساطير التي أصلحنا على تسميتها بأساطير الدهر . حيث جسد الراوي صراع الانسان مع القدر ومحاولته المستميتة في تحقيق الخلود والانتصار على الدهر دون جدوى ، ثم التسليم بقضاء الله وقدره والوصول الى الحقيقة الساطعة في استحالة الخلود والبقاء لله وحده .

وتقبل الانسان حقيقة النهاية المحتومة وهي " الموت " ، ولكنه حار ثانية عند الوقوف أمام الجسد المسجن وقد فارقت الروح ، وتساءل عن انفصال الروح عن الجسد ، ثم حاول أن يربط بين بعض الاعراف السائدة ومصير الروح بعد موت الشخص ولاسيما اذا مات مقتولا .

ونجد الراوي في هذه الأساطير يختار أبطاله من الواقع الذي يملأ حياته ويحيط بها ، فيلتصق بواقعه التصاقا ملموسا دون تجريد للكائنات من حوله ، أو محاولة للخروج من اطار ذلك الواقع ، ومع ذلك شغلت اهتمامه كائنات غير مرئية كالجن ، فوقف ازاءها محتارا ، وصاغ الأساطير الكثيرة حولها ، محاولا خلق الصلات الوطيدة بينها وبين شخصياته اليمينية في قصص أسطورية طريف ، وهو في كل ذلك يحدوه التوفيق بين مايسمعه ويراه ومايعرف عنه من المصادر المختلفة .

أسطورة سهيل والشعريين :

لقد فتن العرب بمظاهر الطبيعة من حولهم ومالوا الى تجسيدها في أساطيرهم ،
اذ أخذوا يحتسبون حركتها في الكون ، وأخذوا يكونون القمص الذي يفسر ويعلل
ما يرونه في مسارها من حركة أو سكون .

ومن أجمل الأساطير التي تتناول مظاهر الكون هذه الأسطورة التي جعلوا
أبطالها من النجوم ، فتقول الأسطورة ان "الشعريين هما: "الشعري العبور" التي في
الجوزاء و "الشعري الغميصاء" التي في الذراع^(١) .

وجعل الرواة الشعريين أختين لسهيل ، حيث كان ثلاثتهم مجتمعين ، فانحدر
سهيل فصار يمانيا ، وتبعته الشعري اليمينية عابرة العجرة ، وبذلك سميت عبورا ،
أما الغميصاء فظلت مقيمة مكانها ، وبكت على أثر عبور أختها وراء سهيل ، وذلك
لفقدتهما ، وما زالت تبكي حتى غمعت فسميت الغميصاء^(٢) .

وقد اؤل الفينيقيون ظاهرة هبوط النيزك في السماء ، فقرنوا بداية عيدهم
بوميض نيزك يسقط في يوم معين من قمة جبل لبنان في نهر ادرنيس (نهر ابراهيم
اليوم) ، وكان المظنون أن النيزك انما هو عشاروت نفسها ، ومن الطبيعي أن يوءول
سقوطه في الأجواء السماوية بأنه هبوط الالهة الى ذراع حبيبا ، ويذكرنا هذا
الهبوط بعبور الشعري خلف سهيل بعد انحداره .

وقد ذكر الشعراء قديما (الشعريين) وتغنوا بهما ، فنسب الى المهلهل قوله :
وتخبو الشعريان الى سهيل بلوح كقمة الجبل الكبير^(٣)

وفي البيت ايحاء لطيف بحاجة الشعريين الى وجود سهيل بجانبهما يستمدان
منه نورهما وهو الوضاء العنبر الذي لاح بوضوح شامخ كقمة الجبل الكبير . ولكن
سهيل ينحدر في الأسطورة ، وتتمكن الشعري العبور من اتباعه بينما تحرم الشعري
الغميصاء من الانتفاع بجواره وحمايته ، ولذا تظل صورتها حزينة وهي تبكي
لفقدانها كما تقول الأسطورة .

وتستحضر هذه الصورة الى أذهاننا صورة افروديتي الالهة الاغريقية التي تغلب
عليها الحزن فغطت وجهها بوشاحها ، بينما وقفت منافستها العنيدة برسيفوني تحمل
غصنا بيد ، وتشير بالأخرى الى صندوق مغلق لعله يحتوي على ادونيس الصغير ، الذي

(١) ابن منظور ، لسان العرب (مادة شعر)

(٢) الزبيدي ، تاج العروس (مادة شعر)

(٣) لويس شيخو ، شعراء النصرانية ٢ : ١٧٠

أولعت به الالهتان المتنافستان حبا ، واحتكمتا في ذلك الى زفس اله الموت ،
فحكى بأن يبعث " أدونيس " مع " پرسيفوني " تحت الأرض شطرا من السنة ، ومع افروديتي
في العالم العلوي شطرا آخر .

وتتكرر صورة افروديتي الناشئة وهي تجلس في وضع حزين في العديد من
الأساطير الاغريقية ، ونرى الشبه الواضح بينها والشعري الفميصاء التي انفرط قلبها
حزنا ، وغمعت عينها من فرط البكاء على فراق سهيل ، وان حذف عنصر التنافس بين
الشعريين في الأسطورة العربية يجعلهما اختين لسهيل ، ولكن ظل حرمان الفميصاء
من سهيل مدعاة لحزنها الدائم ، في حين استأثرت الشعري العبور بصحبته الدائمة
لها .

وقيل ان أصل هذه الأسطورة من الكلدان ، فكان للشعري شأن عظيم في
مراثيهم ، كما بنت عليها جميع الأمم القديمة خرافات كثيرة .

وتجعل الأسطورة الاغريقية نهاية للشباب الجميل أدونيس بعد صراع الالهة
حوله ، فتسجل أن خنزيرا بهربا قتله وهو في الصيد ، وقيل ان الذي صرعه (آريس)
- وهو اله الحرب ومن عشاق افروديتي - لغيرته ، اذ تنكر في شكل خنزير لكي
يستطيع أن يودي بغريمه ، وما أشد ما بكت افروديتي حبيبها المقتول .

وقد وجدت على صخرة كبيرة صورة حفرت لأدونيس وافروديتي ، وهو مصور وفي
يده رمح ينتظر هجوم دب ، بينما جلست هي في وضع حزين ، وكان عباد أدونيس
يعتقدون أن الههم يموت كل سنة جريحا في الجبال فيتضخم وجه الطبيعة كل سنة
بدمه المقدس ، وكان النهر يجري محمرا الى البحر ، فيحيط سواحل البحر المتوسط
المتعرجة بخيوط قرمزية كلما هبت ريح نحو الساحل .

وننظر الى صورة مشابهة لسهيل في أبيات ابي العلاء المعري حين قال :

وسهيل كوجنة الحب في اللو	ن وقلب المحب في الخفقان
مستبد كأنه الفارس المع	لم يبدو معارض الفرسان
يسرع للمح في احمرار كما تس	رع في اللحم مقللة الفضبان
ضرجته دما سيوف الأعادي	فبكت رحمة له الشعريان
قدما وراءه وهو في العج	زكساع ليست له قدمان (٥)

(١) فريزر ، أدونيس ٢٣

(٢) شفيق معلوف ، عبقر ١٤

(٣) فريزر ، أدونيس ٢٢

(٤) المصدر السابق ٣٨

(٥) المعري ١ : ٤٣٣ ، سقط الزند

ان التشابه واضح بين الصورتين ، فكما حارب أدونيس الخنزير البري أو
الدب المفترس ، نجد سهيلا يصارع الأعداء ، وفي الأسطورة الاغريقية يحارب البطل
أدونيس الهة تنكرت في شكل حيوان متوحش انقض عليه حتى صرعه ، أما في الأسطورة
العربية فهليل يحارب أعداءه ويستمتع دفاعا في مصارعتهم ويهدي بطولة خارقة في
دفاعه ضدهم ، ولكنهم يحيطون به من كل جانب ، وتنزل عليه سيوف الأعداء ضربا حتى
تضربه في دماؤه ، وتشفق عليه الشعريان وتبكي لما فعله به خصومه ، ونلاحظ هنا
الشبه الكبير بين صورة سهيل المضرج بدمه وصورة أدونيس الذي سالت دماؤه في
النهر حتى البحر فتلونت سواحله بخيوط قرمزية ، لقد ضمخ الطبيعة بدمه ، وتبكي
الشعريان سهيلا كما بكت افروديتي أدونيس ، ويبدو أن الشاعر العربي لم ينس
رابطة الأخوة التي تربط سهيلا بالشعريين ، فجعل الأشنتين تشتركان في الحزن على
ما ألم به من أعدائه .

وقد أرجع البطلاني أصل هذه الأسطورة الى واقع العصبية بين اليمانيين
والمضرية ، فقال: "جعل سهيل لاحمراره واعتزاله الكواكب الشامية كأنه فتيل مضرج
بالدم ، وجعل الكواكب الشامية كأنها أعاد للكواكب اليمانية ، فلذلك ضج سهيل
بالدم ، لأنه بعضها (١) ."

وأرى في تعليقه بعض المبالغة وابتسار التأويل ، وفي الواقع لا أرى
أسطورة سهيل الا صدى للأسطورة الاغريقية حول أدونيس الاغريقية .

وقد فتن الشعراء بأسطورة سهيل واستمدوا منها صورا جميلة في تعبيراتهم
وتشبيهاتهم ، فننظر الى عمر بن أبي ربيعة الذي ذكر سهيلا في تورية لطيفة حين
قال :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان (٢)

وأراد الشاعر التورية لأن الثريا هي بنت عبد الله بن الحارث صاحبة عمر ،
وسهيل هو سهيل بن عبد العزيز (٣) ، وروى البغدادي أن سهيلا هو سهيل بن عبد الرحمن
بن عوف الزهري وأمه بنت يزيد بن سلامة ذي فأس الحميري ، تزوج الثريا ، ونقلها
الى مصر . وكان عمر يشبه بها ، ف ضرب لها العثل بالكوكبين . (٤)

-
- (١) المعري ، سعد الزند ١ : ٤٣٦
 - (٢) البغدادي ، خزائن الأدب ٢ : ٢٨
 - (٣) الأصفهاني ، الأغاني ١ : ٩٠
 - (٤) البغدادي ، خزائن الأدب ٢ : ٢٩

وفي إحدى الروايات أن سهيلا ركض وراء الجوزاء ، فركلته برجلها فطرحته حيث هو ، وضربها بالسيف فقطع وسطها ، ولايختلف ذلك عن الميثولوجيا عند اليونان وغيرهم ، مما زخرت به أساطيرهم من حوادث بين الهتهم (١)

ومما يلحق بهذه الأساطير قولهم ان سهيلا كان عشارا على طريق اليمن ظلوما فمسخه الله كوكبا (٢) ، لذلك رسم الشعراء صورته على نحو اتسم ببعض العداوة وذلك لارتباطه في أذهانهم بقصة المسخ كوكبا نتيجة ظلمه عندما كان عشارا ، لذلك قال فيه ذو الرمة في الرجز :

إذا سهيل لاح كالوقود فردا كشاة البقر المطرود

وشبهه بذلك قول جرير العود :

أراقب لوجا من سهيل وكأنه يعارض عن مجرى النجوم وينتحي
إذا ما بدا من آخر الليل يطرف (٣)
كما عارض الشول البعير المؤلف

ولعل فكرة المسخ أثرت في الشاعر ، فجعلته يشبه اعتزال سهيل النجوم وميله عنها بهعير ضم الى اهل وليس منها ولذا يقف بعيدا عنها ، فظل الشاعر ينظر الى سهيل مرتبطا بما عرف حوله من أساطير ، وهذا ذو الرمة أيضا الذي قال فيه : (٤)

إذا عارض الشعري سهيل كأنه قريع هجان عارض الشول جافر (٥)

وفي تشبيه الشاعر لسهيل ما يصور معنى الابتعاد والانفراد ، بل النفور أيضا ، ولاشك أن ذلك وليد ماشاع من أساطير حول النجم اليمني "سهيل" .

ان الأساطير التي اكتنفت النجم "سهيل" لاتقل روعة واغراقا في الخيال عما نجده في الميثولوجيا اليونانية ، بل نستطيع أن نلمس فيها قدرا كبيرا من مظاهر التشابه ، لانستطيع الجزم بمصدره ، هل هو اطلاق الرواة على تلك الأساطير الاغريقية وتأثرهم بها ، فدخلت ضمن مداخل رصيدهم الثقافي من خلال ماتتناقله الأمم من روايات وأساطير ، أم أن التشابه يرجع الى مرور الأمة بمرحلة معينة من التأمل في مظاهر الطبيعة والكون والتفكير فيها ، ومن ثم تجسيد الكائنات المختلفة من حولهم في قصص يتصورونها فيها أبطالا فمر رواة اليمن بما مر به رواة الاغريق من مراحل التفكير المختلفة في مظاهر الكون من حولهم .

(١) محمود سليم الحوت ، في طريق الميثولوجيا عند العرب ١٠١

(٢) الزبيدي ، تاج العروس (مادة سهل)

(٣) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ١ : ٤٣٤

(٤) ذو الرمة ، الديوان ٣٣

(٥) الجافر هو المكثر من الضراب حتى يحسر وينفرد عن النوق

من أساطير الخلق :

لقد روج كعب الأحبار لبعض هذه الأساطير وانتشرت رواياته في المصادر العربية القديمة ونقل بذلك بعض معتقدات اليهودية أو ما اصطلاحوا على تسميته بالاسرائيليات ، كما أسلفنا .

ومن أساطير الخلق لديه " ان الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ، ثم نظر اليها نظرة هيبه فصارت ماء ، ثم نظر الى الماء فغلى ، وارتفع منه زبد ودخان وبخار ، واعد من خشية الله ، فمن ذلك اليوم يردد الى يوم القيامة .

ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه ، واحدى يديه في المشرق والأخرى في المغرب بإسطين قاهشتين على قرار الأرضين السبع ، حتى ضبطها ، فلم يكن لقدميه موضع قرار ، فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن ، وأربعون ألف قاشمة ، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه ، فلم تستقر قدماء ، فأحدر الله بساقوته خضراء من أعلى درجة الفردوس ، غلظها مسيرة خمسمائة عام ، فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليه قدماء ، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار هذه الأرض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر ، فهو يتنفس كل يوم نفسا ، فاذا تنفس مد البحر ، واذا رد نفسه جرد ، ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار ، فخلق الله تعالى صخرة خضراء ، غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ، فاستقرت قوائم الثور عليها . . . ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا ، وهو الحوت العظيم ، اسمه لونيا وكنيته بلهوت ، ولقبه بهموت ، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال . . . " (١)

لقد كان كعب الأحبار يجد أدنا صاغية فيمن حوله حين يروي أساطيره تلك ، لميل الناس من حوله الى معرفة التفاصيل وماورا الآيات القرآنية من تفسير وتعليل ووجدوا لدى كعب الأحبار أو رواة اليمن ضالتهم في الرد على استفساراتهم وارضاء شغفهم في الاطلاع ، فكثرت أساطيرهم التي يعللون فيها ويفعلون حول خلق الكائنات والطبيعة من حولهم . . . وقد جاء في الآية الكريمة " الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها . . . " فأقبل الرواة يضيفون ويفعلون في ماتشير اليه الآيات حول خلق السموات والأرض ، غير مكتفين بالإشارات الطفيفة التي توهم اليها الآيات .

(١) الشعالي ، قصص الأنبياء ٤

(٢) سورة الرعد الآية ٢

وعند تأملنا أسطورة الخلق لدى كعب الأحبار نلاحظ الخيال المجنح في تكوين الصورة التركيبية المتكاملة لاستواء الأرض على ظهر الحوت - عدى حد زعم الراوي - كما نلمس فيها النزعة الى التعليل المادي لبعض الظواهر الطبيعية كظاهرة المد والجزر في البحر وما ينتج عن ذلك من امتداد المياه وانحسارها ، ففسر ذلك معللا بتنفس الثور الذي جعل منخره في البحر ، فشبهه بعني مد البحر ، وزفيره بعني الجزر .

يلاحظ في الأسطورة أثر للنظريات الباهلية وذلك في كون الماء مبدأ الكائنات ، كما يتضح فيها الأثر اليهودي ، كقول الراوي "بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الأرض"^(١) ، كما ان تسميته الحوت أو الكائن المائي لوتيا تذكرنا بالحياة الملتوية التي ورد ذكرها في التوراة باسم لوثايان^(٢) . ولانستغرب ذلك اذا عرفنا اضطلاع كعب الأحبار بالثقافة اليهودية وتبحره بها .

ويرى رفاثيل تباي أن العبريين هم الذين استعاروا أفكارهم عن الحيوان والحيوانات البهيمية ذات الجثث الهائلة ، من العرب الأوائل أو البائدة وهو ما كان يطلق عليه العرب "تعفون" ومنها "بعل تعفون" ، وهو ما يشير الى البهيمية ، وصراعات الحيوانات الخارقة الوحشية مثل الشيران والبقر الوحشي والحيتان^(٣) .

ومن الطريف أيضا وجود تشابه بين هذه الأساطير واحدى الأساطير الصينية التي تجعل الأرض قائمة على ظهر حوت ، كما كان الهنود الحمر يعتقدون أن الأرض قائمة على ظهر سلحفاة ، وكان الهنود يظنون أنها على ظهر فيل أو ضبع^(٤) .

ونذكر الطبري من أساطير الخلق أسطورة مشابهة للسابقة " . . ثم خلق الحوت ودحا الأرض على ظهره . ولما كان الحوت في الماء ، وكان الماء على ظهر حجر صلد ضخم لا نبات عليه ، وكان الحجر على ظهر ملك ، وكان الملك على صخرة ، وكانت الصخرة على الريح ، تحركت الريح ، فاضطرب الحوت، فعادت الأرض . عندئذ أثبتها الله بالجمال ، ففخرت هذه على الأرض . ."^(٥)

ويلاحظ - هنا - أيضا التعليل لزلزلة الأرض التي جعل الراوي حركة الريح ثم حركة الحوت مسببا لها ، كما تعلل الأسطورة لوجود الجبال التي أرسيت لتحفظ توازن الأرض فتوقف اهتزازها ، فيبدو الميل الى التعليل واضحا ، والنزعة الى التفسير المادي الذي يقنع تصورهم البدائي ، فجميع الكائنات الطبيعية من حولهم قد وجدت لسبب متعلق بغيره .

(١) عبدالمعبد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ١٦٠

(٢) التوراة ، سفر ، الاصحاح

(٣) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٤٤

(٤) الجوزو ، من الأساطير العربية ٤٧

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١ : ٢٢

تفسير الزلازل :

لقد تلقت الفرد حوله ورأى ظواهر كونية تلم بالطبيعة من حوله ، فحار في أمرها ولم يستطع أن يجد لها تعليلا ماديا يقنعه ، ولذا نقل الينا الراوي اليمني ما فكر به أولئك القوم في تعليلهم لظواهر الكون المختلفة وماينجم عنها من حركة في مظاهر الطبيعة ، وأخذوا يعللون بما يسمعون به خيالهم الخصب .

وخير مثال على هذا النمط من الأساطير ما نجده لدى وهب بن منبه في تعليل الزلزلة ، الذي تصوره فقال :

" ان ذا القرنين أتى على جبل قاف ، فرأى حوله جبالا صفارا ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا قاف ، وسأله عن الجبال من حوله ، فقال : هي عروقي ، فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرني لحركت عرقا من عروقي فتزلزلت الأرض المتصلة به " (١)

لقد ربط وهب بين السبب والمسبب على نحو عجيب مستنتجا بذلك تعليله من الواقع حوله ، فالزلزلة هزة عنيفة لا يمكن أن تحدث الا عن تحرك كائن أو جسم ضخم ، متى تحرك سببت حركته تلك الهزة التي حار المرء في تفسير سبب لها ، وليس في نظره أضخم أو أكبر من الجبل الذي أمامه ، وهو جبل شامخ تحيط به جبال صفار ، فخلق تلك الرابطة بين الجبل قاف والجبال من حوله ، وجسد الجبل الضخم ، وجعله كائنا بث فيه الحياة ، وربط حركته بحركة أجزائه ، فالجبال من حوله عروقه التي يأمره الله بتحريكها اذا أراد أن يزلزل أرضا .

ان هذه الأسطورة التعليلية لخير مثال على ما كان يتمتع به الراوي من خيال خصب وقدرة فائقة على التعليل الأسطوري الجميل ، مما يدل على وجود الأسطورة اليمنية ، بل الأسطورة العربية على نحو لا يقل عما نجده لدى الاقوام المختلفة ، وليتضح ممداق هذا القول بجدر بنا مقارنة هذه الأسطورة بما أشر عن بعض الأمم في أساطيرهم التعليلية للظاهرة الطبيعية نفسها (الزلازل) .

كان الأهالي في جزيرة "ساموا" في أثناء هزات الزلازل ينظرون على وجوههم ويعضون الأرض ، ويصرخون لاله الزلازل "مانودي" راجين منه أن يتوقف لثلا تتحطم الدنيا . وكانوا يعزون أنفسهم بأن ليس لمانفوي الا يد واحدة قائلين : (ولو كانت له يدان اثنتان ما أفطع ما كان يهز الأرض ا) .

وفي جزائر الفلبين يعتقد اقوام "باغوبو" بأن الأرض محمولة على عمود كبير ، ولكن هناك شعبانا ضخما يحاول انزالها عنه . فاذا ماهر الشعبان العمود

(١) وهب بن منبه ، التيجان

ارتجفت الأرض . حينئذ يضرب الناس كلابهم لكي تنوح ، لأن الشعبان يخشى نواح الحيوانات فيستوقف عن هز العمود ، ولذلك فإن نواح الكلاب يسمع صادرا من كل دار في قرى "الباغوبو" مادام الزلزال مستمرا ؛ (١)

ومن الملاحظ ميل هذه الأساطير الى التعليل المعادي لهذه الظاهرة الطبيعية التي قد تحل ببعض بقاع الكرة الأرضية ، فأخذوا يضعون لها أسبابا ويتخيلون تحت العالم الأرضي كائنات وقوى خفية تتحكم في الأرض ، فتسبب هزتها ، كما لمسنا ذلك أيضا لدى وهب بن منبه ، في تعليقه .

ونجد لدى كعب الأحبار أسطورة مماثلة في التعليل للزلزال الذي يحدث فتتهتز الأرض من حولهم ، حين قال " ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الأرض فوسوس اليه ، وقال له : " أتدرى ما على ظهرك يا لوتيا من الأمم والدواب والشجر والجمال وغيرها ، لو نفضتها أو ألقيتها عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك ، قال : فهم لوتيا أن يفعل ذلك ، لولا أن بعث الله تعالى اليه دابة دخلت في منخره ، ووصلت الى دماغه حتى عجز الى الله منها ، فأشفق الله عليه ، وأذن لها بالخروج ، ومنذ ذلك الحين والحوت ينظر الى الدابة واهي تنظر اليه ، ان هم بشيء مما وسوس اليه الشيطان عادت... " (٢)

ويلاحظ هنا تعليقه للزلزال تعليلا ماديا في أسطورة أهطالها من الكائنات التي يعمر بها الكون من حوله .

من أساطير الدهر :

لقد وقف اليمانيون في حيرة وخشوع أمام الدهر ، وصرخوا بذكره في الكثير من أشعارهم ، حيث يهديه الشاعر اليماني تعجبه ازاء صروف الأيام وأحداث الدهر وتقلبه ، كما وقف اليمانيون خاشعين ازاء الدهر وفناء الانسان ، فضمنوا أساطيرهم تلك المعاني الانسانية التي تنم عن تفكيرهم في الخلود والدهر ، ونهاية الانسان المحتومة في الفناء ، مهما وصل في تحقيق شهرة أو مجد ، وللتعرف على تفاصيل تلك المضامين ، يجدر بنا التعرف على هاتين الأسطورتين لنرى المعاني الانسانية التي تتضمنها :

١ - أسطورة ذي القرنين :

قد دار جدل واسع حول اسمه ونسبه وهويته ، ولا يهمننا - هنا - اثبات الحقيقة التاريخية حول وجوده وصحة نسبه وهويته ، ولكن ما يهمننا هو التعرف على الأسطورة اليمانية التي تجعل ذا القرنين ملكا يعبثا وتسميه الصعب ذا القرنين

(١) فريزر ، ادونيس أو تموز ١٤٤

(٢) النيسابوري الثعلبي ، قصص الأنبياء .

ابن الحارث الراثش ، فجعلته الروايات اليمنية ملكا يمينيا ، وكان الاختلاف بينهم حول نسبه الى حمير أو الى كهيلان (١).

وقد روى وهب بن منبه في تهيجانه أسطورة جميلة بطلبها الملك اليمني ذو القرنين (٢) وهي موضوع دراستنا ، وألخص هذه الأسطورة مع الاعتماد الكبير على أسلوب وهب :

قال وهب: ان الملك الصعب ذا القرنين بن الحارث الراثش ذي مرآقد قد ولي الملك ، وتجير تجيرا لم يكن في التباينة متجير مثله ، ولا أعظم سلطانا ولا أشد سطوة . وكان له عرش من الذهب المرصع بالجواهر النادرة ، وكان عظيم الحجابة . وفي ليلة رأى رؤيا كأن آتيا أتاه فأخذ بيده وسار به حتى رقي به جبلا عظيما منيفا لا يسلك فيه سائر من هول مارأى ، اذ تزفر تحته جهنم ، وأمواجهها تلتطم وفيها قوم سود تتخطفهم النيران من كل جانب ، فسأله الصعب عنهم ، قال له : الجاهرة . فاطلع يصعب رداء الكبر وتواضع لله يعطيك عزا أعظم من عرك وهيبة أجل من هيبة الكبر وعزا أعظم من عز الملك ، فاختر لنفسك أي المقامين أحب اليك .

فلما أصبح برز للناس بعد الحجابة وتواضع بعد القسوة ، وجلس بين الناس ودخلت قلبه الخشية فخاف من الله ، ثم أمر بالعرش فأخرج ، ثم قال: أيها الناس اهتكوا ولكل يد ما أخذت . فهتك العرش وانتهبه الناس ، ثم رمى بشوبه فتخطفه الناس .

قال وهب: ثم انه رأى في الليلة الثانية كأنه نصب له سلم الى السماء ، ورقى عليه ، فلم يزل يرقى حتى بلغ الى السماء ، فسل سيفه ثم علقه مصلتا الى الشريا ، ثم أخذ بيده اليمنى الشمس ، وأخذ القمر بيده اليسرى ثم سار بهما وتبعته الدراري والنجوم ، ثم نزل بهما الى الأرض ، فلم يزل يمشي بهما وتبعته النجوم في الأرض ، فأنفق . فلما أصبح خرج الى الناس هائما لا يدري ماهو فيه ، فاستنكر أمره .

ولما كانت الليلة الثالثة رأى كأنه جاع جوعا شديدا ، وظهر الى الأرض فصارت له غداء ، فأقبل عليها يأكلها جبلا جبلا وأرضا أرضا حتى أتى عليها كلها ، ثم عطف فأقبل على البحار يشربها بحرا بحرا ، حتى أتى على السبعة الأبحر . ثم أقبل على المحيط يشربه فلما أمعن فيه اذا هو بطين وحماء سوداء لم تسغ له ، فتركه ثم أنفق من نومه ، فلما أصبح هام وحار فيهما رأى وغاب عن الناس لما به . فقال الناس : يوما يظهر ، ويوما يحتجب .

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير واقبال اليمن ١١٣

(٢) وهب بن منبه ، التهيجان ٩١

فلما نام في الليلة الرابعة رأى كأن الانس والجن أتوه من الأرض كلها حتى جلسوا بين يديه ، ثم أقبل البهائم والانعام من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الوحوش من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الطير كلها حتى أظلته وأقبلت الهوام من جميع الأرض كلها حتى حفت به . ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه . فأرسل أمما من الانس والجن مع ريح الشمال ، فهبت بهم الى يمنى الأرض ، فلما ذهبت الانس والجن أمر البهائم والانعام فذهبت بهم الرياح الأربع وجوها من الأرض ، فذهبوا في سبيل الانس والجن ، ثم أمر الطير فذهبت بها الرياح في الوجوه الأربع ، ثم أمر الرياح فذهبت بالوحوش وحس سباعها تحت قدميه ، ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام في سبيل من مضى من جميع من أرسل .

فلما أصبح غلب عليه هول ما رأى من الروميا الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، فأرسل في وزارته وأهل مشورته فجمعهم ، ثم قص عليهم جميع ما رأى . فهاهم ماسمعوا منه ، ونصحوه أن يجمع أهل العلم والتأويل والكهانة ليفسروا له رومياء في المرات الأربع ، قائلين له : أيها الملك هذا شأن عظيم لم تدرك عقولنا تأويله . ثم قال له شيخ منهم له عقل ودين وقد حنكه الدهر : . . . لقد رأيت أيها الملك عظيما ، فليس على الأرض من يفسر تأويل رومياء الا نبي يبيت المقدس من ولد اسحاق بن ابراهيم الخليل .

فجمع ذو القرنين الجموع العظيمة والعساكر الجرارة ، وسار بها حتى انتهى الى البلد الحرام ، فمشى في الحرم راجلا حافيا وطاف بالبيت وحلق ونحر ، فقص حجه . ثم سار الى بيت المقدس ، وهناك سأل عن النبي الذي ذكر له ، فظهر له موسى الخضر الذي ينتهي نسبه الى ابراهيم الخليل ، وسأله الصعب : أيوحى اليك يا موسى ؟ قال له : نعم ياذا القرنين ، قال الصعب : وما هذا الاسم الذي دعوتني به ؟ قال : أنت صاحب قرني الشمس وذلك ان أول من سماه ذا القرنين الخضر .

قال وهب : ثم قص عليه رومياء ، فأجابه قائلا : ان الله مكن لك في الأرض وأعطاك من كل شيء سببا ، فأما جهنم فقد أندرت فانتبه ، فأما طلوعك الى السماء ليهو علم من عند الله تدركه ، وأما الشمس والقمر والدراري والنجوم فانه لا يبقى معك في الأرض ملك الا خلعتة ولا رأس الا تبعك . وأما الأرض التي أكلتها الى غابتها فلم تبق منها شيئا فانك تملك الأرض ومن عليها . والسبعة البحار التي شربتها فانك تركب السبعة الأبحر وتملك جزايرها . وأما المحيط فانك تركبه وتبلغ منه غاية حتى يأتيك عكر لا تستطيع تعبره فترجع دونه ، وأما الانس والجن فانك تنقلهم في الأرض من مكان الى مكان تحول أهل المغرب الى المشرق وأهل المشرق الى المغرب وأهل يمين الأرض الى شمالها وأهل شمالها الى يمينها . وأما الانعام والبهائم فانها تسخر لك وأما الوحوش والطيور والهوام فانها تسخر لك لاتضر شيئا في زمانك وحيث ماشئت عقدتها بيدك زمامها وأما الرياح فانك تملك عقدها تصرفها عن أي بلد شئت ، وأما رومياء أنك طفت بالشمس والقمر في الأرض فانك ستجاوز مغرب الشمس وتصير في ظلمة لاتتهدي الا بما في يديك من العلم ، ويذهب عنك ضوء الشمس والقمر ، فانهب بأمر الله ، واعمل بطاعة الله ، فان الله يغنيك ويسددك ويوفقك .

ثم نام ذو القرنين فرأى سببا كأن الأرض كلها عليها ليل الى أن طلعت له الشمس من المغرب بيضاء صافية ، فسار يلقي الشمس ، فلم يزل يتبع نورها حتى بلغ أرضا مفروشة بنجوم السماء ، فمش عليها . ثم أفنق فاعلم الخضر بهذا السبب ، قال له الخضر: أمرت بأن تسير الى المغرب وتبلغ وادي الياقوت .

ثم سار ذو القرنين الى المغرب بصحبة الخضر ، وأخذ ينقل الناس من أرض الى أرض ، فعاد الى أرض الحبشة ، فلم يزل يفتحها أرضا أرضا وأمة أمة حتى بلغ أقصاها .

وكان ذو القرنين في ترحاله يعمل بما أمره الله ، فيقتل من كفر ويعفو عن آمن ، ومر بقوم بكف ، ثم مضى يسير حتى انتهى الى قوم سود زرق الأعين ، ثم مضى الى قوم بلق ، آذانهم كأذان الجمال ، فقتل منهم أمعا وعفا عن آمن ، ثم انتهى الى قوم آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم الى ذقنه ، فاذا رقد وضع شقا عليها وغطت الأخرى الشق الأعلى ، وهكذا ظل ينتقل في الأرض حتى وصل الى جزيرة الاندلس فقلب عليها الى أقصاها .

ثم رام ركوب البحر المحيط ، فزفر عليه البحر وصار كالجبال الشم فرأى في الأسباب عقده ، فبنى منارة وجعل عليها صنما من نحاس عقد بها عاصفات الرياح ثم سكن البحر فركبه وسار بجميع جموعه حتى أبعده عن العقد ، ثم طغى عليه البحر ، فبنى منارة أخرى ونصب عليها صنما عقدا . فلم يزل يسير في المحيط وكلما عبر وزفر عليه بنى منارة وعقد عقدا حتى انتهى الى عين الشمس فوجدها تغرب في عين حماة في البحر المحيط ، ووجد من دونها جزائر فيها أمم لا يفقهون ما يقولون ولا ما يقال لهم . وسار حتى بلغ وادي الرمل ، وأقبلت الشمس حتى سقطت في العين الحماة ، فكاد يهلك ويهلك جميع من معه من حر الشمس .

فلما أتى وادي الرمل وجده يسيل بالرمل كالجبال الرواسي ، فرام أن يعبره فلم يطق . وأقام عليه أربعة أيام حتى دخل عليه السبت فسبت . وأخذ يرسل قواده بجنودهم لعبور الوادي ، ولكنه لاحظ أنه كلما أرسل أحدهم مع جنوده لم يأت لا القاعد ولا جنوده ، ولا يعرف عنهم شيئا . وسار مع وادي الرمل حتى بلغ الى الظلمة فصار ليله ونهاره واحدا ، وعين الشمس تسقط خلفه . وظل يسير بجنوده أياما حتى وصلوا الى جهة أشرق عليهم نور أبيض يكاد يخطف أبصارهم ، وسأله رجاله عن هذا الوادي ، فأجابهم بأنه وادي الياقوت فمن أخذ منه قال: ليتني أخذت كثيرا . ومن لم يأخذ قال: ليتني أخذت منه قليلا . ثم انتهى الى الصخرة البيضاء ، فكادت تذهب بأبصارهم من نورها وشعاعها . ثم دنا ذو القرنين من الصخرة ليرقى عليها فانتفضت وارتعدت وتقعقت فرجع عنها فسكنت ، وتكرر هذا ثلاث مرات ، ثم دنا منها الخضر فسكنت ، فرقى عليها ، فلم يزل يرقى وذو القرنين ينظر اليه والخضر يطلع الى السماء حتى غاب عنه ، فناداه مناد من السماء: امض أمامك فاشرب ، فانها عين الحياة ، وتطهر فانك تعيش الى يوم النفخ في الصور ، ويموت أهل السماوات وأهل الأرض ، فتذوق الموت حتما مقضيا . فمضى حتى انتهى الى

رأس الصخرة ، فأصاب عيننا ينزل فيها ماء من ماء السماء ، فشرب منه وتطهر ، فلما رأى الماء ينزل ويستدير ولايسيل منه شيء قال: الى أين تذهب أيها الماء ، فنودي : قد بلغ علمك .

فما رجع الخضر الى ذي القرنين قال له : ياذا القرنين اني شربت من ماء الحياة وتطهرت منه وأعطيت الحياة الى يوم النفخ في الصور وموت أهل السماوات والأرض ، ثم أموت حتما مقضيا ، ومنعت أنت ذلك ، ولك مدة تبلغها وتموت فارجع فليس بعدها مزيد لانس ولاجن . ولم ير ذو القرنين سببا فأقام حينما ينتظر ، وروى وهب على لسان ذي القرنين اثنين وعشرين بيتا من الشعر . ذكر فيها تقلبه في البلاد ، ومدى ماوصل اليه من مجد وسوءدد في فتوحاته العظيمة ، واخضاع البلاد والعباد لسطوته وقوته ، ويسلم أمره لقضاء الله قاثلا:

للدهر أيام لعبن بنا
يأتي القضاء بمحكم الطرس

ثم قال الخضر لذي القرنين: قد بلغت مبلغا ليس وراءه من مزيد ولامرى ، وطفنت جزائر المحيط وبلغت حجة الله على الجن والانس بالمغرب ، فانتظر مايجي اليك ، فأقام حينما ينتظر حتى رأى السبب الصادق ، فناداه مناد من السماء يأمره بالحكم العادل بين الناس والبصر على الضر في تحقيق مايرضي الله فالיום الفناء وغدا الغناء .

ثم أخذ وهب يسرد وصية الخضر لذي القرنين ، وهو يعظه فيها باتباع مرضاة الله ، وتحقيق العدالة في الأرض . . .

ثم ينسب وهب الى ذي القرنين ثلاثين بيتا من الشعر يسرد فيها أخبار رحلاته وفتوحاته واخضاع القوم لاتباع دعوة الله ، ويظهر فيها افتخارا بقوته وماحققته من مجد وسوءدد .

وصحب الخضر ذا القرنين ، فسارا يريدان مطلع الشمس يدعوان الى الايمان ولا يأتيان على أمة الا آمنت أو هلكت ، ثم عطف على الجزيرة ومضى الى العراق ، ثم أرض فارس ، ونزل على قصر المجدول وهو القصر الأبيض الذي بناه عاهر بن شالخ ، وبني فيه الصرح وبني القصر بألواح الرخام الأبيض وسقوفه بالزجاج الأبيض وأرضه ألواح الزجاج الأبيض ، وكان لحامه القصدير ، وأفرغ الماء تحت الزجاج من أسفل القصر . فكان القصر الأبيض أعجب ماينني في الدنيا في وقته ، ولم يهن في الدنيا مثله وهو آبدة من أوابد الدنيا .

ثم سار حتى بلغ نهاوند ثم سمرقند حتى وصل أرض يأجوج ومأجوج ، فقالتهم حتى غلبهم ، وانتهى الى الأرض السماء ، وهي جبال شم شواهق شوامخ ، فافتتحها وبلغ الأرض الهامدة ، وغلب من بها . ثم بلغ جزائر الأرض الرواب التي تزاور عنها الشمس عند طلوعها ، فوجد عندها قوما صفار الأغين صفار الوجوه مشعرين ، وجوهم كوجوه القردة ، وهم لايبظرون في النهار وانما يظهرون في الليل ، يختفون من حر

الشمس في المغارات والكهوف في الجبال ، فدعاهم بلسانهم وقد أعطاه الله سببا من كل لسان ، ثم صار في أرضهم حتى بلغ أطراف جزائر المحيط ، فأصاب بها أمعا من يأجوج ومأجوج يقال لهم "الاحرار" تطلع عليها الشمس وهم قوم سود زرق الأعين طوال الوجوده ، طوال الأنوف ، تشبه وجوههم وجوه الخنازير ، وهم يختفون في النار من حر الشمس ويظهرون في الليل ، فدعاهم وآمنوا .

ثم ركب البحر المحيط ولجج في الظلمات ، حتى وصل الى أرض بيضاء كالثلج ، فيها نبات ، وعليها ضوء ليس كنور الشمس ، نور أبيض يكاد يخطف الأبصار . فسار ذو القرنين وحده أحيانا حتى أشرف على دار مفردة بيضاء فيها بيت واحد ، وعلى باب الدار رجل أبيض واقف ، وعلى سطح الدار رجل مبيض واقف ، قد أخذ كمرمار فحسه في فمه ، وأمسكه بيديه جميعا ، وعيناه تشخص الى السماء يشخص بهما ، قال له الرجل الواقف بباب الدار: الى أين تريد ياذا القرنين ، ألم يكفك أرض الانس والجن حتى أتيت أرض الملائكة ؟ وسأله ذو القرنين من يكون فأجابته أنه ملك من ملائكة اله ، ثم سأله عن الدار ، فقال له الملك: هذه الدار دار الدنيا ، وهذا الذي عليها ملك من ملائكة الله ، وأوحى الله اليه أن يريك كيف أخذ اسرافيل الصور وعيناه شاخص بهما الى العرش ، ينظر حتى يورمر بالنفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فيقومون الى الميقات ، فهناك الفصل والعدل ، وكفى بالله حسيبا ياذا القرنين ، ارجع ، فليس لك مزيد .

ثم أعطاه عنقودا من عنب ، وقال له : كل منه ياذا القرنين ، وليأكل منه عساكرك ، فان لهم فيه آية وهو يبلغكم الى أرض الانس والجن . وخذ هذا الحجر (وأعطاه حجرا مثل البيضة) وزنه بما ترى عينك في الدنيا ، فان لك فيه عظة وعبرة . فرجع ذو القرنين بالعنقود والحجر الى عساكره ، فأكل العنقود ، وأكل عساكره وهو لا ينقص ، ثم أخذ الحجر فوزنه بجميع جواهر الأرض ، فرجع الحجر ، فلم يزل يزنه بالحجر العظيم والحديد الكبير ، فرجع عليه ، ولم يزل يرجع كل ماوزنه به ولو وزنه بالكثير من جميع ما في الأرض ماوزنه . فالتفت ذو القرنين الى الخضر وسأله عن سر هذا الحجر . فأجابته الخضر: هذا الحجر مثل لعينيك ، لم يملأ عينك جميع ما في الأرض مثل هذا الحجر الذي لم يرجع عليه شيء في الأرض ، ولكن هذا يملؤها ، ومد يده فأخذ قبضة من تراب فجعلها في الكفة ، وجعل الحجر في الكفة فرجع عليها التراب ، وخف الحجر . قال له الخضر: هذه عينك لا يملؤها الا التراب وهو القلب عليها .

وسار ذو القرنين يريد أرض الهند حتى أتى "قطر بيل" ، فوجد بها قوما سمو بالترجمانيين وهم من بني يافث بن نوح ، سمو بالترجمانيين لأنهم ترجموا صف ابراهيم بلسانهم . وجدهم ذو القرنين قد سكنوا مقابرهم ووجدهم لاغني فيهم ولا فقير ، ولا قاض فيهم ولا أمير ، ولاناه فيهم ولا أمر ، ورأى مواشيهم بلا رعاة ، رأهم بين الأنهار في خلاء من الأرض وقفار ، واستغنوا منها باليسير عن الكثير ، فسألهم عن سبب سكناهم المقابر ، فقالوا :

"ياذا القرنين سكنها لئلا ننسى الموت ونظمثن الى الحياة وتستهويننا الدنيا ، وانا رأينا الأرض كالبحر يسلكه المرء فيغطي قدميه ثم يمضي فيغطي ساقيه ورجليه ، فتقلبه أمواجه فتذهب به حيث شاءت ، فلا يدري ماتحته من الهواء ومافوقه من السماء ، فكذلك تستدرج المرء تخدعه ، ويتبعها حتى اذا لجج سارت به حيث شاءت ، والدنيا دار ابليس والآخرة دار الله..."

وأخذ ذو القرنين يسألهم عن نمط عيشتهم وهم يجيبونه معللين في مواعظ متتالية في فضل الآخرة على الدنيا ، وفي محاولتهم عدم الانسياق الى الدنيا والانجراف في تيارها ليكسبوا عيش الآخرة ، ويضربون له المثل بما يسود البشر في المجتمعات من ظلم اجتماعي .

ويستمر ذو القرنين في رحلاته ، فمضى الى أرض سمرقند فوجد فيها الزط والکرد والصفد ، ثم أرض مرد والديلم ثم أرض هراة الى أرض الصين والسند ، ودخل أرض الهند ، ثم رجع الى بابل ، ثم سار الى أرض تهامة والحج بمكة .

فلما صار من رمل العراق بموضع "حنو قراقر" رأى في الأسباب أنه يعوت بالحنو ويكون فيه قبره ، وأعلم الخضر بذلك ، فقال له الخضر : ياذا القرنين انقضى الأمل وحان الأجل وبقي العمل .. ونسب الى ذي القرنين في تلك اللحظة ثلاث وخسون بيتا من الشعر ، نعى فيها نفسه ورشاها ، وضمنها ذكريات فتوحاته في البلاد المختلفة ومشاهداته فيها ، حيث شرق وغرب في بلاد الله الواسعة .

فقال في انقضاء عمره وقرب رحيله :

قد حقق السبب الخبير بأمره	لما أتاك يصدق الموعدود
ودعاك اذ حان الرحيل ولم تجد	لما دعاك عن الرحيل محيدا
ولقد رجوت بأن تقال له فلم تجد	عند الرجاء في السنين مزيدا
ولت سنوك وغاب عنك مقامها	وأرى لعمرك فقدما موجودا

وقد نقل الهمداني الثلاثة والخمسين بيتا نفسها في اكليله ، والعجيب في تعقيبه "وهذه الأبيات من قصيدة طويلة في أربعمائة بيت تركنا باقيها" (١)

ومرض ذو القرنين ثمانين ليال ثم مات . وغاب الخضر فلم يظهر الى أحد بعده الا الى موسى بن عمران . ودفن ذو القرنين بحنو قراقر . فقال النعمان بن الأسود الحميري يرثيه قائلا :

بحنو قراقر أمسى رهيننا	أخو الأيام والدهر الهجان
لئن أمست وجوه الدهر سودا	جلين بذلك للملك اليماني
هناك الصعب ذو القرنين شار	بهطن تنوفة الحنوين عانسي

وروى عبید بن شریة أن تبع ابنه ملك بعده ، ونسب اليه شعر يتندم فيه على أنه لم يحمل أباه حين مات الى اليمن :

قد كان من رأيي وعزم أرومتي حمل الهمام الى محل يمانسي
اعني ابن مرشد حين ودع حميرا وابن الملوك وقاتل الفرسان (١)

ثم أخذ يتحسر على حال حمير بعده وما يمكن أن تقع فيه من ذل وهوان فقال:
ذهب الزمان به وخلف بعده أحياء حمير في ردى وهوان
بالهف نفسي يوم ولت حمير يوم الرحيل بترك خير زماني (٢)

وبعد الاطلاع على ملخص أسطورة ذي القرنين يمكننا استنتاج ماتضمنته هذه الأسطورة من معان انسانية اختلجت في نفس اليمانيين القدماء فعبروا عنها في أشعارهم وأساطيرهم مليحمين تارة ومصرحين أخرى ، ولعل أبرز مايلفت النظر في هذه الأسطورة هو صراع بطل الأسطورة ذي القرنين مع الدهر ، ومحاولته المستميتة في الظفر بالخلود ولكن دون جدوى ، وتعد أسطورة ذي القرنين وقفة تأملية للانسان ازاء الدهر ، ذلك الانسان الذي استطاع الوصول الى ذروة العجك ، فلم يرضى طموحه شيء ، بل ظل يتطلع الى المزيد .

ذو القرنين والدهر :

لقد انتبه القدماء من الشعراء والرواة الى الملمح البارز في أسطورة ذي القرنين فقال فيه الربيع بن ضبع :

أمن الأمور أخو الدهور فهل رأى ذا مرة من قبله معصوما (٣)

ولذا كانوا لا ينفكون يذكرونه مقترنا بالدهر والزمان ، وهم لا يفتأون يذكررون ماحققه من مجد وسوء دد لم يدم ولم يكتب له الخلود ازاء الدهر وحدث القضاء ، متخذين من هذه الأسطورة عبرة وعظة في مآل الانسان الى الفناء ، كما ذكره في مثل هذا السياق حكيم قومه قس بن ساعدة الايادي قائلا في موعظته : " ٠٠٠ أين المعجب ذو القرنين ، جمع الثقلين وأداخ الخافقين وعمر الفين ، لم تكن الدنيا عند الا كلحظة عين ، من لم يتعظ اتعظ بها " (٤)

وظل ذو القرنين مرتبطا - في أذهان الشعراء - بالدهر ، مما حدا بهم الحال الى تلقيبه "بملك الدهر" ، ولا بد أن يذكر التعجب من الدهر وتقلب حاله في كل موضع يستشهدون فيه بذكر ذي القرنين ومدى ما وصل اليه من مجد وقوة .

-
- (١) عبید بن شریة ، التيجان ، ٤٤٨
(٢) المصدر السابق ، ٤٤٨ ، زماني : كذا
(٣) وهب بن منبه ، التيجان ، ١٣٢
(٤) المصدر السابق ، ١٢٦

وعند تأملنا في أسطورة ذي القرنين يتضح لنا صراعه مع الدهر منذ بداية الأسطورة التي جعلته ملكا جبارا شديد القوة والسطوة ، يظل صراعه الدهر يستمر في تصاعد مع أحداث الأسطورة حتى نهايتها .

وتأتيه المعرفة على نحو لطيف في شكل أحلام تتوالى عليه ، ولاتخلو أحلامه من خيال لطيف لجأ اليه الراوي لتصوير مضمونه الانساني ، في الأسطورة ، فيفسرها الراوي بانتهاج الزهد وترك الكبر طريقا في الحياة ، والعمل بما يرضي الله في التحذير من جهنم والخشية منها ، والعلم الذي يدركه من عند الله ويأتيه بالأسباب الصادقة الى جانب اصطحابه الخضر الذي كان يعلمه بما يجهل ويفسر له ماخفي علمه ، وملك الأرض الواسعة شرقا وغربا والوصول الى ذروة المجد ، فهل تحقق له الخلود ؟

ان هذه الأمور كلها لم تقر به من الخلود ، ولم تمكنه من البقاء مع الدهر ، فظل ذو القرنين يضرب في بقاع الأرض شرقا وغربا ، يسيره طموحه الانساني في تحقيق المزيد من المجد ، ولا يكتفي بفتوحاته في أقاصي البلاد ، ولا يقنعه ما حقق من مجد وعلم وسوءدد ولكنه يستمر في رحلته حتى يدخل أرض الملائكة فينصحه الملك بالاعتاظ والعودة "وكفى بالله حسبا ياذا القرنين ، ارجع فليس لك مزيد" ويأمره الملك بالتوقف عما هو فيه .

ولكن ذا القرنين بهضعفه الانساني يحاول تحقيق المزيد دون توقف ويضرب في بلاد يسكنها أقوام غريبو الخلقة ، ويصطحبنا الراوي فيها لمشاهدة عوالم غريبة من البشر ، وذو القرنين في جميع فتوحاته ومغامراته يدعو الناس الى عبادة الله فيقتل من كفر ، ويبقي على من آمن ...

وينصحه مناد بالشرب من ماء الحياة ليعيش الى يوم النفخ في الصور ، فعرض يبعث عنه ليرى الماء ينزل من عين ليستدير ثانية دون أن ينزل منه شيء ، وتساءل ذو القرنين في دهشة ، ولقي الاجابة لدى الخضر الذي تمكن من الشرب من ماء الحياة والتطهر منه ، فلذا أعطي الحياة الى اليوم النفخ في الصور ، وقال له : "... منعت أنت ذلك ولك مدة تبلغها وتموت ، فارجع فليس بعدها مزيد لانس ولاجن..." ، وكان الراوي اليميني قد أوجد تعليلا لعدم تحقيق الخلود في ارادة الله أن يمنع الانسان الممثل في ذي القرنين من الشرب من ماء الحياة والظفر بالخلود ، مهما حققه في حياته من مجد وسطوة وقوة ، وقد كان هذا التعليل ردا عمليا لعزوف ذي القرنين عن كل ما أصاب وما حقق من انتصار ومن مجد وقوة وعلم ، في محاولته الدائمة الظفر بالخلود .

وقد ذكر النعمان بن الأسود في رسائه جريه الدائب في تحقيق الخلود في قوله عن ذي القرنين :

ولا يستطيع أمروه الوقوف أمام الدهر مخلدا مهما أوتي من قوة ومنعة ، ومن
ظل ذلك جعلته الأيام عبرة ، كما جاء في قوله :

من كان في حقب الدهور مخلدا أو كان في جمع العبيد عتيدا
تستعبر الأيام منه جسدة بعد النعيم ولو غدا جلمودا
لا يظعنن السى الزمان وريسة من كان لم يعهد عليه خلودا^(١)

وصور ذو القرنين صراعه مع الدهر الذي هزمه في معركة ظل فيها حسامه
مغمودا ، تلك المعركة التي لايمك فيها حق الدفاع عن نفسه حين قال :

هتكت خطوب الدهر عزك هتكة أمسى حسامك دونها مغمودا^(٢)

وكان امرأ القيس بن حجر الكندي قد استحضر في ذهنه هذه الصورة عند ذكره
ذا القرنين ، فصور الدهر غولا يغدر بمن يلتهمهم :

الم يحزنك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا^(٣)

وبعد ذلك كله فالانسان عاجز ضعيف ، يظل عجزه قيذا يتخبط في الخلاص منه
دون أن يستطيع لنفسه فكاكا . ويشعر ذو القرنين بالضعف الانساني والعجز ازاء
الدهر ، فيسلم بقضاء الله وبحتمية الموت في هذين البيتين :

أين الذي يخشى وينسى عمره يوما على بعد المدى معدودا
لاهد أن يلقى العنون وأن نأت وتأهدت أيامه تأهيدا

ويسلم ذو القرنين أنه لامفر من مواجهة القضاء مهما طال الأجل :

سيموت من تنى العنية يومه وتنال بنت الدهر منه بعيدا
ياصعب حقا كل شيء هالك الا الاله الواحد المعبودا^(٤)

ونستخلص من أسطورة ذي القرنين أمورا عدة ، تتجلى لنا عند دراستها
والتمعن فيها ، ويمكن ايجازها في النقاط التالية :

١ - الاقتباس من القرآن الكريم :

لقد نسج الرواة اليمينيون أسطورة ذي القرنين منطلقين من ذكر "ذي
القرنين" في القرآن الكريم ، فقد ورد في الآية الكريمة : "ويسألونك عن ذي
القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا"^(٥) . وفي قوله تعالى : "فلنا يذا القرنين اما
أن تعذب واما أن نتخذ فيهم حسنا" .^(٦)

-
- | | | |
|-----|-----------------------|-----------|
| (١) | وهب بن منبه ، التيجان | ١١٦ |
| (٢) | المصدر السابق | ١١٦ |
| (٣) | المصدر السابق | ١٢٤ |
| (٤) | المصدر السابق | ١١٦ : ١١٨ |
| (٥) | سورة الكهف ، الآية | ٨٣ |
| (٦) | المصدر السابق الآية | ٨٦ |

وقد عرف شغف اليمانيين بخلق الصلات المختلفة بالانبياء والمرسلين ، أو بمن عرفت قوته من الملوك ، فجعل الرواة ذا القرنين ملكا يمينيا مفسرين ما أوردته الآيات حوله بما يفذي أسطورتهم ، محاولين بذلك اثبات صدقهم في انتساب ذي القرنين الى اليمن ، وليس مجالنا هنا التحقيق في الجدل الواسع الذي أشاره هذا الانتساب وفي صحة هوية ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم ، ولكن مدار اهتمامنا الشخصية الأسطورية لدى اليمانيين .

ويستشهد الراوي بآيات القرآن الكريم في تعلق ذي القرنين بالأسباب وتفسيرها بما كان يطلع عليه من العلم والمعرفة . ويقول ذو القرنين في ذلك :

وبدت لك الأسباب عن آياتها لما بدوت وجردت تجريدا
ان اليقين يزيد لحظا صادقا وترى من الأمر الخفي وعيدا (١)

كما قال في موضع آخر :

وأعطيت أسبابا أرى الرشد عندها تناهت بصدق العلم عن كل عالم (٢)

ويظهر الأثر القرآني في الأسطورة اليمانية في وصية الخضر لذي القرنين في قوله "يا ذا القرنين حملت أمانة لو حملت على السماء انفطرت وعلى الجبال انهدمت وعلى الأرض انشقت" (٣) ، ويتضح شبه قوله بما ورد في أكثر من آية قرآنية معنى وتعبيرا . كما يلاحظ الاقتباس من آيات القرآن في تصويرهم الملك الذي حمل شيئا كالمزمار فحسه في فمه وأمسكه بيديه جميعا وعيناه تشخص الى السماء " ، وعند استفسار ذو القرنين قيل له " ان اله أوصى الى الملك أن يريه كيف أخذ اسرافيل الصور وعيناه شاخص بهما الى العرش ينظر متى يوءمر بالنفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض ، ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون الى الميقات فهناك الفصل والعدل وكفى بالاله حسيبا" (٤) .

ولا يكتفي رواة اليمن بإضفاء صفات القوة والجبروت لذي القرنين ولكنهم ينسبون اليه قوات معنوية وقدرة خارقة تذكرنا بما كان للنبي سليمان من قدرة في تسخير الرياح بأمره وفي تصريف الجن والحيوان ، كما ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى "وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطيور فهو يوزعون" (٥) ، وفي الآية الكريمة "ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير" (٦) .

(١) وهب بن منبه ، التيجان ، ١١٥

(٢) المصدر السابق ، ١٠٥

(٣) المصدر السابق ، ١٠٣

(٤) المصدر السابق ، ١١١

(٥) سورة النمل ، الآية ١٧

(٦) سورة سبأ ، الآية ١٢

فوجد ذا القرنين في حلم الليلة الرابعة وقد أتاه الجن والانس ماشلين بين يديه ، ثم أقبلت عليه البهائم والأنعام والوحوش والطير ، ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه ، فأرسل الأمم من الانس والجن مع الريح ، وأمر البهائم والأنعام فذهبت بهم الرياح ، كما أمر الرياح فذهبت بالوحوش وحبس سباعها تحت قدميه ، ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام ، وقد فسر له هذا الحلم بأن الانعام والبهائم والوحوش والطير والهوام تسخر له وحيث ماشاء عقد بيده زمامها ، كما أنه يملك عقد الرياح فيصرف ضرها عن أي بلد شاء . ويقول ذو القرنين في هذا الأمر :

وردت بباب الغرب والجمع مشرع
عقدت بعين الريح عقدا يكفسه
على موج بحر مزبد متراكم
فأمسك عن مجرى العدى المتفاقم (١)

وقد ذكر الربيع بن ضبع قدرة ذي القرنين في قوله :
فهل بعد ذي القرنين ملك مخلد
تريش له الأطيبار عند غدوه
وهل بعد ذي الملكين يوم فلاح
وتجنح ان ارمى لها برواح (٢)

٢ - النزعة الدينية :

وتتجلى النزعة الدينية في أكثر من موضع في هذه الأسطورة ، فذو القرنين يومه ذي شعائر الحج المعروفة قبل رحيله الى بيت المقدس ، وهناك "يمشي في الحرم راجلا حافيا ويطوف بالبيت وينحر" ، ويقضى مناسك الحج المعروفة . ولايكتفى الراوي بذلك بل يصرح بأنه كان مسلما ، وذلك في الأبيات المنسوبة الى أسعد تبع :

وأقام ذو القرنين فيها حجه
اذ كان ذو القرنين جدي مسلما
خوفا يطوف على اللظى المتوقد
فمتى تراه له المقاول تسجد (٣)

ويتجلى في الأسطورة التأثير بالفتوحات الاسلامية ، فذو القرنين يضرب في مشارق الأرض ومغاربها يفتح البلاد تلو الأخرى ، يدعو الناس الى الايمان بالله ، ويعفو عن آمن ويقتل من كفر ، فيقول في ذلك :

فهديت منها مؤمنا ذا هممة
وقسرت منها كافرا وجسودا

وهكذا يسير في البلاد المختلفة يدعو القوم الى الايمان بالله ، ولاتشبه الانتصارات المتكررة عن ذكر الله والتسليم بقدرته فيقول :
وعلوت في الدنيا بعزة قادر
أكدت فيها للبقاء تأكيداً (٤)

-
- (١) وهب بن منبه ، التيجان ١٠٤
(٢) المصدر السابق ١٣٥
(٣) المصدر السابق ١٢٣ ، وأنظر نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٠٣
(٤) المصدر السابق ١١٧

ومما يلحق بالنزعة الدينية قطع الموعظة المختلفة فيها ، كما جاء في وصية الخضر عليه السلام التي أوصى بها ذو القرنين . وتتضمن الموعظة طرائف التعامل مع الدنيا ، فينصح فيها ذو القرنين بالقناعة وترك مالم تستطع اليد الوصول اليه . . . كما ينصحه بالعمل لآخرته ، فالمطمئن الى الحياة مخدوع . . . فيختتمها بقوله : "ياذا القرنين اجعل الصبر دثارا والحق أشعارا والخوف من الله جنه ، يزكوك العمل وتأمين من هو الأجل . . . الخ"

ويوم من ذو القرنين على انتهاج الزهد وترك اللهو في قوله :
خرجت على الدنيا عن اللهو محرما وسقت جموعا كالهضاب الرواكم (١)

ومن مظاهر الزهد ماورد في الأسطورة حول سكان المقابر ، ومادار بينهم وبين ذي القرنين من حوار حول نبذ العيش الرغيد والميل الى الحياة في الدنيا الفانية ، فيشبهون "الأرض كالبهر يسلكه المرء فيغطي قدميه ثم يعض فيغطي ساقيه ، ثم يتمادى فيعلو حقويه ثم يعض فيعلو منكبيه ، ثم يعلو رأسه ، ثم يخطرب بيديه ورجليه فتقلبه أمواجه ، فتذهب به حيث شاءت فلا يدرس ماتحته من الهواء ولا ما فوقه من السماء ، فكذلك تستدرج المرء تخدعه ويتبعها حتى اذا لجج سارت به حيث شاءت" . (٢)

وتنتشر الموعظة في أجزاء متعددة من الأسطورة على نحو يعزز من وجود النزعة الدينية للراوي ومحاولته تحقيقها وتأكيدها .

٣ - النزعة الاخلاقية :

ومما يلحق بالنزعة الدينية أن يحرص الراوي على الانتصار للاخلاق الفاضلة وانتقاد مايراه من مظاهر التسلط والتجبر ، فنجد ذا القرنين ينصحه من اصطحبه في الحظم الأول قائلا : " . . . فاظن بصعب رداء الكبر وتواضع لله يعطك عزا أعظم من عرك وهيبة أجل من هيبة الكبر وعزا أعظم من عز الملك" فكان أن ترك القسوة والتجبر ، ومال الى الزهد بتوزيع عرشه على الناس . (٣)

وتتضح النزعة الاخلاقية أيضا في الموقف الذي أعطاه فيه الملك حجرا بحجم البيضة ووجده يرجح على كل جسم ثقيل في الأرض يزنه معه ، ثم وجد تفسير ذلك لدى الخضر الذي شبه الحجر بعين ذي القرنين التي لا يملؤها جميع مافي الأرض ، ولكن يملؤها التراب ، فأخذ حفنة من التراب ورجحت عندما وزنها مع الحجر (٤) . فأراد الراوي بهذا المثال أن يجسد صفة الطمع التي تلازم الانسان فيقبل على الحياة بنهم متزايد يريد الحصول على كل ماتقع عليه عينه ، تلك العين التي لا يملؤها الا التراب . . . ولهذا التمثيل ظل حتى اليوم في أمثال اليمن السائرة .

-
- | | |
|-----|-----------------------------|
| (١) | وهب بن منبه ، التيجان ، ١٠٤ |
| (٢) | المصدر السابق ، ١١٣ |
| (٣) | المصدر السابق ، ٩١ |
| (٤) | المصدر السابق ، ١١١ |

ويصور الراوي طمع الانسان أيضا في مرور ذي القرنين بوادي الياقوت ،
بقول ذي القرنين : ذلك وادي الياقوت فمن أخذ فيه قال: ليتني أخذت كثير ، ومن
لم يأخذ قال: ليتني أخذت منه قليلا (١٧).

فالأمر سيان في ميل الانسان دوما الى الحصول على المزيد أكان أخذ قليلا
أم أخذ كثيرا ، فلا بد أن يطلب زيادة على ما حصل عليه ، ولا بد أن يتمنى ذلك من لم
يأخذ لما فطر عليه الانسان من طمع في الحصول على ما تراه عينه ، وفي الاستزادة
منه بعد الحصول عليه .

ويضمن الراوي الأبيات التي نسبها الى ذي القرنين نوعا من النقد
الاجتماعي لما هو سائد في عصره ، يحمل الدهر مسوءولية ما يراه ، متعجبا من حال
تلك الأيام في قوله :

للدهر أيام لعين بنا	يأتي القضاء بمحكم الطرس
كم من قرير العين في دعة	ومروع الأيام في نحس
وعسيف قوم ظل في سعة	ومقام حر عاش في تعس

فيرى ضعيف القوم الذي آثر السلامة وتجنب المعارك يعيش في دعة ويسر ، بينما
يعيش الحر الشجاع الذي غامر بالنفس ، في عسر وضك ، كما يستمر في نقده
الاجتماعي قائلا :

وسود من غير مكرمة	وهمجد في ذاته يمسي
ومعزز لم يلق قط وغي	وحليف ذل فارس الدعس

فهذه الأيام ترفع من ترفع وتسود من تسود دون أن تعير أعمال المرء اهتماما ،
ودون أن تتخذ الشجاعة وقوة البأس معيارا في علو الغرل أو ضعته ، فترفع الدليل
وتذل العزيز ، فكأن ذي القرنين مطلع اجتماعي يود أن تسود مجتمعه العدالة
الاجتماعية في أن يجد كل امرئ حقه في الحياة .

وقال ذو القرنين في ما تكشف له من معرفة بأحوال الناس وأخلاقهم :

ولقد كشفت الناس عن أخلاقهم	وبلدت منهم طارفا وتليدا
ولقيت منهم أنوكا ومحنكا	ورأيت منهم عاجزا وتليدا (١٨)

فهو الخبير باختلاف البشر وتقلب أحوالهم .

(١) وهب بن منبه ، اليتجان ٩٩
(٢) الهمدانسي ، الأكليل ٨ : ١٨٩

ولعل الحال يضيق بالراوي لكثرة ما يرى حوله من ظلم اجتماعي ، ويشدد به اليأس في اصلاح تلك الحال ، فنجد ذا القرنين يأتي الى من أسماهم "سكان المقابر" وهم الذين نهذوا السكن في البيوت ، فسكنوا مقابرهم لا فرق بين غني ولا فقير ، وعندما سألهم ذو القرنين عن سبب ذلك أجابوه بأنهم فعلوا ذلك لئلا ينسوا الموت ويطمئنوا الى الحياة وتستهوئهم الدنيا . فغني الدنيا فقير بالآخرة . وتساورا في عيشتهم لئلا يكون منهم ضعيف يحسد قويا ويبغضه ، ولا يكون قوي يحقر ضعيفا ، فتكافأ الناس في معاشهم . وهم ليس لهم قاض ولا آمر لأنهم رأوا في دهرهم القوي الجاهل يغضب الضعيف ويستطيل كل ذي يد الى ما قدرت عليه ، ولذلك كفوا بعضهم عن البعض الآخر ليس فيهم ظالم ولا مظلوم . ويحسد ذو القرنين أحوالهم ولكنه ينتقد ظلومهم الى المقابر وعدم سعيهم لعمارة الأرض وحفظها لمن يخلفهم من العقب . ويحدثهم حديث المعطل الاجتماعي الذي يحثهم على حرت الأرض واستخدام الانهار ، ليكفلوا عنصر البقاء والعيش الطيب لمن يخلفهم (١)

٤ - الأثر اليهودي :

يبدو الأثر اليهودي في الحديث عن ذي القرنين عندما "أتى وادي الرمل ، فرام أن يعبره فلم يطق ، وأقام عليه أربعة أيام حتى دخل عليه السبت فسبت...". (٢) ونسب الى ذي القرنين قوله :

فلما أتاه السبت أسبت وارتقى على متنه عمرو وعاد بن عاصم (٣)

ومن المعروف أهمية السبت لدى اليهود ، ولانستغرب هذا الأثر والراوي لهذه الأسطورة هو وهب بن منبه ، وقد كان على قدر كبير من الثقافة اليهودية ، مطلعاً على أسفارهم القديمة كما أسلفنا .

٥ - الأثر النصراني :

ونلاحظ أثراً نصرانياً في الأربيات التي نسبها نشوان الحميري الى عبد الملك بن عبدالرحيم الحارثي حين قال في ذي القرنين :

فنودي لعاصم والشمس خلفه
فقد جئت حد الأرض والظلمة التي
على الماء ذا القرنين قفا واحب طافيا
مررت بها تهوى على الماء ماشيا (٤)

(١) وهب بن منبه ، التيجان ، ١١٢ - ١١٤

(٢) المصدر السابق ، ٩٨

(٣) المصدر السابق ، ١٠٥

(٤) عمرو وعاد بن عاصم : هما من قواده الذين أرسلهم للمضي في الأرض فلم يرجعوا
نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٠١

فقد عزا الشاعر الى ذي القرنين القدرة على المشي فوق الماء والطفو فوقه ، وهي قدرة خارقة لاتتوفر للبشر ، وقد عرفت هذه الصفة - لدى النصارى - من صفات المسيح الذي مشى على الماء ونجا من الغرق ، فأراد الشاعر أن ينسب الى الملك اليميني كل قدرة خارقة عرفوها . وقد كانت النصرانية معروفة في اليمن .

٦ - الشبه بأساطير يمنية أخرى :

من الواضح أن في أسطورة ذي القرنين مظاهر شبه متعددة بأساطير يمنية أخرى ، مما يدل على أن المنح واحد ، فصفت أساطيرهم بصفة معينة ، حيث يتجلى فيها الفخر بما حققه ملوك اليمين القدماء ، ويتكرر هذا الفخر في معظم الأساطير بل جليها .

وإذا فطننا القول في مظاهر الشبه فينبجذ ذا القرنين يصحب الخضر كما صحب عبدالله بن الشامر فميميون في أسطورة سابقة حول دخول النصرانية الى اليمن ، وقد ورد على لسان ذي القرنين :

صحت وليا مسكن الوحي قلبه ليعلم من أسراره كل كاتم (١)

ويمر ذو القرنين بالقصر الأبيض يتوسطه الصرح وبني القصر بألواح الرخام الأبيض وسقوفه بالزجاج الأبيض وأرضه بألواح الزجاج الأبيض ، وأفرغ الماء تحت الزجاج من أسفل القصر (٢) . ويذكرنا هذا الوصف بما جاء حول القصر الذي استضاف فيه سليمان بلقيس ، حيث صنع زوبعة لسليمان مجلسا من قوارير ، جعل أرض المجلس لجة ، ثم جعل فوق ذلك صرحا ممردا من قوارير ، فلما رأت بلقيس الماء حسبته لجة فكشفت عن ساقبها لتخوض الماء (٣) .

وليست هذه الظاهرة الا دليلا على أن مصدر الرواية واحد حيث تتكرر بعض المشاهد وبعض الأحداث ، كما نلاحظ في الشبه بين الفتوحات التي ينسبونها لكل من الملوك اليمينيين القدماء ، كما لمسنا ذلك لدى ذي القرنين .

٧ - الميل الى التفسير والتعليل :

يلاحظ في الأسطورة كثرة الميل الى التفسير والتعليل ، فلا تمر الظواهر دون أن نجد مايفسرها ويشرحها ، وبدأ الراوي بتلك الأحلام التي تواتت على ذي القرنين ، وكل منها يحمل له قدرا من المعرفة عظيما ، ويجد تأويلها وماتحمل من معان لدى النبي الذي في بيت المقدس ، ونعرف لكل حلم تأويلا وتعليلًا

-
- (١) وهب بن منبه ، الشيجان ١٠٥
 - (٢) المصدر السابق ١٠٧
 - (٣) المصدر السابق ١٧١

بما يتناسب وحال ذي القرنين أو بالآخرى مايتلاءم والمضمون الانساني الذي أراد الراوي الاشارة اليه . ولا يأتي التفسير سهلا ميسورا ، ولكنه يتطلب الرحلة الطويلة من ذي القرنين ، فيتنقل حتى الوصول الى بيت المقدس حيث ينتهه النبي هناك بتأويل أخلامه ، ويتضمن التأويل علما ومعرفة يحيط بهما ذو القرنين ويحاول اتباع مايشير به ذلك التأويل ، غير مخالف مامكنه الله من معرفة وعظة .

ويسعى ذو القرنين الى الخلود ، ولا يكتب له الخلود لسبب تعلق به الأسطورة هو عدم استطاعته الشرب من ماء الحياة ، كما استطاع الخضر الوصول اليها والشرب منها .

ويبتكر الراوي شخصية الخضر التي ترافق ذا القرنين وتتولى تفسير كثير من الأمور وتعلل لظهورها ، فينتهي ذو القرنين الى صخرة بيضاء على أحد مناكبها نسور ، ويتعجب ذو القرنين منها ومن تعلقها في ذلك الموضع ، ويجد التفسير لدى الخضر في قصة أسطورية لطيفة .^(١)

وقد مر بنا كيف وجد ذو القرنين عند الخضر التعليل لشغل الحجر الذي لا يوازيه وزن أو ثقل في هذه الدنيا . فلكل ظاهرة غريبة تعليلها وايضاها الذي يقنع السامع ، حتى أوجدوا تعليلاً لتسميته بذو القرنين في قول الخضر: أنت صاحب قرني الشمس ، فكان أول من سماه بذو القرنين .^(٢)

٨ - الاغراق في الخيال :

يسود الأسطورة جو خيالي يخلق بالقارىء في أجواء بعيدة ، سحيقة ^{في} القدم ، كما يلج به الى اراض غريبة فتارة هي متوهجة حارة تسقط فيها الشمس وتارة هي بيضاء تشع نورا وضاء ينير ماحولها ، ومرة هي صخور لاتقبل أن تطأها قدم ، فتتهز وترتعد وأخرى هي واد يسيل بالرمل كالجبال الرواسي ، فقال ذو القرنين :

أتيت الى واد حيث مسيلسه برمل تراه كالجبال الرواسي^(٣)

ثم يعبر بالقارىء أكثر من واد ، فمرة هو وادي الياقوت المملوء بالاحجار الكريمة النادرة ، ومرة هي أرض الظلمات :

وولجت في الظلمات حتى جبتها خوفا وكان رثاجها محدودا^(٤)

-
- | | | |
|-----|-----------------------|-----|
| (١) | وهب بن منبه ، التيجان | ٩٩ |
| (٢) | المصدر السابق | ٩٥ |
| (٣) | المصدر السابق | ١٠٤ |
| (٤) | المصدر السابق | ١١٧ |

وفي تلك الأسفار العجيبة والرحلات الأسطورية نشاهد أقواما غريبة الخلقة ، فنمر "قوم سود زرق الأعين" ، ثم ترى آخرين "بلق آذانهم كأذان الجمال" ، وبعدهم "قوم آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم الى ذقنه ، وإذا رقد وضع شقا عليها وغطت الأخرى الشق الأعلى" . ثم نأتى الى أقوام تزاور الشمس عن أرضهم عند طلوعها ، فهم "قوم صفار الأعين صفار الوجوه مشعرون ، وجوههم كوجوه القردة ، لا يظهرون في النهار ، وإنما يظهرون في الليل ، ويختفون من حر الشمس في المغارات والكهوف في الجبال" ، وينحدر بنا الى قوم آخرين "سود زرق الأعين طوال الوجوه طوال الأنوف ، تشبه وجوههم وجوه الخنازير ، وهم أيضا لا يظهرون الا في الليل" ، وقد عبر عن ذلك ذو القرنين في قوله :

ولقيت تحت الشمس قوما خلقتهم
تحت الظلام خنازرا وقرودا (١)

٩ - كثرة الشعر :

نلاحظ في هذه الأسطورة كثرة الشعر المنسوب الى ذي القرنين ، يروي فيه أسفاره وما لاقاه أثناءها من عظة وعبرة ، كما يصف فيها تجربته مع الدهر وإيمانه بالقضاء المحتوم الذي لامر منه ، والنهائية التي تنتظر كل مخلوق على الأرض وهي الفناء والموت ، ولذلك يذكر عدم استطاعته تحقيق الخلود الذي لا يحقق لبشر ، فهو يوء من بأن البقاء لله وحده .

ولم يتقصر الشعر في ذي القرنين واسطورته عليه ، ولكننا نجد شعرا منسوبا الى بعض الملوك اليمنيين القدماء من أحفاد ذي القرنين الذين ذكروه بل أخذوا يفخرون بذكره وماحققه من مجد وسلطة في امتلاك الخافقين ، وفي الانتقال عبر الأرض مشرقها ومغربها ، كما ضمنوا الرشاء أشعارهم . قال في ذلك الأقرن ابنه :

هل بعد ملك الصعب ملك يرتجي	يهدي بكل مساً وكل صباح
ملك السعود بكل أرض حكمه	تبع الهدى مستبصرا بنجاح
ولى وخلف ذكره من بعده	وهما لنا شبحاً من الأشباح (٢)

ضمن رشاءه الفخر بملك الصعب ذي القرنين وماحققه من نصر متبعاً الهدى والإيمان بالله .

وهناك أيضا شعراء يمنيون قد ذكروا ذا القرنين ورثوه متخذين من الرشاء مدخلا الى الافتخار بملوك اليمن القدماء وماحققوه في القرون السالفة من مجد وسوءدد . فذكره عبد الملك عبدالرحيم الحارثي وعلقمة بن ذي جدث وأمرؤ القيس والنعمان بن الأسود الحميري والربيع بن ضبع والأعشى وأوس بن حجر وغيرهم .

(١) وهب بن منبه ، التيجان ، ١١٤

(٢) الهمدانسي ، الأكليل ، ٨ : ٢١٥

قال النعمان بن الأسود اليعفري في مرثيته :
هناك الصعب ذو القرنين ثار بهطن تنوفة الحنوين عانسي
فمن صب الزمان بغير صعب لقد صب الزمان بلا أمان
هو الوزر الذي يلجأ اليه بنو الأيام من انسوجان (١)
فتعلو منزلته لدى الشعراء وسروا فيه الملاء الذي ياربهم وقت الشدة .

كما قل علقمة بن ذي جدن في رثائه :
أين الذي بلغ المشارف كلها ومغارب الأرض التي لم تعمس
فتناولته منية قصدت لـه فأجابها ومض كأن لم يذكر (٢)

ونلاحظ الفخر لدى علقمة مشوها بالعبرة والاتعاض في زوال الكائن الذي عندما حانت
منيته استجاب لها طامعا ، ومض وكأنه لم يكن .

ويغفر حسان بن ثابت الانصاري بملوك اليمن يذكر فيهم ذا القرنين ومسيره
في البلاد ، حين قال :

إذا انتسبت شوس الملوك فانما لنا الراية العليا التي ليس تكسر
لنا ملك ذي القرنين هل نال ملكه من البشر المخلوق خلق مصـور (٣)

ولانتغرب كثرة الشعر الذي صاحب أسطورة ذي القرنين ، أو اكتنفاك بشخصيته
فالامر مقترن بدواعي الفخر الذي طالما ملأ أشعار اليمانيين ، والتغني بأمجاد
ملوكهم القدماء وماحققوه في حياتهم من مجد ورفعة . وليس هنا ادعى من ذي
القرنين الملك اليماني الذي أدان الخافقين ، وحقق انتصارا يعلو على كل انتصار
في مشارق الأرض ومغاربها ، فلم تترك قوة بشرية لم تتوفر فيه بل نسبت اليه قوى
خارقة تمكن بها من تحقيق الكثير من الأمور . وقد ضمن الراوي أشعار الفخر في
مناسب الى ذي القرنين ، وتعلو نبرة الفخر في قوله :

كتبت بخط الحميرية آية بأن ليس بعدي من مسير لقادم
ولامذهب غير الذي قد أتيتم بني حمير غير النسور القشاعم
ولا بد مما أن تريحون غزوة لقتل الاعادي والملوك النواجم (٤)

لقد نسب الراوي أشعار الفخر الى ذي القرنين كما نشرها هنا وهناك على
لسان الملوك القدماء والشعراء .

- (١) وهب بن منبه ، التيجان ١١٨
- (٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٩٨
- (٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ٩٩
- (٤) وهب بن منبه ، التيجان ١٠٥

١٠ - مظاهر الشبه بالأساطير العالمية :

١ - الشبه بجلجامش :

يلفت النظر بعض التشابه بين أسطورة ذي القرنين والأسطورة البابلية "جلجامش" ، فجلجامش شاب شديد العزيمة ، وهو حاكم مدينة "أوروك" في بلاد سومر ، يسوق شعبه سوقا عاتيا ، فيلتمس الشعب الى الآلهة بأن يخلق منافسا له يشغله ، فيجد الشعب شيئا من الراحة ، فتستجيب الآلهة وتخلق انكيديو ، ويصبح هذا رفيق جلجامش وصديقه .

وكان ذو القرنين جبارا حكم شعبه بالقوة ، ولكنه تخفف من هذا الجبروت مع حلمه الأول ، وآثر الزهد والعمل بالمعروف .

ويخرج جلجامش وصاحبه انكيديو في طلب المغامرات والأخطاء ، ويشقان الطريق الى غابة الارز في الغرب ، ويقاثلان الوحوش الضارية ، ويبعدو جلجامش شجاعا لايهاب الموت ويعرف أنه النهاية المحتومة للانسان ، وذلك في قوله لرفيقه :

من ذا الذي ، يارفيقي ، ادرك من السمو (مايمكنه من)
الصعود الى السماء والاقامة مع شماش الى الأبد ؟
مجرد انسان - أيامه معدودات ،
ومهما فعل ان هو الالهة ربح .

ولكنه بعد موت رفيقه انكيديو يفجع ويرفض الاعتراف بالموت ، ولايبقى له الا هدف واحد هو العثور على الحياة الدائمة ، فيخرج للبحث عنها وفي نهاية العالم ، فيما وراء مياه الموت ، يقيم سلفه حظي بالحياة الأبدية ، يذهب اليه جلجامش ليعرف سره ، ويرحل لوحده في الطريق الطويلة النائية الى الجبال التي تغرب الشمس فيها ، ويطلق الممر العظيم الذي تقطعه الشمس في الليل ، ويكاد ييأس من رؤية النور مرة ثانية .

ويسير جلجامش ، ويجتاز سلسلة من الجبال بها وحوش ضارية وينتهي الى جبل أعظم ارتفاعا من الجبال السابقة ، على حراسته رجال كالعقارب وهو جبل "ملشو" الذي تغرب عنده الشمس . وفي طريقه يسأل عن الطريق الى سلفه اوتنابشتيم وعن الحياة الأبدية ، والكل يجيبه بأن بحثه لا أمل يرجى منه :

جلجامش ، أين رحمت تجول ؟
ان الحياة التي تبحث عنها ، لن تجدها أبدا
لان الآلهة عندما خلقت الانسان ، جعلت
الموت نصيبه ، وأمسكت
بأيديها عنه الحياة

ويستهر جليامش في الرحيل حتى يصل الى شاطئ البحر فيشاهد ملاح اوتنابشتيم ويمخر به هذا عباب الموت ، ويلتقي أخيرا بأوتنابشتيم ويسأله كيف يفوز الانسان بالحياة الأبدية ، ولكن اوتنابشتيم يعجز عن معونته ، فقد فاز هو بالحياة الأبدية في ظروف فذة لن تتكرر مطلقا^(١) .

وقد مر بنا في أسطورة ذي القرنين تغلبه على من حوله ، ومامر به في بقاع الأرض المختلفة حتى وصول أرض الظلمات وغيرها في مشرق الدنيا ومغربها ، ثم صحبه للخضر الذي حظي بالشرب من ماء الحياة وحرم منه ذو القرنين ، فكتب للخضر الخلود ولم يكتب لذي القرنين ، وأيقن حينئذ ذو القرنين باستحالة الخلود الذي ظل يسعى للوصول اليه ، وكان هذا يحاول تحقيقه والظفر به .

ويهنء جليامش نفسه للعودة الى "أوروك" يائسا كثيرا ، فيودعه اوتنابشتيم بهدية ، اذ يخبره عن نبتة تنمو في قاع البحر ، تعيد الى من يأكل منها شبابه ، فينتعش جليامش بعد اكتشابه ، ويصحبه ملاح اوتنابشتيم الى المكان المعين ، حيث يغوص جليامش ، ثم يصعد وفي يديه النبتة العريضة . فيبحر في اتجاه "أوروك" ، ويبلغان ساحل الخليج العربي ، ثم يرحلان في البر مشيا على الأقدام ، وكان اليوم قاطئا ، فحينما يرى جليامش بركة تغريه مياهها الباردة فيلقي بنفسه فيها . أما النبتة فيتركها على الضفة . وفيما هي ملقاة هناك ، تشم رائحتها احدى الافاعي ، فتخرج من جحرها وتختطفها .

فعللت الأسطورة لاستحالة عودة الانسان الى الشباب ، لأن نبتة جليامش ضاعت عليه ، كما عللت الأسطورة العربية لاستحالة الخلود لذي القرنين لأنه لم يستطع الشرب من ماء الحياة .

وتذكرنا شخصية اوتنابشتيم في الأسطورة البابلية بشخصية الخضر ، فكلاهما كتب له الخلود في ظروف نادرة لن تتكرر . وتعلل الأساطير لتلك الأسباب ، فاوتنابشتيم منح الخلود ، لانه في سالف الأيام عندما عزمت الآلهة على محق البشر، وانزلت الطوفان بهم بزعامة انليل ، لم ينج الا اوتنابشتيم وزوجته ، فقد أُنذر مقدما ، وابتس فلكا كبيرا أنقذ به نفسه وزوجته وزوجا من كل شيء حي ، وقد ندم انليل فيما بعد على ارساله الطوفان معتبرا ذلك طيشا منه . وهب اوتنابشتيم الحياة الأبدية جزاء له على انقاذ الحياة في الأرض^(٢) .

وفي أسطورة ذي القرنين يظفر الخضر بالخلود لشربه من ماء الحياة ، ولكن هذه القدرة نتيجة لعمل سابق قام به الخضر ، وترويه بعض الأساطير العربية .

(١) انظر فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ٢٤٦ - ٢٥١
(٢) المصدر السابق ٢٥٠

ف قيل أنه ظفر بالخلود لأنه الذي قام بدفن جثمان آدم . ف قيل ان جثمانه ظل مع نوح حتى نزل بهابيل فأوصى بنيه بدفنه ، ولكنهم لم يعرفوا الطريق الى تلك الأرض الموحشة ، فقل لهم نوح : ان آدم قد دعا الله أن يطيل عمر الذي يدفنه الى يوم القيامة ، فلم يزل جسد آدم حتى كان "الخضر" هو الذي تولى دفنه فلذا كتب له الخلود الى يوم القيامة^(١) فهناك شبه قوي بين الخطوط العريضة في الأسطورتين البابلية واليعمنية ، ويمكن أن نستنتج من مظاهر التشابه المختلفة التي مرت بنا أحد أمرين : الأول هو اطلاق رواية اليمن الذين نسجوا أسطورة ذي القرنين على ملاحم الشعوب القديمة وأساطيرها في حكايات سائرة اطلعوا عليها ، فاخترنتها ذاكرتهم لتعيد صياغتها بما يتناسب وواقعهم المعاش . ولا يمكن أن يعزل الراوي ما اختزنه ذاكرته من معرفة عند سرده تلك الأساطير ، وقد عرف عن وهب بن منبه - راوي أسطورة ذي القرنين - اطلاعه على الأسفار القديمة ، وتشربه بالشقافات القديمة .

الأمر الثاني: هو تشابه التفكير الانساني في مرحلة من مراحل تفكيره التي مر بها . . ف كلا الأسطورتين تمثل خلجات ملأت نفوس رواتها والمجتمع من حولهم ، كما تجسد طرائق التفكير البدائي لديهم ، والوقوف ازاء لغز الحياة المحير "الموت" فصورت تفكيرهم في البحث عن مخرج ينجو فيه الانسان من هذا المآل . . وفي الأسطورتين محاولة للتفسير والتعليل لعدم وصول الانسان الى تحقيق الخلود ، وان كان في الأسطورة اليعمنية طابع اسلامي صرف حرص الرواة على اضافته على الملك اليعمني ذي القرنين منذ بداية خروجه للرحلة وذلك في انتهاجه طريق الزهد ونهذ التشبث بالحياة ، وربما بدا هذا الانتهاج مناقضا لمحاولة ذي القرنين الوصول الى تحقيق الخلود ، ولكن ذا القرنين في رحلته يسعى لمرضاة الله ، يعمل بما يأمر به الله ، ويبعدو في رحلته مصلحا اجتماعيا يسعى في تحقيق العدالة في الأرض ولا يريد تحقيق الخلود الا لنشر العدالة والانتصار للمظلوم من الظالم ، ولتشبث كلمة الله في الأرض ، فكان يفتح البلاد فيعفو عن آمن ويقتل من كفر .

ورحلة ذي القرنين دروس وعظيمة وعبر اخلاقية تأتي أحيانا على لسانه ، وأحيانا أخرى على لسان مرافقه الخضر الذي كان يكشف له ماخفي علمه . فكانت الغاية الدينية بارزة كما أسلفنا .

ب - وقد تتضح لنا مظاهر شبه بأساطير أخرى ، فتذكر الأساطير البابلية ماء الحياة الذي كانت عشتاروت تضحخ نفسها به لتعود من أرض الظلمات الى الأرض العليا ، ربما مع حببها تموز ، لكي تنتعش الطبيعة بعودتهما من جديد . (٢)

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١١٢

(٢) فريزر ، أدونيس أو تموز ٢٠

فماء الحياة أو ماء الخلود قد ذكر في أكثر من أسطورة ، واقتربت الحياة أو الخلود بالشرب من ماء الحياة ، ونجد مثل ذلك في الأساطير الاغريقية ، فننظر في القيادة هوميروس الي "ديتيس" التي تضع طفلها فتتنبأ لها العرافات بأنه سيكون محاربا عظيما ، تتحدث بنكره الركبان ، فلا بد لها من الرحلة به الي الدار الآخرة "هيدز" مملكة بلوتو حيث تستطيع غمسه في نهر الخلود الزاخر ، الذي أودعته الآلهة أسرارها . وحدثتها العرافات أنها اذا غمست ابنها في مياهه فستكسبه مناعة ضد الموت والغناء .

ووقفت به الأم على شاطئ نهر الخلود ، وهالها ما رأت من تلاطم مياهه وقوتها . ثم هدأت المياه واستقرت ، فتقدمت الأم المضطربة حاملة ولدها "أخيل" من احدى رجليه ، وغمسته في الماء الهادي في أقل من لمح البصر . وعادت أدراجها فرحة متهللة . ولكن جزءا واحدا من جسم "أخيل" لم يغمره الماء ، ذلك هو عقب قدمه اليسرى .

ونهب الي الكاهن الأكبر تستكنه ماينتظر "أخيل" ، ويخبرها أن "أخيل" سيدعى للقتال في صفوف الاغريق ، وانه سيلقى حتفه تحت أسوار طروادة ، يسهم برميه به الد أعدائه ، يصيب منه مقتلا في موضع دقيق من جسمه ، هو عقب قدمه اليسرى التي لم تغمرها مياه نهر الخلود^(١) .

ففي الأسطورة الاغريقية تعليل لمقتل البطل الأسطوري "أخيل" ، وذلك بعدم غمس ذلك الجزء من جسمه في مياه نهر الخلود ، كما ورد التعليل في الأساطير السابقة لعدم الشرب من ماء الحياة ، فحرم أخيل من الخلود ، وحرم منه أيضا جليجامش ، وحرم منه ذو القرنين ، رغم محاولة كل منهم الحصول على مايوصله الي تحقيقه . وقد انتهى كل بطل في الأساطير السالفة الي الغناء والعدم .

وعلى الرغم من اختلاف الأهداف أو الأغراض التي يسعى اليها البطل لتحقيق الخلود في أساطير الأمم المختلفة ، فان ظاهرة التفكير المشتركة فيه تعد ملمحا في اشتراك الفكر الانساني في الهلع من الموت ، والافتجاج بتخطفه البشر من حولهم ولذا كان البحث عن الحياة الدائمة ، وكان البحث عن سر الخلود ومحاولة تحقيقه .

ولذلك كان اشتراك الأساطير العالمية المختلفة في اقتران الخلود بالماء لأنه الذي يمد الانسان دوما بالحياة ، فعشتاروت تتضمخ به لتطلع الي الأرض العليا مع أدونيس فتنتعش الحياة ، وأخيل تحاول أمه غمسه في هذا الماء ، وذو القرنين يسعى للشرب منه ، وكل منهم لايحقق له ذلك لأن الغناء مآل حتمي للبشر . وتلقت الأسطورة اليمينية الي أن الخلود أمر غير محقق لبشر وأن البقاء لله وحده ،

كما جاء في قول ذي القرنين لنفسه :
ياصعب حقا كل شيء هالك
الا الاله الواحد المعبودا

ان الأسطورة اليمينية وقفة تأملية للانسان ازاء الدهر ، ذلك الانسان الذي استطاع الوصول الى ذروة المجد ، فلم يرضى طموحه شيء ، بل ظل يتطلع الى المزيد ثم يعود الى واقع حاله ، ويسلم بقضاء الله .

٢ - أسطورة لقمان والنسور السبعة :

وهي اسطورة أخرى من أساطير الدهر لدى اليعمانيين ، بطلها لقمان بن عاد ، وهو من قوم عاد الذين سكنوا الاحقاف ، أفضى عليه رواية اليمن صفات نادرة لا تتوفر في بشر ، وقد صرح بذلك وهب بن منبه فقال انه كان ملكا حميريا أعطاه الله مالم يعط غيره من الناس في زمانه أعطاه حاسة مائة رجل ، وكان طويلا لا يقاربه أهل زمانه .

وكان لقمان بن عاد يدعو قبل كل صلاة ويقول :
اللهم يارب البحار الخضراء والأرض ذات النبت بعد القطر
أسألك عمرا فوق كل عمر

فنودي قد أجيبت دعوتك وأعطيت سوء الك ، ولاسبيل الى الخلود ، واختار ان شئت بقاء سبع بقرات غفر في جبل وعمر لا يمسهن ذغر ، وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر ، مستودعات في صخر ، لا يمسهن ندى ولاقطر ، وان شئت بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر عقب بعد نسر . فاختر لقمان سبعة نسور . وقال الأعشى في ذلك :

فأنت الذي سقيت عمرا بكأسه	ولقمان اذ خبرت لقمان في العمر
فقال مميت الخلق ما يصحب الندى	ثم لم يلق بدعوتها القطر
لنفسك أن تختار سبعة أنسر	اذا ما مضى نسر خلفت الى نسر
فقال فنسر حين أيقن أنه	خلود ، وهل تبقى النسور مع الدهر (١)

وتوحي أبيات الشاعر بأن لقمان قد ظن أنه باختيار النسور يحقق بعضا من خلود ، ولكن النسور أيضا الى فناء ، ولاتبقى مع الدهر .

وقد عرف لقمان في قومه بالصلاح والرشد والساد ، يدعو الى الله والى أبواب البر ، وكان في عاد قوم أسموهم بني كركر عرفوا بالقدر والعكر ، حاربتهم جميع القبائل وعاشوا في ذل بعد عز ، فنصحهم سيدهم السعيد بن زهير الذهاب الى لقمان بن عاد ، ورحل بهم قاشلا :

(١) البيتجان ٨٦ ، وقد وردت في حديث عبيد ص ٣٦٨ مع بعض الاختلاف

اني أرى الدهر الى فساد
لقمانها فقد هداه الهادي
من حمير السادة في العباد
بإحبتنا من رائد مرتساد

سيروا بني كركر في البلاد
قد قام من حمير ذو الرشاد
يدعو لها النادي وأهل النادي
فغير المنكر بالسداد

ويدل هذا على حسن سيرة لقمان في قومه وماكان له فيهم من ذكر حسن . ويسرد الراوي قصة خيانة بني كركر للقمان في زوجته بعد أن أحسن عشرتهم وماوهم . (١)

وترد اسطورة لقمان بن عاد على لسان عبيد بن شربة أيضا ، فيفصل فيها تفصيلا أكبر مما وجدناه لدى وهب بن منبه ، إذ فصل الحديث حول كل من النسور السبعة التي كانت للقمان (٢) :

النسر الأول :

بينما لقمان يدور ذات يوم في جبل أبي قبيس بمكة سمع مناديا لايرى شخصه وهو يقول: ياالقمان بن عاد المغرور بهقاء النسور ، اطلع رأس شبير يعدو قدرك المقدر ، فطلع رأس شبير فاذا هوكر نسر فيه بيضتان قد تعلقتا من فرخيها ، فاختر لقمان أحد الفرخين ، ثم عقد في رجله سير ليعرفه وسماه "المصون" ، ثم قال: المصون الخالص المكنون من بيت المصون ومحذور السنون وغبط العيون والباقي بعد الحصون الى آخر الدهر الخؤون .
وظل لقمان يرعى "المصون" حتى أدركه الكبر ، فضعف فلم يطق أن يطير . فبينما لقمان يطعمه لحما قد بضعه له ، إذ غص بهضعة منه ، فخر ميتا ، فجزع لذلك جزعا شديدا ، وانشأ يبكي نفسه ويقول :

ندوق الحمام حقا يقيننا
خفت من حسرتي عليه جنونا

موت المصون دل على انسا
ذل رأبي عند اختياري واني

وتستمر الأبيات مليئة بالتحصيف ، على نحو لايجعل بعض معانيها تستقيم .

النسر الثاني :

وكان لقمان يومئذ بالطائف ، فبينما هو يبكي نفسه ، إذ سمع المنادي ينادي: ياالقمان دونك الهدل رأس الجبل فوق مرعى الوعل ، مأمور بطاعتك كالأول ، فطلع لقمان حيث وصف له المنادي فاذا هوكر فيه بيضتان قد تعلقتا عن فرخيها ، فاختر احدهما ، وسماه عوض قائلًا: انت العو المبرأ من تلف العوض وآفات المرض ، وحقك علي مفترض أوديه كلما عرق نبض . وكان لقمان لايفقل عن اطعمه ، حتى أدركه الكبر فضعف ، فدعاه لقمان ذات يوم تحت شجرة لاطعمه فخر ميتا . فهال لقمان موته هولا عظيما ، فأنشد يبكي نفسه ويقول :

(١) التيجان ٨٢

(٢) عبيد بن شربة ، التيجان ٣٧٠-٣٨١ وانظر ، تاريخ الطبري ١ : ٢١٩ - ٢٢٦

مالي صبر عن المصون وقد
فارقهما الموت من حمامهما
كذاك أفنى حقا كما فنيا
عوضت من بعده عوضا
واخلقا مارجوت فافترضا
أجرع كأسا ممزوجة عرضا

النسر الثالث :

وكان لقمان يومئذ بالسراة يبكي نفسه تحت شجرة ، اذ سمع مناديا يالقمان
بن عاد ، اطلع الصفا تجد عن العرتون شرفا تصادق فيه خلفا . . .

فطلع لقمان رأس الجبل ، فوجد وكر نسر فيه بيضتان ، قد تغلقتا عن
فرخيها ، فاختار احدهما وسماه خلفا ، وكان لا يغفل عن اطعامه ، حتى اذا أدركه
الكبر وضعف ولم يقدر أن يطير ، أخذ له لقمان قفصا يحمله فيه حيثما توجه
ويطعمه فيه .

وبينما لقمان في مجمع عكاظ ومعه نسره ذلك في قفصه ، اذ اجتمع اليه من
حضر من العرب بعكاظ وطلبوا اليه أن يريهم نسره . فبينما هم يقلبونه وينظرون
اليه اذ مات النسر في أيديهم ، فاغتم لقمان لموته وجزع عليه جزعا شديدا ،
وقال :

بأنفسي أبكي عليه أن تجدي
اخترت من هفوتي بلا حسد
عليك أبكي اذ صرت نصب الردى
عند اختياري أن عندي لك النصف
ولا احترام مني لك التلصا
ولست أبكي بعبرتي خلفا

النسر الرابع :

ثم توجه لقمان الى جبل قريب منهم ، فلما دنا من الجبل سمع مناديا :
يالقمان بن عاد ، اطلع الى الجبل تلق في تلة العرتون المنتصب مغيبا لم يغيب من
حلول موت قد كتب على أهل المشرق والمغرب ، فطلع لقمان ذلك الجبل حيث وصف
المنادي ، فاذا هو هوكر نسر ، فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سيرا ليعرفه
به وسماه مغيبا . ثم قال: أنت المغيب ، عيشك معي العيش المخصب ، وأنا عليك
حذب في بقائك مرتقب ، فكن أبقي معن قد ذهب . وكان لقمان لا يغفل عن اطعامه . ثم
كبر الطائر وضعف ، ودعاه لقمان ذات يوم من رأس الجبل فلم يجبه ، فطلع اليه
فوجده ميتا فهاله ذلك ، ونزل به كرب عظيم فانشأ لقمان يبكي نفسه ويقول :

أملت مالا أنا له أبدا
أرعى نسورا لم يرعها أحد
اذا ازم الرأي نال ماظلبا
قبلي كأنني بذاكم نصبا

النسر الخامس :

وبينما لقمان يبكي نفسه اذا سمع مناديا يقول : يالقمان بن عاد لك في
الجبل الأيسر فوق الشاهق الاعر فأخرجه منه واستبشر ، فبطاعتك قد أمر ، والى
الموت يصير البشر . فطلع لقمان الجبل ، فاذا هو هوكر فيه بيضتان قد تغلقتا عن
فرخين ، فاختار أحد الفرخين وسماه ميسرة قائلا: أنت الميسر الباقي . . . انك النسر
الباقي بقاء الدهر . وكان لقمان لا يغفل ذات يوم ليطعمه فأقبل نحوه لا يطيق أن
يطير ، فذهب لقمان ليحضر له قفصا ، وعاد ليجده ميتا . فهال لقمان

موته ، وجزع لذلك جزعا شديدا ، فانشا يقول :

رجوت بأن أبقى وعمر ميسر
فصرت أرجي واحدا بعد واحد
ففات وأودى مفرد السى ميسر
نسور وهل تبتقى على الدهر أنسر

النسر السادس :

وبينما لقمان يبكي على نفسه ذات يوم ، اذ سمع مناديا يقول : ياللقمان بن عاد ، اطلع فوق الصفا الأملس مستقبلا مطلع الشمس تجد وقرة كالترس فيها راسخ محترس عن طاعتك لا يحتبس وستموت كل نفس . فطلع لقمان حيث وصف له المنادي ، فوجد وكر نسر ، فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين ، ثم علق في رجله سيرا ليعرفه وسماه أنسا ، ثم قال له : أنت الأنس من روعات الدحس والدهر غير التعس وحياتك ببقاء النفس . وكان لقمان يرعاه ويطعمه حتى نهض طائرا ، ثم كبر وضعف . ودعاه لقمان يوما الى الطعام فانقض كاسرا نحوه ثم وقع ميتا . فاعتم لذلك لقمان غما شديدا ، وأخذ يبكي نفسه وهو يقول :

أمرضني سادس النسور وقد
سميته لي لوحشتي أنسا
جدد حزنا وكان قد درسا
أودى لعمرى ولم يدم أنسا

النسر السابع :

وبينما لقمان يبكي نفسه اذ سمع مناديا يقول : ياللقمان بن عاد ، لك فوق الصفا الأسود حيث الشجر المتلبد فرخ به وفاء الموعد ، مأمور بطاعتك فاصعد . فصعد لقمان رأس ذلك الجبل ، فاذ هو هوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين وسماه لبدا ، وقال : أنت لبدا الباقي المخلد الى آخر الأهد ، عيشك معي رغد ، ويزاج عنك النكد ويوفى لك الرشد وعمرك لا ينفد ، وكان لقمان لا يغفل عن اطعامه حتى نهض ، ثم أدركه الكبر وضعف .

فلما دنا أجل لقمان وبلغ الميقات ، أقبل ذلك النسر لبدا حتى وقع على شجرة ، فدعاه ليطعمه ، فأراد لبدا أن ينهض فلم يطق أن يطير ، فأقبل لقمان فزعا مرعوبا ، حتى قام تحته وقال : " انهض لبدا ، أنت الأهد ، لا يقطع بي الأمد ، نهضا شدد نهض الملك المعجرد الحارث بن ذي شدد " ، فلم يطق لبدا أن ينهض وتفسخ ريشه ، فهال ذلك لقمان هولا عظيما ، ووقع موته منه موقعا جسيما ، فانشا لقمان يبكي نفسه ويقول :

موتي اني أموت اليوم ياللبدا
فطر كما كنت سالما لبدا
وحسرتي ان قد تصرم الأهد
تحيا ونحيا معا ونحتفد
ماعشت فابق ها ان لك الرشد
ان مت لم أبق انما أجلي

ثم سقط لبدا ميتا ، فجاء لقمان لينهض فاضطربت عروق ظهره ، وخر ميتا . وقال عبيد ان عمر لقمان كان ألف سنة وسبعمائة وأربعا وستين سنة ، وأخذ معاوية يسأله عن عمر النسور ، فاخبره انه كان عمر كل نسر مائة سنة ، وزيد لبدا عليها نيفا .

وذكر عبيد بن شربة أن لقمان ونسوره كانوا مثلاً في العرب ، فقال لعبيد بن ربيعة الكلبي :

لما رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم كالعقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نهضه ولقد رأى لقمان أنه لا يأتلي
ولقد جرى لبد فأدرك شأوه ريب المنون وكان غير مغفل

فذاذ ذكر النسور لبد في العرب وماكان من ارتباطه بلقمان ، وعند وفاة لقمان رشاه المثنى بن عمرو العمليق الذي كان شاهداً هلاك نسره ، فقال في رشاه مخاطباً النسور :

فنتيت وأفتى الله نسلك من نسر هلكت وأهلكت ابن عاد وماتدري
فمن ذا ينجي بعد لقمان فكره تخلصه يا قوم من تلف الدهر
وقيل أن لقمان دفن بالاحقاف الى جوار قبر هود .^(١)

وعند تأملنا في أسطورة لقمان ونسوره السبعة نلاحظ أن غاية البطل لقمان فيها هو الخلود ، ولهذا - عندما سئل اختار طول عمره ، ظاناً أن النسور يعد لها في العمر ، ويتضح ذلك في تسمية النسور السابع لبد ، وقد نسر عبيد أن اللبد في لغة العرب تعني الدهر ، فأراد لقمان أن يكون نسره الأخير الدهر ، فيمتد عمره مع الدهر ، ولكن النسور لبد أيضاً يفتى ، وبموته يموت لقمان .

ونلمح في الأسطورة موقت البطل المتمشيت بالحياة الذي يسعى الى تحقيق الخلود منذ بداية اختياره طول العمر . وفي مواقف حزنه الشديد عند موت كل نسر ، اذ يرى في موتها النهاية المحتومة تقترب منه . وعلى الرغم من رعاية نسوره الرعاية الكاملة وحديه عليهم ، فلكل نسر أجل معلوم ينتهي بانتهائه ، ولايستطيع لقمان عمل شيء سوى البكاء المرير عند موت كل منهم ، وهو متيقن من الأجل المحتوم الذي ينتظر نسوره . . . وينتظره ، فيقول بعد وفاة النسور الأول (المصون) :

موت المصون دل على أنا نذوق الحمام حقاً يقينا

كما يصرح بحتمية الموت بعد موت النسور الثالث خلف في قوله :

أيقنت أن النفوس لاحقة لاشك في ذاكم بمن سلفنا
والموت لاشك في يطلبنسي وهو مدركي وملحقي قرفنا^(٢)

كما قال بعد وفاة النسور الثاني :

وكل من ظن أن مهجته تدوم في عيشه فقد دحضا^(٣)

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٨٥

(٢) عبيد بن شربة ، التيجان ٣٧٣

(٣) المصدر السابق ٣٧٢

ومع ذلك هو في كل مرة يرعى نسرا نجده يظهر أملا في الخلود وسعيا في تحقيقه ، وعندما يموت النسر يجزع عليه جزعا شديدا ، ويخاف قرب انتهاكها الذي يعني انتهاكه أيضا .

ويؤم من لقمان أن الموت مدركه ولاسيما في الفرار منه ، ولكنه يبدي تخوفه من الموت ، ويصرح بذلك في قوله بعد وفاة النسر الثالث :

فما نجاتي من مدركي هربا ومن غلوب علي قد عكفا
فالقلب مني لخوف سطوته واحدة في الوقت قد رجفا

كما يخاف من لحاق الموت به على حين غرة منه :
والخوف منه أن سوف يلحقني في غفلة سادرا قد التحفا (١)

ويتجلى هذا الخوف من الموت عندما قربت نهاية "لبد" نسره الأخير ، فقال :

قد هالني ما أرى وأرعبني اني واجد فترة كما تجسد
أنكرت ظهري وركبتي ويدي فالبطن والمدر فيهما ويد
قد غالني كلما أرى نفسي والموت آت اذا انقضى لبدي (٢)

وتمر لحظات بلقمان فيؤم من بحتمية الموت ومآل الانسان اليه مهما عاش من سنين عمره ، وهو القائل :

ولو عشت أضعاف الذي عشت لم يكن من الموت بد ذاك حتم مقدر (٣)

ويتحقق من استحالة تحقيق الخلود ، مشبها ماجرى له مع النسور (كنبهة من مسافر نعسا) في قوله :

شبهت ماقد مضى ومنزلتي كنبهة من مسافر نعسا
أخلف ظني وذو طمع بالخلد قبلي أخطاه ما حدسا

ثم يعزي نفسه بأنه اذا داهمه الموت ، فقد عاش مجتنبها العيب ، لم يقترن اثما يندم عليه ، حين قال :

فان امت قد حبيت مجتنبها للعيب لم أجر سادرا دنسا (٤)

-
- (١) عبيد بن شربة ، التيجان ٣٧٣
(٢) المصدر السابق ٣٧٩
(٣) المصدر السابق ٣٧٦
(٤) المصدر السابق ٣٧٧

وننظر في تسمية لقمان النسر السبعة : وهي المصون وعضو وخلف ومغيب وميسرة وأنس وسابعها لبد الذي يعني الدهر . وكلها تحمل معاً نبي قد تعبر عن وقفة الانسان ازاء عمره أو رحلته في هذه الحياة ، فيصون الانسان عمره ويخاف من الموت كما يصون كل شيء عزيز يمتلكه ، واذا رزى بفقد المصون فهو يبحث عن العوض الذي يعوضه خيراً عن المفقود ، وفي رحلة العمر لاينجو المصون من الضنق والضياع ، ولايفتأ الانسان يبحث فيما حوله عن العوض ، ويسأل الله دوماً أن يعوضه خيراً في المفقود ، وتتمر بالمرء رحلة الحياة ويجد الخلف بعد السالف في توال مستمر ، ولعل هذا التوالي يجعل السابق دوماً في مغيب ليحتل مكانه اللاحق ، ثم الميسرة وهي حال يسعى الانسان في رحلة الحياة الى أن يحظى بها ، وهي ترادف الحظ والسعد بما يكفل له العيش الرغيد والانس الدائم طوال حياته . ويعد ذلك "لبد" وهو الدهر الذي وقف ازاءه الانسان في حيرة . . وهو الذي رجا لقمان أن يظفر به ويعيش أبده . . فلم يحقق له ذلك .

وتؤكد الأسطورة فناء الانسان واستحالة تحقيق الخلود منذ بدايتها ، فعندما يأتي المنادي وينادي لقمان في بداية اقتنائه كل نسر نجده يوءكد على استحالة الخلود ، وقد رهن عمره ببقاء الانسر السبعة مهما قدر لعمرها أن يطول ، ولابقاء بعد موتها ، وعندما سئل واختار لقمان النسر السبعة ، قيل له "قد أعطيت ماسألت ولاسبيل الى الخلود" ، لأنه أمر غير متاح لبشر ، وقد جاء على لسانه أملة في بقاء تلك النسر حين قال :

(١) وتبقى نسر سبعة كل واحد طويل المدى يرقى الردى ويعمر

فقد كان أملة في أن تعمر تلك النسر فيحقق بذلك العمر المديد ، وقد آمن لقمان بالنهاية المحتومة لكل بشر ، يتضح هذا في قوله :

(٢) ان كل النفوس من خلق ربي للمنايا أمسى وأضحى رهيننا

وقد ظل لقمان ونسوره السبعة رمزا للتشبه بالحياة والاعتقاد بالخلود أو العمر المديد ، فورد الاستشهاد بها لدى أكثر من شاعر ، متخذين منها عظة وعبرة ، فهذا عمرو بن نمارة يعظ ويذكر لقمان بن عاد قائلاً :

في أمر لقمان عبرة لكم
في كهف طرد ولاترى أبدا
أو أنسر سبعة لها أمد
ففاتة الخلد اذ تخيره
اذ قال نسرا يختار أو بعرا
وطأة واط ولا تترى مطرا
يفنى فقال الشقي بل أنسرا
يفنى كفاكم هذاكم بعرا

(٣)

- (١) عبید بن شریة ، التیجان ٣٧٦
(٢) المصدر السابق ٣٧١
(٣) المصدر السابق ٣٧٤

وذكر النابغة الذبياني النسر "لبد" في موضع العبارة والاعتاظ عند خلو الدار من أهلها فقال :

أمست خلاً وأمس أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبده (١)

وظل الشعراء يذكرون لقمان ونسوره عند حديثهم عن الدهر الذي يأتي على كل شيء ليلتهم ولا يبقى عليه ، فقال تيم اللات محذراً من الدهر :
رأيت الفتى ينسى من الدهر حقه
ولو عاش ما عاشت للقمان أنسر
حذار لريب الدهر والدهر آكله
لصرف الليالي بعد ذلك يأكله (٢)

هكذا كان الشعراء يتعظون بموت اخوانهم وينعون على الدهر خيانتة ، نجد الشاعر يتذكر لقمان وذا القرنين ، فهذا طرفة بن العبد يتعجب ممن يتطلع الى الخلود ويأمن الدهر مستشهداً بما جرى للقمان وذي القرنين :

وكيف يرجى المرء دهراً مخلداً
ألم تر لقمان بن عاد تتابعته
وأيامه عما قليل تحاسبه
عليه نسور ثم غلبت كواكبهم
أقام زماناً ثم بادت مطالبهم (٣)

وقد انتقد عبد المعيد خان العربي الذي اكتفت عقليته الساذجة المحدودة أن تنفع بأن الدهر هو المحي المميت ، ولم يظراً بباله أن يجرد هذا الدهر ما يحيط به من المادة والمحسوسات وأن يحدد به الى سماء المعاني المجردة (٤) . ولكنني أجد في أسطورة لقمان بن عاد ونسوره السبعة ما يرد على هذا الانتقاد ، ففي سعي لقمان الى الخلود ونضاله في بقاء النسور السبعة يمثل صراعه للظفر بمساواته بالقوة الخفية التي أسماها "الدهر" في أكثر من موضع ، لأن الراوي حريص على أن يجعل القدرة لله تعالى في تصريف الأمور وكأن لقمان أراد الخلود مجازاة للدهر الذي يفني الوجود ولا يفنى . أما تجسيدات الشعراء فأمر لا يتعدى التشبيهات التي تستحضرها أذهانهم لتقريب الصورة وإيصال معانيهم الى من حولهم في سهولة ويسر .

وقد حاول بعض الباحثين عند حديثهم عن نسر لقمان "لبد" أن يربطوه بالنسر الذي ورد ذكره ضمن الآلهة التي كانت تعبد في جنوب الجزيرة العربية بوجه خاص (٥) .

-
- (١) عبید بن شریة ، التیجان ، ٢٨٠
 - (٢) وهب بن منبه ، التیجان ، ٨٥
 - (٣) المصدر السابق ، ١٣٦
 - (٤) عبد المعید خان ، الأساطیر والخرافات عند العرب ، ١٣٧
 - (٥) ثلها وزن ، بقایا الوثنية العربية ، ١٣

ويربط آخر بين نسر لقمان وبين الآلهة الدهرية القدرية آلهة القمر السبئي نسر أو نسور الذي ورد في نصوص المسند باسم "بيت نسور" ، كما يلاحظ أن الآلهة القمرية "نسر" الذي يتوحد بالدهر والزمن ، هو ما أصبح رمزا قوميا لدى غالبية الشعوب العربية والسامية عامة^(١) . ولعل ماوجه التفاتهم الى تلك الواجهة هو ارتباط نسر لقمان بالدهر ، اضافة الى تسميته له "لبد" التي تعني الدهر . مما قوى من اعتقادهم في ارتباط تلك الآلهة القديمة المعبودة ونسر لقمان .

ويلاحظ في أسطورة لقمان والنسور السبعة كثرة الشعر الذي رواه عميد بن شربة الجهمي عند موت كل نسر من نسوره السبعة ، ولعل الراوي لجأ الى أقرب الأدوات تعبيرا عما يختلج في النفوس ، وأدقها في الانابة عن الأحاسيس والمشاعر ، فالشعر يكمل الصورة ويعطيها عمقا ويرسم ظلالها وألوانها في تصويره الحركة الداخلية لنفس البطل .

ويحس القارئ في هذه القطع الشعرية تدرجا نحو اليأس والمرارة ، والخوف يزداد شدة من قطعة الى قطعة حتى اذا ماوصلنا الى القطعة السابعة وجدنا نغمة اليأس والمرارة تصل الى قممتها . ان هذه القطع الشعرية تحكي أحساس رجل يموت سبع مرات ، عند موت كل نسر يحس أنه يقترب من الموت خطوة ، ويوقظه موت النسر لحظات فينتزعه فيها من الحياة ليريه النهاية المحتومة المعقدة^(٢) .

- أسطورة الهامة :

لقد نكر هذه الأسطورة الزبيدي في معجمه المعروف ، وهي تدور حول ظاهرة اجتماعية عرفها المجتمع العربي القديم ، وظلت بقاياها في بعض المناطق الى يومنا هذا ، وهي ظاهرة الأخذ بالشار ، فقد شاع في المجتمع القبلي الأخذ بالشار ، وعللوا لذلك بأسطورة الهامة ، فزعموا أن القتيل اذا لم يؤخذ بشأره خرجت من رأسه هامة لاتزال تصيح : اسقوني ، اسقوني ، فاذا أخذ بشأره ارتوى ظمأها ، فكفت عن الصياح^(٣) .

ونكر هذه الأسطورة ابن دريد الأزدي ، فسمى الطائر "الصدى" يخرج من هامة الرجل عند قتله وينادي الليل كله "اسقوني" حتى يقتل قاتله ، ويسمونه أيضا "الهامة"^(٤) . وقيل أن الهامة طائر من طيور الليل ، والذكر "الصدى"^(٥) . ولعلها

- (١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١١٤
- (٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٧٢
- (٣) الزبيدي ، تاج العروس ١١٢ : ٩
- (٤) ابن دريد ، الاشتقاق ٢٣٤
- (٥) الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، مادة (هام)

الطائر الذي نعرفه اليوم باسم "البومة" ، وقد ارتبط وجوده في الذهن بالشووم والتطير لسكنائه الاماكن الخربة ، ويسود اعتقاد شعبي بوجودها عند حدوث الوفاة وان لم يكن الميت قد مات مقتولا .

ويمكن تفسير أسطورة الهامة واحتمال نشأتها تعليلا وتبريرا لظاهرة الأخذ بالنار في المجتمع القديم ، ولكن يذهب من هذا الاحتمال ما أورده ابن منظور حول هذه الأسطورة ، اذ نص أن "مما اعتقده العرب أن روح القتيل الذي لم يدرك بشأره تصير هامة" (١) ، ويكمل بقية الحكاية الأسطورة . ومعنى هذا أنهم كانوا يسلمون بفناء الجسد وبقاء الروح في شكل طائر هو الهامة أو الصدى ، ويظل هذا الطائر يصيح حتى يؤخذ النار من القاتل ، فاذا أخذ بشأره سكن وكف عن الصياح .

ويمكن الاستشهاد على هذا الاعتقاد بما ورد على لسان الشاعر ذي الأصبع العدواني حين قال :

ياعمرؤ الا تدع شتعي ومنقصتي أخربك حتى تقول الهامة : اسقوني (٢)

وقد ذكر المسعودي ما يؤكد اعتقاد العرب في تحول الروح أو النفس الى شكل طائر في قوله "وطائفة تزعم أن النفس طائر ينسبط في جسم الانسان ، فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به ، متصورا اليه في صورة طائر ، يصرخ على قبره مستوحشا . ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم..." (٣)

ولعلهم وجدوا في هذا الاعتقاد اجابة لما كان يحيرهم ويشغل بالهم من تساؤل حول مصير الروح بعد فناء الجسد ، وجسد هذا التساؤل أمرؤ القيس في قوله :

ليت شعري وللميت نبوة أين صار الروح اذ بان الجسد ؟
بينما المرء شهاب شاقب ضرب الدهر سنياه فحسد (٤)

فيهدى الشاعر عجه من المرء اذ تعلق شهرته ومكانته ، فيضربه الدهر فجأة ليخبو ويسكن وكأنه لم يكن ، ولعل هذا التساؤل المحترق قد جعل الجاهلي يبحث عن تعليل يقنعه ، فكان الاعتقاد بتحول الروح الى طائر ، ووجد في هذا المعتقد الذي تطور الى أسطورة الهامة نوعا من التبرير لظاهرة الأخذ بالنار وحت المحيطين بالمقتول على الأخذ بشأره .

- (١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (البوم)
- (٢) ذو الأصبع العدواني ، الديوان ٩٢
- (٣) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٣٣
- (٤) أمرؤ القيس ، الديوان ٢١٧

ونقل ضرار بن الخطاب الفهري صورة للهام والأمداء فوق جثث القتلى تصيح
وتصرخ في يوم أحد ، وتهيب بالمسلمين للتأهب من أجل معركة أخرى ، يشار فيها
للمقتولين في أحد ، قال : (١)

اني وجدك لولا مقدمي فرسي
مازال منكم بجانب الجزع من أحد
إذا جالت الخيل بين الجزع والقاع
أصوات هام تزاقي أمرها شاعسي (٢)

ويلفت الانتباه في هذه الأسطورة هذا التكامل اللغوي في معاني الألفاظ ،
فالصدى ذكر الهامة ، والصدى من معاني الظمأ والشعور بالحاجة الى الماء ،
وعندما يخلق الطائر بعد موت القتيل يصيح قائلاً: اسقوني اسقوني ولا يهدأ حتى
يقتل القتيل ، حينئذ يروى ، فكأن ارتباط الصدى بالحاجة الى السقيا أو الماء .
وقد التفت الشاعر طرفة بن العبد الى هذه المعاني في قوله : (٣)

فذرني أروي هامتي في حياتها
كريم يروي نفسه في حياته
مخافة شرب في الحياة غير مصدر
ستعلم ان متنا صدى أيننا الصدى (٤)

فأراد الشاعر ارواء هامته قبل أن يموت لئلا تخرج الهامة منه فتصبح ظمأ ولا تجد
من يرويها ، وكأنه أراد بذلك الأخذ بالشار من الخصوم والأعداء والفتك بهم قبل
أن يحين موته ، ليكفل لنفسه حياة حرة كريمة ، وليؤدي في حياته ماعليه تأديته
واتمامه ، فيموت حينئذ وقد رويت الهامة ولا يكون بذلك (الصدى) .

ولعل اقتران الروح بالطائر جعل الجاهليين يعتقدون أن الهامة والصدى
لا يقتصر خروجها من الميت المقتول وحده ، وانما هي تخرج من الأموات كلهم ، ووجد
في الشعر الجاهلي ما يدل على هذا الاعتقاد ، من ذلك قول أبي دؤاد الأيادي في
رشاء أقربائه الذين يجد هامهم في صدى المقابر :

سلط الدهر والمنون عليهم
وكذاكم مصير كل انساس
فلهم في صدى المقابر هام (٥)
سوف ، حقا ، تبليهم الأيام

وهذا عبيد بن الأبرص الذي يعتقد أن جسده سيصبح رميما تحت التراب ، أما
روحه فتصبح طائر هامة كالبنومة تحلق تارة فوق رؤوس الروابي وتهبط تارة أخرى
الى الأراضي المنخفضة ، وذلك في قوله :

- (١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ : ١٤٥
(٢) تزاقي : تصيح ، شاعسي : شائع
(٣) طرفة بن العبد ، الديوان ٣٥
(٤) الصدى : العظشان
(٥) ديوان الهذليين ١ : ١١٦

اني وجدك لو أصلحت ما بهيىدى
أشري التلاد بجمد الجار أبذله
أو صرت ذا بوقه في رأس رابية
لم يحمد الناس بعد الموت اصلاحي
حتى أصير رميما تحت السواح
أو في قرار من الأرضين قسرواح (١)

أما عروة بن الورد فينعني نفسه التي لن تبلغ الخلود يوما ، فمصير
الانسان الفناء ، عندما تتحول روحه الى هامة ، تظل تحلق فوق قبره نائحة كلما
رأت انسانا ، سواء أكانت تعرف ذلك الانسان أم تجهله :

ذريني ونفسي أم حسان اننسي
أحاديث تبقي والفتى غير خالد
تجاوب أحجار الكناس وتشتكي
بها قبل ألا أملك البيع مشتري
إذا هو أمس هامة فوق صير (٢)
الى كل معروف رأته ومنكر (٣)

ان أسطورة الهامة تنبئنا عن وقوف العربي الجاهلي أمام الموت بعد أن
تفارق الروح الجسد . وصعب عليه تلاشي الروح بعد الموت فأخذ يبحث عن تعليل لمآل
الروح ، وأين تذهب بعد مفادرتها الجسد ، فاعتقد أنها تتشكل في هيئة طائر يظل
يرفرف على الجذث بعد موته ، وقد يصل بهد الاعتقاد الى أنها تخبر الميت بما
يفعل أهله على الرغم من موته وفناء جسده ، ونجد مثل هذا الاعتقاد فيما نسب الى
الملت بن أمية حين قال :

هامي تخبرني بما تستشعروا فتجنموا الشعاء والمكروها (٤)

ولاتذهب الأسطورة الى أبعد من ذلك ، فلا نعلم عن ها الطائر شيئا ، هل يظل حيا
الى الأبد ؟ هل يذهب الى عوالم أخرى غير التي كان يعمرها الجسد ؟ مانهايته ؟
كل ذلك لانجد له تفسيراً في الميثولوجيا العربية القديمة .

وقد اكتفى الجاهلي بتفسير الأسطورة الأولى في تشكيل الروح في هيئة طائر
بعد أن تفارق الجسد ، ثم وجد في هذا الاعتقاد ما يبرر ظاهرة الأخذ بالشار ، وقد
كانت سائدة في المجتمع الجاهلي ، فأراد القوم أن يكسبوا هذه الظاهرة نوعاً من
الالزام المعنوي الذي يلزم به الأحياء تجاه الميت المقتول ، فكانت تهريراً لظاهرة
الأخذ بالشار . وجسدوا هذا الالزام في صراخ الطائر الذي يظل يصرخ ، لا يهدأ حتى
ينتقم من القاتل ويتحقق الشار .

-
- (١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ٤٠
 - (٢) الصير : القبر
 - (٣) عروة بن الورد ، الديوان ٦٧ - الكناس : اسم موضع
 - (٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٣٣

ويرى بعض الباحثين أن مصدر هذه الأسطورة قد يكون القبائل العبرية العربية : بني القريظة وبني النضير وبني قنيقاع ، لأن هذه الفكرة قد وجدت عند اليهود في مرحلة متأخرة ، في أحد أسفارهم الممنوعة ، فالهامة التي تخرج من رأس الميت "كنسيم رقيق" (١) وزالت حسانتنا كاشر غمامة اضمحلت مثل ضباب يسوقه شعاع الشمس ويسقط بحرهما (١) فالهامة مثلها مثل "النسيم الرقيق أو الغمامة" (٢).

ونستشف من بعض النصوص أن الأصداء والهيام ، تصاحب خروج الروح من الجسد ، وتظل تصرخ متى دعت الحال الى ذلك ، محققة العرس المعنوي من ذلك الصراخ ، ولكنها بعد ذلك تغنى أيضا ، شأنها شأن بقية الكائنات على هذه الأرض ، ويقوي هذا الظن قول ابي بكر بن الأسود :

بخبرنا الرسول بأن ستحيا وكيف حياة أصداء وهيام (٣)

فلاشك أن ارتباط الأصداء والهيام بالمآل الى الفناء قد جعل الشاعر ينفي عنها الحياة ، بل يستنكرها .

ونجد مثل هذا الاعتقاد في فناء الهيام والأصداء عند النمر بن تولب ، فهو أيضا يشتد جزعه على اخوته بعد موتهم ، ويدعوهم ولكن هيهات أن يسمعوا نداءه ، فالهيام لاتسمع من يناديها ، وذلك يعني أنها تكون قد فنيت كما فنيت أصحابها ، قال في رثاء اخوته :

جزعا جزعت عليهم فدعوتهم لو يسمعون وكيف تدعى الهيام (٤)

فالاشارة الخفية الى فناء الهيام ملموسة لدى الشعراء ، ومن الواضح ارتباط وجود الهيام والأصداء ورفرفتها لتحقيق هدف معين ، تفتى بعد تحقيقه .

وربما كان لهذه الأسطورة علاقة باحتفاء قدامى اليمنيين بأخبار قبورياتهم كما وجدنا ذلك لدى الهمداني الذي أفرد جزءا من أكليله لأخبار القبور وما وجد فيها من تماثيل ومقابر ، فوصف أنهم وجدوا في أحدها رسما فيه أن الشخص الذي يحمل في يده إبريقا يسقي منه العطشان (٥) . ونجد ظاهرة العطش ترتبط بمطالبة الموتى تحقيق أمر ما ، يكون في تحقيقه السقيا لهم ، ويرتوون بعد أن ينجز لهم الأحياء ما لم تمكنهم حياتهم من انجازه وتحقيقه .

-
- (١) انظر الكتاب المقدس ، سفر الحكم ، الفصل الثاني
 - (٢) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١١٨
 - (٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ : ٢٩
 - (٤) النمر بن تولب ، الديوان ٩٨
 - (٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٠

وظل صدى هذه الأسطورة يتردد في أذهان الشعراء في الأزمان اللاحقة ، فاستغلها الشعراء بصورة كافية لأن يفضي خلالها الأديب بما يريد ، فجرير مثلا عندما يقول :

إذا ما الليل هاج صدى حزينا
بكى جزعا عليه الى الممات

يفخر خصمه الفرزدق عن طريق أسطورة الهامة أو الصدى . والصدى الذي يعنيه جرير في البيت كان للزبير بعد أن قتل في جوار آل الفرزدق ولم يوءخذ بشأه (١)

ومما يجدر ذكره أن تصور الروح في شكل الطير ليس بشيء غريب خاص بالعرب ، لأنه يوجد عند الأمم جميعا في دور بداعتها . فقبائل الهند في أمريكا يعتقدون أن الطيور التي تحلق في الجو ماهي الا أرواح آباءهم الأولين ، وكذلك الازدكيون والبهواتيون في أرجينيا يقولون أن أرواح الشهداء تكسى لباس الطير المفردة ، وتقفز من زهرة الى زهرة في ضوء الشمس . (٢)

- أساطير الجن :

ان الاعتقاد بالجن قديم جدا ، ولاتنوا الميثولوجيا العالمية من هذا الاعتقاد الذي حافظ على بقائه منذ أن خشي الانسان خوافي الطبيعة ، أو الكائنات المحتجة عن العيون ، وهو دي الجن دورا هاما في حياة الأمم القديمة لا يقل أحيانا عن دور الآلهة .

وكان العرب كغيرهم من الأمم القديمة قد عم لديهم الاعتقاد في الجن ، وتناقل الحكايات عنهم ، كما كان لليمن دور بارز في رواج أساطير الجن ونسج الحكايات المختلفة حولها .

ولعل من المفيد قبل الدخول في دراسة الأساطير أن ننقل ما جاء لدى العرب من تعريفات للجن ، لتتوضح لنا نظرتهم اليها . فتكاد المعاجم تجمع على أن "الجن" كلمة عربية تتضمن معنى التخفي والتستر (٣) ، ونقل القزويني زعم القدماء بأن "الجن" حيوان هوائي مشف الجرم ، من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة (٤) ، وقال الدميري في تعريف الجن أنها "أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ،

(١) أحمد كما زكي ، الأساطير ٢٢٠

(٢) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٧ عمن

Lewis Spence , Myths und Legends of Ancient Egypt P. 6

(٣) انظر : لسان العرب وتاج العروس مادة (جن)

(٤) القزويني ، عجائب المخلوقات ٣٦٨

لها عقول وأفهام وقدرة على الاعمال الشاقة" (١) . وقال الهمداني: " ان الجن كانوا عمارا للأرض ومستظفين فيها ، وسموا الجن لأنهم يجتنون عن النظر اليهم أي يستترون" . (٢)

وصرفوا من الاشتقاق اللغوي "الجنني" بأنه حارس الجنة ، وهو عادة ما يسكن كشيطان شيطان البحار والمستنقعات وآبار الماء بل والرأس مسبها الجنون (٣)

ونستدل من اعتقاد القوم الذي تحمله الأخبار أن الجن أضاف مختلفة : منها ما يقدر على التشكل ويملاً حيزاً ، ومنها ما يتشكل وهو جرم خيالي (٤) .

وقد وردت آيات قرآنية تخبر أن الجن من عنصر النار في قوله تعالى : "والجان خلقناه من قبل من نار السموم" (٥) ، وفي هذه الآية إشارة الى خلق الجان قبل آدم ، كما جاء في آية أخرى "وخلق الجان من مارج من نار" (٦) .

وقد قال أهل الأخبار ان الجن هم سكان الأرض قبل أن يسكنها آدم ، وعندما أكثروا في الأرض فسادا وشاروا على الآلهة ، لاحقتهم الملائكة وحررتهم ، ثم شتتهم وطردتهم الى أطراف الجزائر في البحور بعد أن أسرت منهم الكثير (٧) .

كما قيل ان الانسان عرف الجن بعدما فكر في بعض التجارب مثل النوم والحلم والظل والسراب والنفس والموت ، واتسعت هذه الفكرة عنده فهدته الى معرفة الجن والروح ، وما زالت تتسع شيئاً فشيئاً حتى غشي الطبيعة بالأرواح (٨) .

ويروي المسعودي أسطورة لطيفة حول خلق الجن ، نقلها عن وهب ابن منبه وابن اسحاق ، وهي " أن الله عز وجل خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته ، فحملت منه ثم باضت احدى وثلاثين بيضة ، وان بيضة تغلقت من تلك البيضة قطربة وهي أم القطارب ، وأن القطربة على صورة البهرة ، وأن الأبالس من بيضة أخرى ومسكنهم الجزائر ، وأن الغيлян من بيضة أخرى ومسكنهم الخرابات والفلوات ، وأن السعالي من بيضة أخرى وسكنوا الحمامات والمزابيل ، وأن الهوام من بيضة أخرى

-
- (١) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٨٥
 - (٢) الهمداني ، الأكليل ١ : ٩٩
 - (٣) شوقيس عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٢٠٩
 - (٤) الحوت ، في طريق الميثولوجيا ٢١٠
 - (٥) سورة الحجر ، الآية ٢٧
 - (٦) سورة الرحمن ، الآية ١٥
 - (٧) انظر تفسير الطبري ، جامع البيان ١ : ١٥٣
 - (٨) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٠

وسكنوا في صورة الحيات ذوات أجنحة ، يطيرون هناك ، وأن الحماميس من بيضة أخرى" (٧).

وفي هذه الرواية تعليل طريف حاول الرواة أن يعللوا به تعدد أنواع الجن التي دخلت أساطيرهم ، فجعلوا الاختلاف مرهونا باختلاف البيضات الأولى التي وضعتها أنثى الجن .

أنواع الجن :

لقد جعل أهل الأخبار الجن أنواعا متعددة ، وقد ذكر القرآن الكريم في أكثر من آية ما حبا به الله نبيه سليمان من سلطة على الرياح والجن التي سخرها بأمره ، من ذلك ماورد في الآية الكريمة "وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون" (٨).

فتلقف وهب بن منبه ماجاء حول الجن التي امتثلت لسليمان ، وأخذ - كمادته - يطلق لخياله العنان ويحلق في عوالمه الغريبة ، فقال "لما حشدت الرياح المصرصر الجن لسليمان ، وجدهم على صور عجيبة ، منهم من كان وجهه على قفاه ، يخرج من فيه النار ، ومنهم من كان يمشي على أربع ، ومنهم من كان له رأسان ، والبعض له رؤوس الأسد وأبدان الفيلة . ورأى سليمان شيطانا ، نصفه صورة كلب والنصف الآخر صورة سنور ، وله خرطوم طويل ، فسأله عن نفسه فذكر اسمه وقال: صنعني الغناء وعصر الخمر وشربه ، وتزيين ذلك للبشر ، فصفده . وسأل آخر قبيح الشكل يقطر الدم من كل شعرة على بدنه ، فأجابه : أن عمله سفك الدماء ، فأمر بتصفيده ، ولكنه قدم عهدا بأن لايفسد ، فختم على عنقه وأطلقه . ومر به ثالث في صورة قرد له أظافر كالمناجل ، وهو قابض على بهريط ، فسأله عن اسمه وعمله ، فقال: أنا مرة بن الحارس ، أول من وضع هذا البهريط وحركه ، فلا يجد أحد لذة الملاهي الا بي ، فأمر بتصفيده .

لقد كان جن سليمان منطلقا لوهب في خياله المطلق ، فجاءنا بصورة أسطورية بديعة لمخلوقات غريبة ، وتدل روايته على وجود أنواع من الجن ، ارتبطت بارتكاب المعاصي ، فجعل سليمان يصفدها لمنع انتشار تلك المحرمات وارتكابها بين البشر . وكان وهب يربط بين أولئك النفر من الجن وبين ابليس الذي يتولى دوما غواية الخلق وحشهم على ارتكاب المحرمات .

-
- (١) المسعودي ، مروج الذهب ١ : ٢٢٠
 - (٢) سورة النمل ، الآية ١٧
 - (٣) القزويني ، عجائب المخلوقات ٣٧٢ - ٣٧٤

ونجد ابن الكلبي يصرح بأن لابلوس خمسة أولاد من الشياطين ، نسب اليهم ارتكاب الآثام ، وجعلهم ينزعون الى الشر ، فذكر أن أسماءهم : شبر والأعور وميسوط وداسم وزلنهور ، أما شبر فصاحب المصائب يأمر بالشهور وشق الجيوب ، وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه في أعينهم ، وأما ميسوط فصاحب الكذب ، وأما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء ، وأما زلنهور فهو صاحب السوق ، وبسببه لا يزال أهل السوق متخاصمين ^(١) .

وهكذا أوجد الراوية اليمنى تهريرا وتعليلا لاتيان البشر المعاصي ، وأرجع ذلك الى اتباعهم تلك القوى الخفية المستترة التي تومئ الى الخلق بارتكاب الآثام ، ثم تسعى الى نشر الشر بينهم .

ونجد وهب بن منبه لا يتوانى عن تخيل أصناف مختلفة للجن ، وعندما سئل عنهم أجاب: "هم أجناس ، فاما الصميم الخالص من الجن ، فانهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون في الدنيا ولا يتوالدون . ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالى والغيلان والقطارب وأشباه ذلك" ^(٢) .

ويذكر الاخباريون أنواعا متعددة من الجن ، ذكروا منها الغدار والهاجس ، والتابع والرثي والهااتف والعامر والدلهاب والنسناس والشمخ ^(٣) . وفصلوا القول فيها ، وجعلوها تتشكل في صور الانس والبهائم ، وتقوم بالأعمال الخارقة .

موطن الجن :

ولعل الوهم والخوف جعل العرب تعتقد قديما أن الجن تسكن المواضع الموحشة المظلمة ، والأماكن المهجورة ، والفجوات العميقة ، وفي المغاور والجبال والاكمام والأودية والفلوات ، وكلها أماكن رهيبة ، تلقي الرعب في قلوب الناس . وقد ذكر الجاحظ بعض تلك المواضع التي ليس فيها الا الجن والاهل الوحشية ^(٤) .

وتأثر الشعراء بأقوال الرواة ووصفهم لأماكن الجن ، فهذا زهير بن أبي سلمى يصف بلدة ناشئة عن العمران ، وقد سكنها الجن فامتألت بأصواتهم حتى أن الثعالب لتصرخ مذعورة منها :

زورا مغبرة جوانبها	وبلدة لاترام خاشقة
تضج من رهبة ثعالبها ^(٥)	تسمع للجن عازفين بها

-
- (١) القزويني ، عجائب المخلوقات ٣٦٨
 - (٢) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٩٢
 - (٣) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٤١٧ ، ٤٤٧ - ٥٢٨ و البيان والتبيين ٢ : ٣٢٥
 - (٤) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٤٦٢
 - (٥) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ٢١٢

وهذا طرفه بن العبد يذكر طريقا مجهولة ، تصوت الجن فيها منذ أقدم الأزمان :

وركوب تعزف الجن به قبل هذا الجيل من عهد أبدي (١)

وقد اشتهر من مواطن الجن "عقبر" ، الذي قيل أنه موضع بالبادية كثير الجن ، وهو في أرض اليمن (٢) . فقال زهير يذكر عقبر :
عليهم فتیان كجنة عقبر جديرون يوما أن ينيفوا فيستعلوا
فيذكرها الشاعر - هنا - في موضع الاستحسان والاعجاب بشكلها .

وشاركه حاتم الاعجاب بجنة عقبر ، فقال ما يشبه قول الأول : (٣)
عليهن فتیان كجنة عقبر يهزون بالأيدي الوشج المقوما

وقد ورد في الأمثال : كأنهم جن عقبر (٤) .

(٥)
ونسب كل شيء في الجودة الى عقبر حتى قيل "لم ير عقبريا مثله" ويقولون ان عقبر أرض في اليمن ، كما قيل أن عقبر اسم لجبل بالجزيرة ، كان يصنع به الوشي ، وبعد أن خرب واندثر ولم يعرفوه ، فنسبوه الى الجن ومن ثم نسب كل شيء جيد الى عقبر (٦) .

ونقل عن ابن مفرغ الحميري قوله :

(٧)
وخاض حياض الموت من دون جاره كهولاً وشباناً كجنة عقبر

كما شبهوا الرجال بالجن اذا بدرت منهم شجاعة وبطولة فائقة ، فقال وضاح ابن اسماعيل بن عبد كلاله :

فانك لو رأيت الخيل تعدو عوايس يتخذن النقع ذبيلا (٨)
رأيت على مثنون الخيل جنا تغير مغانما وتفيت نبلا

-
- | | | |
|-----|------------------------------------|-----------|
| (١) | طرفه بن العبد ، الديوان | ١٣٤ |
| (٢) | الهمداني ، صفة جزيرة العرب | ١٢٨ ، ١٥٤ |
| (٣) | الجاحظ ، الحيوان | ٤ : ٤٥٣ |
| (٤) | ابن منظور ، لسان العرب | ٤ : ٥٣٤ |
| (٥) | الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء | ٢ : ٢٨١ |
| (٦) | ياقوت الحموي ، معجم البلدان | ٣ : ٦٠٦ |
| (٧) | ابن مفرغ الحميري ، الديوان | ٨٤ |
| (٨) | ديوان الحماسة | ١ : ٢٦٦ |

وشغف الشاعر الجاهلي بذكر الجن مدعياً معرفته بأحوالهم وطريقة عيشتهم ،
حتى المطايا التي يركبونها في أسفارهم ، فقال بعض الاعراب على لسان الجن يذكر
أنواع المطايا التي يستخدمونها :

وكل المطايا قد ركبت فلم أجد	الذ وأشهى من مطايا الثعالب
ومن عنظوان صيغة شمزية	تخب برحليها أمام الركائب
ومن جرد سرح اليديين معرج	يقوم برحلي بين ايدي المراكب
ومن فأرة تزداد عنفا وجدة	تبرح بالخوص العتاق النجائب
وعن كل فتلاء الذراعين حرة	مدربة من عافيات الأرائب
ومن ورل يعتام فضل زمانه	أضربه طول السرى في السباب (١)

وقد كان العرب يستجيرون بالجن في أسفارهم وفي منازلهم ، لاعتقادهم
بسكنى الجن في بعض تلك الأماكن . وبلغ بهم الأمر الى نسب بعض القبائل الى الجن ،
كما عللت بعض الأساطير العربية لظهور الزوابع ، وعدتها ظواهر مرئية لمعركة بين
عشيرتين من الجن .

عبادة الجن :

لقد كان العرب في خوف دائم من الجن ، فكانوا اذا سار أحدهم في تيه من
الأرض ، وخاف من الجن يقول بصوت مرتفع " أنا مستجير بسيد هذا الوادي " . ويصير
له بذلك خفارة .

ويروى أن حجاج بن علاط السلمي نزل بواد موخش في ركب له ، وهو يقصد مكة ،
فقال وقد جن الليل :

أعيذ نفسي وأعيذ صبي
من كل جني بهذا النقب
حتى أوب سالما وركبي (٤)

ويروي الألويسي أن أحدهم قال مستعيذا بمالك الوادي :

قد بت ضيفا لعظيم الوادي
المانعي من سطوة الأعادي
راحلتي في جاره وزادي

-
- | | | |
|-----|------------------------------------|---------|
| (١) | الجاحظ ، الحيوان | ٧٤ : ٦ |
| (٢) | Smith, Religion of the Semites | 134 |
| (٣) | الراغب الأصبهاني ، محاضرات الأدباء | ٢ : ٢٨٠ |
| (٤) | السهيلى ، الروض الانف | ١ : ١٣٦ |

فإذا أصاب الركب بأس شعروا بخيبة الأمل وعدم قبول سيد الوادي أن يجيرهم
كما حدث ذلك للرجل الذي أكل الأسد ولده ، فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر منافيه من الأعادي
فلم يجرنا من هزبر عادي (١)

ثم تطورت الاستعانة وأخذوا يقدمون للجن الذبائح ، وغالوا في ذلك ، حتى
وصل بهم الأمر الى عبادتهم ، كما ورد في قوله تعالى : "وجعلوا لله شركاء الجن
وظفقتهم ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون" (٢) وفي
الآية الكريمة "قالوا: سبحانه ، أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ،
أكثرهم بهم مؤمنون" (٣) ويذكر ابن الكلبي أن (بنو ملبح) من خزاعة ، رهط طلحة
الطلحات كانوا يعبدون الجن (٤)

لقد تطور الشعور بالخوف لدى العرب من الجن ، ودفعهم ذلك الى رهبتهم
وخشيتهم مما حدا بهم في مرحلة لاحقة الى عبادتهم ، وان كانت عبادتهم للجن
محدودة ، وربما انحصرت في قبائل معينة ذكرها ابن الكلبي ، ولعل تلك القبائل
كانت تسكن البادية ، فاندفعوا الى الايمان بها كقوة خفية ، ولم تنتشر هذه
العبادة في القبائل الأخرى .

وحفلت المصادر العربية القديمة بأخبار الجن وما قيل فيهم من الشعر ،
وأولع الرواة بحكايات الجن ، ولاسيما رواية اليمن الذين ولعوا بفرائب الأمور
ومخفياتها ، فأولوها اهتماما خاصا ، وزعموا اتصالهم بالجن ومصاهرتهم لهم ،
فقالوا ان الملكة اليمنية بلقيس من أم جنية ، ومثلها أيضا الملك الحميري الصعب
ابن ذي مرثد ، كما رووا عن جنية كانت تسكن جبل صهر باليمن (٥)

وقيل أيضا ان أبرهة بن الراسخ - وكان يدعى ذا المنار - كان من أجمل
أهل زمانه ، فهوته امرأة من الجن ، يقال لها العيوف بنت الرابع ، فتزوجها ،
فولدت له العبد بن أبرهة (٦) ونسب الى طرفه بن العبد قوله فيها :

لاينة الجنني بالجو ظلل حله الرابع حيننا وارتحل (٧)

-
- (١) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢٢٦
 - (٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٠
 - (٣) سورة سبأ ، الآية ٤١
 - (٤) ابن الكلبي ، الأضنام ٣٤
 - (٥) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ١٨
 - (٦) عبید بن شریة ، التيجان ٤٢٠
 - (٧) وهب بن منبه ، التيجان ١٣٨

كما ذكر الهمداني أن تبعاً كانت له تابعة من الجن ، تسكن في جبل ينور ، على ساحة من صنعاء ، ونقل حكاية طريفة عن ارسال تبع الى الجنية ، عندما حضرته الوفاة ^(١) .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل جعلوا بعض القبائل تنتسب الى الجن ، كما كانت قبيلة بني مالك وبني شيهبان وبني يربوع ^(٢) . وينتقد الجاحظ حكايات النتائج المشتركة قائلًا: "قد يكون هذا الذي سمعه من اليمانية والقحطانية ، ونقروء في كتب السيرة ، قصبه القصص وسمرها به عند الملوك ، وزعموا أن بلقيس بنت ذي يشرح ، وهي ملكة سبأ... أن أمها جنية وأن أبها انسي ، غير أن تلك الجنية ولدت أنسية خالصة صرفاً بحتاً ، ليس فيها شوب ولا نزعها عرق ، ولا جذبها شبه ، وانها كانت كاحدى نساء الملوك..." ^(٣)

فنبه الجاحظ الى ارتباط الحكايات والأساطير اليمانية بمسامرة الملوك أحياناً ، ومما تأتي به مخيلة القصص والرواة لتغذية تلك المنادمة والمسامرة ، فينتقد ظاهرة الزواج من الجن مشيراً الى سلامة بلقيس من أي عيب خلقي ، والى كونها امرأة انسية خالصة .

وجعل الرواة ملوك اليمن القدماء يسخرون الجن لخدمتهم ^(٤) ، وانتقد الهمداني الروايات المتداولة حول بناء الجن لقصور اليمن ^(٥) ، واقتصر نقده على البناء ، أما خدمة الجن لملوك اليمن في شؤم ونهم الخاصة والعمامة ، فقد أقر به بل روى أنهم كانوا يأتونهم بفواكه بلاد الهند طرية ^(٦) .

ويذكر وهب بن منبه أن الهدهاد عندما حضرته الوفاة أراد أن يستخلف بلقيس على قومه ، فاحتج بعضهم ، ولكنه أخذ يذكر لهم حصافة رأيها وعلمها ^(٧) ورجاحة عقلها ، مؤملاً أن تظهر لهم عامة أمور الجن مما ينتفعون به في الدنيا...

فقد عرف عن الجن قدرتهم على الأعمال الخارقة التي لا يستطيعها البشر ، ومعرفتهم بخفايا الأمور ومستعصياتها ، مما يدق فهمه على عامة الناس .

-
- (١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٣٥
 - (٢) الألويسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢٤٠
 - (٣) رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧١
 - (٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١٩ : ٢
 - (٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٦٦
 - (٦) المصدر السابق ٨ : ٦٨
 - (٧) وهب بن منبه ، التيجان ١٤٧

وينكر وهب بن منبه أسطورة زواج الهدهاد بن شرحبيل وهو والد بلقيس من أمها التي زعم انتماءها الى الجن ، تقول الأسطورة :

"لما ولي الهدهاد بن شرحبيل زحف اليه عمرو ذو الازعار ، وبرز اليه الهدهاد ، والتقوا بموضع معروف باليمن ، فتحاربوا أياماً . وفي يوم خرج الهدهاد على ناقة في زي اعرابي ليتدبر عساكر عمرو ذي الازعار ، وفي طريق عودته الى معسكره سار حتى بلغ مشرف العالية في يوم قاشظ . فنظر الى شجاع^(١) أسود عظيم هارب ، وفي طلبه شجاع رقيق أبيض فأدركه ، فاقتلا حتى لغبا ، ثم افترقا ، ثم أقبل الشجاع الأبيض الى الهدهاد فتشبت مع ذراع ناقته حتى بلغ رأسه الى كتفها ففتح فمه كالمستقيت فمد الهدهاد يده الى سقائه . فصب الماء فيه حتى روي ثم عطف في طلب الأسود فأدركه ، فاقتلا طويلاً ، فلغبا فافترقا ، وأقبل الأبيض الى الهدهاد كما فعل أولاً كالمستقيت ، فصب الهدهاد الماء في فيه حتى روي ، ثم أقبل على الأسود وأخذه ، فلم يزل الأبيض حتى قتل الأسود ، ثم مضى على وجهه حتى غاب عنه .

ومضى الهدهاد الى شعب عظيم فاخفى فيه ، فبينما هو مستتر بشجر أراك اذ سمع كلاماً فراعته ، فسل سيفه ، فأقبل عليه نفر جان حسان الوجوه ، عليهم زي حسن ، فدنا منه ، فقالوا : عم صباحاً ياهدهاد لابس عليك . وجلسوا ، وجلس . فقالوا له : أتدري من نحن ؟ قال : لا . قالوا : نحن من الجن ولك عندنا يد عظيمة . قال : وماهي ؟ قالوا له : هذا الفتى أخونا من أبناء ملكنا ، هرب له غلام أسود فطلبه فأدركه بين يديك ، فكان مارأيت وفعلت . فنظر الهدهاد الى شاب أبيض أكحل في وجهه آثار خدش . قال له : أنت هو ! قال : نعم ، قالوا له : ماجزأوك عندنا ياهدهاد الا أخته ، نزوجها منك وهي رواحة بنت السكن ، فزوجوه ايها ، وقالوا له : لها عليك شرط : لاتسألها عن شيء تفعله مما تستنكر منها ، فان سألتها فهو فراقها ، فوافق وقالوا له : ارجع الى قصر بنيون ، فانها تأتيك ليلة كذا ، ارجع فلا تقم لأن عمرا ذا الازعار رجع الى غمدان بعد انصرفك عنه ، فرجع الهدهاد وفرق عساكره ، ولحقه الخبر أن عمرا رجع ، فجلس في الليلة التي أمره أن يجلس فيها مرتقباً حتى أحس ثقلاً في القصر ، وهرج الجميع من معه في القصر من الثقل الذي أحسوه ، وداخت قلوبهم وحشة حتى أتوا بها اليه ، فأدخلوها عليه .

وأولدها ولداً ذكراً ، فلما شب وصار ابن سنة ، فبينما هو يناعيه ، اذ أقبلت كلبة من باب المجلس فأخذت برجل الطفل وجرت به حتى ذهبته به عنه ، فغاب ، فنظر الى رواحة فسكتت ، وسكت . ثم ولدت أنثى ، فلما صارت بذلك السن أتت الكلبة ، فجرت رجلها وهو ينظر ، فسكتت وغابت عنه ، ثم ولدت ذكراً ، فلما بلغ سن أخيه وأخته أتت الكلبة وفعلت كما فعلت أولاً ، قال لها : يارواحة ، اكف مانال هؤلاء الأطفال ؟ قالت له : فارقتك ياهدهاد ، اعلم انه لم يجر منه أحد ، بل هم

(١) الشجاع : ضرب من الحيات

محمولون ، وتلك داية تحملهم وتربيهم حتى يبلغوا خمس سنين فيأتوك أتياء .
فاما ابنك الأول فقد مات أحسن الله عزاءك فيه ، وأما الآخر فانه يأتيك وليس
يعيش بعد أبي وهو يموت ، وأما ابنتك فانها تأتيك وتعيش لك .

ثم ذهبت عنه فلم يرها بعدها ، ووجد في الفراش ابنه وبنته بلقيس ، فعات
الصبي ، وعاشت بلقيس^(١) .

لقد روى وهب بن منبه هذه الأسطورة التي تحكي زواج الهدهاد من الجنية ،
وكعادة وهب ، يجعل بطل الأسطورة أحد ملوك اليمن "الهدهاد بن شرحبيل" ، وينسب
اليه صفات البطولة والشجاعة ونجدة الضعيف والملهوف ، تلك الصفات التي ظل
العربي يفخر بها ويتفنى بها في أشعاره . وتلك الصفات جديرة - في رأيه -
بإضافتها على الملك اليمني ، الذي لا تقتصر أفضاله وإياديه على القوم (البشر)
من حوله ، ولكنها تمتد لتشمل الجن ، تلك المخلوقات المخفية ، التي تدور
الأحاديث حولها دون أن يعرف شكلها وتنسب اليها الخوارق من الأمور . ويقدر الجن
صنيع الملك اليمني ، ويودون مكافأته بتزويجه من إحدى بناتهم "رواحة بنت سكن"
ويأتون بها الى قصر الملك اليمني بطريقة عجيبة تشير دهشة واستغراب من في
القصر .

ويشترط الجن ألا يسأل الهدهاد عما يشير تعجبه من أمور وتصرفات غريبة ،
والا عنى ذلك الفراق . وتأتي ساعة الفراق بعد أن طال صبره وتحيره وهو يرى
أبناءه الثلاثة تحملهم الكلبة ، ولا يعرف عنهم شيئا .

لقد أراد الراوي أن يقرن تصرفات الجن بالأمور الغريبة التي لا ينبغي لبشر
أن يعرفها ، فتفسيرها لديهم ومعرفتها لاتعني استمرار الوفاق بين البشر والجن ،
ولهذا تم الفراق بين هذين الزوجين على ذلك النحو الأسطوري ، بعد أن استطال
بالمملك حب الاستطلاع في معرفة ما يحدث ، وبعد أن كشفت "رواحة" سرا خاصا بها
وبقومها (الكائنات المخفية) ، عندما فسرت له حقيقة أمر أبناءهم وماحدث لكل
منهم .

وهروي نشوان الحميري أسطورة أخرى جميلة من أساطير الجن حول زواج
الهدهاد بن شرحبيل من الجنية التي أنجبت له بلقيس ، وتقول الأسطورة :

"خرج الهدهاد بن شرحبيل للصيد في جماعة من خدمه وخاصته ، فرأى ذئبا
يطارد غزالة ، وقد ألجأها الى مضيق ، ليس للغزالة عنه مخلص ولا مخلص ، فحمل
الهدهاد على الذئب ، فطرده عن الغزالة ، وبقي الهدهاد يتبع نظره الى الغزالة
لينظر الى أين تنتهي ، فسار في أثرها ، وانقطع عن أصحابه ، فبينما هو كذلك ،
اذ رفع له عن مدينة عظيمة ، فيها من كل مادن باسمه من النساء والنعم والخيل
والابل والنخيل والزرع والفواكه . فوقف دونها متعجبا مما ظهر له منها . فبينما

هو كذلك اذ أقبل عليه رجل من أهل تلك المدينة التي ظهرت له ، فسلم ورحب به وحياه ، وقال له : أيها الملك اني أراك متعجبا مما ظهر لك في يومك هذا . فقال له الهدهاد : اني لكما قلت ، فما هذه المدينة ؟ ومن ساكنها ؟ فقال : هذه مأرب سميت باسم بلد قومك ، وهي مدينة عرم ، حي من الجن وهم ساكنها ، وأنا اليلب بن صعب ملكهم وصاحب أمرهم . فجاء على لسان الهدهاد قوله :

عجائب الدهر لاتفني أوابدها	والمرء ما عاش لا يخلو من العجب
ماكنت أحسب أن الأرض يعمرها	غير الأعاجم في الأفاق والعرب
وكنت أخبر بالجن الخفاة فلا	أرد أخبارهم الا الى الكذب
حتى رأيت مقاصيرا مشيدة	للجن محفوفة الأبواب والحجب
يحفيها الزرع والعماء المحيط بها	مع الواقير من نخل ومن عنب (١)
ما بينها الخيل من طرف ومن تلد	والجود فيها من الانعام والكسب
وكل بيضاء تحكي الشمس ضاحكة	هيفاء لفاء من موصوفة العرب

فبينما هم كذلك اذ مرت بهم امرأة لم ير الرأون أحسن منها وجها ، ولا أكمل منها خلقا ، ولا أظهر منها صباحة ، ولا أطيب منها رائحة ، فافتتن بها الهدهاد ، وعلم ملك الجن أنه قد هويتها وشغف بها ، فقال له : أيها الملك ، ان كنت قد هويتها فهي ابنتي وأنا أزوجكها . فجزاء الهدهاد خيرا على كلامه ، وسأله الجنى : هل عرفتها ؟ فقال له الهدهاد : مارأيها قبل يومي هذا ، فقال له الجنى : فانها الغزالة التي خلصتها من الذئب ، ولا تكافئك على جميل صنيعك أبدا بأحسن من حباثك بها ، بشهادة الله عز وجل وشهادة ملائكته . فاذا أردت ذلك فاقدم اليينا بخاصة أهل بيتك وملوك قومك ليشهدوا املكها ، ويحضروا وليمتها ، وميعادك الشهر الداخلى .

فانصرف الهدهاد على الميعاد ، وهو يقول :

يمضي جمادى ويأتي بعده رجب	وسوف آتي على الميعاد من رجب
حتى أوافي خير الجن من عرم	اعني ابن صعب هو المعروف باليلب
نبغي لديه الذي نادى ومن به	من التواصل والاصهار والنسب

وغابته المدينة ، واذا أصحابه حوله يدورون عليه . وسأله : أين كنت ؟ ونحن في طلبك مذ فارقتنا ، ولم نترك شيئا من هذه الغلوات الا قلبناه لك وظلنك فيه ، فقال لهم الهدهاد : اني لم أبعد ، وأقبل يسير وهو يقول الشعر الذي يصف به مارآه .

(١) الميقار من النخل : الكثير الحمل ، جمعه مواقير

ثم خرج الهدهاد في الميعاد الى أصحابه في خاصة قومه وخدمه ، حتى وافاهم ، فوجدوا قصرا بناه له الجن في فلاة من الأرض محفوفة بالنخيل والأعشاب وأنواع الزرع وفنون الفواكه ، تخترقه المياه الجارية . فعجب القوم من ذلك عجبا شديدا ، ورأوا ملكا عظيما ، ونزلوا في القصر معه على فرش لم يروا مثلها قط ، وقربت لهم موائد عليها من طيبات المأكول وألوانه التي لم يأكلوا قط أطيب منها طعاما ، ولا أذكى رائحة ، وسقوا من الشراب مالم يشربوا قط الذ ولا أهضم ولا أمرا ولا أخف منه . فمكثوا معه ثلاثة أيام بلياليها في ذلك .

وزفت الى الهدهاد امرأته الحروري ابنة اليلب بن صعب العرمي ملك الجن ، فأذن الهدهاد لبني عمه وخاصة عشيرته بالانصراف الى مواضعهم ، وصار ذلك القصر دار مملكته ، فأقامت الحروري زمانا معه ، فولدت له بليقيس^(١) .

ويتضح في هذه الأسطورة أن الراوي أراد بها اتمام مبادئه راو سابق حول زواج الهدهاد من الجنية التي جعلها الأسطورة الأولى "رواحة" وتسميها الثانية "الحروري" . ويتجلى في الأسطورة الثانية خيال بديع يحلق بنا في عالم غير مرئي ، لم يستطع أحد رؤيته سوى الهدهاد فانطلق لسانه بالشعر يصف لصحبه ماشاهد من عالم عجيب . كما نلاحظ فيها عنصر التنميق والتزيين الناتج عن الأناة في الوصف . فالراوي لا يتوانى في حشد كل طاقاته الروائية ليكسب ماشاهد الأسطورة هيبة وروعة وجمالا في كل ما يصف من بنيان وطعام وشراب وجمال .

ونجد الراوي اليميني - كهادته - يضيف صفات البطولة والنجدة على الملك اليميني "الهدهاد" ، ويجعله محل إعجاب واكبار شديدين من عالم الجن الذين لا يترددون في تزويجه الحسناء "الحروري" ابنة ملكهم التي شاهدها غزاة ، ودفع عنها أذى الذئب بشهامة وشجاعة نادرتين .

ولعل الراوي أراد أن يقنعنا بصدق أسطوره ، فحاول أن يكسبها واقعية تحقق لها مانسميه اليوم في مصطلحات النقد بالصدق الغني ، حين أورد على لسان الهدهاد قوله شعرا أنه كان يحسب أن الأرض لا يعمرها غير البشر والأعاجم من البشر ، وأنه كان لا يصدق أخبار الجن الخفاة ، حتى ظهر له ما يشبه صدق تلك الأخبار عندما رأى مدينتهم بقصورها المشيدة وبساتينها وحسناواتها .

ولم يكتف الراوي بذلك الوصف ، ولكنه جعل للمدينة اسم المدينة اليمينية "مأرب" ، وسمي ملكها باليلب بن الصعب ، والصعب أحد ملوك اليمن المعروفين ، وجعلهم من الجن المومنة بالله وملائكته ، ولعله لجأ الى هذا المعاننا في واقعية الأسطورة لتقريبها من عقل السامع وإثارة الميل لديه الى تصديقها .

ويظهر في أساطير الجن ولع رواة اليمن بالأمور الغريبة التي لا تقبل التفسير المنطقي أو لاتخضع للعقل ، فأمر اثباتها أو تفسيرها يخرج عن قدرة الراوي ، ويظل المعجال واسعا للتخليق بخياله الخصب ، يرتاد العوالم العجيبة ، ويصف المخلوقات الغريبة ، وليس هناك أهل من مزج الحقائق بالخيال في تصريه الأضمار الى الجن والانجاب منهم .

ومما يلحق بأساطير الجن لدى اليمنيين حكاياتهم عن الرثي .

الرثي :

وقد ذكر الرثي في المصادر العربية كأحد أنواع الجن ، وزعموا أن لكل إنسان شيطان يتبعه ، ولا سيما الكهان الذين يسخر كل منهم الرثي أو التابع في تنفيذ أغراضه . وقد اقترن ذكر الرثي أو التابع بالإشارة على الإنسان بأفضل الأعمال .

وقد مر بنا حديث الرثي لعمر بن لحي عندما دله على موضع الأضمار واحضارها الى بلاد العرب . واقترن الرثي أو التابع بالشاعر ، فزعمت الروايات أنهم الذين يلقون الشعر على ألسنة الشعراء ، وقد يعرفون بشياطين الشعراء (١) . فنسب الى حسان بن ثابت قوله أن له جني يلهمه الشعر :

ولي صاحب من بني الشيبان فطورا أقول وطورا هوه (٢)

ولا يكتفي حسان بذكر صاحبه ، ولكنه يزعم بأنه يجود له الشعر ، فيعدو بذلك كثيره على الشعراء عند المقارنة بينهم ، فقال :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري
اني أمي لي ذلك حسبي ومقالة كمفاطع الصخر (٣)
وأخي من الجن البصير اذا حال الكلام بأحسن الخبر

وافتر أحد الشعراء بأن شيطانه ذكر ، فقال :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثي وشيطاني ذكر (٤)

وفي هذه اشارة الى أن الرثي من الجنسين ، أنثي او ذكر .

(١) انظر جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٧١٠

(٢) الألويسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٣٦٥

(٣) حسان بن ثابت ، الديوان ١٧٣

(٤) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ٧٠

وافخر راجز بأنه رغم حداشه سنه فان شيطانه أمير على الجن ، حين قال :

اني وان كنت صغير السن وكان في العين نبو عني
فان شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن (١)

لقد جعل الرواة الشعر للجن تلقنه الشعراء ، كما كانت القيان تلقن هوميروس نصيح الأشعار ، فاعتقد اليونان أن القيان بنات زفس ، ويقمن معه يطربن الآلهة ، وكان الشعراء يستوحون منهم الشعر في انشادهم ، ويستمد المطربون عونهن في التلحين والتوقيع ، فهن ربات الشعر والحن والانشاد ، يخاطبن هوميروس بصيغة الجمع تارة وبالمفرد تارة أخرى ، وقد يقول الآلهة ويعنى بها احداهن . (٢)

فالشاعر في الجاهليتين اليونانية والعربية كان يملك قوى خفية يسمتد منها فن الشعر . (٣)

ولعل المعري استمد من هذا الاعتقاد مارواة في رحلته السماوية عن أشعار الجن . (٤)

ويروي القرشي رواية جعل فيها الجن حكما على الشعراء تفضل أحدهم على الآخر ، حين نقل قول أحد الرواة :

"بينما أنا أسير في طريقي ببقعة من الأرض لأنيس بها إذ رفعت لي نار فدفعت اليها ، فاذا بخيمة وإذا بفنائها شيخ كبير ومعه صبية صغار . فسلمت ثم أنخت راحلتي آنسا به تلك الساعة ، فقلت: هل من مبيت ؟ قال: نعم في الرجب والسعة ! ثم ألقى الي بطنفسة رحل ، فقعدت عليها . ثم سأل: من الرجل ؟ فقلت حميري شامي . قال: نعم ! أهل الشرف القديم . ثم تحدثنا طويلا الى أن قلت: أتروي من أشعار العرب شيئا ؟ قال: نعم ، سل عن أيها شئت . قا: فانشدني للنايفة . قال: أتحب أن أنشدك من شعري أنا ؟ قلت: نعم . فاندفع ينشد لأمرى القيس والنايفة وعبيد . ثم اندفع ينشد للاعشى . فقلت: لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمن طويل ، قال: للاعشى ؟ قلت: نعم . قال: فأنا صاحبه ، قلت: فما اسمك ؟ قال: مسحل السكران بن جندل ! فعرفت أنه من الجن . . . ثم قلت له: من أشعر العرب ؟ قال: ارو قول لافظ بن لاحظ ، وهيباب ، وهبيد ، وهاذر بن ماهر ! قلت: هذه أسماء لأعرفها ، قال : أجل أما لافظ فصاحب أمرى القيس ، وأما هبيد فصاحب عبيد بن الأبرص وبشر ، وأما هاذر فصاحب زياد الذبياني ، وهو الذي استنبغه ، ثم أسفر لي الصبح ، فمضيت وتركته " . (٥)

(١) المعري ، رسالة الغفران ٤٧٨ : ٢

(٢) اليادة هوميروس ، البستاني ١٦٩ و ٢٠٣

(٣) الخوت ، في طريق الميثولوجيا ٢٧٨

(٤) المعري ، رسالة الغفران ١٠٤ : ١

(٥) القرشي ، جمهرة أشعار العرب ٢٢

فنجذ الراوي قد حرص على تسمية شيطان الشعر أو الرثي لكل شاعر ، للدلالة على أن الرثي هو الذي يلقن شاعره الشعر . وكما أوجد الرواة الصلة بين الشعراء والرثي أو التابع نجدهم قد أوجدوا الصلة نفسها بين الكاهن وتابعه ، وسنعرض لتلك الرواة في الجزء الخاص بالكهانة في الفصل القادم .

وقد أرجع أحد الباحثين أصل هذه الحكايات في الجن الى اليمن نظرا لتيسر اتصالاتهم المبكرة بالفرس في ايران ، فقد لعب موقع اليمن واتصالها بالهند وفارس الآريين دوره في جلب هذه الأفكار والمعتقدات الخرافية عن الجان ، ثم تسريبها الى بقية شعوب العالم العربي ومنها عبرت الى أوربا^(١) .

ويسلم الدكتور الجوزو بوجود الأثر الزرادشتي في أساطير الجن ، وينص على أن اليهود قبل احتكاكهم بالفرس لم ترد في كتاباتهم أية اشارة الى الشياطين ، أما بعد التيه فقد بدأوا يذكرون الشيطان قليلا ، ولم يلبثوا من بعد أن جعلوه عدو البشر ومرسل الموت الى العالم فاذا صحت الصلة بين كلمة شيطان بالعربية وساطان العبرية ، فان العرب يكونون قد تأثروا في عقيدة الجن بالفكر الفارسي عن طريق اليهودية والمسيحية التي كان لهما وجود في اليمن^(٢) .

والجدير بالذكر أن روبرتسون سميت يخالف من يعتقد بأن فكرة الجن انما هي نتيجة احتكاك الاعراب بغيرهم من الأمم المجاورة ، فهو يرى أن هذه التحيلات كانت قد تولدت في بلاد العرب نفسها بعد انفصال العرب عن سواهم من الساميين^(٣) .

ولاعجب في ما يذهب اليه "سميت" في الاعتقاد بالجن الا نتيجة خوف الاعراب واضطرابهم وتوحشهم في القفار والقيعان^(٤) . وقد انتبه الجاحظ الى مثل هذه الآراء حين قال :

"واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه ، فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ، ويتوهم على الشيء الصغير الحقيق أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ماتصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه وأحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك ايمانا ، ونشأ عليه الناشء..."^(٥)

-
- (١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٢٩
(٢) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٢٣
(٣) Smith, Religion of the Semites 441
(٤) الحوت ، الميثولوجيا عند العرب ٢٧٠
(٥) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ٧٨

وأضيف الى أثر البيئة في تصور العرب لتلك المخلوقات العجيبة ما فطر عليه اليمني من شغف واهتمام بقصص الخوارق والغرائب ، ففي الاضافة الى ماتداوله الاعراب ، وأسعت اليمانيين مخيلة خصبة جعلتهم يمدون الروايات العربية بذلك الزخم من الأساطير الجميلة حول الجن .

وطبع اليمانيون تلك الأساطير بطابعهم الخاص ، ويمكن أن نلمس ذلك في تلك الأسباب التي ابتدعوها في خلق الصلة بين ملوكهم القدماء وبين الجن ، تلك المخلوقات الغريبة المختلفة التي اختلف وصفها من راو الى آخر . ولم يتورعوا عن ابتكار الأساطير الطريفة التي تشبه صلة المصاهرة بينهم ، يحدوهم في خلق تلك الأساطير السعي وراء كل غريب وعجيب ، واكساب ملوكهم القدماء صفة القوة والبطولة الخارقة والمهارة الفذة التي لا يمكن أن تعزى الى بشر عادي مألوف ، وعرفت عن الجن ، ونسبوا الى ملوكهم أعمالا بطولية جعلوا في الجن تابعين لهم يروءونها لهم ويقومون بخدمتهم في انجازها . ووجد رواة اليمن في الجن تحقيق بغيتهم فأخذوا ينسجون الأساطير حولها كما أسلفنا .

خصائص الأساطير ذات الأساس الطبيعي

امتازت الأساطير ذات الأساس الطبيعي ببعض الخصائص الخاصة وقد سبق أن كانت لنا وقفة مع السمات الخاصة بأسطورة ذي القرنين ، وبعد الرجوع الى الأساطير المذكورة المختلفة لاحظنا اتسامها بهذه الخصائص :

١ - النزعة الدينية :

ينزع الراوي اليمني دوما الى التعبير عن ايمانه بالله والعمل على نشر هذا الايمان كما لاحظنا ذلك في أسطورة ذي القرنين الذي جعل الرواة عمله لا يختلف عن نشر الدعوة الاسلامية عند الفتوحات ، عندما يفتح البلاد (كان يعفو عن آمن ويقتل من كفر) .

وفي أساطير الدهر وجدنا كلا من لقمان وذي القرنين يسعى الى الخلود ، ولكننا نجدهما يهديان ايماننا بالله على الرغم مما بذلا من محاولات للحصول على الخلود ، وقد عبر الراوي عن ذلك الايمان في الأشعار المنسوبة الى كل منهما حيث يهديان التسليم بقدرة الله والايمان بقضائه ومشيبته ، وايمانهما ببقاء العالم والبقاء لله وحده .

وفي أساطير الجن لا يجعلون الصلة الا الى الجن الأخيار المومنين بالله الذين يكونون عوناً للملوك اليمانيين في تنفيذ مهامهم . وكما لمسنا في حديث ملك الجن الذي قبل تزويج ابنته من الملك اليمني الهدهاد .

٢ - الميل الى التعليل :

وتتجلى النزعة الى التعليل في أكثر من أسطورة ، فننظر الى وهب الذي تلفت انتباهه الزلازل التي تحرك الأرض وتهزها هزا ، ولايتوانى عن التفسير لذلك الاهتزاز ، فيرجعها الى الجبل المسمى "قاف" وحوله الجبال التي هي كالعروق في الجسد ، فاذا حرك الجسد عروقه (أي الجبال) اهتزت الأرض بما عليها .

كما وجدنا التعليل المنطقي في أساطير الدهر ، فربط امتناع الخلود على ذي القرنين لعدم استطاعته الشرب من ماء الحياة ، وحرّم لقمان الخلود لاختياره بقاء الأنسر السبعة فارتبط عمره بمجموع أعمارها ، ولابد له من الموت بعد انتهاء أجل سابعها ، ولذلك لم يقدر لأي من الملكين الخلود ، وكتب عليهما الموت بانقضاء أجلهما ، لعدم اجتياز كل منهما مايمكن أن يوصله الى الخلود بحسب زعم الأساطير المعروفة بأساطير الدهر .

٣ - الميل الى التجسيد :

يميل الراوي الى التجسيد ويجعل من الرموز المجردة لديه أجساما ملموسة يثبت فيها الحياة ويجعلها تتحرك ، فعندما رأى الجسد بعد أن تفارقه الروح ، ظل في حيرة يتساءل عن سر زوالها ، وكيف يمكن أن يصبح المرء جثة هامدة دون حراك ، فجعل الروح - في أساطيره - تتجسد في شكل طائر يحوم حول الجسد .

وفي أسطورة سهيل والشعريين تجسيد واضح للكائنات الكونية المضيئة في السماء ، وحركتها في السماء أيضا تفسرها حركة الشخوص الذين تجسد فيهم الأسطورة كواكب السماء ، وربطوا بين تلك الكواكب في أساطير جميلة لاتقل روعة عن الميثولوجيا اليونانية .

وقادهم التجسيد الى أنهم تصوروا سهيلا رجلا عشارا كان يظلم العباد من حوله ، فناله عقاب الله عندما مسخه كوكبا في السماء ، كما تدور المعارك بينه وبين خصومه في أسطورة أخرى . . . كلها تصور سهيلا شابا يتبع الحسنة ويتقرب منها ، كما فعل مع الجوزاء ، عندما دارت بينه وبينها معركة نتج عنها ضربه اياها بالسيف وشرها نصفين ، أو تصوره الأساطير شابا هائما لايتوانى عن المضي من منطقة الى أخرى ، وكأنه يمثل الشخصية اليمينية التي لاتقبل ضيما أو ضنكا ، فتسعى متنقلة في بقاع الأرض ، وتتبعه الشريا وهي كوكب تعبر السماء اليه ، وتبكي عليه أخرى "الغميما" ، ولاتستطيع الوصول اليه ، فتغمض عيناها من شدة البكاء .

ولعل الميل الى التجسيد قد دعا وهبا الى تخيل الجبل كائنا حيا تسري فيه الدماء ، يتحرك كلما أراد الله ذلك ، وجعل الجبال الصغيرة من حوله تكون

العروق التي تعد الجسم الضخم بالدماء ، فيتحرك الجسم بتحريك العروق ، ولاتتم الحركة في هذا الجسم الا اذا اراد الله أن يحدث الزلازل في الأرض .

ويقودنا الحديث في قدرة الراوي اليمني على التجسيد الى خاصة أخرى تعد سببا في ميله الى التجسيد وهي خصوبة الخيال والاغراق فيه .

٤ - الاغراق في الخيال :

نجد الأساطير المستندة على أساس طبيعي تتميز بالاغراق في الخيال ، وقد أثبت فيها الرواة قدرة عجيبة على الخيال ، والتحليق فيه بعيدا مما نتج عنه تلك الأساطير الجميلة ، التي أخذ الراوي بيدنا معه للتعرف على عوالم عجيبة من الأراضي والبقاع ، وشاهدنا معه ذلك التنوع العجيب من البشر والأقوام الغريبة الخلقة ، كما لمسنا ذلك في رحلات ذي القرنين .

ومن الخيال الجميل ما ورد في أساطير الجن التي صاغوها حول زواج الملك اليمني الهدهاد من ابنة ملك الجن ، فراو جعلها غزالة يطاردها الذئب ، ولاينجيهما من براثن الذئب الا البطل الهدهاد دون أن يعرفها ، وراو آخر جعل الهدهاد يرى شجاعا^(١) أبيض يطارد شجاعا أسود ، ونصر الشجاع الأبيض الذي تبين فيما بعد أنه ابن ملك الجن ، فكافأه بالزواج من اخته . وساعدهم الخيال المحلق على كشف عوالم في أرض الجن لم يكن الهدهاد لير مثلها . ان أسطورة الهدهاد وأرض الجن تشبه الى حد ما قصص ألف ليلة وليلة ، وما كان يتكشف فيها للبطل من أراض عجيبة وقصور فاخرة ، تزينها الطنائس والزينات الغريبة .

٥ - الارتباط بالواقع :

يتضح في معظم هذه الأساطير ارتباطها بالواقع على نحو ما ، ففي أسطورة الهامة ، وجد الرواة ظاهرة مألوفة في مجتمعهم ، وهي ظاهرة الأخذ بالشار ، ولعلمهم أرادوا ايجاد المبرر المادي الذي يحثهم على تنفيذها ، فاختلقوا حكاية الهامة التي تخرج من روح القتيل ، وتظل تقول: اسقوني ، حتى يقتل قاتله ، ويتم الأخذ بشأره ، حينئذ تسكن . انها تعليل لظاهرة اجتماعية ظلت المجتمعات العربية تشكو منها ، ولاشك في ميل البدوي قديما الى الأخذ بالشار في أسرع وقت ممكن . وربطوا المدى والظما بالطائر الهامة (التي جعلوا الصدى أيضا ذكرها) ، فلا يروى الطائر الا بعد قتل القاتل . ان ذلك تعليل مادي لتفسير تلك الظاهرة التي سادت مجتمعهم وحكمت واقعهم .

(١) الشجاع : ضرب من الحيات (ابن منظور ، لسان العرب مادة "شجع")

ويبدو مثل هذا الارتباط بالواقع في أساطير الجن ، التي عكف الرواة على وصفها ووصف أماكنها وأساطيرها . ووصل بهم الحال إلى انطاقها الشعر ، وقد مرت بنا كلمة للجاحظ^(١) يبين فيها أن سبب تفكيرهم في الجن هو الشعور بالخوف عند ارتيادهم تلك الغيافي والقفار ، فكل حركة يفسرونها وكل دبيب يعللون لمصدره ، وتقابلهم الحيوانات التي تملأ تلك القفار ، فيتجسد لهم ما يبدو صغيرا على نحو ضخم ، يجعلهم يميلون معه إلى المبالغة والتفخيم والتهويل ، ويلتفتون حولهم في تلك البيئة التي تعدهم بتلك التصورات ويتخيلون الجن ، فينسجون حولها القصص والأساطير .

ومن مظاهر الارتباط بالواقع اتخاذ البطل الأسطوري من واقعهم ، بل من ملوكهم القدماء ، فذو القرنين ولقمان من ملوك الحميريين ، والهدهاد وغيره من أبطال الأساطير ، كلهم يمانيون ملأوا نفوس رواياتهم بالخشية والرهبية المشوبتين بالاعجاب والانتصار لهم ، فاحتلوا في ذاكرة الرواة مركزا هاما جعلهم يتخذونها محورا لأساطيرهم ورواياتهم . ويقودها هذا المظهر إلى ظاهرة بارزة في هذه الأساطير خاصة والأساطير اليمنية عامة ، وهي تمجيد الملوك القدماء .

٦ - تمجيد الملوك القدماء :

يحاول رواة اليمن دوما الانتصار لملوكهم القدماء ، فينسبون إليهم كل أمر بطولي ، لذا احتل ملوك اليمن بطولة معظم الأساطير ، وحاول الرواة أن يضيفوا عليهم الكثير من الصفات الجليلة التي يمجدها العربي في أرجاء الوطن العريض . فأخذوا ينسبون إليهم الجاه والقوة والعزيمة التي لا تكل كما وجدنا ذلك لدى ذي القرنين في سيرته بين قومه وفي فتوحاته المختلفة عبر مشارق الأرض ومغاربها .

ووصفوا لقمان بالفطنة والحلم والاقتراب من الله بطيب الأفعال ولذا استجاب دعوته عندما خيره بين ثلاث فاختر منها العمر الذي يبقى ببقاء الأنسر السبعة ، ووجدنا لقمان رجلا صالحا مؤمنا ينصح قومه بالهداية واتخاذ سبيل الرشاد ، كما لمسنا ذلك في الأشعار التي وردت على لسانه .

ومثال آخر في الهدهاد بن شرحبيل الملك الذي أضفوا عليه صفات الشجاعة ونجدة الضيف في أسطورة زواجه من ابنة ملك الجن ، وما أظهره من بطولة مكنته من القضاء على الذئب الذي أوشك أن يفتك بابنة الملك الجني ، التي اتخذها زوجة فولدت له بلقيس ، كما تزعم الأسطورة .

ان تلك الصفات كلها قد أسبغها الرواة على ملوكهم القدماء ، محاولين بذلك اثبات ما كان لليمن من أمجاد تليدة وماض زاهر ، فظلوا لا يدخرون وسعهم لحشد الدلائل التي تثبت ذلك ، فدخل ذلك كله أساطيرهم .

(١) أنظر البحث ص ٢٠٧

٧ - كثرة الشعر :

امتازت هذه الأساطير بكثرة الشعر الذي قيل فيها على لسان أبطالها الأسطوريين ، الذين لا يعقل أن ينطقوا بمثل هذا الشعر الذي فصحت لغته ، وكادت تقارب لغة صدر الاسلام . . . ولاشك أنه شعر موضوع لجأ اليه الرواة لأسباب عدة ، منها اقتناع السامع بصحة ما يروون ، وبتوفير ما يسمى في مصطلحات النقد الحديث بالصدق الفني في الرواية ، وربما لجأ الراوي الى رواية الشعر استجابة لسامعه الذي يستزيده من قول الشعر مستمتعا بما يسمع ، كما لمسنا ذلك في الحوار الدائر بين عبيد بن شربة ومعاوية بن أبي سفيان . فكان الأخير لا يعيل الى تصديق ما يسمع الا بعد أن يسمع ما قيل في الحكاية من شعر .

وقد لاحظنا قطع الشعر الطويلة في أساطير الدهر في أسطورة لقمان ونسوره السبعة ، حيث نسب الى لقمان أبياتا من الشعر الغنائي كلما مات نسر من نسوره السبعة ، اضافة الى ما قيل فيه على لسان شعراء آخرين . كما لاحظنا أيضا طول القصائد المنسوبة الى ذي القرنين ، ويروي فيها أخبار فتوحاته وتقلبه في البلاد المختلفة ، وما صادف فيها من مشاهد عجيبة ومغامرات تعرض لاجتيازها ، اضافة الى الشعر الذي ورد على لسان غيره من ملوك اليمن ، بعضهم يرثيه وبعضهم يفخر بما حققه ، ويعد الشعر الذي قيل في هذه الأسطورة ملحمة رائعة متكاملة سواء كان على لسان ذي القرنين أو من خلفه من أهله وذويه .

ومن الطبيعي أن يكثر الشعر في هذه الأسطورة ، وذلك لارتباط الشعر بالفخر ، فلجأ الراوي الى تضمين ذلك الشعر معاني الفخر والاعتداد بما حققه أولئك الملوك ، وكأنه يضمن في هذه الأبيات ما لم يستطع قوله في أحداث الأسطورة ، ولذا يعد لديه مكملا للأسطورة ، يسير معها في اتجاه الصعود عند الاشارة باليمن ، وما حققه الملوك القدماء فيها . . . وعندما يقصر الحال بالراوي عن ادخال الشعر على لسان أحد أبطال الأسطورة ، نجده يأتي به فيما بعد مستشهدا بقوله على لسان شعراء آخرين ، لا يتوانى عن نسبة اليهم ، فيكملون بأقوالهم نغمة الاشارة والتمجيد .

وقد لمسنا وجود قدر لا بأس به من الشعر على لسان شعراء مشهورين - في الجزيرة العربية بعامة - وردت على لسانهم ذكر بعض هذه الأساطير ، أو ذكر أبطالها ، ولا يمكننا هنا اغفال المواطن التالي جاء الشعر فيها على لسان أولئك الشعراء ، فهذه الأساطير تتناول عددا من الظواهر الطبيعية التي شغلت العربي في أرجاء الجزيرة العربية بكافة - كما لمسنا ذلك في أساطير الجن وما جاء حولها على لسان لبيد بن ربيعة ، وطرفة ابن العبد والأعشى ، وامرئ القيس وابن مفرغ الحميري وغيرهم .

كما اننا لا يمكن أن ننسى نشاط رواة اليمن وعملهم على نشر ورواج أساطيرهم في جنوبي الجزيرة العربية وشمالها وما كان بين القوم من مجالات الاحتكاك المختلفة ، فعرفها الشاعر واختزنتها ذاكرته ، واتخذ منها شواهده يسوقها في مجال العظة والاعتبار ، كما لمسنا ذلك في أساطير الدهر التي انطقت عددا كبيرا من الشعراء مستعدين منها العبرة والعظة ، مستشهدين بتجارب من سبقهم من السلف .

ولم يتورع الرواة عن انطاق الجن أيضا بأشعارهم امعانا في الدلالة على صدق رواياتهم وأساطيرهم ، وتجسيدا لما يودون ابرازه من شواهد ودلائل .

" الفصل الثالث "

" الأساس التاريخي "

نتناول في هذا الفصل بالدراسة عددا من الأساطير اليمينية التي ارتكزت في الأساس على التاريخ ، فنجد محور كل أسطورة الحدث التاريخي المشهود في تاريخ اليمن أو الشخصية التاريخية المعروفة من ملوك اليمن القدماء وشخصياته المعروفة عبر العصور .

فأقبل الرواة على التاريخ يستلهمونه ويعيدون صياغة بعض أحداثه في ملاحم رائعة صورت البطولات الفائقة ، في خيال مجنح يحلق بالمرء في عوالم غريبة ، واتخذ الرواة التاريخ محورا لأساطيرهم يستشهدون به على صدق رواياتهم وواقعية حكاياتهم ، محاولين بذلك توفير الصدق الفني لأساطيرهم لاقتناع الناس من حولهم بصدق أحداثها ووجود شخصياتها عبر العصور والأزمان السحيقة .

وأمد التاريخ الرواة وأهل الأخبار بمادة خصبة ظلوا يقلبونها على وجوهها المختلفة ، وكل يمتح بدلوه ويطلع للناس أشكالاً عجيبة وغريبة يدعش لها من حولهم ويقبلون عليهم مبهورين بما يسمعون من الحكايات والقصص العجيبة ، ففتن أهل الأخبار والمؤرخون ، وظلوا يرددون ذلك القصص والأساطير وهم ينتقدون فيها عنصري المبالغة والادهاش ، ولكنهم مع ذلك زانوا بها مؤلفاتهم ، وولعوا بادراجها في أسفارهم ، اللاحق منهم يسير على هدي السابق ، وبعضهم يعلل بوجودها لدفع الملل عن القارئ وبعضهم لنظرية التحلي التي برر مؤلفو المصادر العربية القديمة بها ازدحام كتبهم بتلك الأخبار الأسطورية الغريبة .

ولا يتقيد الراوي بالتاريخ بتفصيلاته الدقيقة التي يمكن اخضاعها للتحخيص والمحاكمة ، ولكنه يتخذ منه منطلقا للسير في القصص الطريف ، فلا يعنيه في شيء تتبع الشخصية التاريخية أو الظاهرة التاريخية أو الحدث التاريخي كما حدث بالفعل ، ولكنه اتخذ من ذلك كله مادته الأولى التي بنى عليها أسطوره ، وأطلق لخياله العنان في التحليق في عوالم غريبة وعجيبة ، ومكنه ذلك من تأليف الأساطير الجميلة .

فالشخصية التاريخية تكتسب صفات خاصة تنفرد بها عن غيرها ، وتحقق أمورا خارقة لا يستطيع بشر القيام بها ، ويعلو كعبها في عالم المجد والشهرة على نحو يجعل الراوي يستطيل على من حوله ويزداد شططا في خياله وفي مبالغاته ، والظاهرة التاريخية لا تتقيد بواقع معين ، ولكن الراوي يعلل لها ويفسر ويحلل على نحو عجيب يعزوه فيه الأسباب الى قوى خارقة كانت السبب في ظهورها ، محاولا بذلك ايجاد الأسباب والمسببات لكل ما ملأ حياتهم من تلك الظواهر . والحدث التاريخي أيضا له أسبابه ومبرراته الخاصة التي كثيرا ما صاغها على لسان اناس توفرت لهم القوى الخارقة والعلم النافذ الذي يستطيع استكناه الغيب والتنبؤ بالحدث قبل وقوعه .

ونجد اليمن معلما بارزا في الأساطير المستندة على الأساس التاريخي ،
فالنزعة الوطنية فيها تعلو وتصخب في توقيعات حماسية هادرة ضمنها الرواة
أشعارهم وأقوالهم على لسان الأبطال الأسطوريين ، أو في مايسبقونه على البطل من
صفات معنوية ومادية يعلو بها على من حوله .

وتختلط هذه الأساطير بالأحداث التاريخية ، وتدق أحيانا لتختفي في
شناياها ، ولكن أمرها لا يخفى على الباحث الممحص الذي يستطيع التمييز بين
الأحداث التاريخية الواقعية وبين ما صاغه الرواة من أساطير جميلة لا تقل روعة عن
أساطير الأمم والشعوب الأخرى .

من أساطير عباد :

(١) لقد أورد الرواة انتساب قوم عاد الى اليمن ، ف قيل انهم سكنوا الشحر .
وقيل سكنوا الأحقاف وهي جبال الرمل ، واسم واديهم "مقيث" (٢) ، ويذكر القرآن
الكريم موطنهم في قوله تعالى "واذكر أبا عاد ان أنذر قومه بالأحقاف ، وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه .." (٣)

ونظرا لذكر الأحقاف موطننا لهم أعتقد الاخباريون (٤) أن حضرموت اليمن كانت
موطنهم لأن بها منطقة الأحقاف اليوم ، مع العلم بأن كلمة " الأحقاف " تعني
الرمال . (٥)

وعندما جاء حضرمي الى علي (رضي الله عنه) ، سأله علي عن موضع الأحقاف
فسرد عليه قصة مروية تخبره بوجوده في حضرموت ، ووجود قبر هود هناك (٦) ونسب
الى حسان بن ثابت قوله فيه :

(٧) وان أبا الأحقاف ان يعدلونه يجاهد في دين النبي ويعذل

وقيل ان موضع الأحقاف شرقي حضرموت ، وقد كان وادي حضرموت قديما وحديشا يسمى
بوادي الأحقاف ، كما كان معروفا في الجاهلية ثم في العصور الاسلامية ، وما زال
يزار الى اليوم . (٨)

وبالإضافة الى ما ذكرت فقد أروع رواية اليمن دوما بانتساب الأقبام القديمة
الى اليمن محققين اتصالا بهم على أي نحو ، يتبع ذلك حكاية الأساطير والروايات
حولهم ، متخذين من ذلك الانتساب منطلقا الى الاهتمام بأخبارهم وأوصافهم
وما حققوه في حياتهم من مجد وسوءدد .. وهذا علقمة بن ذي جدن الذي يذكر
انتسابهم الى هود لينفذ منه الى الافتخار بما حققه قومه من أمجاد قديمة ، وما
أبدوه من بطولة فائقة حين قال :

-
- (١) ابن حبيب ، المحبر ٣٨٤
 - (٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١ : ١٢٠
 - (٣) سورة الأحقاف ، الآية ٢١
 - (٤) القلقشندي ، صح الأعشى ٥ : ١٨ / المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١١٠
 - (٥) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ١ : ١٥٢
 - (٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ١١٦
 - (٧) حسان بن ثابت ، شرح الديوان ٣٢٠
 - (٨) صالح بن حامد العلوي ، تاريخ حضرموت السياسي ١ : ٦٦

أبونا نبي الله هودين عابــــر
لنا الملك في شرق البلاد وغربها
فمن مثل كهلان التواضب والقنسا
ونحن بنو هود النبي المطهر
ومفخرنا يسمو على كل مفخر
ومن مثل أملاك البرية حمير^(١)

ولا يكتفي الرواة بذلك ، بل يلجأون الى الأخبار عن الشخصيات القديمة بعد موتهم ، كما لمسنا ذلك في أخبار القبوريات التي أفرد لها الهمداني جزءاً من أكليله .

وجعلت الروايات لعاد ولدين هما شداد وشديد ، ثم توفي شديد لينفرد بالحكم شداد الذي أخذ الرواة يحكيون الأساطير حوله ، فقيل انه بنى مدينة ارم ذات العماد^(٢) ، وقد نكرت في القرآن الكريم " ألم تركيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد... " وأخذ الرواة يتفننون ويبالغون في الرواية عندما وصفوا " ارم ذات العماد " ، فجعلوها مدينة بين حضرموت وصنعاء في تيه أبين ، وأوجدوا بداخلها قصورا من الذهب والفضة ، وكثيرا من المباني الأخرى ، وزعموا أن بناءها تم في ثلاثمائة سنة^(٣) .

وفي رواية أخرى أن شداد سمع بذكر الجنة فأراد أن يباهيها " بارم " ، فأمر ببنائها في بعض صحارى عدن^(٤) . وقد أسهب ياقوت في وصف المدينة ، فقال ان شداد بن عاد أحاطها بسور عال مشرف ، وبنى فيها ثلاثمائة ألف قصر ، وجعل لها غرفا فوقها غرف معمدة بأساطين الزهرجد والجزع والياقوت ، ثم أجرى تحت المدينة واديا ساق اليها تحت الأرض أربعين فرسخا ، وأقام في شوارعها السواقي المطلية بالذهب ، وجعل حصاها أنواع الجواهر ، وهي تجري بالماء الصافي ، يتسوق منها المسك والزعفران والروائح الزكية... ومكث في بناء المدينة خمسمائة عام .

وبعد أن فرغ رجاله من بنائها سار اليها في عدد ضخم من جنوده ، ولكنهم لا يكادون الاقتراب منها حتى أخذتهم صيحة من السماء ! ومات هو وجميع من كان في المدينة ، فلم يدخلها بعد ذلك أحد الا رجل واحد في أيام معاوية ويدعى عبدالله بن قلاب^(٥) .

ووصف الهمداني مدينة " ارم " بما يقرب من هذا الوصف ، ولكنه جعل شداد ابن عاد رجلا متواضعا لله تعالى ، ولذلك كان ملكا غير متوج ، بعكس ماترويه الروايات الأخرى ، ويقال انه عمر خمسمائة عام ، ثم دفن في مغارة في جبل شمام ،

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ٢

(٢) سورة الفجر ، الآية ٧

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ١ : ٢٠

(٤) الزمخشري ، الكشاف ٢ : ٤٧٠

(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ٣١٢

(١)

(ولعله قصد شبام ، وهي مدينة بحضرموت) ، ويتفق معه في الوصف وهب بن منبه .

ولايهمنا هنا التحقيق في موقع هذه المدينة ، أو التمهيص في دقة هذا الوصف ومدى اقترابه من الحقيقة ، بقدر ماتهمنا الأساطير التي جاءت على السنة الرواة بما فيها من مبالغات وتزيد وتلويح . لأننا لسنا بصدد البحث التاريخي ، وإنما بسبيل ما أشار التاريخ في أذهان الرواة وما جلب لنا من أساطير وأخبار تراشية كونت ذلك الفن الأدبي الجميل ، فكان نواة أمدت الرواة للبناء فوقها ، مستعينين بما يزودهم به خيالهم الخصب من فنون التصوير والابداع .

وننظر الى قول علقمة بن ذي جدن في ارم :
(٢) فهل لقوم مثل آثارهم من ارم ذات البناء الرفيع

ويتبين لنا بيت القصيد لدى كل من الراوي والشاعر اليمنيين ، اللذين يتخذان من ذكر الشخصيات أو الأمكنة منفذا الى الافتخار بالأمجاد المندثرة والاشارة بما حققه القوم وما خلفوه من آثار عظيمة تملأ أنفسهم فخرا .

ونقل وهب هذه الأسطورة في سلسلة من الرواة انتهت الى عبيد بن شرية الجرهمي الذي قال الحديث عن شيخ من أهل اليمن بصنعاء عام الردة ، وكان معمرًا عالما بملوك حمير وأمورها ، فقال :

(٣)

كان رجل عادي يقال له الهميسع بن بكر ، وكان جسورا لايهاب أمرا ، وقد عرف بذلك ، فكانت الصعاليك تقصده من آفاق الأرض ، وكان أكثر طلبه المغارات يطلبها في جبال اليمن وعمان والبحرين ، فأتاه رجل فاتك من عمن وآخر من خزاعه ، وكانا صعلوكين جسورين ، وسألا الهميسع أن يصطحبهما واعددين بالامتثال لأمره ومشيئته ، فمض معهما الهميسع حتى أتى بهما جبلا وعليه غابة فيها شعابين لاترام . وكان الهميسع قد أتى هذا الجبل مرارا وحده ، وعند مشاهدته الشعابين رجع ، فعندما لقاه الصعلوكان تشجع بهما ، ثم أخذ سيفه وزناده ومشاعله وزاده ، وسار بهما حتى وصل الى الجبل ، ولم يزل تترايا لهم الشعابين وتهرب ، حتى بلغ باب كهف عظيم ، وكان الجبال على أكتافهم عظما وثقلا .

ودخلت قلوبهم وحشة عظيمة ، وسمعوا من داخل الكهف دويًا عظيمًا وهيئمة ، وعلى باب الكهف نقتش بالحميري ، فقالوا له : اقرأ يا هميسع ، فقرأه فاذا هو مكتوب هذين البيتين :

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٨٣ / وأنظر التيجان ٧٤

(٢) المصدر السابق ٨ : ٨٠

(٣) نسبة الى قوم عاد

لا يدخل الهيت الا ذو مخاطرة
ان الذي عنده الاجال حاضرة
او جاهل بدخول الكهف مغرور
موكل بالذي يغشاه مأمور

فغلب الخوف والجزع على الخزاعي في اول أمره ، ثم ان الجزع غلب أيضا على العبيسي ، فاستدرك نفسه وثبت ، أما الخزاعي فقد فر هاربا . فقال الهميسع : نمضي في هذا الكهف أم لا ؟ فأجابته : نعم ، وسارا في الكهف حيننا ، فاذا حيات يصفرن عن يمين وشمال ، ورياح تجري عليهما من داخل الكهف ، وسمعا دويبا ، فقال العبيسي : لقد حملت نفسك على مكروه يا هميسع ، أعلى يقين أنت من هذا الكهف ؟ فقال الهميسع : ما تيقنت الا ما رأته عيني ، والرجاء . فقال له : هل أصبح مهجتي بهخس يا هميسع ، لقد بعثت نفسك من دهرك أبخس ثمن . وهميسع في ذلك لايلوي الى كلامه ، وهو يسير داخل الكهف حتى وقف به على باب آخر من الباب الأول وأهول وأشد وحشة ، وزاد عليهم الدوي والحسيس والهيمسة ، وعلى ذلك الباب بالخط الحميري .

فقال له العبيسي : اقرأ يا هميسع ! فقرأه فاذا هو :

انظر لرحلك لايساق فانه
ياساكني جبلي شمام لعله
حتم الحمام الى العرين يساق
يوفي بما أجنهتما الميثاق
يدعو الى يوم الفراق فراق
قوموا الى الانسي ان محله

فولى العبيسي هاربا عنه ، وناداه الهميسع ، فلم يلتفت اليه ، وولى وهو يقول :
قاتل الله أبا عاد ما أجسره !

وهم الهميسع ان يفر ، ثم حمل نفسه على الأصعب ، ومضى حتى بلغ الى باب هو أعظم هولاً وأشد وحشة ، وعليه نقش بالقلم الحميري ، فقرأه الهميسع فاذا فيه مكتوب :

قد كان فيما قد مضى واعظ
ان جهل الجاهل ما قد أتى
لنفسك الهينة المسمعه
وكان حيننا قلبه في دعه

فدخل الباب الثالث ، فسمع دويبا عظيما كالرعد . فبينما هو كذلك ان برز اليه تنين أحمر العينين فاتح فاه ، فلما رآه الهميسع رجع هاربا الى خلفه ، فسكن حس التنين ، فوقف العادي متسائلا اذ لو كان التنين حيوانا لما تركه ، فما هو الا ظلم . فرجع له ثانية حتى ظهر له ، فسار نحوه ، فسمع له دويبا عظيما ، فهرب . فأقبل يسمع الدوي فاذا هو في رجوع التنين كما قاله في أدباره ، فعلم أنه ظلم فأخذ حذره من صدمته ، وأقبل يمشي قليلا . . قليلا ، ويخفف وطأة قدميه حتى وضع قدمه في موضع ، فتحرك التنين ودوى فأخذ قدوما كان معه فحفر على الموضع حتى ظهرت له سلاسل على بكرات . فأجته الليل ، فأسرع الخروج من الكهف ، وجمع حطبها من الغيضة ، وأضرمها نارا وبات عند باب الكهف .

فلما غشيه ظلام الليل سمع بكاءً وأنبينا داخل الكهف ، فلم يزل ينتظر ويرتقب وينظر حتى نظر الى نار عظيمة خارجة اليه من داخل الكهف ، فلما رآها لم يبرح من موضعه حتى غشيته ، فصر لها ، فم توالم فيه شيئاً ثم أتته أخرى ثانية أكبر من الأولى فصر لها كذلك ، فلما مالت عنه أخذ مقياس النيران التي أرضها وأقبل يضرب بها حيطان الكهف يمينا وشمالا ، حتى سمع نداءً من داخل الكهف يهتف : يا هميسع لاجبة لنا في دخولك ، فأقام حتى أصبح فدخل باب الكهف الى أن وصل الى الباب الذي رأى فيه التنين ، ثم حفر على بقية حد التنين حتى قلعه ، وسقط التنين .

فسار اليه ، فقلع عينيه فاذا هما ياقوتتان حمراوان لاقيمة لهما ، وسار حتى انتهى الى باب هو أعظم هولاً وأشد وحشة ، فلما هم أن يفتحه سمع دويًا عظيمًا وبدأ له أسد عظيم ، فرجع أيضا الى خلفه ، فرجع عنه الأسد بدوي عظيم ، فحفر على موضع حركته ، كما صنع بالتنين حتى أبطل حركته وقلع عينيه فاذا هما ياقوتتان حمراوان لاقيمة لهما ، ثم دخل الباب فاذا هو بدار عظيمة ، وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب ، وعليه شيخ على رأسه لوح من ذهب معلق ، وسقف البيت مرصع بأصناف اليواقيت ، وعلى رأسه في الحائط لوح من ذهب ، فيه مكتوب (أنا شداد بن عاد ، عشت خمس مائة عام وافتضت فيها ألف بكر وقتلت ألف مبارز وركبت ألف جواد من عتاق الخيل) وتحت مكتوب :

من ذاك يا شداد عاد أصبحت	آماله مهزومة الأقدام
يامن رأني انني لك عبيرة	من بعد ملك الدهر والأعوام
فكأنني ضيف ترحل مسرعا	وكأنني حلم من الأحلام
احذر تصاريف الزمان وربيه	لا تأمنن حوادث الأيام
هلا يضرك من كلامي مسرة	يا ساكن الغيضا والاحمام

ثم مال الى الركن الذي عن يمينه ، فاذا هو سرير من ذهب ، وعليه جاريتان ، فوق رأسيهما في الحائط لوح من ذهب ، مكتوب فيه (أنا حبة وهذه لبة بنت شداد بن عاد ، أتت علينا أزمان أنفقنا فيها الطارف والتلديد على عبيدنا ، ثم طلبنا صاعا من بر بصاع من در فلم نجده - فمن رأنا فلا يشق بالزمان ، وليكن على بيان ، فانه يحدث العز والهوان) .

فأخذ الهميسع الألواح وما بالبيت من در وجوهر وياقوت ، وخرج . (١)

وعند دراستنا هذه الأسطورة نلاحظ فيها أموراً عدة يجدر بنا الوقوف أمامها وتسجيلها :

١ - ان الراوية في هذه الأسطورة يحاول اثبات البطولة الخارقة للبطل اليميني فنجد الهميسع البطل اليميني يتصدى للمخاطر والأحوال دون أن تشنيه عن المضي في طريقه للوصول الى تحقيق هدفه ، فيواجه الشعابين المخيفة والوحوش الكاسرة ،

(١) وهب بن منبه ، الشيجان

فيقابل التنين ثم الأسد ، ويجابه النيران والدوي ، وهو ماض في سيره ، لايلوي على شيء ، لكل همه الوصول الى داخل الكهف ومعرفة مافيه .. ولايكتفي الراوية بوصف البطل اليميني بالشجاعة وقوة البأس ، ولكنه يلجأ الى كل مايشبت هذه الشجاعة من وسائل تعينه في اصفاء تلك الصفات على البطل . فنقرأ معه على باب الكهف مايفي على الداخل الى الكهف صفات البطولة وتحمل المخاطر (لايدخل البيت الا ذو مخاطرة) .

ولايتوانى الراوية في ابراز هذه الشجاعة واثبات هذه البطولة ، ولعله لذلك جعل أحد الصلوكيين المرافقين للهميسع عسيبا وآخر خزاعيا ، ورافقه الصلوكيان ، ولكنهما لم يتحملا مجابهة المخاطر ، فرجع الخزاعي ، ثم تبعه العسيبي ، وفرا في بداية طريقهما معه ، ولم يستطيعا اختراق تلك الأهوال ، ولذلك نكص الصلوكيان على عقبيهما ، بينما سار البطل اليميني حتى حقق بغيته . فكان الراوية أراد أن يسجل انفراد اليميني دون غيره بالشجاعة وقوة البأس والشكيمة ، وتجريد غيره عنها ، واذا كانت خزاعة تنتمي في الواقع الى اليمن ، ولكنها قد رحلت في مرحلة مبكرة الى شمالي الجزيرة ، وقد عرف من الروايات تأرجح هذه القبيلة في الانتماء ، فكانت العصبية القبلية مشار لظهور عدد من تلك الروايات . وليس المجال هنا مناسباً للوقوف عندها .

٢ - يحاول الراوي اظهار عظمة ملوك اليمن القدماء وتمجيدهم ، ويتراءى لنا من خلال وصفه في الأسطورة محاولته اظهار عزتهم ومنعتهم حتى بعد وفاتهم ، فامتنع الدخول الى الكهف بتجنيد تلك القوى المختلفة التي تجعل الكهف ومن فيه في منجى من دخول عامة الناس .

كما أخذ الراوي يصف مظاهر عزهم وعظمتهم ، فالدار عظيمة جدا ، والأثاث فيها من ذهب ، والألواح المحيطة بالحيطان من ذهب ، وسقف الدار مرصع بأصناف الياقوت .. وهكذا . ولايكتفي الراوي باظهار العظمة المادية ، ولكنه أيضا يثبت لملوك اليمن وشخصياته القديمة العظمة المعنوية ، فهم على قدر كبير من الشجاعة والقوة ، فننظر الى الألواح المكتوبة لنجد فيها عن شداد بن عاد (قتلت ألف مبارز ، وركبت ألف جواد من عشاق الخيل) .. ونستشف من ذلك كله محاولة الراوي الدائمة في اثبات القوة والشجاعة لملوك اليمن وشخصياته القديمة . فيحشد كل طاقاته لاثبات تلك الحقائق ، فيسعى الى احاطة بيئة الأسطورة وجوها بقدر كبير من العظمة والفخامة ، ولايتوانى عن التمجيد المباشر ، كما لمسنا ذلك في ألواح المكتوبة .. وفي أبياته المكتوبة في الكهف .

٣ - نلمح في الأسطورة غاية الوعظ والارشاد ، وكأن الهدف من روايتها حمل السامع على الاعتباط والاعتبار بما كان يحدث للسلف من أحداث وما مر بهم من أحوال لانتهاج السبيل القويم في الحياة تجنباً للوقوع في المهالك أو المصائب .. ويواجهنا الهدف على نحو مباشر أولاً في البيت المكتوب على أبواب الكهف :

قد كان فيما قد مضى واعظ لنفسك البينة المسمعه

وتظهر الأبيات الأخرى هذه الغاية ليتعظ السامع بما كان عليه الملوك قديماً من قوة ومنعة وما أصبح عليه حالهم :

يا من رأني انني لك عبرة من بعد ملك الدهر والأعوام

فكان حالهم في هذه الدنيا كالضيف الذي رحل سريعاً ، أو كأن حياتهم حلم قصير :
فكأنني ضيف ترحل مسرعاً فكأنني حلم من الأحلام

ثم يأتي النصح والتحذير الصريح من الزمان وما يهديه للمرء الذي لا ينبغي أن يغتر به ، أو يأمن حوادث أيامه :

احذر تصاريف الزمان وريبه لا تأمنن حوادث الأيام

وتأتي نصيحة أخرى على لسان حبة ولبة ابنتي شداد بن عاد ، وقد جاءت العبارة مكتوبة على لوح في الحائط (٠٠٠) من رأنا فلا يثق بالزمان وليكن على بيان فانه يحدث العز والهوان) ، وتحذر العبارة من الركون الى الزمان ، والافتقار بما يقدمه من مظاهر الترف والجاه ، فربما أعتب العز الهوان كما حدث لأولئك القوم .

٤ - تلفت نظرنا عبارة في النص المكتوب وردت على لسان حبة ولبة ابنتي شداد بن عاد (أنفقنا فيها الطارف والتلبد على عبيدنا ، ثم طلبنا صاعاً من بر بصاع من در فلم نجده ٠٠٠) ونتساءل عن سبب هذه الظاهرة ، ولكن الأسطورة لا تجيب على هذا التساؤل ، ولاتوضح شيئاً يفسر هذا الأمر ، وكأنني بالراوية يترك للسامع فرصة لتخيل الأسباب التي أدت بالفتاتين الى هذه الحال ، وربما كانت اشارة الى أسطورة أخرى غير معروفة تحكي ما حدث لهما .. وفيها اجابة عن السبب الذي جعل صاع الدر غير نافع لشراء صاع البر ، أو استبداله به .

وتذكرنا هذه الأسطورة بحكاية أجنبية متداولة ، وتحكي عن ملك أحب الذهب وعبده ، وتحتاج له الفرصة في يوم - على نحو معين - أن يعبر عن أمنيته ، فتمنى أن يتحول كل شيء يلمسه الى ذهب ، وكان له ما أراد ، فكل ما لمست يده تحول الى ذهب ، حتى الطعام يتحول الى ذهب عندما أراد أن يأكل . ويلمس ابنته الوحيدة التي كان يحبها حباً جما فتتحول الى تمثال من الذهب ، ويتلف حولها مذعوراً ، ويعرف خطأه في الانسياق وراء الرغبة في المال والجاه والانبهار بالذهب .

فلعل في جزء آخر من الأسطورة اليمينية شيئا من هذا القبيل الذي عرفناه في الحكاية الأجنبية ، وربما وجد مثل هذا في أسطورة يمنية مفقودة أو في مخطوط ضائع ، فلا ننسى ما اغتالته يد الضياع والنسيان من كتب ومخطوطات في تلك المسيرة الطويلة التي رأى تراشنا العربي خلالها النور .

وتلقت نظرنا أسطورة أخرى حول نسل عاد أوردها الهمداني في أخبار قبيورياته ، وتروى الأسطورة على لسان رجل من حضرموت ، انقلها مع بعض التصرف :
... ان بلادنا مغارة متقدمة عادية تهاب دخولها الناس ، وهي قريبة من مركب الناس في البحر ، ولا بد أن يمر عليها من أراد ركوب البحر .

فخرجنا في جماعة من الحي يريدون الركوب ومعنا رجل معافري يقل له بسطام ولم يكن في الناس أشد منه قلبا ولا أجرا منه مقدما . فلما توجهنا في الطريق الى المغارة أشاد نكرها وما يحدث الناس عنها ، وجبنهم عند دخولها ، فقال بسطام :
أما أنا فلست نأفذا بوجهتي حتى أدخلها على ماعدت ، فمن يساعدني على ذلك ، ويخاطر بدخولها معي . وكنت امرءا جريشا ، فقلت : أنا صاحبك .. وسكت القوم .
فقلت : عندي ماتريد من المساعدة والموافقة .

فأخذنا نقرأ ونتعود حتى بلغنا المغارة وقد هيأنا الشمعة وأخذنا اداة ماء وأسرجنا الشمعة ، ثم دخلنا نهتدي بضوء الشمعة . فمضينا طويلا في طريق ملساء وهي واضحة ، ثم أفضينا الى جرف من رخام ، أعنت صاحبي على قلبه حتى قلبناه بعد طول معالجة ، فاذا فيه امرأة عليها من الحلبي مالم ير قبل ذلك . وأشرق حسنها من نور الجوهر الذي عليها ، واذا عند رأسها لوح من رخام مكتوب فيه بالمسند "أنا ورعة بنت عاد بن ارم ، عتا علي أبي واستكبر وأسن ، فأهلكه الله بالريح العقيم ، وأنا أوء من بهالله وبما أنزل من عنده ، فمن رأني فلا يعبان بما علي ، وليمض الى ما هو أعجب مني ، وليحذر أن يتناول ما ليس له فيهلك" .

ففرغت وفرغ صاحبي لذلك ، وأعدنا الغطاء على الجرف كما كان ، ومضينا غير بعيد فأفض بنا المسلك الى درج صعبة ، ونحن في ذلك نقرأ القرآن ونذكر الله ، فنزلنا من تلك الدرج بعد جهد شديد وأمر صعب ، فلما أفضينا الى الأرض ورأينا ضوءا ليس بضوء الشمس ، ولكننا نرى البحر من منفذ اليه صعب ، واذا بيت مقابلنا ، فدخلتنا فاذا فيه ثلاثة أسرة من ذهب .

واذا على السرير الأول شيخ كبير أصلع أورد عليه حلتان عدهيتان مرصعتان بالجواهر ، وعند رأسه كتاب بالمسند : "أنا عاد بن ارم ، دوخت البلاد وملكت العباد وأرست الأوتاد وأكثرت من الأولاد ، أتانا مخبر فكذبناه ونهى فما صدقناه . فجاءتنا ربح السوء ، فتركتنا همودا .

وعلى السرير الثاني شيخ طويل الأدمة ، عليه حلتان مخرستان بالجواهر ، وعند رأسه كتاب بالمسند: "أنا مرشد بن قاف ، وأنا محقق بالأحقاف دعاني هود الى خلاف قومي ، فكذبتة ولم أصدق رسالته ، فأصابني ما أصاب قومي من عذاب الله " .

وعلى السرير الثالث رجل قصير جعد ، عليه من الحلل مثل ما على صاحبيه ، وعند رأسه كتاب: "أنا منسك بن لقيم خازن عاد" ومع الكتاب الذي عند رأسه مفاتيح معلقة . فطفنا في تلك البيوت لنرى لتلك المفاتيح أبوابا ، فلم نر شيئا فلما آيسنا أن نصيب من ذلك شيئا ونحن نجول ، اذ رأيت صخرة على فم وهدة ، فسألت صاحبي أن نتناولها ، فزاولناها طويلا حتى قلبناها ، واذا في الوهدة درج ، فنزلنا حتى أفضينا الى الغضاء ، فاذا أربعة أبواب مغلقة .

ففتحنا الباب الأول ثم دخلنا البيت فاذا فيه تمثالان عظيمان ، قد مسخهما الله جل ذكره حجرين وهما في صورة قنيتين . ففي حجر احدهما عرطبة أي طنبور قد مسخت ، وفي يد الشمال مزار ممسوخ ، وليس في البيت غير ذلك . فخرجنا وأغلقتنا الباب .

ثم فتحنا الباب الثاني فاذا فيه سرير موزون ، وعليه تمثال جارية من أحسن ما رأينا ، فوقها تمثال رجل شاب جميل . واذا أسفل من ذلك السرير أربعة عشر تمثالا قياما رجالا شبابا قد مسخهم الله كلهم حجارة ، فحمدنا الله كثيرا وعجبنا من ذلك ، ثم خرجنا فأغلقتنا الباب .

ثم فتحنا الباب الثالث فاذا فيه سلاح كثير ، فخرجنا وأغلقتنا الباب . ثم فتحنا الباب الرابع فاذا فيه من الذهب والجواهر والفضة ما لم أجد مثله قط . وفي جانب البيت حية كأنها الجراب المشو ، فسمعنا صوتا خفيا: "خذوا ما قضي لكم" . فدخلنا وأخذنا ما نستطيع حمله . ثم أردنا التخلص من موضعنا ، فأطلنا الفكرة في التخلص . فقال لي صاحبي : أما الرجوع من حيث جئنا فلا حاجة لنا به ، ولعلنا نهلك ، ولكن أطلب التخلص من هذا المسلك . فنفذنا اليه بعناء ، وأخذنا أوقارا من تلك الجواهر .

وهيا الله لنا من يومنا ذلك مركبا ، فلوحنا الى أهله ، فأمرنا صاحب القارب ، فجاءنا وأخبرنا بحقيقته أمرنا ، وقلنا لهم: انا دالوكم على مال عظيم فطمعوا في ذلك ، وطمعنا ، ورجعنا الى البيت فلم نصب مفاتيحه . وحرصنا على طلبها ، فعبي علينا مكانها ، فقلت لصاحبي : اني أتخوف ان رمنا ماليس لنا أن يذهب بما في أيدينا . فمضينا من وقتنا من ذلك الموضع ، وقد كنا أشرفنا على الهلكة .

وعلى الرغم من ولوع الهمداني بأخبار القبوريات وما يشاهده القوم في الكهوف والمفارات واكثاره منها في أكليله ، فاننا نجده يعقب على هذه الأسطورة تعقيبا طريفا حيث ينص على المبالغة والتزويد في رواية الحضرمي ، ثم يتعجب من عدم وجود النسيم مع مضي الأشنين في السير يحملان السراج ، ويعلل تعليلا علميا عدم شبت شعله السراج ، وأيضا عدم تحمل النفس الانسانية المكوث في موضع يقل فيه النسيم أو ينعدم ، ويعجز بها التنفس .

وبعد الاطلاع على فحوى الأسطورة التي يزرع بمثلها وبشبهها أكليل الهمداني ندون بعض الملاحظات حولها :

١ - تتجلى في هذه الأسطورة الغاية الدينية لدى الراوي الذي جعل الشخصيات العادية وما كتب عند رأسها على الألواح عظة وعبرة للسامع ، فنواجه الشخصية الأولى المتديبنة ، ويدل اسمها أيضا على ذلك "ورعة بنت عاد" ، وتنص هذه الشخصية على ايمانها بالله وبما أنزل على عبده ، وتفتقد تجبر أبيها وعتوه الذي أهلكه الله بالريح العقيم .

كما نواجه شخصية "عاد" نفسه ، ويعترف على اللوح بما أتى من سوء ، وعدم تصديقه لرسول الله ، فجاءتهم الريح العقيم التي لم تبق منهم . وآخر هو "مرشد بن قاف" كذب برسول الله ولم يؤمن فأصابه ما أصاب قومه من عذاب الله .

وكان الراوي أراد بذلك اثبات ما أوردته الآيات القرآنية الكريمة ، مؤكدا في أسطوره على ضرورة الاعتباط والاعتبار لما حدث للأقوام القديمة ، وما يعنيه عدم الايمان بالله والكفر بما أنزله رسوله ، حيث يحيق الله بالظالمين عذاب السوء ويمليهم جحيما .

٢ - وتتضح النزعة الاخلاقية في الأسطورة أيضا ، إذ نلمح في ثناياها الحث على القناعة وعدم الانبهار بمتاع الحياة الدنيا من ذهب وجواهر ، مما يغري الناظر اليه ، والاستزادة منه اذا أتاحت له الفرصة . وتدلنا الألواح على ذلك "فمن رأني فلا يعبان بما علي .. وليحذر أن يتناول مالي سر له فيهلك" .

وقبل خروج البطلين يأتي الصوت الخفي بالسماح لهما بأخذ ما قضي لهما ، وفي هذا إشارة خفية الى عدم الاكثار واتباع الطمع . ويخرج البطلان وبهيبان بصاحب القارب أن يدلاه على مارأيا من مال عظيم ، ولكن هيهات لهم الوصول اليه ، فلم يعد بالامكان العثور على مفاتيح ذلك البيت ، ولم يتمكنوا من الدخول ثانية للاستزادة مما شاهداه من مال وثروة . وفي هذا المنع دلالة قوية على عدم اتباع الهوى ومجاراة النفس على الطمع واكتئاز الأموال .

كما نلمح في الأسطورة اشادة بشجاعة البطلين وثباتهما على الرغم من المصاعب التي جابهها قبل الولوج الى البيت ومشاهدتهما ما فيه ، وقد ترددوا في الدخول أكثر من مرة ، فكان الراوي أردا تمجيد الشجاعة والشبات على السير في تحقيق الهدف الذي يضعه المرء أمامه مهما واجه من صعاب وعراقيل .. فلكل رحلة سير نهايتها ، ولكل طريق مسدود انفراجه أمل تتجلى في نهاليته ، ويبقى مدار الأمر على قوة الارادة والعزيمة لدى المرء ، فمتى تحلى بهما تمكن من الوصول الى مرماه وتحقيق بغيته ، كما لمسنا في وصول البطلين الى معرفة مايتلك الغرف ، بل اصابتهما منها بما قضي لهما .. وكأني في تلك المشاهدة .. وفي حصول البطلين على ما أخذاه ، بعض المكافأة على الصمود الذي تحلوا به في سيرهما وتصميمهما على عدم النكوص حتى يصلوا الى مايحقق لهما السلامة والنجاة .. وكان لهما ما أرادوا بفضل شجاعتهم واقدامهما وعزمهما على الاستمرار والمضي قدما في تحقيق الهدف الذي أزمعا على تحقيقه .

ومما يلحق بالشرعة الاخلاقية قضية المسخ الى حجر ، فنشاهد كثرة الشخوص الممسوخة أحجارا ، ولاشك أن كل مشهد يحتفظ له الراوي بقصة لم تذكرها لنا الأسطورة ، ولكن قد عرفنا في أساطير المسخ ارتباط ظاهرة المسخ دوما بارتكاب الاثم والمعصية ، فالممسوخ يلقي عقابه بواسطة هذا المسخ ، وفيه نوع من النهي والردع عن ارتكاب المعاصي .

٣ - يلفت الانتباه في الأسطورة مشهد هو "صورة القينتين اللتين مسختا حجرتين ، وفي حجر احدهما طنبور ، وفي يدها الأخرى مزمار .." وقد مر بنا في أساطير المسخ ارتباطه بعقاب الله ينزله بالممسوخ فيحوله الى حجر . ولكن الأسطورة لاتفصح شيئا عن أسباب المسخ ، ويمكننا التقاط ظاهرة اجتماعية سادت المجتمعات العربية فترة من الوقت ، وهي استهجان الغناء والمغنيات وارتباط الغناء بالفساد الخلقي ، ولعل في هذا المسخ تجسيدا لتلك النظرة الى القيان ، وارتباطهن بالفساد فكان أن مسخهما الله حجرتين مع آلات الطرب من طنبور ومزمار .. وان لم يفصح الراوي عن هذا الاعتقاد ، فان ظاهرة المسخ في الواقع قد ارتبطت بالعقاب على اثم يأتيه الممسوخ فيكون المسخ جزاءه على ارتكاب تلك المعصية ، كما مر بنا في الأساطير ذات الأساس الديني .

٤ - يمجد الراوي اليميني ملوك اليمن وشخصياته العادية القديمة - كعاداته - وذلك بتفخيم ما كانوا عليه من مظاهر الأبهة والفخامة ، وما كانوا عليه من غنى وشروة ، فتفتن في تصوير ما لبسته تماثيلهم ، وماخزنته بيوتهم ومغاراتهم ، بل ماكانت عليه مقابرهم ، حيث نجد الأرض والحيطان من الجزع والرخام وغيره ، كما نجد الألواح التي نقشوا عليها كلماتهم مصنوعة من الذهب وفي كل ذلك الوصف يحس قارئ الأسطورة أن الهدف منه هو تمجيدهم والتفاخر بهم .

٢ - سد مأرب وسيل العرم :

لقد تداول رواية اليمن وأهل الأخبار الروايات حول سد مأرب ، ذلك السد الذي ظفر بشهرة قديمة ، وظل مفخرة لعمران اليمن القديم ، واتخذ منه الشاعر اليمني شاهداً على ما وصلت إليه حضارة اليمن القديم . فقال أبو الطمحان القيني :

ألا ترى مأربها ما كان أحصنه وما حواليه من سور وبنيان (١)

وقبل التعرف على ما أحاط بالسد من أساطير ، ماهي حقيقته التاريخية ؟

لقد عثر على نقش أرجعه بعض المختصين الى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد دون تأكيد ، وقد ورد في هذا النقش اسم مملكة سبأ في بلاد اليمن ، وقد اتخذ ملوك سبأ مأرب عاصمة لهم ، وخاضوا حروب الدفاع المعتادة وانشأوا أعمالاً عظيمة كسدود مأرب التي لاتزال آثارها باقية الى الآن (٢).

وقد كان سد مأرب من عجائب الفن الهندسي ، ويعتقد أنه نظراً لضخامة المشروع فقد اشترك في بنائه عدد من مكربي سبأ (٣) . وتزيد الرواة في وصف السد وكيفية بنائه ومن الذي بناه (٤) . وعندما بدأ السد يتصدع كان الحكام يرممونه ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، فتذكر لنا النقوش الكتابية التي عثر عليها بعض أسماهم من مثل شرحبيل يعفور في سنة أربعمائة وخمسين للميلاد ، وأبرهة الحبشي في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة للميلاد ، الى أن تهدم السد نهائياً (٥) . ويصف لنا الهمداني السد وصف من شاهد بقاياه وآثاره مشاهدة العيان ، فقد شاهدهما بنفسه في أوائل القرن الرابع للهجرة (٦) . وجاء وصفه أكثر مطابقة لما وجدته المنقبون الذين اكتشفوا آثار السد في القرن الماضي ، وظل الناس مع ذلك في شك من أمره حتى تمكن المستشرق الفرنسي آرنون الوصول الى مأرب في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرتها المجلة الآسيوية الفرنسية سنة أربع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية ، وزار مأرب بعده هاليغي وجلازر ، ووافقاه على قوله الذي يطابق قول الهمداني ، وعثروا أثناء ذلك على نقوش كتابية في خرائب السد وغيره ، وأكثرهم اشتغالا في هذا السبيل جلازر (٧) .

- (١) الجاحظ ، الحيوان ١٥٤ : ٦
- (٢) ديوارنت ، قصة الحضارة ١٣ : ٨
- (٣) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ١٢٢
- (٤) أنظر : المسعودي ، مروج الذهب ١٦١ : ٢
- (٥) د. أحمد هبو ، تاريخ العرب قبل الاسلام ١٤١
- (٦) الهمداني ، الأكليل ٩٦ : ٨
- (٧) جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ٢٠٣

واهتم الرواة بأخبار سد مأرب ، واجتهد اللغويون أيضا في تفسير الشواهد الشعرية الواردة عنه ، فنقل عن ابن هشام عن أبي عبيدة أن العرم : السد ، واحدته عرمة ، ونسب الى أمية بن أبي الصلت الثقفي قوله :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما (١)

وأحاطت بالسد وتهدمه الأساطير والخرافات ، وتكاد تجمع المصادر العربية القديمة على أن السبب في تهدم السد فأرة فجرته ، فنقل الجاحظ قول الشاعر :

خرقت فأرة بأنف ضئيل عرما محكم الأساس بصخر (٢)

واتخذ الرواة من حكاية الفأرة معجزة أو آية لما آلت اليه حال القوم بعد أن طفوا وتكبروا ، وربطوا بين تهدم السد وتدقق الهجرات اليمنية الى أرجاء الجزيرة العربية وتخومها (٣) .

وروى الهمداني قصيدة لعبدالله بن عبد الرحمن الأزدي ، ذكر فيها تفرق القوم في البلاد (٤) .

ولاشك أن حكاية الفأرة أسطورة سنتعرف على تفاصيلها ، أما الحقيقة فان خراب السد كان نتيجة لانهباء اقتصاد اليمن ودليلا على تضعف أحوالها . فنشج عن ذلك هجرة القبائل اليمنية في أنحاء البلاد .

وضرب الرواة المثل بتفرق أهل اليمن ، فقد أورد الميداني المثل المعروف "ذهبوا أيادي سبأ" (٥) ، وهي عبارة درج استعمالها للدلالة على التفوق والتشتت ، واستخدمها الشاعر كثير في قوله :

أيادي سبأ ياعز ما كنت بعدكم فلم يحل للعينين بعدك منزل (٦)

ويضرب ذو الرمة المثل بهم قائلا :
فيالك من دار تحمل أهلها أيادي سبأ بعدي وطال اجتنابها (٧)

-
- (١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٤
 - (٢) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ١٥١
 - (٣) انظر تاريخ اليعقوبي ١ : ٦٦
 - (٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ٢٠٦
 - (٥) الميداني ، مجمع الأمثال ١ : ٢٧٥
 - (٦) كثير ، الديوان ٢٥٤ / السهيلي ، الروض الآنف ١ : ١١٣
 - (٧) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (س ب ي)

وأشار الى مثل هذا المعنى الأعشى في قوله عن تهدم السد :

وفي ذاك للموتسي أسوة	ومأرب عفى عليها العزم
رخام بنته لهم حمير	إذا جاءه ماؤهم لم يرم (١)
فأروى الزروع وأغنايبها	على سعة ماؤهم إذ قسم
فصاروا أيادي لا يقدرن	على شرب طفل إذا ما فطم (٢)

وقد أورد الهمداني الأبيات نفسها مع بعض الاختلاف في أكليله (٣) . ولا تخفى نبذة العظة والعبرة لدى الشاعر في تصويره تبدل الحال التي كانت عليها مأرب . وما انتهوا اليه من حال بائسة بعد تشتتهم وتفرقهم .

ولعل الشاعر استخدم (حمير) للدلالة على اليمن ، والا فان الاستخدام الدقيق لحمير القبيلة يتنافى مع الحقبة التاريخية التي حكم فيها الحميريون ، فهم لم يتخذوا ظفار (صنعاء ، فيما بعد) عاصمة لهم الا بعد انهدام السد وتفرق السبئيين الذين بنوه (٤) .

كما تتجلى الموعظة في قول علقمة :
من يامن الحدشان بعد
ملوك صرواح ومأرب (٥)

أسطورة تهدم السد :

لقد روى وهب بن منبه الأسطورة مستعينا بالآيات القرآنية الوارد ذكر سبأ فيها ، وذلك في وصف ما كانت عليه سبأ من نعمة ، في قوله تعالى : "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال" . . . الى قوله تعالى "فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم" . . . (٦)

وهذا وهب في أسطوره (٧) ، أنقلها مع بعض الإيجاز :

-
- (١) لم يرم : لم السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون اليه (السهيلي، الروض الأنف (١ : ١١٦)
 - (٢) الأعشى الكبير ، الديوان ٤٣
 - (٣) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٤٤ (تحقيق نبيه فارس)
 - (٤) نيكلسون ، تاريخ الأدب العربي ٥٣
 - (٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٤٥
 - (٦) سورة سبأ ، الآيات ١٥ - ١٩
 - (٧) وهب بن منبه ، التيجان ٢٧٤ - ٢٩٢

" كان لعمر بن عامر مزيتيا من الجنات والزروع مثل ما كان لجميع أهل سبا ، وكان لعمر أخ أكبر منه يدعى عمران بن عامر ، وكان ملكا متوجا قبله ، وكان كاهنا لم يكن في الأرض أعلم منه ، قيل ان بيده علم من بقايا دعاة سليمان ... فأخبر قومه أن بلادهم ستخرب آخر الزمان حتى يفترق قومها في مشرق الأرض ومغربها ... ولم يصدق قومه ، بل عزوا ذلك الى كبر سنه . وعندما حضرت عمران الوفاة دعا أخاه عمرو ، وأخبره بما تنبأ به ، واختتم حديثه قائلا: ... اني أخبرك بما يكون لك النجاة ولقومك ، وذلك أن امرأة من قومك يقال لها ظريفة بنت الحبر الحجورية ، وهي وارثة علمي .

فلما مات عمران ، وولي أخوه عمرو تزوجها ، وتزوج بعد أخيه ، وكان عمرو أعظم ملك بمأرب ، وكان له تحت السد من الجنات ما لا يحاط به . كانت المرأة تمشي من بيتها وعلى رأسها مكتل ، فلا تصل الى بيت جاريتها الا وهي تملؤه من كل فاكهة من غير أن تمر منها شيئا ، وكانت سبا كما قال الله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور) ، وان الرجل يمشي تحت ظلال الشجر شهرين فلا تصل اليه الشمس من كثرة الجنات .

وفي يوم رأت ظريفة في منامها كأن آتيا أتياها وقال لها : ماتحين ياطريفة ، علم تطيب به نفسك أو مولود تقر به عينك ؟ فقالت : بل علم تطيب به نفسي ، فجر بيده على صدرها ، ومسح بظاهر كفه على بطنها ، فعقمت ، وأعطيت من العلم حظا عظيما .

فبينما هي ذات يوم نائمة رأت كأن سحابة غشيت اليمن ، فأبرقت وأرعدت ، فلم تقع على شجر الا أحرقت ، فدعرت ذعرا شديدا ، وقالت لعمر بن عامر : أزد بكم الغرق وأتاكم من الأمر ما قدر وسبق " .

وبعد أيام خرج عمرو الى بعض حدائقه ، وسارت اليه ظريفة ومعها وصاف لها ، فبينما هي تمشي اذ عرض لها ثلاث مناجد معترضات ، وهن منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، فلما رأتهن ظريفة وضعت يدها على عينيها ونزلت الى الأرض ، ولم تقم حتى ذهبت المناجد .

فقامت مسرعة فعارضها خليج جنات عمرو ، فوثبت منه سلحفاة فوقعت على التراب واستلقت على ظهرها ، ورامت أن تنقلب فلم تستطع فجعلت تبحث بيديها ورجليها لتتنقلب فلم تقدر ، وهي تحثو التراب على رأسها وعلى بطنها ، فلما رأت ذلك ظريفة جلست وألقت بيديها على عينيها وقامت بعد أن عادت السلحفاة الى المساء .

ودخلت الحديقة بعد أن انتصف النهار حين سكن الريح ، فاذا شجر الحديقة متمائلة يمينا وشمالا من غير ريح ، فعضت ظريفة في سيرها الى عمرو ، واستغرب مجيئها اليه على غير عاداتها متسائلا ، فقالت ظريفة : والنور والظلماء والأرض

والسماء ليهلكن الشجر بالماء ، ثم الماء . ففرغ عمرو وتذكر قول أخيه عمران ، فسألها عن ذلك . فقالت: أخبرتني المناجد بسبع سنين شداثد يقطع فيها الولد الوالد ، وترمي بقومك الى أرض المساجد وتوالون الأبعاد . فارتاع عمرو ، وعاود سوء لها . فقالت: أرى أمورا جسيمة تأتي بأوابد عظيمة ، وأمورا اليمعة أشد من الهزيمة نهارا أو عتيمعة . فقال لها: ويحك ، وماهو ، لقد أشرف مكروه ؟ قالت : أنعي لك تفرق الأحباب وذهب الخيل والركاب والماشية والاهاب والذهب والفضة والشباب من السيل الأسود المنشاب .

وقال لها عمرو: بيني لي النجاة ؟ فقالت: خطب طويل وأمر جليل ، والقتل خير من السيل . فسألها عما يفعله ، فقالت: آيت السد ولاتبعت أحدا ، فيكون ذلك أكد ، فان رأيت جرذا يقلب برجليه الصخر ، ويكثر بيديه الحفر ، فاعلم أنه قد نزل الأمر ، فعليك بالصبر ولا تجزع للدهر . قال لها: أما ترين هذا الأمر ؟ قالت : لأدري غير أنه وعيد من الله نزل ونكال منه لم يكل . يقتل به من قتل ، لا يصرف عن سها ولا جبل الى حيث ما أراد الله من أرض وصل... .

فانطلق عمرو الى السد بنفسه وكان يحرسه حتى رأى جرذا يبحت برجليه ويقلب الصخر بيديه التي لا يقلبها أربعون رجلا ، فعلم أن ظريفة صادقة ، فرجع اليها مغموما ، وعندما سألته أجابها قائلا :

قد رأينا بعض الذي تعدينا
انما الدنيا غرور اللاعبينا
فأشيري بالذي تعلمينا

ابنة الخير والفلاح أصدقينا
قد رأينا الذي نكرت يقيننا
قد رأينا الجرذ في السد يقينا

قالت: يا عمرو اذا ظهر الجرذ الحفار فاستبدل لنفسك دارا من دار ، وجارا من جار فعندها تنزل الأقدار ، قال: ومتى يا ظريفة ؟ قالت له : ما بينك وبين سبع سنين ينزل الأمر اليقين وتحول البين . قال لها: فكيف النجاة ؟ قالت: يا عمرو اذا رأيت الحمياء في شربك فاعتنم بيع أرضك واخرج الى النخيل ، فان رأيت سعفا يتناصل ويميل فارحل ، فقد آن الرحيل ، وبع مالك بمأرب من مال . قال: يا ابنة الحبر يضيق بذلك الصدر ، ما على هذا الأمر من صبر ، قالت: يا عمرو ، النجاء النجاء ، من أقام غررا أساء ، فاعزم لا يخذعك المبنى ، فان العجز عاقبته البلاء ، وان الجلوس غرر ، فالحذر الحذر ، وله الفعل والأمر يهلك من يشاء ويذر ، فاصدق نفسك ولن ينجو منه ذو ناب ولا ظفر .

فكتم عمرو أمره وعزم على بيع ما كان له بمأرب من مساكن وجنات وقصور ، وأجمع أن يرحل باهله وقومه ، وخشي أن ينكر عليه ذلك . فأمر بمائة من الابل فنحرها وذهب البقر والغنم ، فأطعم ثلاثة أيام ، وأرسل في جميع مأرب حتى لا يتخلف عنه أحد . وكان عمرو قد أمر أكبر أولاده قائلا: اذا أمرتك غذا بأمر فاعصني واغلظ علي في القول ، فاذا ضربتك بالعنزة التي بيدي فالظمني . وكره ابنة أن يفعل ذلك ، ولكنه ألح عليه في ضرورة ذلك .

فلما اجتمع الناس ، أمره الملك عمرو فأبى عليه وأغلظ له في القول ، فضربه بالعنزة التي كانت في يده فلطمه ابنه ، فقال عمرو: في يوم مجدي يلطم خدي فيه ولدي ، وا ذلاه . فوشب الناس الى ابنه ليقتلوه اعظاما للملك ، فمنعهم عمرو قائلًا: لا تقتلوه فان الرحمة سبقت له في قلبي من السخط ، ولكني سأبلغ منه ، لقد أطفاه علي المال ، ولكنني سأعدمه وأبيع جميع مالي بمأرب تحت السد ، ونذر لله ليفعلن ويدفع الأموال الى اخوته وينتقل من مأرب الى غيرها ، ويخلف ثعلبه ابنه فقيرا . فقال المجتمعون: اغتنموا من عمرو غضبه ، وابتاعوا منه جميع ما كان له بمأرب ، فان هو تمادى على غضبه فقد أفدتم أموالا عظيمة ، وان هو رجح رددتم عليه أمواله ، وكانت لكم عنده يد فاشتروا منه جميع ما له .

فلما قبض ثمن أمواله دعا بهالك بن النعمان - وهو سيد الأزدي بعده - فأخبره الخبر ، وقالت له ظريفة: يمالك بن النعمان ، أرى أن تغدو من الغد ولاتقيم ساعة لوعد ، أمر يسير كالرعد . فباعته عند ذلك الأزدي أموالها . فسار عمرو في الأزدي ، وسأل ظريفة: أين تريدان لنا السير ؟ فقالت: ٠٠٠ عجلوا ، ففي كل بلد لكم خير ، كلما لقيتم نفرا كان لكم الظفر ، تتوارثون الملك بعد الملك وتلبسون التاج بغير شك ، وبدأ الأمر من عك .

فسارت الأزدي مع عمرو بن عامر وجعلوا على مقدمتهم مالك بن النعمان فلما انتهوا من عك أرسل الملك عمرو بن عامر الى سملقة بن حباب العكي يسأله في النزول في أرضهم قليلا ، ثم يرتحلون عنهم الى أرض غيرها ، فدعا سملقة سيد عك قومه واستشارهم في ذلك محبذا أن يجيبوهم الى طلبهم . وخير سملقة الملك أن ينزل شرقي الوادي أو غربيه . فاختار الملك عمرو الغربي لأنه مجمع السيول ومستقر الماء . فنزل عمرو في غربي الوادي بمن معه . وبعث ابنه في جهة بخيل يرتادون له منزلا . ثم نحر الملك عمرو ، وأمر بالطعام ، ونادى الى عك ، فأجابوه الى طعامه فأحسن اليهم . ثم اعتل عمرو بن عامر فمات ، واستخلف أحد أولاده في قومه .

ثم يقص وهب حكاية حول غدر غسان - قوم عمرو - بالقوم المضيفين لهم في عك ، وأرجع سبب ذلك الى دسيئة رجال من الجن ، كان فيهم قناشر الجني الذي أوغر صدور القوم ضد أبناء عمهم ، فكان أن مكروا بهم ، وقتلوا سيدهم سملقة ، وعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، وسأل ظريفة عما عليهم اتباعه . فقالت: والشهاب والغلك والنظارة والوعك ، ليتخلفن منكم حيان في عك ، ويملكنهم أيما ملك . ثم قالت لغلام لها يدعى سنان: ياسنان بشر الأزدي غسان من ولد الأغر كهلان بالنصر على همدان والملك الى زمان .

فلما انتهوا الى بلاد همدان كلمهم الملك ثعلبة بن عمرو ، ولكنهم فرغوا أن يجدوا مثل عك ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، وانهزمت همدان ، ورحلوا عن بلادهم وأموالهم . ونصح ثعلبة بن عمرو قومه بألا يمساوا شيئا ، ولينظروا الى موضع من بلادهم على نحو موءقت حتى الرحيل عنهم . ثم بعث الى همدان أن يعودوا الى

أموالهم وبلادهم ، وأحسنوا جوار من رجع منهم . فاطمأنت همدان ورجعت الى منازلها واصطلحت مع غسان . ثم رحل ثعلبة وغسان وتخلف في بلاد همدان نفر من القوم ، فأصبحت همدان جوارهم .

ولما أجمعوا للمسير سأل ثعلبة ظريفة : يا ابنة الخير ، أين ترين وجه السير ؟ فقالت : والبرق والبيان والذهب والعقيان لتحاربين الغرسان ، ولتلقين خيلا ذات سنان ، ذوي أسل وأهدان وصفائح الايمان ، فعليكم بنجران . فلما أتوها لقيهم مذحج سعد العشرة فقاتلوهم قتالا شديدا ، فانهزمت مذحج ، ثم تصالحت مع غسان وبقي قوم منهم .

وهكذا يسير قوم عمرو بن عامر بعد أن يستشيروا ظريفة في وجهة سيرهم ، وهي تعين لهم وجهتهم وطريق سيرهم في كل مرة . فنزل القوم في عمان والبحرين ، ثم انتهوا الى يثرب حيث بقي منهم فيها الاوس والخزرج . وتستمر الرحلة بهم . وتقول لهم ظريفة : ٠٠٠ من كان منكم يريد بلدا عاليا وعيشا راضيا وخيلا صوافنا وملكا دانيا فليلق بالمشرق من أرض بابل بين القبائل في أطيب المنازل وأحسن المناهل وأعلى المعائل - فسار بنو همدان بن الازد نحو العراق الى بابل ، ثم قالت : ٠٠٠ ومن كان منكم يريد خمرا وخميرا وديباجا وحريرا وملكا كبيرا وتأميرا فليأت بصرى وحفيرا ودمشقا وغويرا ، فسار الى تلك الوجهة مجموعة من القوم . ويستمر تفرق القوم في البلاد مستنيرين بإرشاد ظريفة .

ثم شعرت ظريفة بدنو أجلها ، فقالت : انزلوا وأقيموا فاني ميتة هذه الليلة ، وقد رأيت أن علمي يخلفني فيه مولودان في هذه الليلة ، فجعلهما الله آية للأولين والآخرين ، فهو مولود من غسان - ويقال له مسعود . بسن مازن بن ذؤيب ابن عدي - ثم قالت : والاسم والرياء والعلم والاباء والنور والضياء ، لقد ولد في تميم آخر من بني العم ، ليس له مفصل ولاعظم ، يخرج ممسوحا ، ثم تموت أمه لسبع ليال يئيب بالزيادة والنقصان الى فراغ الخلق والزمان ، وأقسم بالنور والفلق ماله رأس ولاعناق . فكان يكبر كما يكبر كل شيء ، حتى صار كالرجل من أهل زمانه ، وماتت أمه لسبعة أيام من مولده فأتوا به الى ظريفة ، ففتحت فمه فنفتت فيه وقالت : لاتسقه لبن امرأة ، واغذوه ، فان هذا يكفيه الى بلوغه . ثم قالت : أنت خليفتي من بعدي . وقالت : أقسم بالله يمين الحق لياتين مثل هذا شق يعلم ما جل وما دق ، له يد واحدة ورجل واحدة ، وآية الله عليه شاهدة ، يعلم ماخفي وماظهر بيني بالحق عند تصديق الخبر ، فأتوها به ، ففعلت له مثل الأول ، قائلة : أنت خليفتي من بعدي .

ثم ماتت ظريفة في عقبة الجحفة ، وقبرها هناك مشهور . واستمر تفرق القوم وسيرهم في أرجاء الجزيرة العربية وأطرافها ، وتروي الأسطورة أن ثعلبة سار حتى قدم الشام . فلما نزل هناك بقومه عورض وكان جميلا فقتلته الجن ، فاستخلف ابنه حارثة على القوم .

وبموت الكاهنة ظريفة تنتهي الأسطورة ، وان استمر الراوي يحكي حول تفرق القوم في البلاد ، وكل ذلك للدلالة على أن اليمانيين لم يتركوا رقعة في أنحاء الجزيرة العربية لم ينزلها أحد منهم .

وبعد التعرف على الأسطورة يمكن أن نسجل حولها الملاحظات التالية :

١ - نلاحظ أن الراوي يقتبس من آيات القرآن الكريم بما يعينه في تصوير بيئة مأرب وما كان عليها حال القوم من نعيم ، ويختار أجزاء مقتطفة من الآيات الكريمة كما بينا ، وننظر الى ما جاء في القرآن الكريم ﴿و في قوله تعالى "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم وأشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فاعرضوا فארسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، وذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ، ومزقناهم كل ممزق ، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور" (١)﴾

وفي الآيات اشارة صريحة الى نزول السيل بجنتي سبأ ، وما كان من تبدل حالهم وتفرقهم .

ولكن الراوي لا يؤكد على حقيقة نزول السيل واجترافه ما وجد في طريقه من زرع وشجر ، وهو يشير اليه اشارة طفيفة على لسان الكاهنة ظريفة ، وآثر أن يجعل الجرد السبب الرئيسي في تهدم السد ، لما يمكن أن يحيط به من جو أسطوري على لسان الكاهنة ظريفة كما لمسنا .

٢ - ترتبط الأسطورة ارتباطا مباشرا بواقع اليمن التاريخي ، فتهدم سد مأرب أمره معروف في تاريخ اليمن ، ولكن الأسطورة تحاول التعليل والتبرير لتهدم السد وتعزوه الى الجرد الذي كان سببا في انهيار البنيان الشامخ ، كما تعلق الأسطورة لما أعقب تهدم السد من هجرة القبائل اليمانية في أنحاء الجزيرة العربية .

ويربط الراوي بين الحدث ونموذج الكاهنة ظريفة ، كما يعزو تفرق الناس في البلاد الى أقوال الكاهنة المنتشرة منذ بداية الأسطورة حتى وفاة الكاهنة ظريفة .

ويبدو التعليل واهيا لا يذخ لمنطق - كعادة الأساطير - ولعل الراوي أراد أن يكسب المبرر قدرا من الواقعية ، فلجأ الى أسلوب الكهانة على لسان الكاهنة ظريفة التي تتنبأ بالحدث قبل وقوعه ، فكأنه أراد أن يقنع السامع الى تصديق امكانية ما حدث ، فمرد ذلك الى ما تنبأت به الكاهنة ، ومارأته من اشارات تنبيه بالفناء والخراب في حلمها وأثناء تجوالها في حدائق مأرب .

٣ - لقد درج رواة اليمن الى تمجيد ملوكهم القدماء والاشادة بما حققوه من منجزات عمرانية ، والسد أحد مظاهر عظمة البناء الشامخ وما وصلت اليه قدرة لقوم في هندسة البناء وال عمران ، فأحاطوه بقدر كبير من الروايات والحكايات ، ونسجوا حول تهدمه الأساطير ونبوءة الكهان .

فقال علقمة بن ذي جدن مفتخرا :

ومنا الذي دانت له الأرض كلها
بمأرب يبني بالرخام الديارا (١)

كما قال الهمداني في جنتي مأرب :

وجنتا مأرب من بعد ذا مثل
ماهين طودين لا باد ولا كئيب
والعرش فيها سد وسط واديهما
وجرية السد طول الدهر يسقيها (٢)

ويستمر الهمداني في وصفه لذلك السد ، وكيف يتعالى الماء في جدره ويسقي الجنتين وما بعدهما .

كما يتضح افتخار الراوي في هذه الأسطورة بشجاعة أهل اليمن ، ويتضح ذلك من خلال هجرات القبائل اليمنية ونزولها في البلاد المختلفة ، وانتصارهم الدائم على من حولهم ، فكلما حدث احتكاك بين القبائل المهاجرة والبلاد المضيفة لهم ، ينشب قتال تجعل فيه الغلبة لقبائل اليمن ومكوث بعض بطونها في تلك البلاد ، وتستمر سلسلة توزع القبائل بين البلاد على هذا النحو .. فشجاعة القوم وشدة بأسهم حقيقة يسعى الراوي دوما الى اثباتها بكل الوسائل .

٤ - جعل الراوي الكهانة محورا لهذه الأسطورة ، فجميع أحداث الأسطورة تسبقها أقوال الكاهنة ظريفة ونبوءاتها بما سيحدث ، ونجد شخصية الكاهنة وأقوالها محركا أساسيا لأحداث الأسطورة وسيرها ، فالأحداث التي تتنبأ بها يتم حدوثها ، وإشاراتها المختلفة الى القوم تجد آذانا صاغية من القوم حولها ، فكلهم يمثثلون لكلامها ، ويتبعون ارشاداتها وتوجيهاتها لما لمسوه من صدق كلامها وصحة تنبأتها . فيفعل الملك عمرو بن عامر جميع ما تأمر به ، ويستشيرها فيما يفعله ، ثم تبعها الابناء ، والقوم يسترشدون برأيها في اتجاه سيرهم ، وأي المناطق ينزلون .

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٤٧

(٢) انظر المصدر السابق ٨ : ٤٦

ولعل الأسطورة - في هذه الحالة - تعكس ظاهرة اجتماعية كانت سائدة بين القوم هي ظاهرة الكهانة ، وما كان الكهان يتمتعون به من منزلة اجتماعية عالية تجعل القوم يرتبطون بما تتفوه به شفاههم ، لايمانهم بصدق نبوءاتهم فيقبلون عليهم يستشيرونهم في ما ينبغي عمله ، ويستشيرون بأرائهم وتوجيهاتهم ، فيتبعونها لاعتقادهم بصدقها وضرورة حدوثها ، مسجلين ما أوتوه من علم واطلاع بخفايا الأمور .

٥ - لا يكتفي الراوي بموت الكاهنة ظريفة ، ولكنه يجعلها تكشف عن مولد اثنين يظفونها من بعدها في العلم وهم شق وسطيح ، ويأتون بهما اليها لتنفث فيهما ما يغنيهما عن أية تغذية ، فقد زودتهما بما يكفيهما الدهر من العلم والاكتفاء عما حولهما بما أخذاه من سر الكاهنة ظريفة .

ونلاحظ أن الكهانة أمر نادر الحدوث في المجتمع ، ولكنها سلسلة لايريد لها الراوي أن تنقطع ، فلا بد أن يخلف أحد الكاهن الذي يدنو أجله ، فيحل محله في حياة القوم ، فيرفع من معنوياتهم ويوجههم ، فعمران بن عامر عندما دنا أجله نادى أخاه عمرو ، وتنبا بعلم ظريفة وماسترته منه من العلم والمعرفة . ويتزوج عمرو ظريفة ، فليس أفضل من ملازمة الكاهنة التي ستخبره بما تخبيء الأيام من أحداث ، فتخبره بذلك قبل حدوثها ، وتنذره بوقوع الشر قبل حدوثه ، كما كان له قبل تهدم السد ، وما كان من تدبير أمره عندما ابتكر للقوم قصة تمرد ولده وعصيانه له ، فأوجد بذلك مسوغا لبيع ماله في مارب ، والنجاة به قبل وقوع الحادثة .

وعندما أحست ظريفة بقرب وفاتها تنبأت بكهانة شق وسطيح وأورثت كلا منهما علمها ومعرفتها في الكهانة . فكان الكاهن عماد في أساطير اليمن يستند اليه الراوي في حكاياته ، ويكون محورا أساسيا في عدد من أساطير اليمن ، فلا بد من وجوده ، فيرث الخلف علم السلف لتستمر السلسلة في تواصل مستمر ، وقد خصصت هذه الظاهرة بدراسة خاصة لأهميتها في أساطير اليمن .

٦ - نلاحظ في الأسطورة أقوال الكاهنة ظريفة المباشرة في الأسطورة منذ بدايتها ومصاحبتها لأحداث الأسطورة حتى نهايتها ، ونلاحظ الأسلوب المتميز للكاهنة واستخدامها سجع الكهان عندما تنبأ بما يكون ، ولن أفضل - هنا - القول في أسلوب الكهان والسمات المميزة له ، وذلك لوجود الدراسة الخاصة به بعد هذه الفقرة .

وقد آثرت أن أجعل دراسة الكهانة والكهان في أساطير اليمن بعد أسطورة تهدم السد ، التي تسلمنا تلقائيا الى ضرورة الوقوف أما ظاهرة " الكهانة " والكهان ، وما قيل في ذلك من روايات وأساطير تستحق الاطلاع عليها .

٣ - الكهانة :

لقد وردت في المصادر العربية قديمها وحديثها تعريفات بالكهانة ، وهي عندما يدعي بعض الناس امتلاكهم قدرة خفية خارقة ، والهياما يمكنهم من الاتصال بالآلهة وبالأرواح والاستئناس بها والأخذ منها ، والحصول على علم غزير فيما يتعلق بالمستقبل عامة وبمستقبل كل انسان خاصة ، أو التأثير فيها بصرف الخير الى شخص ودفن الأذى عنه ، وبتوجيه الشر الى شخص يراد توجيهه اليه وايداؤه ، ويسمى الاتصال بالآلهة أو الأرواح لمعرفة المستقبل : الكهانة (١)

وقد أورد المسعودي اختلاف الأقوال في الكهانة ، فذهبت طائفة الى أن التكهّن سبب نفساني يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس ، وذهبت طائفة الى أن سبب الكهانة من الوحي الفلكي ، كما نص المسعودي أن الكهانة لليمن (٢)

أما ابن خلدون فيرى أن الكهانة "... من خواص النفس الانسانية وذلك أن للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الروحية التي فوقها ، وأن يحصل من ذلك لمحة للبشر في صف الأنبياء بما فطروا عليه من ذلك ، وتقرر أنه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ، ولا من الأفعال البدنية كلاما أو حركة ، ولا بأمر من الأمور . إنما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر..." (٣)

وقد وردت لفظة (كاهن) في القرآن الكريم في معرض الرد على قريش عندما اتهموا الرسول (ص) بأنه كاهن ، وبأنه يقول القرآن على نمط سجع الكهان ، ونفيت صفة الكهانة عن الرسول (ص) "وانه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ماتوا منون ، ولا بقول كاهن ، قليلا ماتذكرون" (٤)

واعتقد قدامى العرب أن الكاهن يتنبأ بوساطة تابع أو رثي من الجن ، ولايستطيع غير الكاهن رؤية التابع ، ولما كان التابع روحا كان من الطبيعي تصور صدور ذلك الكلام من روح لايمكن لمسها ولا رؤيتها ، ترى وتسمع وتتعقل وتجيّب مايطلب منها الاجابة عنه" (٥)

-
- (١) جواد علي ، المفصل ٦ : ٧٥٥
 - (٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٥٢
 - (٣) ابن خلدون ، المقدمة ١ : ١٧٣
 - (٤) سورة الحاقة ، الآية ٤٢
 - (٥) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ٢٠٣

ولعل هذه الحال دفعت القزويني الى تعريف الكهانة بأنها الاتيان بأمور غريبة زعم الكهان أنها كانت بواسطة اختلاط نفوسهم بنفوس الجن .^(١)

وقد اعتقد القوم أن كهنة العرب كانت لهم اتباع من الشياطين يسترقون السمع ، ويأتونهم بالأخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام^(٢) . وروي عن وهب بن منبه أنه سأل سطيح عن مصدر علمه ، فأجاب : لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى ، فهو يوءدي الي من ذلك ما يوءديه .^(٣)

ويدلنا هذا القول على أن الراوي قد وجد في المجال متسعاً لتخيل ما يمكن تخيله ، لرواية عجائب الأمور وغرائبها ، وهو في كل ذلك يتكلم على لسان هذا الكاهن أو تلك الكاهنة .

وكانت منزلة الكاهن عند العرب عظيمة ، ويحظى باحترام قومه وتبجيلهم لأنهم يعتقدون فيه القدرة على كل شيء ، فكما كان للقبيلة خطيبها وشاعرها كذلك كان لها كاهنها أو كاهنتها ، وكان مستشار القبيلة في السم والحرب ، فكلامه القول الفصل الذي لا استئناف فيه بعده لعلو منزلته في قومه ولايمانهم بما يتفوه به .

ولجأ الكهان الى أسلوب خاص في كلامهم عند التنبؤ والتكهن وهو أسلوب السجع ، ولذلك عرف بسجع الكهان ، وقد امتاز سجعهم باستخدام الكلام الغامض والتعابير المبهمة التي تحتمل أكثر من تأويل ، فتصدق على كل الأحوال ، وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التكهن لكي لا يلزم الكاهن بما تنبأ به ، ويتهم بالكذب .

وقد نهى الرسول (ص) عن محاكاة أسلوب الكهان في سجعهم ، فنذكر عنه قوله " أجمع كسجع الجاهلية"^(٤) ولا يخفى ما تحمله العبارة من معاني الاستنكار والاستهجان .

ويرى بعض الباحثين أن كاهن القبيلة يتمتع بكل ما يعين على فهم فكرة الانسان الاله القادر على كل شيء ، ولم تمنع هذه القدرة من ظهور عنصر الربوبية لدى الكاهن ، وقد رأينا أن بعض الكهان نادى قومه بقوله : يا عبادي . ولم يذكر المصدر الذي ورد فيه ذلك . ولعل هذا نادر ، فمن الملاحظ في المصادر العربية ارتباط الكاهن بالجن والشياطين والسحر والقوى الخفية وتبصير من حوله بالمستقبل وما يتكهن به من أحداث ، دون أن يستطيع دفع الملمات التي تحيق بالقوم ، ولم

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ١١

(٢) النويري ، نهاية الارب ٣ : ١٢٨

(٣) السهيلي ، الروض الانف ١ : ١٣٨

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ١ : ٢٨٧

يلحظ تمادي الكاهن في ادعاء الربوبية ، بل نقل المصدر نفسه تهكم قبيصة بن ضرار الضبي على خمرة بن لبيد الكاهن بعد سقوطه مخرجاً بدمائه ، حين قال : ألا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم ؟ (١)

وقد ارتبطت الكهانة باليمن ارتباطاً وثيقاً ، واشتهر عدد من كهانهم وكواهنهم ، ولانستغرب ذلك وقد عرف ولوع الرواة اليمنيين بغرائب الأمور وخفاياها وادعاء الاطلاع على ماخفي على غيرهم ، وفي الكهانة مجال لابرار قدراتهم الخيالة والروائية . وقد مر بنا ذكر الكاهنة اليمنية طريفة بنت الخير الحجورية التي تزوجها الملك اليمني عمرو بن عامر ، وتكهننت بانتهيار سد مأرب ، وما كان من هجرات القبائل اليمنية اتباعاً لمشورتها . (٢)

وقد ورد أنها أورثت علمها كلا من شق وسطح الكاهنين اليمني ، وهما من أشهر الكهان ، أخرجهما الاخباريون من عالم الواقع ورسموا لهما صورة أسطورية فشق كائنات انسان ، وجعلوه من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي . (٣)

أما سطح فزعموا أنه كان جسداً ملقى لا جوارح له ، ولا يقدر على الجلوس إذا غضب وانتفخ (٤) . وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ، وسأل الرجل ابن عباس عن سطح وغرابة خلقه ، فقال : " ان الله خلق سطحاً الغساني لحماً على وض ، ولم يكن فيه عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفان ، وكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك الا لسانه " (٥) . وزعم الرواة أن سطحاً عاش ثلاثمائة سنة . (٦)

وروى ابن اسحاق أن ربيعة بن نصر ملك اليمن رأى رؤيا هالته ، فجمع كل من كان في اليمن من منجم وكاهن وساحر ، وسألهم تأويل رؤياه ، فلم يستطع أحد منهم معرفتها ، وأشير اليه باستدعاء شق وسطح ليخبراه بما سأل عنه ، فقدم عليه سطح قبل شق . فقال : " رأيت حممة خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة " فأمن الملك على كلامه ، وسأله تأويلها ، فقال سطح : " أحلف بما بين الحرتين من حنث ، لتتهبطن أرضكم الحبش ، فلتملكن ما بين أبيين الى جرث " . وعندما سأله الملك عن موعد ذلك ، أجابه أنه بعد حين ، ثم أخبره بظهور ابن ذي يزن من عدن الذي لا يترك أحداً منهم باليمن . كما بشر سطح بمجيء الرسول (ص) .

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ، ١٠٠

(٢) أنظر البحث ص

(٣) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ٧١

(٤) البلوي ، ألفباء ٢ : ٢٥

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢ : ٢٨٣

(٦) الزبيدي ، تاج العروس ٦ : ٤٧٣

ثم قدم شق على الملك ربيعه بن نصر ، وعندما سأله عن رومياء أجابه قائلًا: " رأيت في منامك أيها الملك حممة خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة . وعندما سأله الملك عن تأويلها ، أجابه شق متضنبًا باحتلال الأحباش قائلًا: " أحلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان وليملكن كل طفلة البنان ، وليغلبن على ما بين أبين الى نجران" . ثم أفتى بما قال سطيح حول ظهور ابن ذي يزن ، والبشارة بظهور الرسول (ص) (١)

وروى الاخباريون تأويل سطيح رومياء كسرى أنوشروان عندما أرسل عبدالمسيح ابن عمرو الغساني الى سطيح ، وقد أشفى الأخير على الموت ، فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصم أم يسمع عطريف اليمن أم فاد فان لم به شأو العنن (٢)
يافاضل الخطة أعيت من ومن أتاك شيخ الحي من آل سننن (٣)

فعرفة سطيح وعرف المهمة التي جاء من أجلها ، وأفتى بما يفسر رومياء كسرى بارتجاس الايوان ، وتنبأ بزوال ملك فارس (٤)

وتلفت نظرنا أسطورة بابلية تقول ان الملك ازدوبار رأى في المنام أن نجوم السماء هوت على الأرض ، وأن واحدا منها كان شعلة من النار خلف وراءه عنقا من النار مثل كرة عظيمة على ظهره ، فقامت هذه النار أمامه قيام اله عظيم مخوف فلما أن زالت الدهشة طلب الملك تعبير رومياء من المنجمين ، فوقفوا حائرين أمام هذا اللغز ، فبحثوا عن ساحر عظيم ، فذهبوا الى هيباني النازل بعيدا في الصحراء ، فجاء هيباني وفسر حلم الملك ، وقال سيظهر اله من الآلهة ، توؤدي أعماله السيئة الى البغض والعداء (٥)

ونلاحظ التشابه الكبير بين هذه الأسطورة ورومياء الملك ربيعة بن نصر واستفتاءه من حوله من الكهان وعدم معرفتهم تأويل رومياء ، فأشاروا عليه بالذهاب الى سطيح أو هيباني كما ورد في الأسطورة البابلية ، ونرى التشابه أيضا في فحوى الحلم ، فرأى ازدوبار (شعلة من نار) ، ورأى ربيعة بن نصر (حممة أي قطعة من النار) ، ويتفق تفسير الحلم في الأسطورتين بوقوع البلاء وتوقع الشر ، وذلك بظهور اله توؤدي أعماله السيئة الى البغض والعداء (٥) في الأسطورة البابلية (وقوع اليمن تحت احتلال الأحباش في الأسطورة اليمنية . . ونلاحظ الأسطورة اليمنية

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٦

(٢) شأو العنن : الموت ، فاد : مات

(٣) البلوي ، ألفباء ٢ : ٢٦

(٤) السهيلي ، الروض الانف ١ : ١٤٣

(٥) عبد المعيد خان ١٢٠ عن

أكثر قرباً من الواقع ، فالبله الذي تنبأ به سطيح أمر معروف في تاريخ اليمن ، وقد عانى شره الشعب في اليمن ، فكان هما جاثماً على الصدور ، لم يتوان رواة اليمن عن تضمينه أساطيرهم ، أما في الأسطورة الباهلية فالشر يقع على الناس من اله ، فالبطل اله ينشر العداة والكراهية بأعماله السيئة .

وان ذلك كله للدليل على تداخل الأساطير وتناقضها بين الأمم المختلفة حيث يضيف اللاحق الى ماسمعه عن السابق ، محولاً ومدوراً لتفاصيل الأسطورة بما يتلاءم وعقائدهم ومناحي تفكيرهم وواقع حالهم .

وقد ذكر ابن كثير رواية أخرى لكهانة سطيح ، فقد نقل على لسان سطيح سرده أحوال العرب من خلال الأزمنة التاريخية اللاحقة ، واختتم عبارته قائلًا : "ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتن" (١) . وتظهر عبارته الأخيرة تعصب الراوي لليمن ، فهل قصد منصور اليمن الذي حرص الرواة على التنبؤ بقدمه في آخر الزمان ؟ اذ تحمل الرواية طابعاً يمينياً محضاً ، ولانستغرب هذا فسطيح غساني من الأزدي ، ويحتمل أن تكون الأسطورة من صنيع الرواة المتأخرين ، فوصلت ابن كثير مسجوعة كسجع الكهان على لسان سطيح ، ولتضمنة كل ما كان من أحداث مر بها العرب .

وعرفت اليمن كواهن رددت المصادر أخبار كهانتهم ، ومن هؤلاء :

الكاهنة زبراء الحضرمية :

وكانت زبراء أمة لدى خويلبة وهي عجوز من إحدى بطون قضاة ، فقالت خويلبة تحذر قومها ، بياشم الأكياد ، وانداد الأولاد ، وشجا الحساد ، هذه زبراء تخبركم عن أنباء قبل انحسار الظلماء بالموءيد^(٢) الشنعاء ، فاسمعوا ماتقول . فقالت : واللوح^(٣) الخافق ، والليل الفخاق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، والمزن الوادق ، ان شجر الوادي ليأدو^(٤) ختلا ، ويحرق أنيابها عطلا^(٥) ، وان صخر الطود لينذر تكلا ، لاتجدون عنه معلا^(٦) . فسخر القوم منها ، فانصرف عنهم ، وتحققت نبوءتها عندما داهمهم الأعداء وقتلوهم . (٧)

-
- (١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢ : ٢٨٤
 - (٢) الموءيد ، الداهية والأمر العظيم
 - (٣) اللوح : الهواء بين السماء والأرض
 - (٤) أدوت له : اذ اختلته
 - (٥) حرق أنيابها : حك بعضها ببعض عند الغضب ، العصل : المعوجة
 - (٦) المعسل : المنجبا
 - (٧) القالسي : الامالسي ١ : ١٢٦

الكاهنة عفيرا الحميرية :

وقيل أن الملك اليمني مرشد رأى في المنام رؤيا أخافته ، فحشد الكهان يسألهم فلم يجبه أحد ، ثم نصح بالكواهن ، ورسوموا صورة قصية طريفة في ملاقاته الكاهنة عفيرا التي دعت به الملك الهمام قبل أن تعرف من هو ، وسألها عن المعضلة ، فقالت: انها رؤيا منام ، ليست أضفك أحلام ، لقد رأيت أعاصير وزوابع ، وبعضها لبعض تابع ، فيها لهب لاعم ، ولها دخان ساطع ، يقفوها نهر متدافع ، وسمعت فيما أنت سامع ، دعاء ذي جرس صاعد ، هلموا الى المشاريع ، دوي جارح ، وغرق كارع .

وعندما سألها الملك عن تأويل هذه الرؤيا ، أجابته : "الأعاصير الزوابع ملوك تتابع ، والنهر علم واسع ، والداعي نبي شافع ، والجارح ولي له تابع ، والكارع عدوله منازع" . فسألها الام يدعو هذا النبي ، فقالت: الى عبادة وصيام وطة أرحام ، وكسر أضنام ، وتعطيل أزام ، واجتناب آثام ، فسألها عن قومه ، فقالت: "مضر بن نزار ، ولهم منه نقع مشار ، يتجلى عن ذبح واسار" . فقال : يا عفيرا ، اذا ذبح قومه فمن اعضاده ؟ قالت : اعضاده غطاريغ يمانون ، طائرهم به ميمون ، يعز بهم فيعزون ، ويدمت بهم الحزون ، فالى نصره يعتزون.. (١)

ومن الواضح في قولها الأخير أنها تعني الأنصار الذين نصروا الرسول (ص) ، ولعل عبارتها قطرة من فيض ، حيث أغرق رواة اليمن المصادر العربية بالافتخار بهذه الصلة ، والتنبؤ بها قبل حدوثها ، فانطقوا الملوك القدماء والكواهن بها في مواجهة العصبية العدنانية .

الكاهن خنافر الحميري :

وكان كاهنا أوتي بسطة في الجسم وسعة في المال ، أغار على اهل لمراد ، ثم خرج بأهله وماله الى الشحر ، وكان له رثي من الجاهلية يدعي شصار ، افتقده بعد الاسلام ، فجاءه ليلة ، وبادله الحديث ، فأخبره عن قوم يكتبون ذا رونق من الكلام ، وعندما سألهم أجابوه :

"خطاب كبار ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شصار عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الأشار ، تنج من أوار النار." فسألهم عن هذا الكلام ، فقالوا: "فرقان بين الكفر والايمان ، ورسول من مضر ، من أهل المدر ، ابتعث فظهر ، فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجا قد دثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر ، ألف بالآي الكبر ، فسألهم عن المبعوث من مضر . فأجابوه : أحمد خير البشر ، فان

آمنت أعطيت الشبر^(١) ، وان خالفت أصليت سقر ، فأمنت ياخنافر ، وأقبلت اليك
أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايح كل مؤمن طاهر ، والافهون الفراق ، لا عن تلاق ،
فسأله عن موطنه هذا الدين ، فقال: من ذات الأحرين^(٢) والنفر اليمانيين ، أهل
الماء والطين ، ويقصد يشرب .. فهناك أهل الطول والفضل ، والمعواصة والبيذل .

وفي الصباح امتطى خنافر راحلته ، وقدم صنعاء ، فأسلم ، وقال في ذلك
قصيدة منها :

(١)	وأنقد من لفح الزخيخ خنافرا	ألم تر أن الله عاد بفضله
(٢)	وأوضح لي نهجي وقد كان دائرا	وكشف لي عن جحمتي عماهما
(٣)	لأصليت جمرا من لظى الهوب واهرا	دعاني شصار للتي لو رفضتها
	وجانبت من أمسى عن الحق نائرا	فأصحت والاسلام حشو جوانحي
	فله مقو عاد بالرشد آمرا	وكان مقلي من هديت برشده
(٤)	تورث هلكا يوم شايحت شاصرا	نجوت بحمد الله من كل قحمة

ونلاحظ في أبيات خنافر تأكيدا بوجود تابع له أسماء "شصار" ، فاعترف
بغوايته له ثم هدايته عندما بشر بظهور الرسول (ص) .. فهذا تابع أو رثي قد هدى
صاحبه الى الطريق المستقيم .. فظف خنافر وراءه صفحة مطوية من الاغارة على
الأحياء ونهب الابل وممتلكات غيره من القبائل الآمنة ، وأقبل على الاسلام واتبع
دين محمد (ص) بنفس مؤمنة .. وبعين توفرت لها الرومية السليمة في انتهاز
الطريق الصحيح الذي كان قد أوشك على الاندثار .

وكان الراوي أراد أن ينفي بهذا عن الكاهن ، وعن تابعه ، صفة الكفر
وصفة الشر وأعمال الأذى ، فنجده يستجيب لنداء رثيه الذي يدعوه الى الاسلام
وتصديق النبي محمد (ص) ، واتباع ما أتى به من نهج قويم . فالكاهن ورثيه
مؤمنان بالله وبما أنزل على نبيه (ص) .

وقد عرفت اليمن عدة كهان غير هؤلاء ، منهم سواد بن قارب الدوسي^(٧) ،
وسلمى الهمدانية الحميرية^(٨) ، والكاهن الخزاعي^(٩) . وذكر المرزوقي الكاهنة "شهبيرة"

-
- (١) الشبر : الخيبر
 - (٢) الأحرين : جمع الأحره ، المكان الغليظ من الحره
 - (٣) الزخيخ (بلغه أهل اليمن) : النار
 - (٤) الجحمتان : العينان (بلغه اليمن)
 - (٥) الهوب : النار (بلغتهم) ، الواهر : الساكن مع شدة الحر
 - (٦) القحمة : الشدة - القتالي ، الأمالي ١ : ١٣٤
 - (٧) الألوسي ، بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٩
 - (٨) المصدر السابق ٣ : ٢٩٥
 - (٩) المصدر السابق ١ : ٣٠٨

بأرض سبأ التي كانت في موضع اسمع بلخع (١).

وان ذلك كله يثبت ما كان لليمن من شأو بعيد في مضمار الكهانة ، نتيجة لولعهم بالفرائض والأمور الخفية ، وهم لم يكتفوا برواية النبوءات والتكهنات على لسان كهانهم وكواهنهم ، ولكنهم أيضا انطقوا بها ملوكهم القدماء ، فرددت المصادر خبر التبغ أبي كرب أسعد الحميري ، وقد كان ملكا كاهنا ، وأوردوا على لسانه تنبوءه بظهور النبي (ص) بل أعلن ايمانه به ، وتمنى لو مد في عمره ليكون له سندا ومعينا :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم (٢)

وبعد اطلاعنا على هذه المجموعة من أقوال الكهان والكاهنات من أهل اليمن وما أحاط أقوالهم من أحداث ووقائع ، يمكننا أن نستخلص منها الملاحظات الآتية :

١ - من الملاحظ في أساطير الكهان ارتباطها المباشر باليمن ، ولا يقتصر هذا الارتباط على انتماء الكاهن أو الكاهنة الى إحدى القبائل اليمنية ، ولكن يتجلى هذا في الكثير من سمات أساطيرهم التي تعكس واقعهم الاجتماعي والتاريخي وتكشف عن مناحي تفكيرهم عندما ينفث الكاهن في أقواله هموم قومه ومعتقداتهم وأمانتهم .

ويتجلى هذا أيضا في استخدام الكاهن لألفاظ يمنية بحتة كما لمسنا ذلك في أبيات خنافر الحميري ، فالجحمتان والهوب والواهر ، كلها ألفاظ يمنية ، بقيت في ذاكرة الراوي ، حتى بعد أن مرت السنون وفصحت لهجته وصفت لغته ، لذا وجدت طريقها الى لسانه يعبر بها ، حاملة المعاني القديمة نفسها التي كانت تتداولها اليمن .

٢ - ان راوي هذا اللون من الأساطير يعكس واقع القوم الاجتماعي ، في حقبة تاريخية معينة ، ويدلل على ايمان القوم بتنبوءات كهانهم وتصديقهم لها ، فنجد الراوي يسرد تلك التنبوءات في سجع الكهان على لسان الكاهن أو الكاهنة ، ثم يحقق النبوءة في الوقائع التاريخية من حوله ، فطريفة الكاهنة تتنبأ بحفر الفأر للسد ونقض حجارته ، ويذهب عمرو ليلمس صدق كلامها ، وتحقق نبوءتها ، ويتفرق القوم تبعاً لمشورتها ، وسطيح وشق أيضا يخبران الملك ربيعة بن نصر بأحداث تاريخية عرفت بها اليمن في احتلال الأحباش وانتصار سيف بن ذي يزن عليهم ، حتى البشارة بظهور الرسول (ص) .

(١) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٠٠

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ٢٤٠

وهكذا غيرهم من الكهان والكواهن الذين عمل الرواة على سرد التنبؤات على لسانهم ثم تحقيقها فيما يستجد من حوادث وأمور تلم بالقوم ، وتحقيق بهم ، ليكسب أقوالهم صفة ، ولايدل ذلك الا على عمق ايمان الناس بأقوال كهانهم ومدى صدقها وتحققها في حياتهم .. بل جعل منها الراوي دليلا لتوجه القوم وسيرهم في الهجرات المختلفة التي أعقبت تهدم السد ، كما لمسنا ذلك لدى عمرو بن عامر وقومه في استشارتهم الدائمة للكاهنة طريفة وسوءها عن الوجة التي عليهم السير نحوها .

٣ - استعان الراوي بأحداث التاريخ المعروفة ، تلك الأحداث التي تعد معلما بارزا في حياة اليمانيين ، وتكون سببا في احداث تغييرات اجتماعية كبيرة فيهم . فأحاط تهدم سد مأرب بأسطورة الفأر الذي جعله سببا في انهياره ، كما اهتم باحتلال الأحباش لليمن ثم نجاح اليمن في اجلائهم على يد سيف بن ذي يزن ، ثم سطوع الاسلام في اليمن ، ودخول اليمن في الدولة العربية الاسلامية الجديدة ، معاضدة للنبي محمد (ص) .

كانت تلك أحداث جسام في حياة اليمانيين ، وكان لها أثرها في حياتهم الاجتماعية ، وملكت عليهم مشاعرهم ، فانفعلت بها نفوسهم ، وامتلت بها قلوبهم ، فعبروا عن تلك المشاعر والأحاسيس بطريقتهم الخاصة المأثورة عنهم ، وهي التعبير الأسطوري الجميل ، وضمنوه معانيهم الانسانية ، معبرين عن همومهم ومخاوفهم وآمالهم وطموحاتهم ، فلجأ الرواة الى أساطير الكهانة ، محملين أقوالهم التنبؤات بما سيحدث وبما سيكون .. ولولا ألفة القوم لأقوال الكهان وتنبؤاتهم لما اختار الرواة أبطالهم من الكهان الذين وجدوا سهولة ويسرا في نسب الأقوال اليهم على النحو لمعروف عنهم أي "سجع الكهان" .

٤ - وتلاحظ في أقوال الكهان أنها تعكس اهتمام الراوي بثابتات الفضل لليمن ، ملوحا بما حققه اليمانيون في نصره الرسول (ص) ، ولعل الراوي قد وجد نفسه مدفوعا لهذه الوقفة ازاء العصبية التي كان يحاول بعض من حوله اثارتها ، كما ألمحنا الى ذلك في فصل سابق (١) .

فننظر في أقوال الكاهنة عفراء عندما بشرت بظهور النبي (ص) فجعلت الفضل لتصرته وعزته الى اليمن ، (فأعضاده غطاريف يمانون ، طائرهم به ميمون) ، وشبيه بذلك قول خنافر الحميري الذي ضمنه اعتزازه (بالنفر اليمانيين) منهم (أهل الطول والفضل والمواساة والبهذل) . فلا يدخر الراوي وسعا لاثبات الخصال الحميدة التي يستطيع الافتخار بها في مجال المفاخرة والمنظرة التي كانت البيئة الأموية تضعه فيها مثيرة لديه النعرة القبلية والانتصار لليمن ضد قيس .

٥ - تجلت في أقوال الكهان سمة ميزت أقوالهم هي " السجع " ولذلك سميت أقوالهم بسجع الكهان ، لأنها الصفة البارزة في جميع أقوالهم كما لمسنا ذلك . ولعلمهم أرادوا باتباع السجع في أقوالهم أن يكسبوا صفة قدسية تخرج بها عن الكلام المألوف ، ليحدثوا الأثر المطلوب في نفوس سامعيهم ، فيقبلوا على تصديقهم والايمان بما يتفوهون به .

وقد امتاز سجع الكهان بقصر الفواصل والعبارات فاكتسبت أقوالهم بذلك ايقاعا معيننا تختلف نغماته والموسيقى التي يحدثها باختلاف حرف الروي الذي يلتزمه الكاهن في سجه ، ويختلف ذلك الايقاع تبعاً للأثر الذي يريد الكاهن ايماله الى السامع . فتلونت ايقاعاتهم وتنوعت .

٦ - يفتح الكهان أقوالهم دوماً بالقسم ، ليقع في روع السامعين صدق أقوالهم فيقبلون عليها مؤمنين بها مسلمين بصحتها ، وكثيرا ما أقسموا بمظاهر الطبيعة ، كقسم الكاهنة طريفة بالنور والظلماء والأرض والسماء^(١) . وكقسم الكاهنة زبراء باللوح الخافق والليل الفاسق والصباح الشارق ، والنجم الطارق والمزن الوادق ، وكقسم سطح بالشفق والغسق ، كما مر بنا . فأكسب القسم أقوالهم صبغة دينية ، أحاطت بأقوالهم وأضفت عليها صفة قدسية ، ليتمكنوا بها من جذب اهتمام السامع .

وللقسم دلالة معنوية تحدث أثرها في نفوس السامعين ، وشاهدنا على أهمية هذا الأثر هو افتتاح بعض سور القرآن الكريم بالقسم في قوله تعالى " والذين والزيتون... " و " السماء والطارق... " الخ .

وربما اقتبس الرواة - في مرحلة متأخرة - عادة افتتاح أقوال الكهان بالقسم من القرآن الكريم ، ليكسبوا أقوال الكهان صبغة دينية وقدسية .. كما أسلفنا .

٧ - اتسمت أقوال الكهان بسعة المعاني ، فيمكن انطباقها على أحوال مشابهة لذلك الواقع وتلك الحال ، وهذه طريقة لجأ اليها الراوي لئلا يلزم الكاهن نفسه بأمر ، ولئلا يتهم بالكذب وعدم المعرفة . فأقواله مرنة فضفاضة لاتتمس بالدقة والنص على الحدث الموماً اليه ، وانما هي تلميحات تشير من بعيد الى الحوادث التاريخية المقصودة .. وتنذر بقرب حدوثها ، دون تفصيل أو تدقيق ، في أغلب الأحيان ، وان صرح بعض الكهان بالاسم المقصود في بعض أقوالهم كما لمسنا في أقوالهم حول نجدة سيف بن ذي يزن لليمن ..

٨ - يرسم الرواة صورة أسطورية للكهان والكاهنات .. فهذا سطيح جسد ملقى لا جوارح له ، وجهه في صدره بدون رأس أو عنق ، وهذا شق من المتشيطنة ، وصورته صورة نصف آدمي ، كما مر بنا . ولا يكتفي الراوي بأن جعل الكهان على هذه الصورة الغريبة ، ولكنه جعل لهم قدرة عجيبة غير متوفرة لدى البشر .. فهذه طريفة تنفت قبل موتها بسرها وتعطيه كلاً من شق وسطيح ، وتنصح بعدم تموينهما بأي غذاء حتى بلوغهما ، فقد زودتهما بالغذاء المعنوي وهو القدرة على الكهانة ، واستشفاف الغيب ، والتكهن بما سيحدث .

وطريفة نفسها يوهبها القدرة على الكهانة عمران بن عامر ، ويورثها إياها بعد موته ، وتخبر طريفة بين مولود تقر به عينها أو علم تطيب به نفسها ، فتفضل العلم على الولد ، وتمسح بيد على بطنها لتجد نفسها قد عقت ، وأوتيت العلم باستكشاف الحجب والقدرة على التكهن .. وهكذا حرمت طريفة نعمة الولد بعد أن آثرت امتلاك العلم على الولد .

وكان الراوي أراد أن يقنع السامعين بأن الكهان يخرج عن نطاق العامة من البشر ، فقد منحوا هبة خاصة لاتتيسر لأي بشر ، وهي القدرة على التكهن ، وهم لم يعطوها اعتباطاً أو ارتجالاً ، وإنما منحت لهم وكأنها العوض عما فقدوه ، فقد حرم كل من شق وسطيح من خلقة البشر السوية ، وحملها صفات عجيبة ، كما حرمت طريفة من نعمة الأمومة ، فكان لكل كاهن قربانه الذي ضحى به للحصول على العلم والقدرة على الكهانة .

وإذا تفحصنا الكهان لدى رواة الاغريق نجدهم قد جعلوا كاهنهم شيخاً مسناً أحنت ظهره السنون ، يتوكأ على عصاه ، ولكنهم ألبسوه الملابس القشبية والطيلسان الجميل ، فملاً بذلك قلوب العسكر وقلوب القادة الفانازا وأسارارا^(١) .. على عكس رواية اليمن الذين لايهتمون لمظهر الكاهن الخارجي .. ولكنهم جعلوا له صفات معنوية غالية يتولى بها اقتناع من حوله ، ابتداءً من لحظة انتباهه الكهانة وكيفية حصوله على هذه القدرة ، مروراً بأقواله وتكهناته حتى وفاته .

٩ - تشارك اليمن شعوب أخرى في معرفة الكهانة والاهتمام بها ، بل يعتقد جرجي زيدان أن الكهانة من العلوم الدخيلة على العرب ، ويرجح أن الكلدان حملوها اليهم ، كما يرى أن لفظ الكاهن قد اقتبسه العرب من اليهود الذين نزحوا اليهم بعد ما أصابهم من النكبات في أورشليم سنة ٧٠ م .^(٢)

(١) هوميروس ، الألياذة ٤٥ ، ترجمة دريني خشبة

(٢) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ١٨٧

وفي الواقع قد عرف الكهانة أكثر الشعوب القديمة ، من ذلك ما كان يصنعه البابليون والمصريون ، اذ كانوا يقرأون كبد الشاة أو بعض أعضائها (١) . كما اشتهر في اليونان كهان أبولون ، وكان معبده في دلفي على سفح جبل البرناس ، حيث يجلس فيه هؤلاء الكهان ، حتى اذا استفتاهم بعض الناس قعد اثنان منهم قرب إحدى هواتف هذا الاله ، وراحت هذه تهذي فيلتقط الكاهنان كلامها ، ويعبران عنه شعرا . (١)

كما عرفنا في البيادة هوميروس الكاهن تيرزباس ، كاهن المعبد الممن الذي شخص اليه أعضاء المجلس الحربي يستفتونه ، فسألهم ابن بليوس رب الأعماق ، عن أخيل الذي لم يكونوا يعلمون شيئا من أمره بعد ، ونصحهم بالمبحث عنه ، فلن تفتح طروادة الا به .. واختتم عبارته " هكذا قالت الالهة " . (٢)

فالكاهن ناقل أمين في الأسطورة الأغريقية لما قالته الالهة ، أما الكاهن اليمني فيعتمد في الحصول على علمه بموشرات طبيعية كما لمسنا ذلك لدى طريفة التي وجدت في طريقها من الحيوانات (النواجذ) و (السلحفاة) وحركاتها ، ومن الأشجار وحركتها أيضا ما دلها على قرب حدوث الكارثة المتوقعة ، كما اعتمد الكاهن اليمني على الرئي أو التابح كما لمسنا ذلك لدى خنافر الحميري الذي كان رثيه أو تابعه يدعى شصار ، ويوافيه بالانبياء والأخبار قبل حدوثها ، فيجري لسانه بالتكهن بها في قومه .

ولعل ذلك كله ينفي الفكرة القائلة بتوحد الكاهن أو الكاهنة بالالهة كما أشار أحد الباحثين الى الكاهنة طريفة واسماها الالهة الأم التي وجهت الهجرة القحطانية ، ولاتدل الأسطورة اليمنية على أي لون من التقديس نحوها ، ولم يعرف أساطيرهم الأخرى مايشير الى صحة هذا الاعتقاد . فليس الكاهن العربي الا ناقل لما تخبره به تلك القوى الخفية ، وليس الكاهن الاغريقي الا ناقل لاقوال الالهة ، كما عرفنا ذلك في الأساطير الاغريقية .

من أساطير تبع " أسعد الكامل " :

ان لفظه "تبع" التي تجمع على "تباعه" لفظه ، للعلماء في منشئها وفي أصلها خلاف وجدل ، فقيل ان التبابعة هم ملوك اليمن وسموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا ، وفيه قال ابن الجهم :

-
- (١) جواد علي ، المفصل ٦ : ٢٥٧
(٢) الجوزي ، من الاساطير العربية والخرافات ٣١
(٣) هوميروس ، الالبيادة ٤٣ ، ترجمة دريني خشبة

وظهرت باليمن التبابعة
شمر يرعش وملوك خالصة (١)

وقيل ان التبابعة في حمير كالاكاسرة في الفرس والقياصرة في الروم ، والنجاشي في الحبش . ولا يسمى به الا اذا كانت له حمير وحضرموت ، وقل : سبأ ، واذا لم تدن له هاتان لم يسم تبعاً^(٢) ، وقيل والشحر كذلك^(٣) ، وقيل حتى تتبعه حضرموت والصدف والسلف ، وقيل : حتى تتبعه بنو جشم بن عبد شمس . (٤)

وقد ورد ذكر (تبع) في القرآن الكريم في الآية "أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم ، أهلكناهم انهم كانوا مجرمين"^(٥) ، وفي الآية الكريمة "وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد"^(٦) . ومن الواضح اقتران الآيتين بموقف العظة والتخويف بما حدث للقوم الكافرين . فأقبل أهل الأخبار الى كتب التفسير يلتمسون فيها أخبار تبع ، وتستند بعض كتب التفسير والتاريخ الى الرواية اليمنيين من مثل كتب الأخبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وغيرهم ، كلهم ذوو ثقافة يهودية ومن أصل يهودي ، ولهذا ربطوا هذا القصة باليهودية بسبب ، كما يلاحظ في حكاية تهويد التببع أسعد أبو كرب . (٧)

ولم يرد في النقوش اليمنية لفظة تبع ، ويعتقد أن أهل الأخبار لما قرأوا عن قوم تبع في القرآن الكريم وجدوا أن تبعاً لابد أن يكون ملكاً قوياً جباراً ، لأن في الآيتين تخويفاً وتهديداً لقريش بقوم تبع الذين كانوا خيراً منهم وأقوى مكاناً فطاب لهم أن يتخذوا اليمن مكاناً مناسباً لقوم تبع . واليمن موضع الأقوام القديمة^(٨) ، فجلوهم فيها ، وكان لديهم في اليمن (ذو يتبع) فحوروا اللفظة الى (تبع) . وذو يتبع أيضاً ملك حميري اسمه نوف بن يحصب ، وقد كان مشهوراً في اليمن فورد ذكره في شعر علقمة بن ذي جدن في مرثيته الشهيرة :

هل لأناس مثل آثارهم
أو مثل صروح وما دونها
بمأرب ذات البناء اليفع
مما بنت بلقيس أو ذو يتبع (٩)

- (١) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٧٦ (لاجود للبيت في ديوان الشاعر)
- (٢) الزبيدي ، تاج العروس (مادة تبع) ٥ : ٢٧٨ / لسان العرب ٨ : ٣١
- (٣) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٨٨
- (٤) ابن خلدون ، العبر ٢ : ٩٤ / الأكليل ٢ : ٥٥
- (٥) سورة الدخان ، الآية ٣٧
- (٦) سورة ق ، الآية ١٤
- (٧) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميري ٥٨
- (٨) جواد علي ، مجلة "الحكمة" اليمنية ، مقالة "أحاديث تبع" العدد ٧٨ سنة ٧٩ ص ١١
- (٩) نشوان الحميري ، شمس العلوم ١ : ١٢٩

إن المطلع على أخبار تبابعة اليمن يلاحظ الخلط العجيب في أسمائهم وسنوات حكمهم ، وروايات تتابعهم ، ومن أشهر أولئك التبابعة الملك اليميني أسعد أبو كرب الذي لقب في العصور الإسلامية بالكامل ، ولعله أكثر أبطال الملحمة القحطانية شهرة ، حكم اليمن في فترة متأخرة من وجود حضارة الجنوب العربي (في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي) .

وقد تم العثور على الجزء الأكبر من النقوش المنسوبة لفترة حكم أبي كرب أسعد في مناطق حكمه المركزية ، أي في ظفار التي كانت عاصمة للحميريين ، وفي منطقة صنعاء (١) .

ولقب الملك الحميري أبو كرب بأسعد بن مليككرب ، "بملك سبأ ذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طودا وتهامه" ، ويعكس الجزء الأخير الذي يخص البدو تحولا اجتماعيا هاما ، وتعزز دور القبائل الرعوية في دولة الجنوب العربي (٢) .

ويعد التبغ "أسعد أبو كرب" البطل القومي لأساطير العربية الجنوبية ، وتطفئ قصصه على من سبقه ومن جاء بعده من التبابعة .

ويذكر نشوان الحميري الأساطير حول أسعد الكامل ، على نحو مفصل ، أفضل من غيره ، كما يرجع روايته إلى عبيد بن شربة الجرهمي أحيانا ، وقدم الحديث عنه بأبيات ذكره فيها قائلا :

والكامل الملك المتوج أسعد فيه تقصّر مدحة المداح

ثم استمر في أبياته العشرة يذكر فيها فتوحاته المختلفة في عرض البلاد ، وانتصاره الدائم فيها (٣) .

يقول الراوي أن الملك اليميني ملكي كرب والد أسعد قد خطب إلى موهبيل ابن عبد ريم - صاحب قصر خمر - ابنته الفارعة بنت موهبيل ، فزوجه بها ، وتقدم بها في قصر خمر ، فأقام معها حولا ، وعاد إلى ظفار ، فحملت ، فولدت غلاما سماه أسعد ، ولم يلبث ملكي كرب إلا يسيرا حتى توفي وابنه أسعد في خوم ولته بخمر :

مولده في قرى ظواهرهـ -دان يهلك التي اسمها خمر
يقهر أصحابه على حدث ال سن ويخفي فيهم ويحتقـ (٤)

-
- (١) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميري ٥٨
(٢) بتروفسكي ، مجلة "الحكمة" ، مقالة "سيرة التبغ الحميري" - العدد ١٠٩ - ص ٣٦
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٦٢
(٤) المصدر السابق ١١٩

وخرج ذات يوم أسعد الى قصر خمر حتى انتهى الى جبل هنوم ، وقيل بل اختطف الى جبل هنوم ، فصادف ثلاث نسوة فأضنه ، ثم جاءت الكبرى منهن بأسقية فيها خمر وفيها دم فشرب جميع ذلك ، ثم جاءت الوسطى وقد أخذ فيه السكر بمركوب من مراكب الجن ، ويقال أنه حمار ، فركبه فطار به من حرفة ، فأسقطه وتجرع بدنه وتهاضت عظامه ، وأخذت الثالثة تعارضه حتى برىء ، وفرشت له فرشاً فوق ابر اضجع عليه ، ومارضته حتى برىء جسمه وقوي عظمه ، ثم سرحته ، وأخبرته أنه سيقتل أعداءه ويبلغ أينها نواه ، وينال في الملك مايهواه ، وأمرت أن لايقف في خمر ، وأن يكون مقامه بظفار ، وصدوره للغزو منها .

ويذكر الراوي هذه القصة في أبيات تروى على لسان آت دخل الى الراشع عندما كان في كهف في جبل ، فيغفو فيه ، ويسمع آتيا يقول أبياتا عديدة وصلت الى الاربعة والاربعين بيتا ، يحدثه فيها عن أسعد أبي كرب وما كان من توغله في جبل أهوم وحديثه مع الجنيات ، في قوله :

حتى اذا أدركته روعه	بين ثلاث وقلبه حذر
جاءت اليه الكبرى بأسقية	شتى وفي بعضها دم كدر
فقال هاتي الي أشربه	قالت له ذر ، فقال لا أذر
فناولته فما تروغ عن	أقصاه حتى أماده السكر
فنهنته الوسطى فنازلها	كأنه الليث هاجه الذعر
قالت له هذه مراكبنا	فاركب فشر المراكب الحمر
فقال حقاً صدقت ثم سما	فوق ضيع قد زانه الضمر
فصد لما رآن من أرن	ومن جراح وهاجه الحصر
فدق منه جنبها فغادره	فيه جراح منها له أثر
ثم أنته الصغرى تمرضه	فوق الحنايا ودمعها درر
وكان اذ ذاك بعد صرعه	من شدة الجهد تحته الابر
فقلن لما رأين حالته	أسعد أنت الذي لك الظفر
وفي كل ما وجهه" توجهها	وأنت تشقى بحربك البشر

وينقل في الأبيات بشوك الجنيات له بالظفر والانتصار اينما توجه وحيثما

سار :

وأنت للسيف واللسان وللأ	بدان تبدو كأنها الشرور
وأنت أنت المهريق كل دم	إذا ترامى بشخك السفر

فلما رجع أسعد الكامل الى أهله بخمر أعلمهم بما حدث له مع النسوة اللاتي لقيهن من الجن ، وعمل على ما أخبرته به ، فنهض الى ظفار وهو في التاسعة وأقام بها ، وجده يكتم أمره عن القوم فيها خوفاً عليه من غوائل حمير ممن يطلب الملك .

وفي الخامسة والعشرين من عمره أصبح أسعد ملكا عظيما وشاعرا فصيحاً ،
وكان أحد المعمرين ، عمر ثلاثمائة واحد وخمسين سنة .

وقال عبيد بن شربة أن أسعد الكامل كان عارفاً بالنجوم والفلك ، فأكثر
الغزو في كل ناحية ، ولكنه كان لا يخرج بقومه مخرجاً حتى ينظر في مطالع السعود
من النحوس ، فيسير بجنده ويتجنب النحوس فيترك ذلك .

وأخذ يسير في البلاد فيغزو سنة ليقيم أخرى ، فلم يترك طريقاً سلكه
أبواه إلا سلكه ، ولا بلداً كذلك إلا وطئه وقصده حتى دخل الظلمات ، ثم يروي
قصيدة على لسانه وصل عدد أبياتها اثنين وعشرين بيتاً يفخر فيها بقومه :

فحمير سادات الملوك وخيرها وهم من قديم الدهر سادوا القبائل

ثم يذكر فتوحه وغزواته في البلاد المختلفة من أرض فارس والعراق حتى وصوله إلى
بلاد الهند والسند والصين ، وغيرها من بلدان الشرق والغرب ، كما جاء في قوله :

ونلت بلاد الهند والسند كلها وفي الصين صيرنا نقيبا وعمالا
ونلت بلاد المشرقين كلاهما ونلت بلاد المغربيين وباهلا

ويستمر عبيد في ذكر غزواته في أرض العرب والأعاجم ، ويتلو ذلك بأبيات من الشعر
على لسان أسعد الكامل ، وفيها افتخار بما حققه من نصر ومجد ، ووصلت رائيته
خمس وأربعين بيتاً يضم معظمها شعر الفخر والحماسة .

ويذكر أن امرأة من الشام أتت إليه تشكو من رجل ذبح كبشا لها غضبها على
أخذه ، فألت يميناً لتشكوته إلى ملك اليمن أن لم ينتصف لها ملك الشام ، فعلم
قباد ملك الشام بيمينها فلم ينتصف لها من عامله الغاصب عليها ذلك الكبش ،
فوفدت على أسعد الكامل إلى ظفار ، فأدلت بحكايتها وما كان من الملك الشامي ،
ومارضيته لعامله من ظلمها واحتقاره لملك اليمن ، فألى أسعد لينصرنها ولينتصفنها
فعبأ الجيوش وأمرها بالانصراف إلى بلدها ، وقد وعداها بوصول العساكر ، فراحت
وأقامت تنتظر وصول العساكر ، فسارت جنوده وقدم عليها شمرذاً الجناح ، وسار
أسعد من بعدهم بمن معه من الجنود وفي ذلك قال قصيدة طويلة مطلعها :

أنعم صباحاً أسعد الكامل يا ناقماً بالشار والتابل

وكعادة الراوي يأتي الشاعر في هذه القصيدة على الفتوحات المختلفة وما حققه
اليمنانيون فيها من بطولة خارقة .

ويعبر الراوي عن حكاية المرأة الشاكية المستنجدة بأسعد الكامل شعرا :

حكي الظلم شطاء قومها غدروا	حتى أتته من المدينة تشـ
ترجو به ثأرها وتنتصر	أدلت اليه منهم ظلامتها
تلك وكل بهذاك يأتـ	فاعمل الرأي في الذي طلبت
مثل الذهب في البلاد ينتشر	فعبأ الجيش ثم سار بهـ
كأنه الليل حين يعتكر	قد ملأ الخافقين عسكره
فليس تبقى منهم ولا تذر	تقهر أعداءه كتائبهـ
وفاز بالنصر ثم من نصروا	حتى قضى منهم ليلته

ثم يروي عبيد بن شربة أن أسعد خرج في جموع حمير وكهلان من اليمن حتى وقفوا بأرض العراق ، ثم سار حتى نزل أرض الحيرة الى الكوفة ، مما يلي شط الفرات ، وسماها الحيرة لأنه تحير فيها وفي أمر من جابه من الأعداء ، ومضى السبع أسعد حتى قاتل قباز وجموعه ببابل قتالا شديدا حتى هزمهم ثم أتى الري وصار الى خراسان وغيرها .

ولم يزل تبع يفتح البلدان ويقتل الفرسان ، ويركب البحار ، ودخل الظلمات ، وأدركه الشتاء في تلك الأرض التي بعدت عنها الشمس فانقطع نورها . وسار تبع في الظلمة بالشموع المنيرة ، فلما أراد الرجوع جعل الأتن في مقدمة العسكر ، فقفلت تلك الأتن تطلب أولادها في موضع النور والجيش خلفهن حتى خرج من الظلمات ، وفي ذلك يقول تبع مفتخرا بمن معه من القبائل :

من حيث لا زرع ولا أوطان	ودخلت في الظلمات أعظم مدخل
والأزد ازد شنوءة وعمان	ومعي مقاتول حمير وملوكها
والقلب مذحج والذرى همدان	ومعي قضاعتها وكندتها معسا
الدر والياقوت والمرجان	قلت اقبضوا فاذا الحصى بأكفهم

وعند رجوعه من غزواته مر بالبیت فكساه الانطاع المذهبة اليمانية ، فرأى في المنام قاثلا يقول : زد في كسوة البيت ، فكساه المعافري ، وتكرر ذلك المنام فكساه الوشي ، ونحر بمكة سبعين ألف بدن ، وطاف وسعى ، وعمل له بابا ومفتاحا لم يكونا له قط ، وقال في ذلك :

هـ ملاء مقصبا وبرودا	وكسونا البيت الذي حرم اللـ
وخررنا عند المعقام سجودا	ثم طفنا لديه عشرا وعشرا
وجعلنا لبابه اقليدا	واقمننا به من الشهر تسعا

ثم رجع أسعد الكامل الى عمدان وغيره في بلاد اليمن ، فأقام ماشاء الله
أن يقيم ، واعتل علته التي مات منها لمرض شديد ، دعا ابنه حسانا وأخذ يوصيه في
أبيات من الشعر وصلت الى خمس وعشرين بيتا ، قال في مطلعها :

حضرت وفاة أبيك يا حسان فانظر لنفسك فالزمان زمان

وضمن أبياته الحكمة ونظراته في الحياة ، كما برزت فيها نبرة الفخر بقحطان
وسيادتها في الأرض وعلو كعبها على من حولها ، وأخذ يضرب الأمثال على شجاعة
القبائل القحطانية وقوة بأسها في الحروب التي خاضتها أثناء الفتوحات
والغزوات .

واختتم أبياته بنصيحة لابنه قائلاً :

وافطن لكاهنتي فان كلامها حق وان قبورنا غيمان

ويعنى بها تابعة من الجن ، اذ قيل كان لتبع تابعة من الجن تسكن في
ينور ، وهو على مسيرة ساعة من صنعاء ، فأرسل تبع ابنه حسانا اليها ، فقال :
اذا أتيت ينور فاقرع الجبل ، فانه سيفتح لك باب ، فادخل حتى اذا أتيت الى
المرأة فاخبرها أنني مثقل بالمرض ، فانظر ماذا تقول لك وما تأمرك به ، ولا تعصها
في شيء .

فأقبل حسان حتى انتهى الى المكان وقابل المرأة فأخبرها الخبر ، فأشارت
اليه أن يقعد على كرسي فيه حبات وعقارب ودود ، فأبى ، وقعد على الأرض . ثم
قدمت بين يديه طبقا فيه روموس ناس فأمرته بأكلها ، فأبى أن يفعل ذلك ، فدعت
بقدر فيه فم ، فقالت : اشربه ، فأبى أن يشربه ، فقالت له : ما أبعد همتك من
همة أبيك ، وقالت له : قد أمرتك فلم تفعل ، فأما اذ عصيتني ، فانظر اذا رجعت
الى أبيك ودخلت باب غيمان ، فاقتل أول من يلقاك من الناس ، وأدرك أباك فهو في
آخر رمق .

فخرج مسرعا حتى اذا أتى غيمان ، فلقيه على بابها أخوه معدي كرب ، فأبى
أن يقتله ، ثم دخل على أبيه ، فأخبره الخبر ، وما قالت المرأة من قتل أول من
لقيه ، فقال له تبع : ما أراك الا مخطئا . ان هذه أمثال ضربتها لك . أما
الكرسي الذي أقعدتك عليه ، فانه لا يملك حمير الا من أهرق دمها ، وأما الروموس
والعظام التي أمرتك أن تأكلها فانه لا يملك حمير الا من أكل أموالها ، وأما أخوك
نسيقتك ان لم تقتله .

وبعد ذلك التأويل قال له أبوه : لو أنك أكلت الروموس لخضعت لك رؤساء
حمير ، ولو أنك قعدت على الكرسي الذي فيه الحيات والعقارب والدود لكثير ولدك .
ثم مات أسعد تبع بغيمان وقبره بها ^(١) .

ونسب الى تبع أبيات تدل على أن قبره بغيمان ، اذ قال من قصيدة له :

وغيمان محفوفة بالكروم	لها بهجة ولها منظر
بها كان يقبر آباؤنا	وأجد ادنا وبها نقبر
إذا ما مقابرنا بعشرت	فحشو مقابرنا الجوهر ^(٢)

وينفرد الهمداني برواية هذه الأبيات ، وقد أولى قبور الحميريين اهتماما
كبيرا ، وأفرد صفحات طويلة من أكليله لآخبارها وما حوته من سجلات وألواح وأحجار
شمينة .

ولكننا نجد عبید بن شریة يروي في أخباره نهاية أخرى لوفاة التبع "أسعد
الكامل" ، وذكر أنه قتل في قومه وسبب ذلك أن حبريين من اليهود في اليمن دخلا
عليه فأجب أمرهما وماهما عليه ، ورأى أن الذي هما عليه أفضل فأمن بالله وصدق
بنبيه موسى بن عمران وما أنزل الله من التوراة . فأمر الحبريين أن يدعوا الى
دينهما في لطف ورفق ففعلا ما أمرهما . فلما رأوا ذلك حمير خرجوا الى تبع
فقالوا: أهلكتنا بالغزو فصرنا لذلك ، فأما على ديننا وما كان عليه آباؤنا
فلا نصبر لك ، وطالبوه بقتل الحبريين ، فاستنكر منهم ذلك ، ونصحهم أن يكلموهما
ويحاكموهما الى من شاءوا . فأجمع رأيهم أن يحاكموهما الى نار في اليمن بصنعاء
فانطلقوا حتى أتوا النار فنحروا عليها الجزر وقربوا القربان ، ثم تقرب
الحبران فلم يزالا يقرآن من التوراة حتى خرجت لهما فمضيا فيها حتى جاوزاها ،
ودعا تبع سادة أهل اليمن ، فاجتمعوا ، وأرسلت النار نحوهم فأحرقتهم ، ونجا
الحبران ، وأمر النار أن تطفأ فطفأت ^(٣) .
فشار عليه بنو حمير وقتلوه .

وذكر الهمداني الروايتين المتضاربتين حول وفاته ، ونسب أن الحبريين
المذكورين قد كانوا في زمن تبع الأصغر بن حسان بن أسعد ، فهو صاحب الحبريين الذي
ملك بعد حسان ، وليس أسعد الكامل كما ورد في بعض الروايات . ^(٤)

-
- (١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٣٧
 - (٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٢٥ (تحقيق نبيه فارس)
 - (٣) عبید بن شریة ، التيجان ٤٩٣
 - (٤) الهمداني ، الأكليل ٢٢١ (تحقيق نبيه فارس)

وبعد الاطلاع على فحوى أسطورة التبع "أسعد الكامل" ، نستخلص منها
الخصائص المميزة التالية :

١ - بطل الأسطورة :

يقتضينا الحال الوقوف أمام البطل ، فهو المحور الذي تدور حوله أحداث
الأسطورة ، وضمن الراوي صفات البطل المعادية والمعنوية العديد من معانيه
الانسانية ، كما انطوت أفعال البطل وتحركاته على مدلولات معينة جسد بها الراوي
معانيه ، وكرسها لخدمة الأثر الذي أراد إيصاله الى السامع . ولنحيط بأبعاد هذه
الشخصية التاريخية كما صورتها الأسطورة نقل القول في جوانبها المختلفة من خلال
رواية الأسطورة :

أ - لقد حرص الراوي على أن يكسب البطل صفات خاصة يميزه بها عن غيره من
البشر ، فجعل له صفات خارقة منذ طفولته ، فصور ذلك في حكايته الطريفة مع
الجنيات الثلاث اللاتي اختبرن قدرته على تحمل المصائب والمهالك ، وذلك من خلال
تصرفهن معه ، فشرب الأسقية الممزوجة بالدماء ، واضطجع على الابر وركب حمار الجن
الذي أسقطه مسببا له الألم والمرض ، ومر بذلك كله في صبر وقوة عزيمة ، وكان
الجنيات الثلاث يدربنه على تحمل المصاعب التي سيواجهها في حياته ، وحاز أسعد
الكامل رضاهن ، وبشرته ببلوغ المراد أينما حل أو توجه ، فقد وجدن فيه من
يستحق الملك والنصر والوصول الى أعلى درجات المجد ، وقد أفصحن عن ذلك :

نحن من الجن يا أبا كرب يا تبع الخير هاجنا الذعر
فيما بلوناه فيك من تلف عن غمض عين وأنت مطبهر (١)

وهكذا جعل الراوي اختباره وتدريبه على يد تلك الجنيات اللواتي أعجن بصبره
على الشدائد واحتمال المكاره ، وتوسمن فيه تحقيق كل ما يصبو اليه ويبغيه لقوة
ارادته وعزمته ، فعد الراوي ذلك كله شاهدا على امتلاك بطله صفات خارقة
لا يمتلكها بشر .

ونجد الراوي يعمن في نسب الخوارق الى أسعد الكامل ، فلا يكتفي بمقابلته
للجنيات الثلاث في بداية حياته ، ولكنه جعل له صلة مستمرة بالجن ، اذ كانت له
تابعة من الجن تسكن في جبل ينور بالقرب من صنعاء ، ولعله قصد بهذا الاتصال
واتخاذ تابعة من الجن امتلاك القدرات الخارقة التي لا يستطيع بشر القيام بها ،
والاعتماد عليها في انجاز بعض الأمور ، وذلك امعانا في تصوير القدرات الخارقة
التي كانت للبطل ، فهي تتعدى الحدود البشرية ، اذ أصبح له توابع من الجن ،
يرجع اليهم في تحقيق مآربه ، ويستعين بهم في تأدية أموره الخاصة والعامة .

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢١

ولذلك عندما شعر بدنو أجله أرسل ابنه حسان الى تابعته في ينور ، وأحاله اليها للاستشارة وطلب النصيحة ، وأوصاه باتباع ما تعلمه عليه من أوامر ، وعدم الخروج عن ذلك ، وكانت حكاية حسان معها وما كان من اختبارها له وتبينها عدم احتمالها للمكاره قائلة " ما أبعد همتك من همة أبيك... " فقد لمست تلك الجنية انفراد أسعد الكامل بتلك الصفات المميزة ، وقصور ابنه عن امتلاك تلك الصفات .

وكان هذه المقارنة التي عقدها الراوي على يد تلك التابعة من الجن بين أسعد الكامل وابنه حسان اضافة تبين قوة بطل الأسطورة وتفرد بهضاله وصفاته الخارقة دون أن يوجد له شبهه أو مثيل ، فينتاب العجز والقصور ابنه ، ويتخلف عن اللحاق بما كان عليه الأب البطل الأسطوري ، الذي صبر على تلك المكاره وأثبت قدرة كبيرة على التصدي للمصاعب ، فكان ماحقق من انتصارات وما أتم من فتوح في عرض البلاد المختلفة ، ولم يكن تحقيق ذلك كله من قبيل الصدفة أو المجازفة ، ولكنها قدرات خارقة كانت تسير ذلك الملك اليميني ، وتعيه في تنفيذ خطه ، وتكفل له تحقيقها .

ب - ولايتواني الراوي في اضافة صفات الشجاعة والبطولة الخارقة على البطل الأسطوري أسعد الكامل . وكانت وسيلته الى تصوير تلك الشجاعة وقوة البأس أخبار الفتوحات التي حققها أسعد الكامل في طول البلاد وعرضها شرقا وغربا . وذكر نشوان تلك الفتوحات في قوله :

كم قادم جيش أجش لباهل	وكتيبة تغش البلاد رداح
حتى استباح بلاد فارس بالقنا	وبكل أجرد في الجباد وقاح
والترك والخزر استباح بلادهم	والروم منه تتقي بالسراج
والصين تجبى خرجها عمالسه	في بكرة من دهرهم ورواح
نطح الأعاجم في جميع بلادهم	بأحد قرن في الوغى نطاح (١)

كما ظل أسعد رمزا للبطولة في ذهن عدد من الشعراء ولاسيما شعراء اليمن ، فهذا حسان بن ثابت الانصاري يقول من قصيدة طويلة :

وأعد كان الناس تحت سيوفه خواهم بملك شامخ ليس يقهر (٢)

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١١٧

(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٢٥

وسار أسعد في فتوحه بجيش عظيم من القبائل اليمنية فقال فيهم :

سرتنا إلى الأعداء من أرضنا لم نك نرجو قتل القناصل
في جحفل كالليل من حمير قد حضروا بالأسل الذابل (١)

ونسب إلى أسعد الكامل أيضا افتخاره برجالته وما أشبهتوه من شجاعة في قوله :

برجال إذا هم ركبو الخيل حل وساروا في الجحفل الجمهور
تتهادى كأسد غاب عليها كل درع مسرد مشهور (٢)

ونجد البطل في فتوحه قد خرج من اليمن حتى وصل إلى الحيرة ، وخلف بها قوما من القبائل اليمنية التي أقامت هناك . وفي ذلك قال كعب بن جليل :

وغزا تبع في حمير حتى نزل الحيرة من أهل عدن (٣)

ثم توجه إلى الأنبار ، ثم إلى الموصل فأذربيجان . وهزم الترك والفرس والروم حتى وصل إلى أرض الهند والصين ، واقتصر بذلك في قوله :

والروم أدت خرجها مع فارس وأتت لنا بخراجها البلدان (٤)

ولاتنسى الأسطورة أيضا أن تلج بالملك إلى أرض الظلمات ، تلك الأرض المظلمة التي لا يرى فيها المرء سوى ليل حالك السواد لاحتجاب الشمس عنها .

ودخلت في الظلمات أعظم مدخل من حيث لا زرع ولا أوطان

وتكرر المصادر العربية والكتب التاريخية القديمة أخبار تلك الفتوحات وهم مفتونون بشجاعة الملك اليمني وقوة بأسه ، مع اختلاف كل رواية عن الأخرى اختلافًا طفيفًا ، مما يدل على وجود الصيغة الأسطورية سمة لأخبار تلك الفتوحات ، ولذلك اتسمت باختلاف الروايات ، ويتسلسل غير منطقي للفتوح ، مغلف بمبالغات الرواة وأهل الأخبار في نسب البطولات العجيبة للبطل الأسطوري كما مر بنا .

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٨

(٢) العمدة السابق ١٢٥

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٦١٢

(٤) ابن الديبع ، قرعة العينون ١ : ٢٧١

ج - لا يكتفي الراوي بإسباغ صفات الشجاعة والبطولة وقوة البأس ، ولكن يضيف على بطل الأسطورة صفات معنوية ، ظل العربي يفخر بها طويلا ، كصفات العروة والنخوة والكرم والصبر على الشدائد ونجدة الضعيف عند حاجته . ويفخر تبع بصفاته المعنوية وما كان عليه من خلق رفيع وخصال حسنة حين قال :

لست بالفاحش القطيع وليست
الصق الخدن ذا الصفاء هودي
شيمتي أن أكون باغ حمودا (١)
وأرمي العدو حتى يفيدا

وفخر تبع بصفاته ومكارمه فيقول :

سيدكر قومي نجدتي ومكارمي
بنيت لهم مجدا مع النجم سمكه
ويدخل باب العز من كان جاهلا (٢)
وصيرته للعالمين معاقلا

فجعل قومه يعززون ويفخرون بما حققه لهم من مجد وصيت طيب الذكر بين المحيطين به .

ولا ينس البطل أن يفخر بما يتسم به من شمائل وخصال حميدة تنم عن كرم المحتد في قوله :

سلي تخبري عن كل محض الشمائل
لتستيقني أنا أرومة معشر
وعن كل فياض اليديين مقاتل (٣)
كرام جدود من ملوك أفاضل

وينتصر بطل الأسطورة لامرأة من الشام تلجأ إليه شاكية مما حاق بها من ظلم بين قومها في الشام ، ولاتجد لدى ملك الشام أذنا صاغية لشكواها فتوجه إلى الملك اليمني أسعد الكامل الذي يعدها خيرا ، ويعد العدة لغزو القوم والانتقام لتلك المرأة التي أقبلت إليه مستنجدة مستغيثة . فقال في ذلك :

نحن نصرنا أم عمرو الشفا
نحن قتلنا عاقرا كبشها
ولم أكن عن نصرها خافل (٤)
وكان عن صولتنا غافل

وبلغت النظر أن تكون المرأة من الشام وألا تجد في ملك الشام نجدة وعونا لها ، فلا ينصف لها ممن ظلمها ، ونلمح في هذا الموضع من الأسطورة ظلال العصبية اليمنية ضد قيس ، فاليمن تستجيب لدعوة المظلوم ، في حين لاتنصفه الشام أو تأخذ

-
- (١) عميد بن شرية ، التيجان ٤٧١
(٢) المصدر السابق ٤٥٣
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣٣
(٤) المصدر السابق ١٣٠

بحقه ، وتأتي العرأة الشامية الى الملك اليميني الذي ينتصر لها ، وهي من البداية تقبل على ملك الشام ملوحة بوجود الملك اليميني الذي سينصفها اذا لم ينصفها ملك الشام . . وهكذا يتم انتصارها وحصولها على حقها المطلوب بعد أن قام الملك اليميني أسعد الكامل بغزو قومها والشار لها .

وفي سياق الحديث عن ذكر العصبية القحطانية لاتظهر في الأسطورة ضد قيس أو الشام فحسب ، ولكنها أيضا تتجلى ضد معد في قوله :

نحن ملكنا الأرض لم يعصنا	في الأرض من حاف ومن فاعل
سائل معدا عندها علمنا	وليس من يعلم كالجاهل (١)

فلم يجد الراوي شاهدا على ما حققوه من فتوح عظيمة سوى معد التي يحرصون على الوقوف أمامها موقف المنتصر الذي حقق أمجادا عظيمة ، وان كانت تلك الأمجاد غابرة أو قديمة ، فمازال الراوي يتذكرها ويصوغها ملاحم يتفنى بها ويطول بها على من حوله .

د - نجد بطل الأسطورة حكيما ، عارفا بعلم النجوم والفلك ، مسلما ، مؤمنا بالله ورسوله ، قبل ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ويعنى على ذلك نشوان ، ويضيف أن النبي (ص) قد نهى عن سبه (٢) ، ثم نقل ايمانه بالله ورسوله مستشهدا بالقول المنسوب اليه :

شهدت على أحمد أنه	رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره	لكنت وزيرا له وابن عم
والزمت طاعته كل من	على الأرض من عرب أو عجم

فلا يكتفي بالبشارة بالنبي (ص) ، ولكنه يتمنى لو مد الله في عمره ليكون عوننا له في نشر الدعوة الاسلامية .

ويروي عبيد بعد هذه الأبيات قوله :

فلو مد دهري الى دهره	لكنت وزيرا له وابن عم (٣)
وكننت ظهيرا على المشركين	أسقيهم كأس حرب وهم

وتلغت النظر عبارته (وكننت ظهيرا على المشركين) ، وهي تعبير اسلامي بحت .

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٩

(٢) المصدر لسابق ١٢٢

(٣) عبيد بن شربة ، التيجان ٤٦٨

ويذكر البطل الأنصار وما يكون من نصرتهم للرسول (ص) في يشرب حيث يذودون عنه أذى الخصوم ، وينذرون أنفسهم لنصرته ، فهم حماة المخلصون :

ولذاك النبي منا حماسة
معشرا وتروا بأحمد قدما
من يرامي عن دينه ويحامي
ببلاد النخيل والأطمام
كلهم ناصر ومن نصر الـ
حق أضاءت له فجاج الظلام (١)

ويمر أسعد بالببيت ويكسوه الانطاع المذهبة اليمانية ، ويطوف به مؤديا الشعائر الدينية ، وينحر الذبائح ، وفي ذلك يقول نشوان :

وكسى البنية شم قرب هديه
سبعين ألفا من بنات لقحاح (٢)

ويبدو ايمانه بأن كل شيء الى فناء ، مهما بلغ العمر في درجات المجد ومهما حقق من نصر وسوءدد ، فكل جديد الى بلى وكل ملك الى زوال ، نلمح هذه المعاني في قوله :

وعلمي بملكي سوف يبلى جديده
وملك جميع الناس يبلى وملكننا
ويرجع ملكا كاسف اللون ماخلا
على الدهر باق ذكره زائلا (٣)

ويستدرك بطل الأسطورة في حديثه عن زوال الملك وبلاده ، ويستثني ملكهم لما حققوه من منجزات عمرانية ، ويفهم معنى قوله والحكمة منه اذا عرفنا أنه قيل بعد الفخار بذكر ما شادوه من بناء سامق ، بعد الحديث عن قصور اليمن الشاسخات .

وينص البطل على ايمانه بفناء ملكه ، فهو لا يأمل في الخلود الذي لا مجال لنيله حين قال :

وصفا ملكنا لنا غير أني
لست أرجو مع الفناء خلودا (٤)

كما يؤمن البطل باستحالة الخلود لكل كائن حي ، فهو يعلم أن الحياة الى فناء والموت نهاية حتمية لجميع الكائنات (٥) :

من ذا الذي ورث ولم يمست
اني لأعلم في المواطن أنني
أم هل لحي في الحياة خلود
يوما سأهلك والحياة تبسدا

(١) عبید بن شریة ، التیجان ٤٧٠

(٢) نشوان الحمیري ، ملوک حمیر ١١٧

(٣) المصدر السابق ١٢٤

(٤) المصدر السابق ١٣٥

(٥) عبید بن شریة ، التیجان ٤٦٢

ومما يجدر ذكره أن التوحيد كان قد بدأ ينتشر في اليمن ، وظهرت الصيغة التوحيدية الأولى في نقوش وضعها ملككرب وولده أسعد وذرا أمر في ظفار^(١) .

وصور البطل أسعد الكامل حكيمًا ، ضمن الأشعار المنسوبة إليه معاني الحكمة والنظرة المعجزة في الحياة ، ولذلك عندما مرض وشعر بدنو أجله أوص ابنه حسانا بأهيات تجلت فيها الحكمة ، منها قوله :

واحذر صروف الزما فان بدا منها السرور فمالهن أمان
فلربما عز الذليل وربما ذل العزيز وهكذا الانسان

فهو يؤمن بتقلب الأحوال وما يمكن أن يحيق بالمرء من عز أو هوان يقلب حياته رأسا على عقب ، فلا أمان لصروف الزمان ، وكأنما خشي أن يصيب اليأس ابنه حسانا ، وأراد أن يهبث فيه روح الشجاعة والتفاؤل بتحقيق النصر ، فأردف يقول :

واعلم بني بأن كل قبيلة ستذل ان نهضت لها قحطان^(٢)

منكرا إياه بما كان للقبائل القحطانية من باع طويل في تحقيق النصر والسيادة والمجد . ثم يوصي ابنه حسان محذرا إياه من العجز والتواكل ، فعليه مهام جسيمة في تحمل العشاق والحفاظ على مآحقه الأسلاف ، يقول منها :

إياك يا حسان والعجز الذي يزرى بمثلك والعروض تصان^(٣)

ولا يكتفي الراوي بإسباغ تلك الصفات والشمائل على البطل الأسطوري ، ولكننا نجد به جمع تلك الخصال كلها في قوله "لم يكن قبل أسعد ولا بعده ملك مثله ، وسمي الكامل لكماله في أمر الدنيا والآخرة"^(٤) .

فليس بعد الكمال مرتبة يمكن أن يرتقي إليها بشر ، ولم يدخر الراوي وسعه في إيصال بطله الأسطوري إليها ، وتحليه بها .

وبعد الحديث عن بطل الأسطورة نعود إلى الخصائص الأخرى في هذه الأسطورة :

-
- (١) بتروفسكي ، ملحمة عن أسعد الكامل ٦٧
 - (٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير ١٣٥ ، وأنظر ابن الديبع قرة العيون ١: ٢٧١
 - (٣) السعداني ، الأكليل ٨ : ٢٢٤
 - (٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٣

٢ - تعلق في هذه الأسطورة نبوة الفخر ، ويزيد الاعتداد بقدرة القبائل القحطانية على تحقيق المعجزة والانتصار على من حولهم من القبائل الأخرى ويرمز إلى تلك القبائل بحمير في قول نشوان :

(١) فحمير سادات الملوك وخيرها وهم من قديم الدهر سادوا القبائل

ويفخر أسعد الكامل بقومه وما حققوه :

ألا أن قومي هم حمير
هم شرفوا المعجزة حتى انتهت
هم الأصل والعز والمفخر
فما نال بنيانهم معشر (٢)

ويفخر أسعد الكامل بانتشار ملكهم في الأرض منوها بشجاعتهم وشدة بأسهم على الأعداء في قوله :

قحطان أسد سادة يمنية
أنيابها القضب الحداد إذا هوت
غلب تهاب لقاءها الأقران (٣)
لقرينها ورماحها الأشطان (٤)

ويفخر الملك أسعد الكامل بنفسه ثم بجوده من الملوك الأوائل ، ويجلجل في حماسة بالغة متعاليا ، فيقول :

وانا أبوكرب وخالي ياسر
نحن الملوك بنو الملوك مقاول
ذو التاج ينعم وابنه شادان
ولنا أساس الملك والسلطان (٥)

ولا يكتفي أسعد الكامل بذلك الفخر وما حققه قومه من مجد ، ولكنه يحجب المعجزة عن غيره ، ويقصره على قومه الذين لم يبر مثلهم في الأرض ، فدانت لهم البلاد والعباد (بسر القنا والمرهفات الفواصل) ، في قوله :

حجبنا بناء المعجزة طرا فلم ندع
وطفنا بلاد الله طرا فلم نجد
أهونا الذي ساد البلاد وساسها
بما قد حجبنا من محل ونزال
ولم نر قوما مثل قومي الأفاضل
بسر القنا والمرهفات الفواصل (٥)

-
- (١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٢٣
(٢) عبيد بن شريعة ، التيجان ٤٥٨
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٣٥
(٤) المصدر السابق ١٣٦
(٥) المصدر السابق ١٣٤

وينساب افتخار الشاعر بقومه في صراحة مباشرة لا يجد في اثباتها حرجا أو صعوبة ، ويستشهد بسيادتهم للبلاد من حولهم .

وبعد أن افتخر الراوي أو الشاعر - في شخصية البطل - بما حققه قومه من مجد وسوءدد ، وما كانوا عليه من شجاعة وشدة بأس ، نجده يعرج على ما أنشأه قومه من عمران يثبت ماكانت عليه حضارتهم ، ويفخر بما أنشأوه ، وفي قصورهم شاهد على مصداق حديثه ، فقال :

أريك ذرى قحطان حيث ابتنى لها أبوها قصورا حكمت بالمجادل (١)

ثم يذكر قصر ريدان في ظفار ، وضمن أبياته وصف الجنات والسدود في أرض يحصب ، فقال :

وريدان قصري في ظفار ومنزلي بها أس جدي دورنا والمناهلا
عن الجنة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سدا يقذف الماء سائلا
مآثرنا في الأرض تصدق قولنا إذا ما طلبنا شاهدا ودلائلا (٢)

وأخذ يذكر قصورهم ومدنهم في نبرة يشوبها الفخر والاعتزاز ، وذلك في قوله :

وبينون مبهمة بالحديد وشهران قصر بناء السذي وأبوابها الساج والعرعر
ومارب قد نطقت بالرخام وفي يدها الذهب الأحمر
بناه بيمينون قد يشهر

ثم يعرج على ذكر غمدان الذي ملأت شهرته الأفاق في قوله :

وغمدان حصن لنا مشرف متأجله حوله تنهر (٣)

ويذكر أيضا عزهم في غمدان الذي كان في منعة القوم وحماهم :

فأمسيت في غمدان في خير محتد منيعا بها أسد الجدود المعاجلا (٤)

-
- (١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٢٣
(٢) المصدر السابق ١٢٤
(٣) عبيد بن شريفة ، التيجان ٤٦٠
(٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير ١٢٤

وعندما يشعر أسعد الكامل بدنو أجله يدعو لغمدان بطول البقاء والمنفعة
والحماية :

حميك ياغمدان من بعدنا ولست للتعطيل بمستاهل (١)

فيدعو للقصر بطول البقاء في عز ومنعة بعد رحيله ، طالما حرص القوم على توفير
الحماية له ، انه يدعو لغمدان بعدم التعطيل والخراب ، فهو لا يستحق أن تأتي
عليه تلك الحال ، بعد أن شهد أمجاد القوم وسيادتهم فيه .

٣ - كثر الشعر في هذه الأسطورة وجاوز كثرة الأشعار الموجودة في الأساطير
اليمنية الأخرى ، ولعل ذلك ما حدا بالباحث السوفيتي بتروفسكي الى تسمية كتابه
"ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل" ، ولو قدر لهذه الأشعار بعض التنسيق
والتقديم والتأخير ، مع طول النفس الشعري في بعض المواضع لوصلت اليها على نحو
لا يقل عما نجده لدى شعراء الاغريق في ملاحمهم المعروفة .

ولانستغرب كثرة الشعر في هذا النمط من الأساطير فالأمر متعلق بالشخصية
اليمنية ، والبطولة اليمنية حيث تعلو نبرة الفخر والاعتزاز ، واجترار الأمجاد
القديمة ، وليس كالشعر يودي مثل هذه المعاني ، ويستطيع الراوي أن يضمه
معانيه في سهولة ويسر كما نجد ذلك في العديد من أبيات الفخر والحماة .

ولاشك في أن هذه الأشعار منجولة لقائلها ، ولكننا لانحقق هنا في النسبة
الحقيقية لقائلي هذه الأشعار والأخبار ، ولكن تهمننا المادة الفنية التي كوئت
الأسطورة عموماً ، والشعر عمادها في هذا النوع من الأساطير ، وتهمننا المعاني
الانسانية التي تضمنها هذا الشعر ، وراويتها يماني سواء كان السابق أو اللاحق ،
فسمت الشعر يمنية ، واشبات يمنية الراوي في هذا النمط من الأشعار والأساطير
مسألة لا يختلف فيها اثنان كما لعسنا .

ونلاحظ غلبة الضعف والركاكة على بعض الأبيات المنسوبة الى بطل الأسطورة ،
واختلاف نفسها عن أبيات سابقة اتسمت ببعض الرصانة والجودة ، ويمكن أن نلفت
النظر الى بعض هذه الأبيات التي يظهر فيها علم الملك اليمني بالنجوم ، فيبدأ
البيت بلفظة "شم" في عدد من الأبيات ، واذا عدل عنها يعود اليها ثانية ، على
نحو يقرب بها من اللغة العامية . . كقوله :

شم بالفرغ مقدم الدلو صرنا بعد ايغالنا بخير العصير (٢)

(١) انظر البحث ص ٢٨٦

(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٦ - ١٢٧

ولاترقى رايته هذه الى قوة النفس الشعري الذي نلمسه في لاميته حين
يبدأها :
أنعم صباحا أسعد الكامل يا ناقما بالشار والتابل (١)

ومن الواضح اختلاف النفس الشعري في القصيدتين ، واختلاف مستوى جودته
وتعبيره عن المعاني ، مما يدلنا على أن القصيدتين لم ينظمهما شاعر واحد ، على
الرغم من نسبة الراوي للقصيدتين الى بطل الأسطورة الملك اليماني أسعد الكامل ،
وهذا شأن الأساطير في حياة القوم ، حيث يظل اللاحق يضيف الى مارواه السابق ،
وعند التدوين تحتشد الروايات والمنظومات في ذهن الراوي ليصوغها لنا كما وصلت
اليه ، أو كما استطاع اخراجها من مخزون ذاكرته ، وربما كان الراوي شاعرا كما
كان حال نشوان ، فيجد في المجال - حينئذ - متسعاً للدلاء بدلوه ، والافصاح عما
تجيش به نفسه للمشاركة في الملحمة القومية لقومه ، لاسيما وأنه يماني ، تحرك
مثل تلك الروايات نوازع القول في نفسه ، فيندفع الى التنظيم والرواية حول مايعن
له عرضه من حوادث وشخصيات ، ويضمنها آراءه ونظراته ومشاعره تجاه الأخبار
القديمة ، لتصل اليها سجلا حافلا بالفخر والاثارة باليمن ، وماحققه اليمانيون في
الأزمان الغابرة .

٤ - يعميل الراوي في هذه الأسطورة الى استخدام الرموز الواضحة المفسرة ،
ويتمثل ذلك في الاستعانة بالجنيات الثلاث ، وحكاية أسعد الكامل معهن ، فكل خطوة
خطونها معه بعدها الراوي رمزا لتحقيق شيء ، من ذلك سقوط الحمار به واصابة
عظامه بالرضوض ، وفراش الابر الذي اضجع عليه ، والاسقية التي اختلط بها الدم
بالخمر . . كل تلك الأمور جعلها الراوي مظاهر ورموزا تفسر بقوة الاحتمال والصبر
على الشدائد والمكاره وعدم الخوف وتهيب المعارك ، فكانت رموزا واضحة أوجد
تفسيرها سريعا على لسان الجنيات أنفسهن .

ومثل ذلك في ذهاب حسان الى تابعة من الجن قد أحاله أبوه أسعد الكامل
اليها ، وصدرت منها أمور حار حسان في تفسيرها ، ورفض الامتثال لها ، فرفض
العود على كرسي عليه من الدود والحيات والعقارب ، كما رفض أكل الروءوس وشرب
الدماء ، ونجد تفسير هذه الرموز التي لجأت اليها الجنية مع حسان على لسان
أبيه عندما عاد وأخبره بما حدث له معها ، فلامه وأفصح له عن تفسيرها وتوضيحها
كما مر بنا .

ونلاحظ أن الراوي يستخدم تلك الرموز التي لاتخفي طويلا على السامع ،
فتفسر في سياق الأسطورة بوضوح جلي ، مرة على لسان الجنيات الثلاث ، ومرة على
لسان أسعد الكامل نفسه في وصيته لابنه ، ولعل الراوي لجأ الى هذه الرموز

للتمثيل وتجسيد معانيه ليقترب مضمونها الى ذهن السامع ، وليحسن تمثيلها في نفسه
تمثلا واعيا مدركا لحقيقة مدلولاتها ، فعمد الراوي بهذا التمثيل الى الایجاز ،
وأغناه ذلك التصوير عن تدهيج الصفحات الطوال في إيصال معانيه الى السامع
واقناعه بها ، إضافة الى حاجة الأسطورة الى جو الغرابة والكائنات الخفية
(الجن) ، وما تأتيه تلك الكائنات من تصرفات يعلو فهمها عن مستوى افهام العامة
من الناس ، ولا يتجلى ادراكها الا لمن أوتي حظا من الذكاء والحكمة والعلم
كالملك اليميني أسعد الكامل .

ه - تجلت في هذه الأسطورة المعاني الاسلامية المختلفة ، مما يجعلنا نجزم بأن
روايتها كاملة تمت بعد الاسلام ، بل أن نشوء فكرتها لم يظهر الا بعد ورود ذكر
تبع في القرآن الكريم ، وفتن رواة اليمن بشخصية الملك اليميني فجعلوه تبعا
المذكور في القرآن الكريم ، وكعادتهم - دوما - أوجدوا المطابقة بين الشخصيتين
وهكذا تحول أسعد الى شخصية مذكورة في القرآن ، وذلك لشهرته وما كان له في
القلوب من ذكرى حسنة عن القوم ، متلمسين بذلك الصلات بين ملوكهم القدماء
والشخصيات المذكورة في القرآن كما لمسنا ذلك في أسطورة ذي القرنين .

ونلمس المعاني الاسلامية في مواضيع متعددة من هذه الأسطورة ، فننظر الى
ذلك الآتي الى الحارث الرائش وهو في كهف في جبل ، ويخاطبه في أبيات ضمنها
المعاني الاسلامية ، ونجده يذكر صروف القدر في الانسان ، وعدم نجاة الانسان مما
كتب له في قوله :

الدهر يأتيك بالعجائب والأيب	يام والدهر فيه معتبر
بينما ترى الشمل فيه مجتمعا	فرّقه في صروفه القدر
لاتنفع المرء فيه حيلته	مما سيلقى يوما ولا الخدر (١)

ويختتم قصيدته نفسها بالحمد لله تعالى الذي له البقاء وحده - كعادة شعراء
اليمن المتأخرين - ويضعنها ذكره لعدد من أسماء الله الحسنى ، في قوله :

انا وجدنا هذا يكون معا	في علمنا والمليك مقتدر
والحمد لله والبقاء له	كل الى ذي الجلال مقتدر (٢)

وورد على لسان أسعد ذكر عدد من أسماء الله الحسنى في هذا البيت :

ثم بالعون للأعادي نزلنا فضا الواحد القدير الكبير (٣)

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١١٩

(٢) المصدر السابق ١٢١

(٣) المصدر السابق ١٢٦

ويورد ذكر بعض أسماء الله الحسنى أيضا في قوله :

(١) لم تنزل حمير لها الفضل في الناس عطاء من واهب فنان

كما جاء على لسانه أيضا :

أثنى على الله بالآلته الواحد المقتدر الفاعل
في كل ما أولاه من أجل وكل ما أعطاه من عاجل (٢)

فهو يحمد الله في كل ماسنه وقضاه من عاجل أو آجل ، ويظهر في قوله الايمان العميق بإرادة الله وحق قضائه ، ثم يشهد الله على ما حققه قومه ، فهو خير شهيد في قوله :

(٣) ان قومي هم الملوك بحق شهد الله وهو خير شهيد (٤)

ونقرأ على لسان تبع أبياتا ضمنها تأييده للنبي (ص) ، واختتم الأبيات بعبارات وألقاب للرسول (ص) ورد ذكرها بعد نزول القرآن بمدة ، وذلك في قوله :

وهو أحمد سيد المرسلين وأمة أحمد خير الأمم
هو المصطفى وأخو المرتضى وأكرم من حملته قدم (٤)

وحرص الراوي على أن يجعل الملك اليميني مؤمنا مسلما كما نص على ذلك صراحة ، بل نص أن ايمانه بالله كان بعد ضلال وطول عماية فقال :

(٥) وعرفت ربي بعد طول عماية أو بان لي من منه البرهان

فقد شهد أسعد برهان ربه ساطعا ، لا يقبل الشك فكان ايمانه الوثيق به .

وكان يحرص على ايمان القوم بالله بعد فتحه البلاد ، كما جاء على لسانه :

(٦) فملكتم أرض الروم أحسن بلدة ومضى هرقل وأسلم الطيبان

-
- (١) عبید بن شریة ، التیجان ٤٧٣
(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٢٨
(٣) عبید بن شریة ، التیجان ٤٥٧
(٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٢٢
(٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٢٤ (تحقيق فارس)
(٦) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٣٥

فأصبحت أرض الروم مسلعة بعد أن أخضع الطليان ومضى هرقل ، وتذكرنا هذه الرواية بأسطورة ذي القرنين وشبه فتوحاته للفتوحات الاسلامية المتأخرة .

واسلامه ينطوي على ايمانه بفناء الكون والبقاء لله وحده ، في قوله :

كل ملك يفنى سوى ملك ربي فله ملكنا حميدا مجيدا (١)

ويؤمن أسعد الكامل بأن الموت نهاية حتمية للعباد ، فلا يخلد أحد من الناس ، ولا ينكر الموت اذا حان مواعده ، ولا بد من تنفيذ القدر :

فان يفن قومي مناياهم وماتوا جميعا فلا أخسر
فكل يموت كذاك العباد ولا بد من قدر يقدر
فلا الناس لو عمروا يخلدون ولا الموت من ربنا ينكر (٢)

ولا يكتفي الشاعر بالاعتراف بحتمية الموت ، ولكنه يعلم بيوم الحساب ، فتحقق النجاة للمتقين ، عبر عن ذلك المعنى الاسلامي في قوله :

فاعلم بأنك ميت ومحاسب يوما فينجو متق وسعيد (٣)

ويذكر مآل الأحياء الى التراب ، ثم يذكر يوم البعث حين تبعث العظام وهي رميم ، ويعرض بما أعد الله للكافرين من عقاب وعذاب في النار في قوله :

نموت ونترك الدنيا لقوم ونصبح بعد جدتنا ترابا
فيبعثنا وقد كنا رميما فيخلقنا وقد نخرت صلابا
وينشرها فيكسوها لحوما ويبعثنا كما كنا شهابا
أعد الله للكفار نارا أحاط بهم سرادقها عذابا (٤)

وهو يخاف تلك النار التي أعدها الله للكافرين ، لذلك قال في احدى قصائده أنه أتبل على زيارة البيت وكسوة الكعبة رغبة في التقرب من الله ورجاء عفوه ، وخوفا من عذاب جهنم وحرها ، في قوله :

أرجو بذلك عند ربي زلفة وحذار حرق جحيم موقد (٥)

-
- (١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٣٢
(٢) عبيد بن شريفة ، التيجان ٤٦٠
(٣) المصدر السابق ، ٤٦٣
(٤) المصدر السابق ، ٤٩٢
(٥) المصدر السابق ، ٤٦٧

ثم يفصل القول فيما يلقاه الكافر الشقي من عذاب على يد حراس شداد في جهنم ، فيقول :

إذا قرنوا الشقي وصار فيها
علوه بالمقامع ثم غابها
وصبوا فوق رؤوسهم حميماً
وأسقوهم وكان لهم شراباً^١

ونلاحظ اقتباس الشاعر لمعاني وألفاظ بعض الآيات القرآنية الكريمة في تعبيره عن معانيه ومدلولاته . وقد جاء في حديثه تعالى عن حال الطاغية في جهنم "لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ، إلا حميماً وغساقاً"^(١)

ويثبت الراوي إيمان الملك بالله واتباع تعاليمه بطوافه وتأديته المناسك الدينية من طواف وسجود ونحر أضيحة^(٢) ، وهو أيضاً يكسو البيت الأنطاع اليمينية المذهبية ، ويحرص على تأدية الحج خشية من العقاب ، وللظفر برحمة الرحمن ، في قوله :

وكسوت بيت الله أعظم كسوة
حذر العقاب ويرحم الرحمن^(٣)

ويذكر الراوي على لسان البطل كيف خلق الله سبع سموات عظام ، تزينها النجوم كالمصابيح المضيئة ، ليهتدي الناس بنورها :

أنهبوا للذي وضع الكتابها
وسوى دونه سبعاً صلاباً
فسواهن سبعاً مشرفات
عظاماً حين تنظرها وعاباً
وزين هذه الدنيا نجومها
تنائر عند مغربها أنصابها
مصابيحاً يفتن بكل أفق
هدى للناس تنسروا انسابها^(٤)

وتذكرنا أبيات الشاعر بما جاء في مستهل سورة الملك ، في قوله تعالى "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق سبع سموات طباقاً ، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور"^(٥) ثم في قوله تعالى في السورة نفسها "ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوماً للشياطين ، وأعدنا لهم عذاب العسير"^(٦) .

-
- (١) سورة النبأ ، الآيات ٢٤ ، ٢٥
 - (٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٣٤
 - (٣) المصدر السابق ، ١٣٦
 - (٤) عبید بن شریة ، التيجان ٤٩٢
 - (٥) سورة الملك ، الآيات ١ - ٣
 - (٦) سورة الملك ، الآية ٥

ثم يستمر الشاعر في القصيدة نفسها يناجي ربه معترفا بعلوه الذي لا يعلو عليه شيء ، ويعترف بعلمه الغيب والأسرار في قوله :

علوت فليس فوقك رب شيء وما شيء يدانيك اقترابا
علمت الغيب والأسرار منا وتعلم من أساء ومن أتانا

وقد وردت هذه المعاني في القرآن الكريم ، في العديد من الآيات الكريمة ، كما وجدنا في التوراة في سفر دانيال تأكيد صفة عالم الأسرار في "يوجد اله في السموات كاشف الأسرار" ، ويخاطب دانيال الملك بقوله "وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون..." (١)

٦ - الأثر الديني الآخر :

لقد وضح الاهتمام بموضوع المصير في الأشعار السائدة في هذه الأسطورة ، ويقصد به مصير الإنسانية عامة ، وارتباط ذلك بموضوع القدرة ، وقد عكست هذا الاهتمام أكثر من قصيدة نسبت الى بطل الأسطورة ، أسعد الكامل ، وأظهر بتروفسكي تطابق الزمن والمصير في هذه الأشعار ، مرجعا هذا التطابق الى تأثير التفكير والتصورات الإيرانية المأخوذة عن زورقان (الاب) واهورامزدا وانفرومانيا واله الأبدية والمصير ، الذي انتشرت عبادته في المملكة الساسانية كثيرا . (٢)

وأستبعد ذلك التشابه والتأثر بالمجوسية ، ولماذا نذهب بعيدا ونشتط القول ونحن نعلم أن هذه الملحمة قد كتبت بعد الاسلام ، واتخذت روايتها الشكل النهائي بعد ظهور الاسلام ، وهذا يعني معرفة القوم للكثير من المعاني ومدلولاتها من الألفاظ فيما يخص القدر والمصير المحتوم والغناء والحساب والعقاب ويوم البعث والنشور ، كما لاحظنا ذلك في ظهور المعاني الاسلامية البارزة في الأشعار المنسوبة الى بطل الأسطورة .

والباحث نفسه يعترف في موضع آخر من كتابه أن الجزء الأعظم من الملحمة عن أسعد الكامل قد تشكل في فترة نهاية النصف الأول للقرن السابع والنصف الثاني للقرن الثامن الميلادي (٣) . وذلك يعني تكوينها بعد ظهور الاسلام بعدة تجاوز القرن .

(١) التوراة ، سفر دانيال ، الاصحاح الثاني ، الآيات ٢٨ - ٢٩

(٢) بتروفسكي ، ملحمة عن أسعد الكامل ٩١

(٣) المصدر السابق ٩٩

وفي الواقع نلمح في الأشعار المنسوبة الى البطل الأسطوري الأثر اليهودي في أكثر من موضع ، ولانستغرب ذلك فاليهودية في اليمن لها جذور ثقافية لدى رواة اليمن وبعضهم قد كان من يهود أو متهودة اليمن من مثل كعب الأحبار .

كما نتبين الأثر اليهودي في بعض أحداث الأسطورة ، فقد عرفنا في سياق الأسطورة رواية تجعل بطل الأسطورة هو تبع الذي أحضر الحبرين معاً من يثرب الى اليمن ، ونصحه باتباع اليهودية فاتبعها ، وحث قومه على اتباعها ، وثبت الحبران أمام النار التي حاكمهما اليها أهل اليمن . وحتى تكملة الحكاية كما عرفنا ذلك عند دخول الديانة اليهودية الى اليمن . كما كان الحبران هما اللذان نصحا تبعاً بزيارة الكعبة عندما مرض ، فقام بما قام به من زيارة الكعبة وكسوتها ونحر الذبائح ، فثبتت ايمانه بالله . ونجد في سفر دانيال تجربة شبيهة بما مر به الحبران أثناء تعرضهما للنار دون أن تصيبهما بأذى ، فقد تعرض حكماهما باهل للنار التي نصبا لهم نبوخذ نصر ولكنها لم تمسهم بسوء لايمانهم بالله . (١)

فالتأثير اليهودي بارز في هذه الحكاية التي يدرجها بعض الرواة في أسطورة أسعد الكامل ، وينص آخرون أنه ليس هو المقصود وإنما أحد أحفاده اللاحقين من التبابعة ، كما أسلفنا .

ويلمح الأثر اليهودي في بعض الأشعار المنسوبة الى بطل الأسطورة فنسب الرواة اليه قوله في معرض الفخر :

قد كتبنا مساندا في ظفار وكتبنا أيماننا في الزبور (٢)
والزبور من كتب العهد القديم .

ونسب الرواة قصيدة الى أسعد الكامل يفخر فيها بما حققت لهم القبائل القحطانية في البناء والعمران ، وذكر في أحد أبياتها داود ، وهو أحد أنبياء بني اسرائيل في مزامير العهد القديم ، قال تبع :

جعلتها سراة قحطان حضنا ورثوا صنعهم من داود (٣)

ويذكره أيضا في قوله :

حشو الحرير لباسنا في أهلنا من نسج دواد النبي ونسجنا
ولباسنا يوم الهياج حديد نسج يشد قتيرها المسرود (٤)

(١) سفر دانيال ، الاصحاح الثالث

(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٨

(٣) عبيد بن شريفة ، التيجان ٤٥٧

(٤) المصدر السابق ، ٤٦٢

لقد كنى الشاعر عن الشجاعة والقوة بنسبة النسيج الحديد أو الدروع الحديدية الى داود ، وجعل قومه يشاركون داود امتلاك صفات القوة وشدة البأس (من نسج داود النبي ونسجنا) .

قصر غمدان

لقد أولع رواة اليمن بذكر مآثره التاريخية ، وظلوا يمتحنون طويلا مما شاده قدماء قومهم من بناء وعمران ، متخذين من أخبار تلك المنشآت العمرانية شاهدا ودليلا على حال ملوكهم القدماء من حضارة وتقدم معماري ، فأنجزوا السدود العظيمة والقصور الشامخة التي طالوا بها في الأزمان الغابرة وظل روايتهم على مر العصور يرددون أخبار تلك المنجزات العمرانية ، وما كانت عليه من عظمة وفخامة وأحاطوها - كعادتهم - بقدر كبير من حكاياتهم الأسطورية ، وحرصوا على ملء تلك الحكايات بالأشعار المتضمنة حسراتهم وأسفهم على ماض زاهر قد ولى واندر ، متخذين من حال قدمائهم عظة وعبرة في تقلب الحال اذا قضى الله أمرا كان مفعولا مستشدين بزوال تلك القصور بعد وقتها الشامخة في يوم ما ، وفي كل ذلك تشوب أشعارهم نبرة الفخر والاعتزاز بما حققه قدماءهم وما شادوه .

ولم يقتصر اهتمام الرواة على الشخصيات اليمنية وملوك اليمن القدماء ، ولكنهم اهتموا أيضا بأخبار قصورهم الشامخة ومبانيهم العظيمة ، وكما أحاطوا قدماءهم بالأساطير والحكايات ، فهم أيضا أحاطوا تلك المباني والقصور بالحكايات الطريفة والقصص الأسطورية .

ونقل نشوان الحميري أبياتا للشاعر الربيع بن ضبع الغزاري ذكر فيها عددا من قصور اليمن ، حين قال :

وغمدان اذ غمدان لا قصر مثله	زها ١ وتشهدا يحاذي الكواكب
ومارب اذ كانت وأملاك مارب	توافي جباة الصين بالخارج ماربها
وأصحاب بينون وأصحاب ناعط	خلا ملكهم منهم وأصبح عازبا (١)

فذكر الشاعر - الى جانب قصر غمدان المشهور - عددا من قصور اليمن كقصر بينون وقصر ناعط ، كما أشار الى ما شادوه في مارب ، ويقصد بذلك السدود العظيمة ، ولايكاد الشاعر ينتهي من ذكر القصور وأصحابها حتى يأتي على ذكر زوال ملكهم وظلوا الدار الشامخات منهم . وهذا الشاعر دعبل بن علي يذكر ما كان عليه غمدان وبعض قصور اليمن في قوله :

منازل العز غمدان والسفد فمارب فظفار الملك فالجند (٢)

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ٢٢
(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥١ (تحقيق فارس)

ويذكر الهمداني مدن اليمن العجيبة وقصورها الغضة مشيرا الى منعتهما وعزتها في كنف ملوكها ، فأصبحت منهم خلا ، بعد زوالهم ، فقال :

ابن الذين بنوا غمدان واحتفدوا	ضهروا وناعطا الامي الذرى شاس
من دون كاهله بيض الأنوف فلم	يلم ذو حيد منه بفرناس
وماربا بالرخام المستزاد له	والقطر منه بأكراس وأكراس
ومن بني ارما ذات العماد ومن	براقش ومعين رب قنعاس
واين ساكن بنيون وعامرهما	أمسا ودائع صفاح وأرماس (١)

فالهمداني يمني يتحسر على من خلف تلك المدن وشاد تلك القصور ، بعد أن أصبح هو^٢ من ساكني القبور .

وقد عرف الشاعر اليمني أبو^٣علكم المراني من همدان بأشعاره التي تذكر مواضع في اليمن وتمجد قصورها ، قال من قصيدة له مفتخرا :

وفي ظفار بنت آباؤنا عرفنا	في كوكبان وقصر الملك ريداننا
وقصر بينون علاه وشيده	ذو الفخر عمرو وسوى قصر غمداننا (٢)

وعمر هو الذي دعاه نشوان بعمرو ذي غمدان بن الي شرح بن يحضب ، وذكر أنه الذي بنى قصر غمدان بعد بناه الأول^٤ ، ويبدو أن قصر غمدان كغيره من البناء الشامخ يظل الملوك اللاحق يبنون على ما بدأه السابق ليبقى عبر العصور والأزمنة .

ونكر ابن اسحاق من قصور اليمن غمدان ، وبينون وسلحين ، مشيدا بعظمتها وتفردتها ، وقيل ان الحبشة هدمت سلحين وبينون فقال في ذلك ، شاعر من حمير :

أو ما رأيت وكل شيء هالك	بينون خادوية كأن لم تعمر
أو ما رأيت وكل شيء هالك	سلحين خاوية كظهر الاديبر

فأظهر الشاعر حسرتة على ما وصلت اليه الحال ، وعبر عن تلك الحسرة في أس المتعظ المعتمر بما تتقلب عنه الأيام ، ويظل الشاعر يبكي قومه وما آلت اليه حال قصوره بعد أن اقفرت من ساكنيها :

-
- (١) الهمداني ، الأكليل ٢٩ : ٨
 - (٢) المصدر السابق ١٠٩ : ٨
 - (٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٦٨

أو مناسمت بحمير وقصورها
فأبكيهم أما بكيت لمعشر
أمست معظلة مساكن حمير
لله درك حمير من معشر (١)

وروى عبيد بن شربة الجهمي أبياتا منسوبة الى تبع ، يذكر فيها تنقلهم
بين مناطق اليمن المختلفة متخذين من قصورهم مستراحا لهم ومنتجعا وقت خلودهم
الى الراحة ، فقال :

كفرنا بمنزلنا من ظفار
فكر الى النقع يدعى له
وماهكر من ديار الملوك
وبينون مبهمه بالحديد
وشهران قصر بناء السذي
ومارب قد نطقت بالرخام
ومازال ساكنها يظفر
فهو بأبوابه أبصر
بدار هوان ولا الأهجر
وأبوابها الساج والعرعر
بناءه ببينون قد يشهر
وفي يدها الذهب الأحمر

ولا يمكن أن يذكر شاعر قصور اليمن دون أن يذكر على رأسها قصر غمدان ، لذا اختتم
به الشاعر ذكر قصور اليمن حين قال :

وغمدان حصن لنا مشرف
مأجله حوله تنهر (٢)

وهكذا لا يبدأ شاعر ذكر قصور اليمن دون أن يبدأ أو يختتم شعره بذكر قصر
غمدان .

وفي الواقع لم يظفر قصر في التاريخ العربي بالشهرة التي ظفر بها قصر
غمدان في اليمن ، ولم يحظ قصر بمثل ما حظي به "غمدان" من حكايات وأساطير ،
ولانستغرب ذلك والأمر متعلق برواة اليمن وطريقتهم في التعبير عن ازدهار الحضارة
اليمنية القديمة ، وقبل الدخول الى عالم الأسطورة نعرض بغمدان الحقيقة
التاريخية .

فغمدان من أشهر قصور اليمن في صنعاء ، وكان ممتدا شرقا من شرق الجامع
الكبير الى حد مسجد الحميدي المعمور الآن ، كما يظهر من بعض وثائق الوقف (٣)
القديمة ، وفي الطول من الجنوب من قرب باب اليمن ، الى حد مسجد الشهداء .

ويتفق البكري وياقوت الحموي على أن "غمدان" بضم أول واسكان ثانيه " (٤)
.

-
- (١) عبيد بن شربة ، التيجان ٣١٣
(٢) المصدر السابق ، ٤٦٠
(٣) السياقي ، معالم الآثار اليمنية ١١
(٤) البكري ، معجم ما استعجم ٣ : ١٠٢ / ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ : ٢١٠

وقد كان قصر غمدان سكنا لملوك اليمن في صنعاء في الأزمان القديمة وتذكر ذلك المصادر العربية التاريخية ، كما روى ذلك وهب بن منبه وعبيد بن شربة في تاريخهم القصي عن ملوك اليمن القدماء ، وكان أحدهم التبع أسعد الكامل ، فكان غمدان هو القصر التاريخي في صنعاء ، ونسب الى التبع أسعد الكامل قوله مفتخرا به :

وغمدان قصر لنا شرف
وكان معسكرنا دائما
مأجلة حوله تزفر^(١)
أزال وعسكره عسكر^(٢)

ونسب الى التبع أسعد الكامل قصيدة طويلة يفخر في بعض أبياتها بغمدان ، ويدعو له بالخير والبقاء ، ويصف بناء قصر غمدان ، وما تضمنه القصر من ثروة ومال ، حين قال :

حميك يا غمدان من بعدنا
نحن رفعنا علو أجره
ومن زجاج فوقه خلوة
أبصارها للناس عليّة
حميك يا غمدان من بعدنا
فيه ثمانون من أموالنا
الفلجام فيه من مذهب
الفلجام فيه من عسجد
ولست للتعطيل بمستاهل^(٣)
بألف ألف عدها القائل
خضراء مثل القضة البائل^(٤)
لا شارب فيها ولا أكسل
حميك يا غيمان والماجل
كيلا وألغا ذهب حاصل
لألف مهر أدهم صاهل
أيضا لألفي مهرة حامل^(٥)

وعندما قربت وفاة التبع أسعد الكامل نصح ابنه للذهاب الى التابعة في الجبل لاستشارتها ، فأخذ يوضح له طريقه ، فنذكر غمدان الذي كان مسكنهم :

وسر يميننا من قصر غمدان قاصدا
الى دافع ذي الماء سل فتخير^(٦)

كما أخذ التبع ينصح ابنه حسانا في وصية طويلة شعرا ، قال فيها يفخر بأسلافه الذين بنوا غمدان :

جدي المتوج عبد شمس ذو العلا
شيخ الملوك ومحتدي غمدان^(٧)

-
- (١) المأجل : جمع مأجل وهو كالسد ، وقوله تزفر من زفر الماء : كثر واضطرب
(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٦ (تحقيق الأكوغ)
(٣) حميك : حميك ، وإبدال التاء كافا لهجة حميرية قديمة لازالت لها بقية اليوم
(٤) القضة : الشجرة التي طالت واسترسلت أغصانها
(٥) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٣١
(٦) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٩
(٧) المصدر السابق ٨ : ٢٢٤

كما سكن غمدان ابنه حسان ، فقال علقمة بن ذي جدن يفخر بملوكه
القدماء :

قد كان حسان في ذؤا
يخدمه من سراة حمير
ان سارت ساروا حواليه صفي
بنة غمدان قريرا بعيش رغدا
الغان قهاما لن يقعدوا ابدا
من لا يبعدن اذا بعدا (١)

وكان غمدان موطن الملك اليميني مرشد الخير ، فعبر عن ذلك شاعر من حمير
بقوله :

وكان لنا غمدان أرضا نحلبها
دفاعا وفيها ربنا الخير مرشد (٢)

كما ذكر ا لشاعر النعمان بن الأسود في رثائه بلقيس ابنة الهمداني ان
غمدان كان مستقرها عندما وفد الى اليمن هدهد سليمان ، فقال في ذلك :

هدهد من طيور أرض شام
باقتضاء الهدى على ملك بلقيس
فرمى في الهوا على العرش نور
بغمدان ان اتاهما النذير (٣)

وروى الهمداني ان الملك تبع صيفي بن شمر برعش قد ولي أهل اليمن واقام
بغمدان عشرين سنة . (٤)

وهكذا ردد الرواة والشعراء ارتباط ملوك اليمن القدماء بغمدان ، حيث
كان مستقرهم . فكان غمدان قصر التباينة الذي ظل الرواة يفخرون به طويلا ،
فذكره أبو علكم المراني من همدان في قصيدة ذكر فيها عدة مواضع في اليمن ،
فقال الشاعر مفتخرا :

نحن المقاول والأملك قد علمت
أهل المواشي بأننا أهل غمدانا (٥)

وسكن غمدان آخر ملوك اليمن القدماء سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على
الأبشاش ، فعبر عن ذلك أمية بن أبي الصلت :

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا
في رأس غمدان دارا منك محلا (٦)

-
- (١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٧
(٢) المصدر السابق ٨ : ١٣ (تحقيق فارس)
(٣) المصدر السابق ٨ : ٢٠٥
(٤) المصدر السابق ٨ : ٢١٦
(٥) المصدر السابق ٨ : ١٧٨
(٦) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٢٩

حين أقبل في وفد قريش القادم من شمالي الجزيرة لتهنئة الملك اليمني بالانتصار على الحبشة . وذكر ابن دريد انتصار سيف وسكنه غمدان قاتلا :

وسيف استعلت به همته
فجرع الاجيوش سما ناقعا
حتى رمى أبعد شأو المرتضى
واحتل من غمدان محراب الدمى (١)

وحرص رواة اليمن على أن يجعلوا قصر غمدان موقفا في القدم ، لأن ذلك يسهل لهم الانطلاق بخيالهم في التحليق بين الأمم القديمة البائدة ليختاروا منها ما خلا لهم اختياره من شخصيات قديمة جعلوا لها ارتباطا ببناء قصر غمدان ، ولذلك اختلف الرواة - كعادتهم - عن بني غمدان ، فاكتنفت رواياتهم الأساطير . فروى النويري أن بانيه حام بن نوح ، وزعم آخرون أن بيوراسب بناه على اسم الزهرة ، وقال ابن هشام ان الذي أسسه يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده وائل بن حمير بن سبا ابن يعرب (٢) . كما روي أن مؤسسه أزال بن قحطان بأمر أخيه يعرب (٣) .

أما الهمداني فقد وصفه بالقدم ، وجعل بانيه سام بن نوح ، وسرد قصة عجيبة لبنائه ، فقد ارتاد سام بن نوح البلاد ، فوجد اليمن أطيب سكونا فوضع مقراته (٤) ، وطار بها طائر ، وتبعه سام لينظر أين وقع ، فأم بها الى جيوب (٥) ، وطرحها على حرق غمدان ، فعلم سام أنه قد أمر بالبناء هناك ، فأسس غمدان (٦) .

ولذلك قال الهمداني مفتخرا بالقصر الذي جعله يفاهي جنة الفردوس :

ما زال سام يرد الأرض مطلبها
حتى تبوأ غمدانا وشيدها
للطيب خير بقاع الأرض يهنيها
عشرين سقفا بناغي النجم عاليها
فان تكن جنة الفردوس عالية
فوق السماء فغمدان يحاذيها
وان تكن فوق وجه الأرض قد خلقت
فذاك بالقرب منها أو يصاليها (٨)

وسمع الهمداني جماعة من العراق يصفون بغداد وجمالها ، فخاطبهم مفتخرا بغمدان الذي اختار سام اليمن لبنائه فيها حيث وجد الطقس الجميل المعتدل ، فلا يملون من حر الصيف ولا يعبئون من زهبرير الشتاء ، قال لهم الهمداني :

- (١) التبريزي ، شرح مقصورة ابن دريد ٤٤
- (٢) النويري ، نهاية الارب ١ : ٣٧٠
- (٣) الألوسي ، بلوغ الارب ١ : ٢٠٤
- (٤) المقرانة : الخيط الذي به البناء
- (٥) الجيوب : ما ارتفع عن الارض ودون الهضبة
- (٦) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٤
- (٧) المصدر السابق ٨ : ٤٦
- (٨) يصاليها : لغة يمنية فصحة بمعنى مقابل

أرض تخيرها سام وأوطنها
أم العيون فلا عين تقدمها
وأس غمدان فيها بعدما احتفرا
ولا علا حجر من قبله حجرا
ولا الشتاء يمسها إذا اقتصرا (١)

أما ياقوت فروى أن بنانيه سليمان بن داود الذي أمر الشياطين فبنوا
لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء وهي غمدان وسلحين وبينون ، وفيها يقول الشاعر :

هل بعد غمدان أو سلحين من أثر أو بعد بينون بيني الناس أبياتا ؟ (٢)

وروى الألوسي أن بنانيه الملك اليعمني الي شرح ، فلما فرغ من بناه قال
فيه شعرا بالحميرية لم يحفظ منه الا هذا البيت (٣) :

اني أنا القيل الي شرح
حصنك غمدان بمهمات (٤)

كما نكر هذه الرواية الهمداني حيث ذكر رواية من يقول ان بنانيه الملك اليعمني
الي شرح يحصب ، وروى أبياتا نسبت لأمية بن أبي الصلت ، وقيل أنشدها أمام سيف
ابن ذي يزن ، فقال بعد ذكر غمدان (٥) :

قصر بناه أبوك القيل ذو شرح
فهل يرى أحد نال الذي نالا

وتزيد الرواة في وصف غمدان وإبراز عظمتها ، فقول أنه كان مربعا ، أركانه
مبنية بالرخام الملون ، فوجه مبني بحجارة بيض ووجه بحجارة سود ، ووجه بحجارة
خضر ووجه بحجارة حمراء ، وكان يتكون من سبعة صفوف طباقا ، ما بين السقف والآخر
خمسون ذراعا (٦) ، وقد انتقد الهمداني هذه الرواية والمبالغة فيها ، وروى أنه
عشرون سقفا على زعم بعض الروايات ، وكل سقف على عشرة أذرع ، وضمن ذلك شعره في
غمدان قائلا :

من بعد غمدان المنيف وأهله
يسمو الي كبد السماء مصعدا
وهو الشفاء لقلب من يتفكر
عشرين سقفا سمكها لا يقصر

-
- (١) الهمداني ، الأكليل ٣٦ : ٨
(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢١٠ : ٤
(٣) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢٠٥ : ١
(٤) حصنك : أي حصنت ، وحمير تهدل تاء المتكلم بكاف وهي لهجة سائدة حتى
اليوم في بعض مناطق اليمن
(٥) الهمداني ، الأكليل ١٤ : ٨
(٦) المصدر السابق ٥٩ : ٨

ومن السحاب معصب بعمامة
ومتلاحكا بالقطر منه صخرة
ومن الرخام منقح ومسود زر
والجزع بين صروحه والمرمر

وكانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك ، وهي غرفة لها كوى ، وكل كوة
ببناء رخام محاط بالساج والأبنوس ، وكان سقف الغرفة رخام مؤلف من ثمان قطع ،
وكان الملك يستلقي على فراشه في الغرفة ، فيمر بها الطائر فيعرف به الغراب من
الحدأة ، وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والديبور والشمال والجنوب .

وكان صاحب القصر يأمر بإشعال المصابيح أحيانا ، فتسرح فيه ليلا ، فكان
سائر القصر يلعب من ظاهره ، حتى اذا أشرف على الانسان من بعض الطرق ظنه برفقا ،
ولا يعلم أن ذلك من ضوء المصابيح ، ولذلك قال علقمة بن ذي جدن :

مصابيح السليط تلوح فيه اذا يمسى كتوماض البروق

ويروى أنه كان في الغرفة العليا منه ستور فيها أجراس ، اذا ضربت الريح
تلك الستور سمعت أصوات دق الأجراس من مكان بعيد .

وملأت القصر التماثيل الرخامية ، فذكرها أمية بن أبي الملت في قوله :

مفلق بالرخام المستزاد له ترى على كل ركن منه تماثالا

ونصبت في زواياه الأربح أسود من نحاس أصفر خارجة صدورها ، فاذا هبت الريح في
أجوافها زارت كما يزأر الأسد ، كما وصفها الهمداني في قوله :

وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس لبيث من نحاس يزأر (١)
متضمنا في صدره قطارة لحساب أجزاء النهار تقطر

وفي البيت الثاني إشارة الى وجود الساعة في قصر غمدان ، واستخدام قدماء
اليمنيين لها .

ونكر الألوسي وجود غرف شهيرة في غمدان يسمونها المحاريب ، وكانت محكمة
البناء (٢) ، كما وصف الهمداني اشتعاله على ينابيع الماء تدفق مياهها ، فقال :

(١) الهمداني ، الأكليل ٥٠ : ٨
(٢) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢٠٥ : ١

والطير واقفة عليه وفودها
ينبوع عين لا يبرد شربها
ومياهه قنواتها تنهدر
وبرأسه من فوق ذلك منظر (١)
أربابه مذحولة لم يعسروا (٢)

وشبهه بذلك قول علقمة بن ذي جدن :

فذاك غمدان محزثلا
أعلاه مبهمه رخام
بناؤه العجب العجيب
عالم وأسفله جروب (٣)

وقد بالغ الرواة كثيرا في أوصاف غمدان ، ومن مبالغاتهم ما روه عن ملوك اليمن أنهم كانوا اذا قعدوا لهم في أعلى هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام (٤) .

وقيل أنه قامت الى جانب القصر نظة يافعة سحوق ، وكانت تطرح بعسانها الى بعض ابهاك . وذكر ذلك في بيت منسوب الى ذي جدن الحميري حين قال في أبياته عن غمدان (٥) :

ونخلته التي غرست اليه
يكاد السر يهصر بالعذوق (٦)

وتفنن الشعراء في وصفه ولانسيما شعراء اليمن ، فضمنوا شعرهم الفخر بما شاد ملوك اليمن وما كانوا عليه من مجد وعظمة ، فوصف علقمة بن ذي جدن شموخه فقال :

فذاك غمدان محزثلا
يكسسه ماجد أهبي
كأنه جبل منيف
ترغم قدامه الأنوف (٧)

وظل غمدان مفخرة لملوك اليمن ردحا طويلا من الزمن ، حتى قيل أن غمدان هو البناء الذي ذكره الله في قوله تعالى "لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم" (٨) . فلما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله (ص) فرده بن مسيك العرادي

-
- (١) التصريد : التبريد ، المنظر : الغرفة المزخرفة في أعلى البيت
 - (٢) الهمداني ، الأكليل ٥٠ : ٨
 - (٣) المصدر السابق ٥٤ : ٨
 - (٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢٣٠ : ٢
 - (٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣٩ : ١
 - (٦) يهصر : يميل بها ، العذوق : جمع عذق وهي الكباش
 - (٧) الهمداني ، الأكليل ٥٤ : ٨
 - (٨) سورة التوبة ، الآية ١١٠

ليهدمه ، فلما أراد هدمه لم يقدر عليه حتى اضطر الى حرقه بالنار ، ولم يهدم الا بعد وفاة الرسول (ص) ^(١) . كما ورد في القول المنسوب الى ذي جند الحميري :

فأصبح بعد جدته رمادا وغير حسنه لهب الحريق ^(٢)

ومما يجدر ذكره أن المفسرين في تفسيرهم الآية المذكورة لا يذكرون هذا التفسير ، فقد ذكر الطبري أن البناء المقصود هو مسجد المنافقين ^(٣) ، ويتفق معه الزمخشري في هذا التفسير أيضا ^(٤) .

وربما كان هدمه على ذلك النحو هو من تخرصات الرواة الذين أرادوا أن يحيطوا هدمه بالمسيبات المعنوية ، كما لاحظنا ذلك في قصة بناؤه التي أرجعوها الى قوة خارقة أرشدت الشخصية الأسطورية الى موضعه وبناؤه فيه .

وروي ياقوت أن عثمان هو الذي حض على هدمه ، كما روى زعم كهان اليمن أن من يهدم غمدان يقتل ، ولذلك علل قتل عثمان ^(٥) .

ان تلك الروايات المختلفة حول قصر غمدان لتدلنا على أنه لم يكن مجرد قصر كسائر قصور اليمن ، وانما ظل غمدان رمزا لما أنجزته اليمن ، وماحقته من مجد وسوءد وعمران طوال الأزمنة الغابرة ، وبقي رمزا لاعتزاز اليمانية بماضيهم ومفاخرة من حولهم به ، وقد لمسنا مما مر بنا من أشعار افتخار اليمانيين الكبير به وبملوكهم ، وذاك الاعتزاز الكبير بماثرهم ، ولعل مانقل عن ابن الكلبي يترجم لنا مشاعر اليمانيين نحو غمدان ، عفسدا روى أنه كان على كل ركن من أركان غمدان مكتوب " اسلم غمدان معاديك مقتول بسيف الغدران " ^(٦) .

وأحاط الرواة غمدان بهالة من الغموض ، فنقل المسعودي بعض مانسجه الرواة حول غمدان ، فروى أنه عندما أراد سعد بن يعفر - صاحب قلعة كحلان - أن يبني غمدان ، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض لشيء من ذلك ، إذ كان بناؤه ^(٧) على يدي غلام يخرج من أرض سبأ وأرض مأرب يوءثر في صنع هذا العالم تأثيرا عظيما . ولعل هذا بعض ما ارتبط في ذهنهم بمجيء المهدي

-
- (١) الهمداني ، الأكليل ٦٣ : ٨
 - (٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢٩ : ١
 - (٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ٢٣ : ١١
 - (٤) الزمخشري ، الكشاف ٢٤٥ : ٢
 - (٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢١١ : ٤
 - (٦) ابن الكلبي ، الاضواء
 - (٧) المسعودي ، مروج الذهب ٢٢٩ : ٢

المنتظر من اليمن ، أو ماتعارف اليمانيون على تسميته بالمنصور ، حيث تشير بعض
حكاياتهم الى ظهوره من اليمن .

ولذلك ظل غمدان في ذهن الرواة أسطورة جميلة تعبر عن ماضٍ مشرق زاه لم
سبق منه سوى ذكريات سحيقة أقبل الرواة على نبشها ، واسترجاع تفاصيلها وأخذوا
في نممة تلك التفاصيل والأخبار وتنميقها ، واتخذوا من ذلك كله عدة لهم
يواجهون بها أية عصبية أو استطالة ممن حولهم ، وأحاطوه بحكاياتهم وأساطيرهم .

وارتبط غمدان بالأمجاد القابرة التي كانت ملء القلوب والأسماع ، يدوي
صيتها في طول الدنيا وعرضها ، وتأتي عليه الأيام وتصيب أصحابه نرائب الدهر ،
ويغنى غمدان ويمزول ، ولذا لا تكاد تخلو الأشعار التي تذكره من العظة والعبارة في
تصرف الدهر وعدم ثبات الزمان ، وتعرض كل شيء وكائن في الوجود الى الفناء .

فاتخذ الشعراء من غمدان عبرتهم ، فقال الأعشى :

وأهل غمدان جمعوا	للدهر ما يجمع الخيار (١)
نصحتهم من الدواهي	جائحة عقبها الدمار (٢)

أما الشاعر اليمني فنلاحظ ذكره غمدان مشوبا بالحسرة والأسى على ماضٍ زاهر
قد ولى حين أوحشت القصور وخلت من أهلها ، وينضح شعره أيضا بالعظة والاعتبار
حين لاثقق الشروة فلاحا دائما ، قال في ذلك علقمة بن ذي جدن :

أبعد غمدان حين أمسى	يسفي به المور والرياح
وناعظ أوحشت وأقوت	فهل لذي شروة فلاح

فكان نواحة اليمن (٣) علقمة بن ذي جدن قد وجد في غمدان ما فجر ينابيع شجوه وحسرتة ،
فقال أيضا :

وتكورت غمدان من صرف الردى	من بعد مملكة وبعد تكسر (٤)
القييل من قحطان أبهم صخرها	وعمارها والقطر خير الأقطر

(١) الخيار : الذهب والمال المطلق أو هو أفضله

(٢) الأعشى الكبير ، الديوان ٢٨١

(٣) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٥

(٤) القطر : النحاس الذائب الذي يصب للبناء

وقال علقمة مشيراً الى عدم استطاعة بشر تحقيق الخلود وان كان ذلك باني
غمدان المشهور :

ولم يخلد على الحدشان بان بني غمدان تتهمه التهموم
بعرعرة منشورة وساج وصلب السد واللبخ الضروم (١)

ورأى الشاعر أنه لا مفر من القضاء وان تسربل في حلة كمي واقف بباب غمدان
بحرسه ، فلا بد أن يحل القضاء ويقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فقلل ثعلبة بن عمرو ؛
ولو كنت في غمدان تحرس بابيه علي أراجيل كمي وسائف
إذا لآتتني حيث كنت منيتي لعبه محب لا يرى وهو قائف (٢)

وهكذا ظل غمدان محورا تدور حوله أساطير الرواة وأشعار الشعراء ، فكان
ظاهرة تاريخية عجيبة امتد أثرها عبر الأزمنة والعصور .

خصائص الأسطورة ذات الأساس التاريخي

١ - الاعتماد على الحقيقة التاريخية :

تعتمد هذه الأساطير - كما لاحظنا - على حقائق تاريخية واقعية ، كان لها
وجود في تاريخ اليمن القديم ، فيتخذ الرواة من التاريخ مادتهم الأولى التي
ينسجون حولها الأساطير والحكايات ، فالشخصيات التاريخية كان لها وجود في تاريخ
اليمن ، وقد عرفت على الرغم مما اكتنف ذلك التاريخ من مبالغات وأخبار أسطورية
فقد ورد ذكر التبغ أسعد الكامل مثلاً في بعض نقوش اليمن التي عثر عليها ، وهذه
من المصادر الموثوقة في نقل المعلومات اليينا اليوم .

ولم يقتصر اهتمام الرواة على الشخصيات اليمنية ، ولكنهم أقبلوا على
تاريخ اليمن وهم مفتونون بما حققه ملوك اليمن القدماء ، وأقبلوا على مظاهر
حضارتهم القديمة ، وما أنشأه من عمران شامخ ظل المؤرخون يرددون أخباره ،
فتناولوا سد مأرب وهو حقيقة تاريخية اجتماعية ، وربطوا بين انهياره وهجرة
القبائل اليمنية الى أنحاء الجزيرة العربية في أسطورة طريفة كان محورها ظاهرة
اجتماعية كانت تسود المجتمعات العربية وهي ظاهرة الكهانة ، فجعلوا انهيار
السد مرتبطاً بنبوء الكاهنة طريفة وما كان من أمر الجرد الذي قيل أنه كان
سبباً في انهيار السد .

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٦

(٢) المصدر السابق ٨ : ٥٤

وأقبل الرواة على قصور اليمن يذكرونها في رواياتهم وأشعارهم ، وظفر غمدان باهتمامهم ، وهو القصر التاريخي المعروف الذي كان مستقرا لحنك التباينة من ملوك اليمن ، وأحاطوا قصر غمدان بأساطيرهم حول بنائه وهدمه ، وتزيدوا في وصفه كثيرا ، وأحاطوه بقدر كبير من مبالغاتهم في وصفه .

لقد وجد رواية ليمن في التاريخ أرضا خصبة بنوا عليها حكاياتهم وأساطيرهم ، واستمدوا منه مادتهم الأولى التي ظلوا يلقبونها ويحورون فيها ويزيدون مستعينين بخيالهم الخصب في تكوين العوالم العجيبة والأساطير الطريفة ، وهم مرة يتناولون في أسطورتهم الأقسام القديمة البائدة ، كما مر بنا في أسطورة نسل عاد من الصعاليك وما جرى لهم في المغارة . ومرة يتناولون شخصية يمنية معروفة كما لحظنا ذلك في أسطورة التبع أسعد الكامل الذي جعلته الروايات بطلا أسطوريا يمثل الشخصية اليمنية التي حققت البطولات الخارقة ، وحينما يتناول الرواة ظاهرة اجتماعية تاريخية كما لمسنا ذلك في حكاية تهدم سد مأرب ، وحينما آخر يتناولون منجزات القوم العمرانية كما لحظنا ذلك في أسطورة قصر غمدان .

٢ - تمجيد اليمن وملوكها القدماء :

يبرز هذا الهدف بجملة في الأساطير التي اعتمدت على التاريخ في تكوينها وبدء نشوئها ، وتوضح غاية تمجيد اليمن وملوك اليمن في اختيار الرواة من ذلك التاريخ ، فهم يختارون الشخصية التي تحقق لهم تصوير الأمجاد الفاهرة كما لحظنا ذلك في أسطورة أسعد الكامل ، حين جعل الملك اليمني بطلا أسطوريا نسبت إليه جميع الصفات والخصال الحميدة التي كان يفخر بها العربي حين نسبوا إليه شجاعة خارقة وبطولة متناهية ، فجعلوه يجوب البلاد شرقا وغربا يفتحها ، ويدخل البلاد غانزا منتصرا حتى تدين له الهند والسند والصين ، ويخضع الروم والفرس وهما الدولتان العظيمتان في مرحلة معينة من مراحل التاريخ ، وحرصت الأسطورة على نسب صفات معنوية خلقية أخرى إلى أسعد الكامل حين جعلته ذا مروءة عالية ونجدة للضعيف ، فينتصر لمرأة قادمة من الشام شاكية إليه قومها ، فانصف لها منهم وغزا بلادها انتصارا لها ورغبة في الشار لها من ظالمها .

ويظهر الفخر بالشخصيات اليمنية في أشعارهم الكثيرة التي ضمنوها أساطيرهم التاريخية ، فظل الراوي يفخر بما كانت عليه اليمن من عز ومنعة ، لذلك افتخر أيضا بمنجزاتهم العمرانية ، كسد مأرب وقصر غمدان وغيره من القصور اليمنية ، متخذا من ذلك كله شاهدا على ما كانت حضارة قدمائهم ، وما وصلوا إليه من تقدم عمراني ، فظلت نبرة الفخر والتعجيد تعلق في أساطيرهم وفي أشعارهم التي زانت تلك الأساطير ، وليس ذلك الا دليلا على غايتهم وهي اثبات تفوق اليمن وتمجيد ذلك التفوق الذي كان لقدمائهم .

٣ - كثرة الأشعار في هذه الأساطير:

لقد زخرت هذه الأساطير بالأشعار والقصائد الطويلة التي حرص الرواة على انطاق قدامتهم بها ، وتكاد بعض القصائد تروي الأسطورة كاملة في أبياتها كما لاحظنا ذلك في أسطورة أسعد الكامل ، ولعل ذلك ما حدا بالباحث السوفيتي بتروفسكي الى تسميتها ملحمة في كتابه "ملحمة عن أسعد الكامل" حيث رصد الباحث الأشعار المنسوبة الى البطل الأسطوري ، وهي تكون ملحمة كاملة ، ولو طال النفس بالشاعر الراوية لوصلتنا ملحمة أسطورية لاتقل روعة عن ملاحم الاغريق المعروفة .

ولم يتردد رواة اليمن عن نسب الأشعار الى شخصياتهم القديمة وانطاقها بالشعر الفصيح الذي سهلت لغته ورقته ، ليكتمل الجو الأسطوري لرواياتهم ، فتحمل الأشعار حرارة مشاعرهم وعواطفهم في بعض المواقف ، كما تجلجل أحيانا في نغمة حماسية حين يخاطب الشاعر قومه لاستنهاض الهمم و التصدي للعدو أو في موضع الفخر بالانتصار على الأعداء والشعوب المختلفة . وربما ضمنها الشاعر أحيانا الحكمة وتجربتهم في الحياة نتيجة عراكتهم مع الدهر ، الذي ظلوا دوما في سباق معه ليديهم في النهاية عندما يحين الأجل المحتوم ، فيسلم الشاعر بفناء الكائنات واستحالة الخلود على بشر ، ويضمن الشعر ايمانه بأن البقاء لله وحده .

وكما نسب الرواة الشعر الى قداماء الملوك والشخصيات اليمنية المعروفة ، هم ينسبون الشعر أيضا الى بعض الشعراء المعروفين ، فوردت أبيات في هذه الأساطير على لسان شعراء معروفين مثل الأعشى الكبير وعلقمة بن ذي جدن وأميرة بن أبي الطلت وحسان بن ثابت وغيرهم . ويعني ذلك أن الرواة حرصوا على الاستشهاد بأشعار أولئك الشعراء المعروفين امعاناً في الدلالة على صدق رواياتهم وأساطيرهم التي ليج بذكرها الشعراء في أزمان لاحقة ، ويحتمل أن تكون تلك الأساطير دائرة ومتداولة في أوساط الشعراء المعروفين ، فسمعوا فحواها ، وأشارت في نفوسهم كوامن الشعور ، وعبروا عن ذلك في تلك الأبيات المتفرقة حول هذه الأسطورة أو تلك .

ويلاحظ ظهور الضعف والركاكة في عدد من القصائد والأبيات التي ملأت هذه الأساطير ، كما لمسنا ذلك في بعض الأشعار المنسوبة الى التابع أسعد الكامل وغيره من الملوك القداماء أو الشخصيات اليمنية .

٤ - الميل الى التمثيل والتجسيد :

يميل الراوي في هذا اللون من الأساطير الى التمثيل والتجسيد ، فلا يعبر عن معانيه على نحو مباشر ، ولكنه يلبسها أحداثا وأقوالا تمثلها وتجسدها ، فننظر الى أسطورة أسعد الكامل حين استضافته الجنيات الثلاث لاختباره واعداده لمواجهة الصعاب ، فعبر الراوي عن تلك المعاني بالتمثيل والتجسيد لها في تلك الأفعال التي لقيها أسعد الكامل من الجنيات .

ومثل ذلك ما حدث لاهنه حسان حين ذهب لاستشارة الجنيته التي أشار اليه أبوه باتباعها ، فأخذت تمثل له تلك المعاني في أفعال معينة حين قدمت له دماءاً يشربها وروءوساً يأكلها ومجلساً مليئاً بالدود والعقارب ليجلس عليه ، فنجد ذلك كله تجسيدا لما أراد الراوي إيصاله من معانٍ ، فأراد أن يجعل عرش حمير أمرا صعب المئال . ويتطلب من الجالس عليه الصبر على الشدائد والقوة على احتمال المكاره فجدت تلك المعاني على النحو الذي لمسناه .

كما جسد شجاعة اليماني في أسطورة الرجل العادي الذي دخل الكهف ودلف الى المغارة العادية دون وجل أو خوف مع ما واجه من أصوات مدوية وروءية حيوانات مخيفة ، ولكن استمر الرجل اليماني في الدخول حتى وصل الى مقابر عاد وشاهد فيها ما شاهده ، فجدت الراوي أمرين هاميين لا ينثني دوماً عن محاولة اثباتهما للشخصية اليمانية وهما اثبات البطولة والشجاعة للفرد اليماني ، وتصوير الشراء والفخامة التي كان عليها قدماء اليمانيين حين احتوت مقابرهم على ذلك الحثد من الذهب والجواهر الثمينة .

٥ - استخدام الرمز :

مال الرواة في هذه الأساطير الى استخدام الرمز أحيانا ، حين يحاول الراوي أن يعبر عن فكرته بالرمز اليها ، قبل الافصح عن تلك الفكرة ، ولمسنا ذلك في أسطورة سد مأرب في الأقوال المنسوبة الى الكاهنة طريفة ، وما شاهدته في الحلم أو أثناء تجوالها في حديقة القصر ، فرأت أمورا جعلها الراوي ترمز الى النوائب والشور التي ستحل بالقوم بعد انهيار سد مأرب وتضعف حالهم الاقتصادية ورمز الراوي في انهيار سد مأرب الى تلك الحقيقة بجزء صغير استطاع على صغر حجمه أن يقلب صخورا كبيرة ، فكان انهيار السد ، وما تبعه في حياة القوم من جذب ومحل اضطر قبائلهم الى الهجرة .

والرموز في هذه الأساطير مفسرة على لسان الكواهن والكهان ، فهي تأتي في شكل أحلام ، ثم يتولى تفسيرها الكهان والكواهن كما لمسنا ذلك في كهانة شق وسطح وتنسبوهما بآحداث اليمن التاريخية قبل حدوثها ، وغيرهما من الكهان والكواهن .

وينتشر الرمز هنا وهناك في بعض هذه الأساطير ليجد في شكل ظاهرة اجتماعية أو طبيعية يكون لها تفسيرها ، إذ يجعلها الراوي تخفي وراءها معاني أراد إيصالها الى السامع لأنها جزء من تكوين أسطوريته .

٦ - هدف الاعتاظ والاعتبار :

يتضح هذا الهدف في معظم أساطيرهم التي تعتمد على الأساس التاريخي ، فتتجلى فيها معاني لاتخرج عن الوعظ والارشاد ، ومعرفة عدم جدوى القوة أو المال في وجه الدهر أو القضاء ، فكل أجل الى حين ، ولا بد للانسان أن يؤول الى الغناء مهما حقق من مجد أو سطوة ومهما كان عليه من قوة أو شدة بأس ، ووطننا معظم هذه الأساطير الى التعرف على هذه الحقيقة التي أراد الرواة تبصير السامعين بها على هذا النحو أو ذاك من طرائق تعبيرهم .

فهم يلجؤون أحيانا الى اسباغ صفات معينة على البطل الأسطوري فيجعلون منه البطل المثالي الذي ينبغي للقوم احتذائه ، والسير على هديه كما لاحظنا ذلك في أسطورة التبع أسعد الكامل حين حرص الرواة على اضافة الحكمة والفضيلة ونجدة الملهوف واکرام الضيف وغيرها من الصفات التي ينبغي للمرء أن يتحلى بها ، وسيرة الملك البطل تنبئ وتكشف عن تلك الاخلاق المحمودة التي جعلها الرواة نموذجا للشخصية المثالية .

وتجد الراوي أحيانا يجعل وعظه ونصائحه في الأشعار المنسوبة الى أبطال تلك الأساطير ، أو في الأشعار المنسوبة الى الشعراء المعروفين الذين عبروا عن اتعاضهم بما تمليه أحداث تلك الأساطير ، فضمن أولئك أشعارهم العبرة بما لقيه القوم بعد الوصول الى أقصى مرتبات المجد عندما لقوا حينهم ، فخلت الديار منهم ، وكأنهم نسيا منسيا ، وكلها تؤكد حقيقة فناء الكون ، وتحمل في ثناياها هدفا خلقيا تعليميا بعدم الركون الى الدهر والاعتماد على الزمان الذي لا يوء من جانبه .

وربما ضمن الراوي موعظته الألواح المكتوبة في المقابر بداخل المغارات والكهوف التي يجعل الراوي الوصول اليها أمرا غاية في المشقة ، وبعد وصوله اكتشاف تلك النصب والألواح التي كتبت عليها عبارات تنضح بالعظة والعبرة لتلفت انتباه الانسان اللاهي في خضم هذه الحياة الى التبصر بالنهاية المحتومة ، نجده يحث على الزهد في مباحج الحياة ومغرياتها ، كما لمسنا ذلك في أسطورة الدخول الى كهف شداد بن عاد وغيره مما يزخر به أكليل الهمداني .

" الخاتمة "

" نتائج البحث العامة "

بعد الانتهاء من فصول البحث تتأكد لنا حقيقة هامة هي وجود الأساطير اليمنية الكثيرة التي تزخر بها المصادر العربية القديمة من كتب تاريخ وسيرة وأدب ، والأساطير اليمنية القديمة هي أساطير عربية في المحصلة الأخيرة ، ولكني آثرت نسبتها الى اليمن لالتصاقها به التصاقا وثيقا بسبب أو بآخر ، وعلى نحو يلفت الانتباه ويدعو الى الاندهاش ، اذ نجد الراوية دوما يمانيا ، وان نقلها عنه مؤلفون آخرون من كتاب التاريخ والسير مثلا ، كما نجد البطل الأسطوري دوما يمانيا أو ينتمي الى قبيلة يمنية مهاجرة ، ونجد أحيانا البيئة يمنية خالصة عند التعرض لمعتقدات القوم الدينية وطقوس عبادتهم ، فكان ذلك كله مدعاة لانتساب هذه الأساطير العربية الى اليمن ، لصلتها الوثيقة به .

وان ما يثبت انتساب هذه الأساطير الى اليمن هو ما تحمله من سمات ودلالات اجتماعية طبعت بها ، وكانت فيها نتيجة لهيوم وآمال اليمنيين في صراعهم التاريخي عبر العصور القديمة ، فظهر أثر ذلك الصراع في الدوافع التي حدث بأولئك الرواة الى الاقبال على رواية تلك الأساطير والتفنن في حكاياتها مستشفين تاريخ أسلافهم الحافل بالبطولات والأمجاد الغابرة متخذين من ذلك التاريخ وتلك السير عبرة تنفعهم في صراعهم الدائم مع الحياة والدهر .

وأمدهم تاريخهم الحافل في اليمن بمادة أولية خصبة فظلوا يقلبونها على وجوهها المختلفة ، محلقيين بخيالهم الخلاق في أجواء أسطورية رحية لاتقف حدود الواقع دونها ، ولاتحددها سدود أو مواقع محققين بعض آمالهم وطموحاتهم ، مسجلين الخلود لشخصياتهم ، وكانت نتيجة ذلك كله مجموعة ضخمة من الأساطير الجميلة التي تكمن أهميتها في ما تحمله من دلالات تاريخية واجتماعية وأدبية ، دون النظر اليها كمادة تاريخية قابلة للتمحيص والتحقيق فيها . فهي نتاج القوم الأدبي الرفيع ، الذي سجلوا فيه نظراتهم في الحياة ، وآراءهم في شؤونها المختلفة ، كما أنها رصد دقيق لما راود أفكارهم وما اختلجت به نفوسهم ومشاعرهم تجاه أحداث الحياة وما امتلأت به صدورهم من آمال وطموحات ظلت أنظارهم تتطلع اليها فتشغل أحلامهم وأساطيرهم .

واندفع الرواة اليمنيون الى رواية الأسطورة ، وعملوا على رواجها ونشرها ، ولذلك لا يخلو منها مصدر عربي ، ونجد الرواة وأهل الأخبار يرددونها في مؤلفاتهم ، ، واللاحق ينقل من السابق ، وهم مفتونون بمادة تلك الأساطير

وبمضمونها وان نصوصا على عدم تصديقها واشتطاط الخيال فيها ، كما لمسنا ذلك لدى ابن الاثير وابن خلدون وغيرهم .

وبعد التجول في أساطير اليمن المختلفة في فصول البحث ، ودراستها بحسب الأسس المختلفة التي تجمعها - كما أسلفنا - يمكننا هنا استخلاص بعض النتائج العامة منها :

١ - ارتباط الأساطير بواقع اليمن :

ان الأساطير اليمنية المدروسة في البحث ترتبط بواقع اليمن ارتباطا وثيقا من حيث نشأتها ودوافع الرواية الى حكايتها ، ومن حيث مضمونها الذي يتصل باليمن صلة وطيدة .

ولذلك ان لفظة (أساطير) تعني بدايات التفكير الاولى للقوم وتسجيل المراحل الأولى لمعتقداتهم وأفكارهم ، ولكن تدوين الأساطير المذكورة قد تم في زمن متأخر ، أي في القرن الثاني الهجري ، أما قبل ذلك فقد كان الاعتماد على الرواية الشفهية في تداول الأساطير وتنقلها عبر العصور التاريخية المختلفة التي مرت بها اليمن ، فظهر الاسلام ولديهم مادة أسطورية متجمعة من الروايات الشفهية المتناقلة وقد استقوها من مصادر مختلفة ، منها الاطلاع على الأسفار والكتب القديمة . وقد عرفت اليمن اليهودية والنصرانية ، واطلع رواتها على تلك الكتب ، كما لمسنا ذلك لدى وهب بن منبه وكعب الأحبار ، واطلعت الى ذلك كانت اليمن معبرا تجاريا بين الشعوب المختلفة ، وتحتل موقعا استراتيجيا هاما ، فكان احتكاك الناس بالأمم المختلفة للتجارة وشؤون الحياة ، ولا بد أن يصحب ذلك انتقال القصص والأساطير ، وتبادلها مع الأقوام والأمم الأخرى .

وبعد الاسلام وجد الناس في القصص القرآني مادة تدعوهم للاستفسار وطلب المزيد من التفاصيل ، فوجدوا في رواية اليمن ضالتهم ، اذ أقبل هؤلاء الرواة على التفسير والايضاح وقدحوا زناد قرائحهم في صلة ذلك القصص بتاريخ اليمن ، فخلقوا الصلة بين ملوكهم القدماء وبعض الشخصيات المذكورة في القرآن الكريم ، كما عرفنا ذلك في أسطورة "تمع" وأسطورة "ذي القرنين" وهود وغيرهم . حتى المدن المذكورة في القرآن الكريم وجدوا لها مواضع في اليمن ، كما فعلوا في " ارم ذات العماد" ، و " الاحقاف" وغيرهما .

ولا نعجب من ذلك كله اذا عرفنا واقع اليمن التاريخي وما عانته من تدهور الأحوال الاقتصادية بعد تدهور سد مأرب وهجرة القبائل الى شمالي الجزيرة ، وتحول مسار الطريق التجاري عنها ، اضافة الى ما قاسته من الاطماع البيزنطية والفارسية ، فكانت الحبشة أداة بيزنطة ، وكان دخول فارس على يد سيف بن ذي يزن الذي استنجد بهم لنصرة اليمن ضد الأحباش . وكان جلاؤهم وسلطة فارس بعد أن قتل

سيف بن ذي يزن ، فعاشت اليمن من ألوان الاحتلال ، وعاشت صراعا تاريخيا مريرا ، جعل روايتها يتحسرون على أمجاد غابرة لم يعد لها أثر يذكر في واقعهم ، حين حقق ملوكهم القدماء حضارة زاهرة وتقدما عمرانيا كبيرا .

ثم دخلت اليمن في الدولة الاسلامية طائفة ، وشاركت في جيوش الفتوحات الاسلامية بهطولات عديدة ، ومع ظهور بوادر الفتن والحروب العربية وجدت اليمن نفسها تخوض مع بقية الشعوب العربية تلك المعارك ، وكان اشترك بعض أهل اليمن في وقعة الجمل ووقعة صفين ، وكان للقبائل اليمنية تجمع كبير في الشام ظل يناوي قبيلة قيس ، وحرص خلفاء بني أمية لتحقيق أغراضهم ومآربهم السياسية الى اشارة النعرات القبلية وتعميق الشعور بها ، فأثرت العصبية اليمنية في ذلك العصر ، وهو عصر التدوين والتأليف .

حينذاك فجرت العصبية اليمنية دواعي القول والفخر لدى الرواة ، وأقبلوا يفتشون حكاياتهم وأساطيرهم ويفيقون اليها ويستزيدون ، وهم غير مترددين في تسجيل كل مجد وفخار لليمن ، كما أقبلوا على التاريخ يستلهمونه في تكوين أساطيرهم وحكاياتهم مستشهدين بما حققه ملوكهم القدماء من أمجاد طواها الزمان وهم بذلك كله يحاولون اثبات تفوقهم في كل مضمار .

وننتج عن تلك الحال اقبال الرواة على رواية الأساطير والحكايات الخاصة باليمن والمتعلقة بتاريخه أو بشخصياته القديمة ، فكان اغراقهم المصادر العربية بذلك السيل الموار من الحكايات الأسطورية الطريفة ، التي لا يمكن فهم مدلولها الحقيقي بمعزل عن الدوافع التي دعت الرواة الى تأليفها .

٢ - البطل الأسطوري :

لقد لاحظنا في ما مر بنا من أساطير اتسام البطل الأسطوري في تلك الأساطير بسمات معينة تميزه عن غيره من أبطال أساطير الأمم الأخرى ، ويمكننا اجمالها فيما يأتي :

١ - انتساب البطل الأسطوري الى اليمن ، أو انتسابه الى قبيلة عربية على نحو يبرز عروبته وشرف انتمائه ، فالبطل اما من ملوك اليمن القدماء وحكمائهم كما لمسنا ذلك في ملكة سبا التي أسمتها الروايات "بلقيس" وأبيها الهدهاد بن شرحبيل ، وفي التبع "أسعد الكامل" وذي القرنين ولقمان وغيرهم . وربما كان البطل من كهان اليمن أو كاهناتها كما عرفنا منهم سطيح وخنافر الحميري والكاهنة طريفة بنت الخير الحجورية وزبراء الحميرية وغيرهم . وربما كان البطل من شخصياتهم المعروفة بانتماؤها الى احدى القبائل كأن يكون سيد قومه الذي عرف بالشجاعة وشدة البأس كالهيميس الذي استطاع دخول الكهف ودخل مغارة شداد بن عاد وربما عرف البطل بالجود والكرم كحاتم الطائي ، وهكذا لابد أن يربط البطل الأسطوري انتماء معين الى اليمن ، ولاشك أن اختيار البطل على ذلك النحو يحقق للراوي الفخر والتعالي .

ب - يتسم البطل الأسطوري بصفات كريهة وخصال حميدة ، لعل أهمها الشجاعة وشدة البأس وقوة العزيمة التي لا تتوفر للإنسان دوماً ، كما لمسنا ذلك في التبع أسعد الكامل وفي ذي القرنين وعمرو بن لحي والهدهاد وغيرهم ، كما يتصف البطل الأسطوري أحياناً بما يفخر به العربي من صفات الكرم والجود كحاتم الطائي أو نجدة الضعيف الملهوف كما في أسطورة الهميسع الذي أنجد الملكة بلقيس وأخاها عندما أقبلت عليه مستجيرة ، وفي أسطورة أسعد الكامل الذي انتصف لامرأة جاءته من الشام شاكية إليه بعض قومها ، وكثيرة هي قصص المروءة والشهامة والكرم والشجاعة التي حاول رواة اليمن اتصاف أبطالهم الأسطوريين بها .

ج - نجد البطل الأسطوري يدافع دوماً عن المبدأ والعقيدة ، فيصدر عنهما في تحركاته وتصرفاته ، فجعل البطل مؤمناً بالله ووجدانيته ، بل مسلماً ومصرحاً بذلك في أبياته ، كما لاحظنا ذلك في أسطورة التبع أسعد الكامل ، الذي حج بالبيت وبشر بظهور الرسول محمد (ص) ، ودعا الناس إلى اتباع دينه ، وتمنى أن يمد الله في عمره ليكون له عوناً وأزراً . ولمسنا ذلك أيضاً في أسطورة ذي القرنين الذي أشبهت فتوحاته الفتوحات الإسلامية حين كان يبقي على من آمن بالله ويقتل من كفر به .

وضمن الرواة أقوال البطل الأسطوري والشعر المنسوب إليه الاعتقاد بالله والإيمان به وبقوته وخلوده ، فالكون إلى فناء والخلود أمر يستحيل بلوغه وتحقيقه - كما تلمح إلى ذلك أسطورتا ذي القرنين ولقمان - لأن البقاء لله والإنسان إلى فناء . وتضمنت تلك الأشعار والأقوال معاني إسلامية بحتة ، استقاها الراوية من آيات القرآن الكريم ، كما لمسنا ذلك في ثنايا البحث .

د - تسند البطل الأسطوري قوة غيبية خارقة لا تتأتى لبشر ، وهي إما أن تكون من الجن كما لاحظنا ذلك في أسطورة الهدهاد بن شرحبيل وفي أسطورة أسعد الكامل وغيرها من أساطير اليمن حيث يجد البطل الأسطوري في الجن عوناً لهم على تحقيق أمورهم وانجازها .

وقد تكون القوة الخارقة في شكل رثي من الجن يستعين به البطل الأسطوري كما فعل ذلك عمرو بن لحي الذي أشار إليه رثيه بجلب الأضنام وتقسيمها في القبائل العربية ، وربما كانت القوة الخارقة علماً ينفذون به إلى عالم الغيب حين يتنبأ الكاهن بما سيكون كما لاحظنا ذلك في أساطير الكهان وتنبؤاتهم بما سيحدث . فيعد الملك أو القوم عدتهم لمجابهة ذلك الحدث والاستعداد للأمر كما فعل ذلك الملك عمرو بن عامر عندما عرف بقرابته انهيار سد مأرب .

وتتنوع القوة الخارقة التي تسند البطل الأسطوري فقد تكون مرافقاً ، له من القداسة والقرب من الله ما يمكنه من معرفة أمور كثيرة يعجز عنها البشر ، كما لاحظنا ذلك في أسطورة ذي القرنين ومرافقته للخضر ، فتوفرت له المعرفة والاطلاع على الأسباب فجاب البلاد غربها وشرقها حتى أوقفه الخضر حين دنا الأجل وقربت الساعة .

٣ - المضمون الأسطوري :

لقد انطوت الأسطورة على مضامين ومعان عدة ، اختلفت باختلاف الأساس الذي قامت عليه الأسطورة ، فضمنها الراوي معتقدات القوم الدينية ومناحي تفكيرهم في قوة الاله وقدرته ، والاعتراف بطاقة البشر المحدودة التي لابد أن يأتي اليوم الذي تتوقف عنده ، كما لحظنا ذلك في كل من أسطورة ذي القرنين وأسطورة لقمان في الايمان باستحالة تحقيق الخلود .

ويتجلى في معتقداتهم الايمان بقدره الخالق العظيمة في عقابه لمن يرتكب المعصية أو يأتي بفاحشة ، كما كان ذلك في أسطورة اساف ونائلة ، ومثلها من قصص المسخ التي حفلت بها أساطيرهم .

وترسم الأساطير صورا انسانية لصراع الانسان مع الحياة والقدر ، وصراعه ضد الفرائض ومحاوله التغلب عليها ، وصراعه ضد الطبيعة . انها وقفته ازاء الحياة بمباهجها وأحزانها ، وبأفراحها وأتراحها .

وتنتشر في تلك الأساطير الايحاءات النفسية واللمحات الشعورية للانسان في لحظات ضعفه وحاجته للقوى الخارقة التي تعينه على مجابهة الحياة والوقوف ازاء نوائب الدهر ومشكلاته .

وتنتشر في المضامين الأسطورية على اختلاف أنواعها النزعة الى التعليل وربط الأسباب بالمسببات ، كما يتجلى الميل الى التفسير وتجسيد الأمور تجسيدا ماديا يقربها من الأذهان ، ويجلوها واضحة للعقول والأفهام ، فسعى الرواة الى تعليل حدوث ظاهرة طبيعية تنتاب أجزاء من هذه الأرض أحيانا وهي الزلزلة كما لحظنا ذلك في أساطير الخلق وفي الأساطير الكونية ، وكان التعليل الطريف لنشأة الأصنام التي بدأ القوم يعبدونها لأنها كانت تمثل أقرباء لهم حزنوا على فقدانهم ، ونشفت تعليلها لطيفا في أساطيرهم حول شروق الشمس وغروبها ، وحول غيرها من الكواكب ، وتنتشر التعليلات والتبريرات المختلفة في الأساطير .

وتنتقل الأساطير صورة حقيقية عن طبيعة الحياة العربية القديمة ، كوليهم بظاهرة الكهانة ، واعتقادهم في صدق الكاهن أو الكاهنة بدليل تحقيق نبوءة الكهان دوما في أساطيرهم ، كما صورت لنا أسطورة الهامة عادة الأخذ بالشارع عندما يقتل القتيل ، لأن الروح تخرج على شكل طائر يصيح " اسقوني " ، فلا يبطل صياحه ولا يروى الا بعد أن يؤخذ بشار القتيل ، وغير ذلك من العادات والتقاليد الاجتماعية القديمة التي كانت تسود مجتمعهم .

٤ - أسلوب الأسطورة :

ونقصد بهذا اخراج الأسطورة اخراجا كاملا ابتداء من طريقة السرد والرواية ، وانتهاء بتفاصيل الأسلوب المختلفة ، واستخدام الراوي لأدوات أعانته في تقريب الصورة وتجسيدها لايمال الأثر المطلوب الى السامع أو القارئ . ولنفي هذا الجانب حقه من الشرح والايضاح يحسن بنا تناولها بالتفصيل :

أ - نجد في بعض الأساطير الحكمة الروائية كاملة ، فتبتدىء الأسطورة وتتصاعد معها الأحداث وتستمر في صعودها حتى تأتي نهايتها ، فيصل بنا الراوي الى الحل المقصود ، ويأخذ بنا في الانحدار نحو الحل أو لحظة التنوير كما تسمى في المصطلحات النقدية **الروائية** ، كما وجدنا ذلك في أساطير ذي القرنين ولقمان ونسوره السبعة والتبجع أسعد الكامل وغيرها . ولكن بعض الأساطير لاتتبع هذه الخطوات المألوفة ، ونجد شأنها كالحقص الحديث الذي يجعل الحكاية دون نهاية معروفة ، وتترك النهاية لخيال القارئ ، يضع لها نهاية بحسب ما يمليه عليه تصور وخياله ، كما في أسطورة سهيل والشعريين وفي أساطير الجن ، والتابع أو الرئي ، وغيرها من أساطير اليمن . وكثيرا ما نلاحظ في الراوي ميله الى النهاية المساوية المستقاة من النكبات الطبيعية والتاريخية التي حلت باليمن ، مثل انهيار سد مأرب وحرق قصر غمدان وغيرها .

ب - يستخدم الراوي الآيات القرآنية الكريمة للدلالة على مصداق روايته فيستشهد بها في ثنايا الأسطورة ، كما لاحظنا ذلك في بعض أخبار تبع وفي أسطورة ذي القرنين . ونجده أحيانا يبني روايته كاملة على ما جاء من القصص القرآني كما لاحظنا ذلك في حكايتهم عن بلقيس التي جعلوها ملكة سبأ التي ذكرتها الآيات الكريمة في سورة النمل ، وما كان من أمرها مع النبي سليمان وقصة اسلامها ، فاستعان الراوي بجميع تلك الآيات التي تكون منطلقا لروايته ، ويبني عليها الكثير من صور ومبالغاته التي سبق أن ذكرنا بعضها في ثنايا البحث .

وربما اقتبس الرواة نتفا من الآيات القرآنية ، أو عبارات مقتطفة من الآيات ، وادخالها ضمن الأقوال المنسوبة الى البطل الأسطوري للدلالة على حسن ايمانه بالله وسلامة معتقده ، وقد يدخل الرواة تلك المقتبسات ضمن الأثعار المنسوبة الى الأبطال الأسطوريين ، كما لاحظنا ذلك في بعض القصائد المنسوبة الى التبجع أسعد الكامل والى ذي القرنين .

ج - يعتمد الراوي على المبالغة لتحقيق الأمور الخارقة ، ولانستغرب ذلك والأمر متعلق بالأساطير ، فنجد الأبعاد غير عادية ، فاليوم بألف عام أحيانا ، يتضح لنا ذلك في قياس الأعمار بألاف الأعوام كما في احدى أساطير الاخلاق ، التي جعل فيهاظهر البطل يزيد عن ألفي عام ، وكما في عمر لقمان الذي كان مجموع عمره يربو على مجموع أعمار سبعة نسور وغير ذلك في قياسهم للزمان أو المكان .

ولعل الراوي قد توخى بذلك عنصر الاندهاش الذي يتضح لنا في وصفه الأشياء الشمينة الغربية ، المصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة كما لمسنا ذلك في أخبار قبورياتهم التي يزخر بها أكليل الهمداني ، وفي وصفهم لما تختزنه تلك المغارات والكهوف من كنوز وثروة ، ومثل ذلك ما واجهه ذو القرنين عند مروره بوادي السياقوت ، وأيضا في وصفهم عرش سليمان وعرش بلقيس ، وما يحيط به من مظاهر الأبهة والفخامة .

وقد يعتمد الاندهاش على الضوم والبريق واللون والحركة وتصحبه صور غريبة (١) ، كما لمسنا ذلك في قصة بلقيس وسليمان ، وخروج حاتم الطائي من القبر ليذبح ناقة ، والشاب الذي عاش حبس قبة تحت الماء ، وغيرها . ولعل ذلك قادهم الى تكوين الصور الغربية للبشر والحيوان ، فالبشر خلقتهم غريبة أحيانا كما في شق وسطيح ، وربما أشبه التسانيس في بعض المناطق كما تقول إحدى الأساطير . والحيوان غريب وعجيب لم نألف رؤيته ، كما جاء في رواية وهب بن منبه لأسطورة ذي القرنين ووصفه لفتوحات ذي القرنين ودخوله في بلاد تسكنها أقوام عجيبه الخلقة ، وأحيانا مشاهدته لحرائنات غريبة نجدها مزيجا لأكثر من حيوان ، كما مر بنا .

د - اسلوب الرواية (الصياغة) :

ونلاحظ في معظم ما مر بنا من أساطير عدم التدخل المباشر أو الكبير في غالبية تلك الأساطير وذلك للاحتفاظ بجو تلك الأسطورة وأسلوبها الخاص ، وربما كان هنا أو هناك بعض الإيجاز أو التعديل الطفيف الذي لا يمس جوهر الرواية .

فاتضح مما مر بنا من أساطير سهولة التعبير وسلاسته دون تكلف أو عنابة بالأسلوب ، ولذلك شابت أساليبهم بعض الضعف والركاكة في التعبير لتوالي العطف بالغاء أو الواو ، وربما ساد الأسلوب أحيانا تأرجح الضمير بين عدة أسماء مما يحير القارئ ويجعله يكد الذهن لتتبع المعنى المقصود من العبارة ، مما يضطرنا أحيانا الى التدخل ، وتحوير بعض العبارات ليسهل فهمها وتتبع معناها .

هـ - الشعر في الأسطورة :

ويقتضينا الحال الوقوف أمام هذه العلة المميزة لأساطير اليمن ، إذ نجد الرواة يستخدمون الشعر بكثرة في أساطيرهم ، فنسبوا القصائد الطوال الى أبطال الأساطير كما مر بنا في أسطورة التبع أسعد الكامل وأسطورة ذي القرنين ولقمان وغيرهم .

(١) أنظر الجوزو ، من الأساطير العربية ٣٧

والشعر قوة أسطورية لا يستهان بها ، تجعل الكاهن الهمّض العاجز عن الكلام ينهض ليقول نبوءته ، وتعاقب الجاني الذي أراد تشويه الحقيقة في نسبة الميخ إلى حاتم ، فارتبط الشعر بقوة خفية تعلو على مستوى البشر ، ولعل ذلك ناتج عن اعتقاد العرب القدماء بأن الشعر ليس من ابداع الناس بل من وحي الجن .

وكثير ما اعتمد الراوي على الشعر في اثبات واقعية أسطوريته ، كما سبق أن وجدنا معاوية يستزيد عبيد بن شربة الجرهمي من قول الشعر ، ويسأله دوماً بتقوية روايته بما قيل فيها من الشعر ، فهو ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها .

فلم يتوان الرواة حينذاك عن انطاق أبطالهم بقول الشعر في مختلف المناسبات ، فنسبوا إلى الأبطال الأسطوريين القصائد الطوال المتضمنة لأحداث الأسطورة كاملة ، كما مر بنا ذلك لدى التبع أسعد الكامل وذي القرنين ، ولقمان ذي النور السبعة . فالشعر لديهم دليل على صدق الأسطورة ، ويؤكد أهل الأخبار صحة الأخبار بمسلكين : الأول هو ذكرهم سلسلة الرواة حتى الانتهاء إلى أحد الشقات والثاني هو دعم الخبر بما قيل فيه من شعر ، كان يتخذ شاهداً على صحة الخبر .

كما نسبت بعض الأشعار إلى شعراء معروفين من مثل النابغة وحصان بن ثابت والأعشى ولبيد وعلقمة بن ذي جند وغيرهم . وسمعوا بأخبار الأمم القديمة وأساطيرها فاختلفت في نفوسهم لواعج القول ، وعبروا عن أنفسهم شعراً ضمنوه اعتبارهم بما جرى لتلك الأقوام والملوك القدماء ، متعجبين من صروف الدهر وتقلبه . وقد وردت بعض تلك الأشعار في دواوين أولئك الشعراء ، وبعضها لم يوجد فيها ، مما يدل على أنه شعر موضوع ، نحله الرواة أولئك الشعراء ، ومع ذلك لا يمكننا تجاهله وأفعال شأنه لأنه يعني لدينا وجود الحكاية أو الأسطورة في أساطير العرب ، وانتشارها وتداولها بين العرب كجزء من تاريخهم وأساطيرهم ، وكحقيقة تكون جزءاً من معتقداتهم وتراثهم الفكري .

ومما يجدر ذكره^(١) - هنا - ظهور هذه السمة المميزة لأساطير اليمن ، في نسب الشعر إلى الأبطال الأسطوريين ، وبذلك يحقق الراوي أكثر من هدف في رواية الأسطورة فالشعر تعبير ايقاعي أسهل حفظاً وأقرب إلى اللصق بالنفس من الحديث النثري المرسل ، فتظل تلك الأساطير وثيقة منظومة تحفظ الحدث من الزوال بما تتيحه من يسر في الحفظ والرواية .

(١) أنظر فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٦٦

وقد يدخل الشعر مكملا للحوار أو أساسا له في مواقف المدام والصراع فيكون لاستخدامه دلالة فنية في تصوير الصراع وتجسيده ، وفي إبراز المعالم النفسية التي يقوم عليها هذا الصراع ، فالحاجة الى الشعر هنا ليست تزييدا وانما هي حاجة فنية تعين المؤلف في تجسيد المشهد وإبراز الدلالات التي تحيط به من جميع نواحيه ، وهي تتكامل في هذه الحالة مع السرد بحيث تغدو وإياه كلا فنيا متكاملًا .

ويلجأ الراوي أحيانا الى انطاق الأبطال الأسطوريين بالشعر للتعبير عن الانفعالات النفسية ، فيتخذها أداة لتصوير الجانب الذي لا يستطيع السرد النثري أن يفي به من التصوير والتجسيد ، ويبدو هذا في الشعر المنسوب الى لقمان عند موت كل نسر من النسور السبعة ، كما مر بنا .

وقد يأتي الشعر بعد نهاية الأسطورة أو يرويها الراوي على لسان شعراء آخرين بعد انقضاء فترة من الزمن ، فيحمل هذا الشعر المضمون الذي أراد القاص من روايته ، وبذلك يتجنب الراوي إيراد هذا المضمون تقريرا على لسانه كراو أو على لسان أحد أبطاله ، فيهرب بهذا من الخطابية والوعظية في حكايته التي يتركها تنتهي نهاية طبيعية دون أن يتدخل هو بحكمة أو موعظة الا فيما ندر ، ولذا نجد ذكر المواضيع الأسطورية لدى الشعراء المعروفين يأتي مقترنا بالحكمة والوعظة والاعتبار .

تلك كلها سمات وخصائص طبعت الأساطير اليمينية القديمة بطابعها وميزتها عن غيرها من الأساطير العربية .

انتهى بعون الله وتوفيقه

فهرس المصادر والمراجع العربية

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - التوراة (كتاب العهد القديم) .
- ٣ - قاموس الكتاب المقدس - وضع نخبة من الاساتذة اللاهوتيين
مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - ط . الثانية ، بيروت ١٩٧١
- ٤ - ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ
اشراف المستشرق كارلوس يوهانس تورشبرغ ، دار صادر
بيروت - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
- ٥ - الأخطل : الديوان - رواية أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي
دار احياء التراث العربي - بيروت
- ٦ - أرسطو : فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن البديوي
مكتبة النهضة ١٩٥٢ م - القاهرة
- ٧ - الأزرقى ، أبو الوليد : أخبار مكة - تحقيق رشدي الصالح ملخص
ط . الثالثة ، دار الأندلس - بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- ٨ - الاسدي : بشر بن أبي خازم : الديوان ، تحقيق عزة حسن
دمشق ١٩٦٠ م
- ٩ - الأصفهاني ، أبو الفرج : الأغاني ، اشراف محمد أبو الفضل ابراهيم
طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٣
- ١٠ - الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس : الديوان . شرح الدكتور محمد حسين
مكتبة الآداب للجماهير ، المطبعة النموذجية
- ١١ - اغناطيوس ، يعقوب الثالث - بطريرك انطاكية وسائر المشرق :
الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية - دمشق ١٩٦٦
- ١٢ - الألوسي ، محمود شكري : بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب
تحقيق محمد بهجة الاثري - دار الكتاب العربي ، مصر - ط. الثالثة

- ١٣ - عمرو القيس بن حجر : الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعارف بمصر ١٩٥٨
- ١٤ - أمين ، أحمد : فجر الاسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ، ط . السابعة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م
- ١٥ - أوس بن حجر : الديوان - تحقيق محمد يوسف نجم
دار صادر - بيروت
- ١٦ - ابن ابياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور - ط . الأولى - بولاق
- ١٧ - باوزير ، سعيد عوض : صفحات من التاريخ الحضرمي
دار الهمداني ، عدن - ط . الثانية ١٩٨٣م
- ١٨ - البخاري ، محمد بن اسماعيل : الصحيح ، مطابع الشعب - ١٣٧٨هـ
- ١٩ - بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار
دار المعارف بمصر ، ط . الثانية
- ٢٠ - البستاني ، بطرس : دائرة المعارف - بيروت ١٨٧٦
- ٢١ - البغدادي ، عبدالقادر بن عمر : خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون
دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
- ٢٢ - البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز : معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط . الأولى ١٩٤٥
- ٢٣ - البلوي ، يوسف بن محمد : ألفباء ، المطبعة الوهبية - مصر ١٢٨٧هـ
- ٢٤ - بيتروفسكي ، م . ب : ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل - ترجمة د . شاهر
جمال أغا - الجمهورية العربية اليمنية - وزارة الاعلام والثقافة -
مشروع الكتاب - ط . الأولى ١٩٨٤
- ٢٥ - التبريزي ، الخطيب : مقصورة ابن دريد ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة
المكتبة العربية - حلب ، ط . الأولى ١٩٧٨
- ٢٦ - الجاحظ ، عمر بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة الخانجي ، القاهرة - ط . الثالثة ١٩٦٨

- ٢٧ - الجاحظ ، عمرو بن بحر : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة مصطفى البياهي الحلبي ، ط . الأولى ١٩٣٨
- ٢٨ - الجوزي ، مصطفى : من الأساطير العربية والخرافات
دار الطليعة ، بيروت - ط . الثانية ١٩٨٠
- ٢٩ - الحافظ الاصبهاني ، أحمد بن عبدالله أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات
الأصفياء - مطبعة السعادة - مصر ، ط . الأولى ١٩٣٣
- ٣٠ - أبو حاقبة ، أحمد : فن الشعر الملحني
دار الشرق الجديد - بيروت - ط . الأولى ١٩٦٠
- ٣١ - الجشي ، عبدالله محمد : دراسات في التراث اليمني
دار العودة ، بيروت - ط . الأولى ١٩٧٧
- ٣٢ - الجشي ، عبدالله محمد : مصادر الفكر الاسلامي في اليمن
مركز الدراسات اليمنية - صنعاء
- ٣٣ - ابن حبيب ، محمد أبو جعفر : المصبر ، رواية أبي سعيد الحسن السكري
تحقيق الدكتور ايلزه ليختن ، المكتب التجاري - بيروت
- ٣٤ - حتي ، فيليب : تاريخ العرب (المطول) - دار الكشاف للنشر
بيروت - ط . الرابعة ١٩٦٥
- ٣٥ - ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي : تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف
حيدر آباد ، الهند - ط . الأولى
- ٣٦ - ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي : لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت ، ط . الثانية ١٩٧١
- ٣٧ - حسان بن ثابت : الديوان ، شرح عبد الرحمن البرقوقي
مطبعة السعادة ، مصر
- ٣٨ - حسين ، طه : في الأدب الجاهل ، دار المعارف - مصر ، ط . التاسعة ١٩٦٨
- ٣٩ - حسين علي ، فؤاد : اليهودية واليهودية المسيحية
- ٤٠ - الحسين ، يحيى : غاية الأمان في أخبار القطر اليمني - تحقيق سعيد عاشور
دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٨

- ٤١ - الحميري ، نشوان بن سعيد: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم تحقيق ك. وسترشين - مطبعة برييل بليدن ١٩٥١
- ٤٢ - الحميري ، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن (القصة الحميرية) تحقيق اسماعيل الجرافي وعلي الموءيد ، دار العودة ، بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٨
- ٤٣ - الحوت ، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب دار النهار للنشر - بيروت ، ط ٠ الثانية ١٩٧٩
- ٤٤ - الخشاب ، يحيى : حكايات فارسية ، دار صادر - بيروت
- ٤٥ - ابن خلدون ، عبدالرحمن: المقدمة ، مراجعة لجنة من العلماء ، مطبعة مصطفى محمد التجارية - مصر
- ٤٦ - ابن خلدون ، عبدالرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر منشورات دار الكتاب اللبناني - ١٩٥٦
- ٤٧ - ابن خلكان ، شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة ، مصر - ط ٠ الأولى ١٩٤٩
- ٤٨ - خليفة ، حاجي : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - ط ٠ مقدمة ١٣١١هـ
- ٤٩ - خليل ، خليل أحمد: مضمون الأسطورة في الفكر العربي دار الطليعة - بيروت ١٩٧٣
- ٥٠ - خورشيد ، فاروق: في الرواية العربية ، طبعة مزينة ومنقحة دار العودة ، بيروت - ط ٠ الثانية ١٩٧٥
- ٥١ - خوري ، رشيف : مع العرب في التاريخ والأسطورة دار المكشوف - بيروت ١٩٦٣
- ٥٢ - داود ، جرجس : أديان العرب قبل الاسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٨١
- ٥٣ - ابن دريد ، أبوبكر محمد: الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون دار العسيرة ، بيروت - ط ٠ الثانية ١٩٧٩

- ٥٤ - الديميري ، الشيخ كمال الدين: حياة الحيوان الكبرى
مطبعة الشيخ محمد شاهين ١٢٧٨هـ
- ٥٥ - الدوري ، عبدالعزيز: نشأة علم التاريخ عند العرب
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت - ١٩٦٠
- ٥٦ - بن الديبع ، عبدالرحمن بن علي: قررة العيون بأخبار اليمن الميمون
تحقيق محمد بن علي الأكوغ - المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٧١
- ٥٧ - الدينوري ، أحمد بن داود/ الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر
مطبعة دار احياء الكتب العربية ، القاهرة - ط . الأولى ١٩٦٠
- ٥٨ - ديورانت ، ول: قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران
جامعة الدول العربية ، القاهرة - ط . الثالثة ١٩٦١
- ٥٩ - ذو الأصبع العدواني : الديوان ، مكتبة النهضة - مصر
- ٦٠ - الذهبي ، شمس الدين: تذكرة الحفاظ
دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٤هـ
- ٦١ - الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء - مصر ١٣٢٦هـ
- ٦٢ - الزبيدي ، محمد مرتضى: تاج العروس ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج
وزارة الارشاد والأنباء - الكويت ١٩٦٥
- ٦٣ - الزجاجي ، عبدالرحمن بن اسحاق: الامالي ، تحقيق عبدالسلام هارون
المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة ، ط . الأولى ١٣٨٢هـ
- ٦٤ - زكي ، أحمد كمال: الأساطير ، دار العودة - بيروت ، ط . الثانية ١٩٧٩
- ٦٥ - الزمخشري ، جاد الله محمود: الكشاف - دار الكتاب العربي ، بيروت
- ٦٦ - زهير بن أبي سلمى: الديوان ، صنعة الاعلم الشتري
تحقيق د . فخر الدين قباوة - المكتبة العربية ، دمشق
- ٦٧ - زيدان ، جرجي : العرب قبل الاسلام - دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦
- ٦٨ - زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية - دار مكتبة الحياة - بيروت
- ٦٩ - زيدان ، جرجي : أنساب العرب القدماء ، مطبعة الهلال - مصر ١٩٢١

- ٧٠ - السجستاني ، سهل بن محمد: كتاب المعمرين ، رواية أبي روق الهمداني
مطبعة السعادة - مصر ، ط ٠ الأولى ١٩٥٥
- ٧١ - ابن سعد ، محمد: الطبقات الكبرى - دار صادر ، بيروت ١٩٥٧
- ٧٢ - ابن سلام الجمي ، محمد: طبقات الشعراء ، مطبعة بريل - ليدن ١٩١٦
- ٧٣ - ابن سمره الجعدي ، عمر بن علي: طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد
مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٥٧
- ٧٤ - السواح ، فراس: مغامرة العقل الأولى - دار الكلمة للنشر
بيروت - ط ٠ الأولى ١٩٨٠
- ٧٥ - السهيلي ، الامام عبدالرحمن: الروض الانف - تحقيق عبد الرحمن الوكيل
دار الكتب الحديث - القاهرة ، ط ٠ الأولى ١٩٦٧
- ٧٦ - السياغي ، القاضي حسين أحمد: معالم الآثار اليمنية ، مركز الدراسات
والابحاث اليمنية - صنعاء ، ط ٠ الأولى ١٩٨٠
- ٧٧ - الشرجي الزبيدي ، أحمد بن عبداللطيف : طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص
المطبعة الميمنية - مصر ١٣٢١هـ
- ٧٨ - شرف الدين ، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ - مطبعة السنة المحمدية
القاهرة ، ط ٠ الثانية ١٩٦٤
- ٧٩ - الشنفرى : الذويان ، مكتبة النهضة - مصر
- ٨٠ - الشهرستاني ، محمد عبدالكريم: الملل والنحل - تحقيق عبدالعزيز عبدالوكيل
منشورات مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة ١٩٦٨
- ٨١ - شيخو ، الاب لويس: شعراء النصرانية ، مطبعة الآباء اليسوعيين
بيروت - ١٩٢٦
- ٨٢ - ضيف ، شوقي : تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) - دار المعارف
مصر - ط ٠ الرابعة
- ٨٣ - الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم ، دار المعارف - مصر ١٩٦٠

- ٨٤ - الطبري ، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير آي القرآن
المطبعة الاميرية ، بولاق - مصر ط . الأولى ١٣٢٩هـ
- ٨٥ - طرفة بن العبد: الديوان ، شرح الأعلام الشنتمري - تحقيق درية الخطيب
ولطفي الصقال - مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٧٥
- ٨٦ - عبد الحكيم ، شوقي: الفولكلور والأساطير العربية - دار ابن خلدون
بيروت ، ط . الأولى ١٩٧٨
- ٨٧ - ابن عبدربه ، أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد - تحقيق أمين والابيارى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط . الثالثة ١٩٦٥
- ٨٨ - عبدالرحمن ، نصرت: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى
عمان - ١٩٧٦
- ٨٩ - عبدالمعيد خان ، محمد: الأساطير والخرافات عند العرب - دار الحداثة
بيروت ، ط . الثانية ١٩٨٠
- ٩٠ - عبيد بن الأبرص: الديوان - دار صادر ، بيروت ١٩٥٨
- ٩١ - عروة بن الورد: الديوان - دار صادر ، بيروت
- ٩٢ - العلوي ، صالح بن حامد: تاريخ حضرموت السياسي
مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٦٨
- ٩٣ - علي ، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
دار العلم للملايين ، بيروت ، ط . الأولى ١٩٦٨
- ٩٤ - عنان ، زيد بن علي: تاريخ حضارة اليمن القديم
المطبعة السلفية - القاهرة ، ط . الأولى ١٣٩٦هـ
- ٩٥ - فرانكفورت ، هـ : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، ط . الثانية ١٩٨٠
- ٩٦ - فريزر ، جيمس : أدونيس أو تموز ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، ط . الثانية ١٩٧٩
- ٩٧ - فلهاوزن : بقايا الوثنية العربية - برلين ، ط . الثانية ١٨٩٧
- ٩٨ - الفيروز آبادي ، مجد الدين: القاموس المحيط - مؤسسة الحلبي ، القاهرة

- ٩٩ - فيلبس ، ويندل : كنوز مدينة بلقيس - تعريب عمر الديراوي
دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٦١
- ١٠٠ - القالي ، اسماعيل بن القاسم : الأمالي وذييل الأمالي
المكتب التجاري - بيروت (بلا تاريخ)
- ١٠١ - ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم : المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة
دار المعارف - مصر ، ط ٠ الثانية ١٩٦٩
- ١٠٢ - القرشي ، محمد بن أبي الخطاب : جمهرة أشعار العرب
دار صادر - بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م
- ١٠٣ - القزويني ، زكريا بن محمد : عجائب المنظومات وغرائب الموجودات
مطبعة المعاهد - القاهرة (بلا تاريخ)
- ١٠٤ - القلقشندي ، أحمد أبو العباس: صح الأعشى ، المطبعة الاميرية
القاهرة ، ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م
- ١٠٥ - القيسي ، نوري وآخرون: تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام
دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٩م
- ١٠٦ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين اسماعيل: البداية والنهاية
مطبعة السعادة - مصر ، ط ٠ الأولى ١٩٣٢م
- ١٠٧ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين اسماعيل: في تفسير القرآن العظيم
دار الاندلس - بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٦٦م
- ١٠٨ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين اسماعيل: السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى
عبدالواحد ، مطبعة عيسى الباهي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٤
- ١٠٩ - الكميت بن زيد: الديوان ، دار صادر - بيروت
- ١١٠ - المبرد ، محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق زكي مبارك
مطبعة مصطفى الباهي الحلبي - مصر ، ط ٠ الأولى ١٩٣٦
- ١١١ - المرزوقي ، الأصمهاني أبوعلي : الأزمنة والأمكنة ، حيدر اباد ، ١٣٣٢هـ
- ١١٢ - المسعودي ، علي بن الحسين: مروج الذهب ، تحقيق يوسف أسعد داغر
دار الاندلس - بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٦٥

- ١١٣ - المعري ، أبو العلاء : شروح سقط الزند ، نسخة مصورة عن دار الكتب
الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٤٥
- ١١٤ - المعري ، أبو العلاء : رسالة الغفران ، نشرة الكيلاني الأولى
مطبعة المعارف - مصر
- ١١٥ - المعلوف ، شفيق : عبقر ، ط . الرابعة - البرازيل ١٩٤٩
- ١١٦ - المقدسي ، المطهر بن طاهر : البدء والتاريخ - مطبعة برترند
سالون ، فرنسا ١٨٩٩
- ١١٧ - مكّي ، الطاهر أحمد : القصة القصيرة ، دار المعارف - مصر ط . الأولى ١٩٧٧
- ١١٨ - ابن منبه ، وهب : التيجان ، تحقيق ونشر مركز الدراسات اليمنية
 صنعاء ، ط . الثانية ١٩٧٩
- ١١٩ - ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر
بيروت ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م
- ١٢٠ - المنقري ، نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون
القاهرة ١٣٨٢هـ
- ١٢١ - موماي ، موريس : التوراة والانجيل والقرآن والعلم
دار الكندي - بيروت ، ط . الأولى ١٩٧٨
- ١٢٢ - الميداني ، أحمد بن محمد : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد
مطبعة السعادة ، مصر - ط . الثانية ١٩٥٩
- ١٢٣ - الناهضة الزبياني : الديوان ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكري فيصل
مطابع دار الهاشم - بيروت ١٩٦٨
- ١٢٤ - ابن النديم : الفهرست ، مطبعة الاستقامة - القاهرة
- ١٢٥ - نصار ، حسين : نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي - مكتبة النهضة
المصرية ، ط . الثانية ١٩٦٦
- ١٢٦ - نعناعة ، رمزي : الاسرائيليات ، مطبعة دار الضياء - بيروت
ط . الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

- ١٢٧ - النمر بن تولب : الديوان ، صنعة نوري القيسي
مطبعة المعارف ، بغداد (بلا تاريخ)
- ١٢٨ - النويري ، شهاب الدين أحمد: نهاية الارب في فنون الأدب
دار الكتب المصرية ، القاهرة - ط ٠ الاولى ١٩٤٩
- ١٢٩ - النيسابوري ، أبو اسحاق الثعلبي: قصص الأنبياء (عرائس المجالس)
القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م
- ١٣٠ - نيكلسون : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة صفاء خلوصي
مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٩
- ١٣١ - نيلسون ، دتيل وفرانز هومل: في التاريخ العربي القديم (ترجمة د. فؤاد
حسنين) مطبعة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٨
- ١٣٢ - هبو ، أحمد: تاريخ العرب قبل الاسلام
منشورات جامعة حلب ، كلية الآداب - ١٩٨٠
- ١٣٣ - الهذليون : الديوان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ٠ الاولى ١٩٤٥
- ١٣٤ - ابن هشام الكلبي: السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون
مطبعة مصطفى الباهي الحلبي ، مصر - ط ٠ الثانية ١٩٥٥
- ١٣٥ - هشام الكلبي : الأضنام ، تحقيق أحمد زكي
مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة - ط ٠ الثانية ١٩٢٤
- ١٣٦ - الهمداني ، الحسن بن أحمد: الأكليل ، ١٠ و ٢٠ و ٣٠ تحقيق محمد بن علي
الأكوع ، ط ٠ القاهرة ودمشق ١٩٦٧ - ١٩٧٩
و٣٠ تحقيق نبيه فارس - ط ٠ بيروت
- ١٣٧ - الهمداني ، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عبدالله
بلسهيد ، مطبعة السعادة - مصر ١٩٥٣
- ١٣٨ - هوروفتس ، يوسف : المغازي الأولى ومولفوها ، ترجمة حسين نصار
مطبعة مصطفى الباهي الحلبي - القاهرة ، ط ٠ الاولى ١٩٤٩
- ١٣٩ - هوميروس : الالبيادة ، ترجمة دريني خشبة
دار العودة ، بيروت - وترجمة سليمان البستاني - مصر ١٩٠٤

- ١٤٠ - اليافعي : مختصر روض الرياحين في مناهب الصالحين
ط . الباهلي الحلبي - القاهرة ، بدون تاريخ
- ١٤١ - ياقوت الحموي : ارشاد الارب ، مطبعة دار المأمون - بلا تاريخ
- ١٤٢ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر - بيروت ١٩٩٥
- ١٤٣ - اليعقوبي ، أحمد بن أمين يعقوب بن واضح : التاريخ
مطبعة العربي ، النجف ١٣٥٨ هـ
- ١٤٤ - مجموعة من المؤلفين الغربيين : التوراة تاريخها وغاياتها
ترجمة سهيل ديب - دار النفاثس - بيروت ، ط . الثانية ١٩٧٧

فهرس المراجع الأجنبية

- 1 - BOLVINCH, THOMAS: THE MYTHOLOGY OF GREECE AND ROME - U.S.A.
- 2 - CLEMEN, CARL: RELIGION OF THE WORLD
PLIMPTON PRESS, NORWOOD MARS 1931
- 3 - ENCYCLOPEDIA BRITANNICA vol. 1
- 4 - ENCYCLOPEDIA OF ISLAM vol. 1
- 5 - ENCYCLOPEDIA OF RELIGION AND ETHICS vol. 1
- 6 - EUHEMERUS, INTRODUCTION TO MYTHOLOGY
- 7 - FRAZER, SIR JAMES: THE GOLDEN BOUGH vol. 5
MACKMILLAN - NEW YORK 1911
- 8 - FROMM, ERIC: THE FORGOTTEN LANGUAGE
- 9 - GORDON, C.H.: UGRIT, NORTON LIBRARY
NEW YORK 1962
- 10 - KING, W.: BABYLONIAN RELIGION
LONDON 1966
- 11 - KING, W.: SEVEN TABLETS OF CREATION
LONDON 1962
- 12 - LANGDON, S.H.: THE MYTHOLOGICAL SCIENCE OF THE WORLD vol. 3
PLIMPTON PRESS, NORWOOD MARS 1931
- 13 - MALINOVSKI, MAGIC, SCIENCE AND RELIGION
GARDEN CITY, NEW YORK 1954
- 14 - MALINOVSKI, MYTH IN PRIMITIVE PSYCHOLOGY
LONDON 1926
- 15 - SMITH, W. ROBERTSON: RELIGION OF THE SEMITES
LONDON 1884
- 16 - SPENCE, LEWIS: INTRODUCTION TO MYTHOLOGY
LONDON 1931
- 17 - SPENCE, LEWIS: MYTHS AND LEGENDS OF ANCIENT EGYPT
- 18 - SPENCE, LEWIS: MYTHS AND LEGENDS OF BABYLON & ASSYRIA
LONDON 1928

فهرس المجلات والدوريات

- ١ - بتروفسكي : مجلة " الحكمة " اليمنية ، مقالة " التراث اليمني القديم " العدد ٣٨ سنة ١٩٧٥
- ٢ - بتروفسكي : مجلة " الحكمة " اليمنية ، مقالة عن سيرة التابع أسعد الكامل العدد ١٠٩ سنة ١٩٨٤
- ٣ - الجوزو ، مصطفى : مجلة " الفكر العربي " مقالة حول الأسطورة العربية العدد ٢٢ - ايلول سنة ١٩٨١
- ٤ - القلماوي ، سهير : مجلة " عالم الفكر " - الكويت ، مقالة " القصص الشعبي " العدد الأول - سنة ١٩٧٢
- ٥ - القرشي ، عبد الرحيم سلام : مجلة " الحكمة " اليمنية ، مقالة " الأساطير في تراث اليمن الثقافي " العدد ٥٨ ، سنة ١٩٧٧
- ٦ - عبدالله ، يوسف : مجلة " الحكمة " اليمنية ، مقالة " التكامل من شواهد اليمن القديم " العدد ٣٨ ، سنة ١٩٧٥
- ٧ - بيستون : مجلة " الحكمة " اليمنية ، مقالة " مشاكل النقوش " العدد ٣٨ ، سنة ١٩٧٥

فرانز هومل ٣٠٢ ٢٤
فرانكفورت ١٨٨٠ ١٢٧٠ ١٣٤٠ ١٤٦٠ ٢٣٠ ٢٤٠
الفردوسي ٤٣
ابو الفرج الاصفهاني ١٢٦ ٩٨ ٨٧ ٧٨ ١٦٢

الفردق ٢٠٣
فركون ٦٤
فلهوازن ١٩٩
الفضل بن عياش ٤٢
الفيروز ابادي ٢٠١
فيلو السبيلوسي ٦١
فيلب حتي ٥٥
فيلبي ٣٠

القاف

قاهيل: ١٤٤
القاضي السياغي ١٤٨ ١٥٠ ١٥١

قتيبة بن ضار ٢٤٨
ابن قتيبة ٧٢ ١٦٦ ٢٧٠ ٤٣٠ ٤٢٠ ٢٩٠ ٣٨٠
١٤٥٢ ١٨٦ ١٧٨ ١٧٦ ١٧٤
قحطان ٧١

القرشي ٢١٩ ٢١٨
القرشي عبدالرحيم سلام ١٠
القزويني ٤٠ ٤٠٤ ٢٠٥ ٢٤٨٢
القلقشندي ٧٠ ٢٢٦

الكاف

كثير ٢٤٩
ابن كثير ٤٢ ٤٤ ٧٠ ٧٩ ٨١ ٨٢ - ٨٦
١١٦ ٢٢٦ ٢٤٩ ٢٥١

علي بن ابي طالب: ٣٢ ٢٢٦

ابوعلي القالي: ٢٥٤ ٢٥٤
عمر بن الخطاب ٧٩ ٣٩ ٣٨
عمر بن ابي ربيعة: ١٦٢
عمر بن العاص: ٤١ ٤٥
عمر بن عبد العزيز: ٤٣
عمر بن ذر الازعاري: ١٢٢
عمر بن ذر غمدان: ٢٨٣
عبدالمسيح بن عمرو: ٢٥٠

عمرو بن عامر: ٢٨٢ ٢٤٠ - ٢٤٦ ٢٤٨
عمران بن عامر: ٢٤٠ ٢٥٧
عمرو بن لحي: ١٥٦ ١٠٧ ١١٣ ١٤٩
عمرو بن نماره: ١٩٨ ١٥٤ ١٥٠ ١٥٧
عمرو بن عباد ١٢٩
عمرو بن مفاض ١١٦
عمرو بن الهدهاد ١٢٩
عنترة ٩
عيسى بن مزيم ٦٤ ١٢٠ ١٢١
عمر بن مالك السكري ٣٧

الغين

الغزالي: ٤٧

الفاء

الفارعة بنت موهبيل ٢٦٠
فوءاد حسنين علي ١٣٧
فاروق خورشيد ٢٩ ٢٣ ٢٨ ٢١ ٤٣ ٤٨
٤٩ ٥٠ ٥٥ ٥٩ ٦١ ٦٧ ٦٠
١٧٦

الفخر الرازي ٨٠
فراس سواح ١٣ ١٤ ٥٧ ٩٧ ١٢١ ١٢٢
١٢٦ ١٢٨ ١٢٩ ١٤٢

الكنعانيون ١٥٠٩٩٠٥٤٠٥٣٠٨

السلام

لخم ١٠٤

الميم

مذحج ١٠٩, ١١١, ٢٤٢, ٢٤٣, ٢٦٣
مراد ١١١

المصريون ٢٨, ٦٨, ١١١, ٢٥٧
المعينيون ١٩, ٢٤٤, ٢٥٥, ٩٦, ١١١
المناذرة ٥٤

بنو مالك ١١١
مراد ٢٥٣

مضر ٢٥٣
معد ٢٧٠

النون

بنو النضير ٢٠٢

الهاء

هذيل ١٠٩, ١١١, ٢٦٣, ٢٠١

همدان ١٠٩, ١١١, ١٢٧, ٢٤٢, ٢٦٣
الهنود ٥٧, ٥٨, ٩٥
هنود امريكا ٥٦, ١٦٥

الياء

بنو يربوع ٢٥٧
اليونانيون ٥٤, ٥٥, ٥٦, ٦١, ١٠٠

العبرانيون ٦٥, ١٠٥, ١٦٥
عدنان ٢٢, ٢٣, ٢٤, ٢٥, ٢٥٥, ١٠٩

العجم ٤١, ٥٥

العرب ١٩, ٢٣, ٢٤, ٢٥, ٢٦, ٢٧, ٢٨, ٢٩, ٣٠, ٣١, ٣٢, ٣٣, ٣٤, ٣٥, ٣٦, ٣٧, ٣٨, ٣٩, ٤٠, ٤١, ٤٢, ٤٣, ٤٤, ٤٥, ٤٦, ٤٧, ٤٨, ٤٩, ٥٠, ٥١, ٥٢, ٥٣, ٥٤, ٥٥, ٥٦, ٥٧, ٥٨, ٥٩, ٦٠, ٦١, ٦٢, ٦٣, ٦٤, ٦٥, ٦٦, ٦٧, ٦٨, ٦٩, ٧٠, ٧١, ٧٢, ٧٣, ٧٤, ٧٥, ٧٦, ٧٧, ٧٨, ٧٩, ٨٠, ٨١, ٨٢, ٨٣, ٨٤, ٨٥, ٨٦, ٨٧, ٨٨, ٨٩, ٩٠, ٩١, ٩٢, ٩٣, ٩٤, ٩٥, ٩٦, ٩٧, ٩٨, ٩٩, ١٠٠

عك ٢٤٢

الغين

بنو غطيف ١١١

الغساسنة ٥٤, ٢٤٢, ٢٤٣
غمندان ٢٦٣

الفاء

الفرس ٤٩, ٥٤, ٥٦, ٥٧, ٥٩, ٦١, ١٢٦, ١٢٧, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٠, ١٣١, ١٣٢, ١٣٣, ١٣٤, ١٣٥, ١٣٦, ١٣٧, ١٣٨, ١٣٩, ١٤٠, ١٤١, ١٤٢, ١٤٣, ١٤٤, ١٤٥, ١٤٦, ١٤٧, ١٤٨, ١٤٩, ١٥٠, ١٥١, ١٥٢, ١٥٣, ١٥٤, ١٥٥, ١٥٦, ١٥٧, ١٥٨, ١٥٩, ١٦٠, ١٦١, ١٦٢, ١٦٣, ١٦٤, ١٦٥, ١٦٦, ١٦٧, ١٦٨, ١٦٩, ١٧٠, ١٧١, ١٧٢, ١٧٣, ١٧٤, ١٧٥, ١٧٦, ١٧٧, ١٧٨, ١٧٩, ١٨٠, ١٨١, ١٨٢, ١٨٣, ١٨٤, ١٨٥, ١٨٦, ١٨٧, ١٨٨, ١٨٩, ١٩٠, ١٩١, ١٩٢, ١٩٣, ١٩٤, ١٩٥, ١٩٦, ١٩٧, ١٩٨, ١٩٩, ٢٠٠

الغينيون ١٦, ١٥٩

القاف

القحطانية ٤٨, ٢٩, ٢٢, ١٤, ١٤٠, ١٤١, ١٤٢, ١٤٣, ١٤٤, ١٤٥, ١٤٦, ١٤٧, ١٤٨, ١٤٩, ١٥٠, ١٥١, ١٥٢, ١٥٣, ١٥٤, ١٥٥, ١٥٦, ١٥٧, ١٥٨, ١٥٩, ١٦٠, ١٦١, ١٦٢, ١٦٣, ١٦٤, ١٦٥, ١٦٦, ١٦٧, ١٦٨, ١٦٩, ١٧٠, ١٧١, ١٧٢, ١٧٣, ١٧٤, ١٧٥, ١٧٦, ١٧٧, ١٧٨, ١٧٩, ١٨٠, ١٨١, ١٨٢, ١٨٣, ١٨٤, ١٨٥, ١٨٦, ١٨٧, ١٨٨, ١٨٩, ١٩٠, ١٩١, ١٩٢, ١٩٣, ١٩٤, ١٩٥, ١٩٦, ١٩٧, ١٩٨, ١٩٩, ٢٠٠

قريش ١٩, ٢٠, ٢١, ٢٢, ٢٣, ٢٤, ٢٥, ٢٦, ٢٧, ٢٨, ٢٩, ٣٠, ٣١, ٣٢, ٣٣, ٣٤, ٣٥, ٣٦, ٣٧, ٣٨, ٣٩, ٤٠, ٤١, ٤٢, ٤٣, ٤٤, ٤٥, ٤٦, ٤٧, ٤٨, ٤٩, ٥٠, ٥١, ٥٢, ٥٣, ٥٤, ٥٥, ٥٦, ٥٧, ٥٨, ٥٩, ٦٠, ٦١, ٦٢, ٦٣, ٦٤, ٦٥, ٦٦, ٦٧, ٦٨, ٦٩, ٧٠, ٧١, ٧٢, ٧٣, ٧٤, ٧٥, ٧٦, ٧٧, ٧٨, ٧٩, ٨٠, ٨١, ٨٢, ٨٣, ٨٤, ٨٥, ٨٦, ٨٧, ٨٨, ٨٩, ٩٠, ٩١, ٩٢, ٩٣, ٩٤, ٩٥, ٩٦, ٩٧, ٩٨, ٩٩, ١٠٠

قبس ٢٥٥, ٢٥٦, ٢٥٧, ٢٥٨, ٢٥٩, ٢٦٠, ٢٦١, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٦٥, ٢٦٦, ٢٦٧, ٢٦٨, ٢٦٩, ٢٧٠, ٢٧١, ٢٧٢, ٢٧٣, ٢٧٤, ٢٧٥, ٢٧٦, ٢٧٧, ٢٧٨, ٢٧٩, ٢٨٠, ٢٨١, ٢٨٢, ٢٨٣, ٢٨٤, ٢٨٥, ٢٨٦, ٢٨٧, ٢٨٨, ٢٨٩, ٢٩٠, ٢٩١, ٢٩٢, ٢٩٣, ٢٩٤, ٢٩٥, ٢٩٦, ٢٩٧, ٢٩٨, ٢٩٩, ٣٠٠

بنو القريظة ٢٠٣
بنو قينقاع ٢٠٢

قضاة ٢٥١, ٢٦٣

الكاف

الكلدانيون ٥٢, ٥٦, ٥٧, ٥٨, ٥٩, ٦٠, ٦١, ٦٢, ٦٣, ٦٤, ٦٥, ٦٦, ٦٧, ٦٨, ٦٩, ٧٠, ٧١, ٧٢, ٧٣, ٧٤, ٧٥, ٧٦, ٧٧, ٧٨, ٧٩, ٨٠, ٨١, ٨٢, ٨٣, ٨٤, ٨٥, ٨٦, ٨٧, ٨٨, ٨٩, ٩٠, ٩١, ٩٢, ٩٣, ٩٤, ٩٥, ٩٦, ٩٧, ٩٨, ٩٩, ١٠٠

كلب ١٠٩, ١١٠

كهلان ٧١, ١٦٧, ٢٥٧, ٢٤٢, ٢٤٣

الکرد ١٧٣

بنو كركر ١٩٢

الخاء

خراسان ٤٤
الخليج العربي ١٨٩٠٦٤
خيوان ١٠٩ ١١٤

الدال

دمشق ٤٤
دومة الجندل ١٠٩ ١١٠
الدهنا ٧٤
دلفي ٤٥٧
الديلم ١٧٤

الراء

رأس الشمرا ٥٢
الرس ٧٤
الروم ٤٢ ٥٥٠ ٥٦٠
روما ٤٥
الرياض ٤٨
رداع ١٤٨
ريام ١٤٧ ١٤٨
ريدان ٤٧٤ ٤٨٤

السين

سبا ٧٣ - ١٠٤ ١٠٩ ١١٤ ١١٧
٤٧٤ - ٤٤١ ٤٤٤ ٤٤٦ ٤٤٧
سقطة ٥٥
السند ٥٥ ١٧٨ ٤٦٢ ٤٩٦
سمرقند ٧٩ ١٧٦ ١٧٨
سورية ٦١ ٥٤
السلف ٤٥٨
سلحين ٤٨٤ ٤٨٩

الشين

شرق افريقيا ٤٧
الشرق الادني ٨٥ ٤٧
الشحر ٧٠ ٤٤٦ ٤٥٨

شالي الجزيرة العربية ٤٢٤ ٤٨٧ ٤٩٠
الشام ٤٦٤ ٤٧٠ ٤٨٧ ٤٩٥
شيام ٤٢٨
الشام ٤٩٤ ٥٠٠ ٥٠٤ ٥٠٣ ٥١٨

الصاد

الصدق ٤٥٨
صرواح ٤٤٩ ٤٥٩
ضعاء ٤١ ٤٢ ٤٤ ٤٤٤ ٤١٠ ٤٤٧ ٤٤٩
٤٦٤ - ٤٦٧ ٤٨٧ ٤٨٩
الصفاء ١١٣
الصين ٤٩ ٧٩ ١٧٤ ٤٦١ ٤٦٨ ٤٦٩
صيهد ٧٤ ٤٨٤ ٤٩٦

الطاء

طروادة ٧٩
طور سيناء ٥٤
الطايف ١٩٣

الظاء

ظفار ٤٢٩ ٤٦٠ ٤٧٤ ٤٨٢ ٤٨٤ ٤٨٥

العين

العراق ٥٣ ١٧٤ ٤٦٤ ٤٦٣
العرض الأعلى ٤٣
العلا ١٩ ٥٥
العقيق ٧٢
عمان ٥٥ ٤٤٩ ٤٤٣
عيقر ٥٧
عدن ٤٤٧ ٤٦٨
عزم ٤١٤

الغين

الغرب ٤٨
غيما ٤٦٤
غمدان ٤٠ ٧٩ ٤٧٤ ٤٧٤ ٤٨٣ - ٤٩٧

فهرس الأشعار

الصفحة	الشاعر	عدد الآبيات	آخر البيت	الصفحة	الشاعر	عدد الآبيات	آخر البيت
٢٧١	نشوان الحميري	١	لقاح				<u>الباء</u>
٢٠١	عبيد بن شربة الأبرص	٣	اصلاحي				
				٧١	مهد بن سعيد	٢	أجابوا
			<u>الذال</u>	١٩٩	طرفه بن العبد	٣	تحاسبه
١٩٦	لقمان بن عاد	٣	الأبد	٢٠٨	اعرابي	٦	الثعالب
١٩٨	،،	٣	تجد	٢٠٩	حجاج بن علاط السلمي	٢	النقب
١٩٨	النايفة الذهباني	١	لبد	٢١٤	الهدهاد بن شرحبيل	٨	العجب
٢٠٢	امروء القيس	٢	الجدد	٢١٥	،،	٢	باليلب
٢٠٤	طرفة بن العبد	٢	مصدر	٢٢٩	علقمة بن ذي جدن	١	مأرب
٢٠٧	،،	١	أبد	٢٩٠	،،	٢	العجيب
٢٨٠	أسعاد الكامل	١	موقد	٩٨	مية بنت أم عقبة	١	توءوبا
٢٨٣	،،	١	داود	١١٢	شحنة بن خلف	٣	أنصابا
٢٨٤	،،	٢	حديد	٢٧٨	أسعاد الكامل	٤	تراها
٢٨٤	دعبل بن علي	١	فماجدد	٢٧٩	،،	٢	غابا
٢٨٧	شاعر من حمير	١	مرشد	٢٨٠	،،	٦	صلايا
٢٧١	أسعاد الكامل	١	سعيد	١٩٥	لقمان بن عاد	٢	طلبها
٢٧٨	،،	١	شهيد	٢٨٣	الربيع بن ضبع	٣	الكواكب
٥٨	الأسود بن يعفر	١	المتوقد	٢٠٧	زهير بن أبي سلمى	٢	جوانبها
٧٧	أسعد تبع	١	متلد	٢٢٩	ذو الرمة	١	اجتنابها
١٦٤	ذو الرمة	١	المطرود				<u>التاء</u>
١٧٩	أسعد تبع	٢	المتوقد				
١٩٢	السميدع بن زهير	٤	فساد				
١٧٤	ذو القرنين	٤	الموعودا	٢٠٢	جريس	١	المعات
٤٧٥	،،	٢	صودا	٢٨٨	الي شرح	١	بمهمات
٤٧٧	،،	٤	معدودا				<u>الحاء</u>
٤٧٩	،،	٢	جعودا				
١٨٤	،،	١	محدودا				
١٨٥	،،	١	قرودا	٢٩٣	علقمة بن ذي جدن	٢	الرياح
١٩١	،،	١	المعبودا	٧٦	نشوان الحميري	٣	الاصراع
٢٦٣	أسعد التبع	٣	برودا	١١١	شاعر	١	الصباح
٢٦٩	أسعد الكامل	٢	جسودا	١٧٨	الربيع بن ضبع	٢	فلاح
٢٧٢	تبع	١	خلودا	١٨٥	تبع الأقرن	٣	صباح
٢٧٢	تبع	٢	خلود	٢٠٠	نشوان الحميري	١	المداح
				٢٦٨	،،	٥	رداح

الصفحة	الشاعر	عدد الآبيات	آخر البيت	الصفحة	الشاعر	عدد الآبيات	آخر البيت
٢٨٦	أسعد الكامل	١	فتخبر	٢٧٩	أسعد الكامل	١	مجيدا
٢٩٠	الهمدانسي	٤	يتفكر	٢٨٦	علقمة بن ذي جدن	٣	رغدا
٢٩١	"	٥	يزار	١٧٧	ذو القرنين	٤	عتيدا
٢٩٤	علقمة بن ذي جدن	٢	تكبر	١٧٩	"	٢	تجريدا
٢٩٤	الأعشى	٢	الخير	١٨١	"	٢	تليدا
٢٨٦	النعمان بن الأسود	٢	نور	٧٠	عاد	٢	الهادي
١٦٢	ذو الرمة	١	جافر	٢٠٩	اعرابي	٣	الاعادي
٢٦٢	شاعر	٧	غدروا				
٢٧٨	أسعد الكامل	٢	الجمهور				الراء
٢٨٢	"	١	الزبور				
٢٨٢	الهمدانسي	٣	احتفرا	٧١	علقمة بن ذي جدن	٣	المطهر
٢٨٩	الشاعر	١	الزهرة	١٠٤	المر بن تولب	٢	القمر
١٠٠	عمرو بن نضارة	٤	يعسرا	١٨٦	علقمة بن ذي جدن	٢	تعمير
١٩٨	علقمة بن ذي جدن	١	الديارا	١٨٦	حسان بن ثابت	٢	تكسر
٢٤٥	ختار الحميري	٦	خنافرا	١٩٢	لقمان بن عاد	٢	القطر
٢٥٢	النعمان بن الأسود	١	قديسر	١٩٢	الأعشى	٤	العمر
٧٧	المهلهل	١	الكبير	١٩٤	لقمان بن عاد	٢	ميسر
١٥٩	أسعد الكامل	١	المصير	١٩٦	"	١	مقدر
٢٧٦	"	١	الكبير	١٩٨	"	١	يعمر
٢٦٩	شاعر حميري	٤	لم تعمر	٢٠٩	ابن مفرغ الحميري	١	عيقر
٢٨٤	المثنى بن عمرو	٢	ما تدري	٢١٧	شاعر	١	ذكر
١٩٥	عروة بن الورد	٣	مثنري	٢٢٧	علقمة بن ذي جدن	٣	المطهر
٢٠١	حسان بن ثابت	٣	شعري	٢٢٩	شاعر	٢	مفرور
٢١٧	الشاعر	١	بخر	٢٦٠	نوان الحميري	٢	خمر
٢٢٨				٢٦١	شاعر	١٣	حذر
			السين	٢٦٢	"	٢	الشرر
				٢٦٤	تبغ	٣	منظر
١٧٠	ذو القرنين	١	الطرس	٢٦٦	شاعر	٢	الدعر
١٨٠	"	٥	الطرس	٢٦٨	حسان بن ثابت	١	يقهر
٢٨٢	الهمدانسي	٥	شاس	٢٧٢	أسعد الكامل	٢	المفخر
١٩٤	لقمان بن عاد	٢	درسا	٢٧٤	شاعر	٤	العرعر
١٩٧	"	٣	نعا	٢٧٧	"	٥	مصير
١٧٤	ذو القرنين	١	للأمس	٢٧٩	أسعد الكامل	٣	أخسر
			الشمين	٢٨٤	تبغ	٧	يظفر
				٢٨٥	أسعد الكامل	٢	ترفر
١١٢	مالك بن نمط	١	بيريش				

الصفحة	الشاعر	عدد الآبيات	آخر البيت	الصفحة	الشاعر	عدد الآبيات	آخر البيت
			<u>الكاف</u>				<u>الضاد</u>
				١٩٤	لقمان بن عاد	٣	عوضا
١٢٢	المحموم بن مالك	٥	لحاككا	١٩٦	،،	١	دحضا
			<u>اللام</u>				<u>العين</u>
٧١	حسان بن ثابت	١	يعذل	٢٢	كعب بن مالك	١	تلمع
١٠٤	الشنفرى	١	تتململ	١٢٧	الافوه الاودي	١	الأجدع
١٢٠	شاعر	١	مزمل	٢٥٩	علقمة بن ذي جدن	٢	اليفع
٢٠١	لبيد بن ربيعة	٣	الاعزل	٦٩	طرفه بن العبد	١	فأشبعوا
٢١٠	طرفه بن العبد	١	ارتحل	١١١	رجل من العرب	٢	سواع
٢٢٦	حسان بن ثابت	١	ويعذل	٢٠٢	ضرار بن الخطاب	٢	القناع
٢٤٨	كثير	١	منزل	٢٤٨	علقمة بن ذي جدن	١	الرفيع
٢٦٤	شاعر	١	التابل	٢٢٩	شاعر	٢	المسمعة
٢٦٨	أسعد الكامل	٢	القافل	٢٥٨	ابن الجهم	١	خالمة
٢٧٠	،،	٤	مقاتل				
٢٧١	،،	٢	فاعل				<u>الفاء</u>
٢٧٣	شاعر	٤	نازل				
٢٧٥	أسعد الكامل	١	التابل	٥٨	بشر بن ابي خازم	١	مرتجف
٢٧٨	،،	٢	الفاعل	١١٤	،،	١	اساف
١٧٧	امروء القيس	١	الرجالا	١٢٤	اوس بن حجر	١	حالف
٢٠٨	وضاح بن اسماعيل	٢	ذيل	١٦٣	جران العود	٢	يطرف
٢٦٢	أسعد الكامل	٣	القبائلا	٢٩٢	ثعلبة بن عمرو	٢	مساند
٢٦٩	،،	٢	جاهلا	٢٩١	علقمة بن ذي جدن	٢	منيف
٢٧٢	تبغ	٢	ماخلا	١٩٤	لقمان بن عاد	٣	النصفا
٢٧٤	نشوان الحميري	١	القبائلا	١٩٦	،،	٢	سلفا
٢٧٥	شاعر	٣	المناهلا	١٩٦	،،	٣	عكفا
٢٧٦	،،	١	الماخلا				
٢٨٧	أمية بن ابي الصلت	١	محللا				<u>القاف</u>
٢٨٩	،،	١	نالا	٢٢٩	شاعر	٣	يساق
٢٩٠	،،	١	تمشالا				
٩٦	الأعشى	١	لللهلال	٢٩٠	علقمة بن ذي جدن	١	البروق
١١٤	أبو طالب	٢	بالوصائل	٢٩٢	ذو جدن الحميري	١	الحريق
٢٧٥	أسعد الكامل	١	بمستاهل	٢٩٢	،،	١	بالعدوق
٢٨٦	،،	٨	بمستاهل				

آخر البيت	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة	آخر البيت	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
يستقلوا	١	زهير بن أبي سلمى	٢٠٧	النون			
كله	٢	تيم السلات	١٩٨	الفن	٢	عبد المسيح بن عمرو	٢٥٠
زولها	١	الأخطل	١١٤	عدن	١	كعب بن جليل	٢٦٨
لميم				يمان	١	امرؤ القيس	٦٣
لنم	٢	تبع	٤٤	الخفقان	٥	أبو العلاء المعري	١٦١
لاثم	١	النايعة الذهباني	٧١	الهجان	٣	النعمان بن الأسود	١٧٤
لعرم	٤	الأعشى	٢٤٩	وهوان	٢	ابن التبع	١٧٤
لنم	٢	التبع أبو كرب	٢٥٢	رهان	١	النعمان بن الأسود	١٧٦
لنم	٥	تبع	٢٧١	بنيان	١	أبو الطمجان القيني	٢٤٧
لام	٢	أسعد الكامل	٢٧٨	أوطان	٤	تبع	٢٦٢
لتهوم	٢	علقمة بن ذي جدن	٢٩٤	زمان	٣	أسعد الكامل	٢٦٢
لمرتضى	٢	ابن دريد	٢٨٨	البلدان	٢	،،	٢٦٩
لما	١	النايعة الذهباني	١١٤	أمان	٤	تبع	٢٧٢
لما	١	الأخطل	١١٢	الاقتران	٤	أسعد الكامل	٢٧٢
لهم	١	علقمة بن ذي جدن	١٢٧	فنان	١	،،	٢٧٧
لاقدام	٥	شاعر	٢٤٠	البرهان	٢	،،	٢٧٧
لعرما	١	أمية بن أبي الصلت	٢٤٨	الرحمن	١	،،	٢٧٩
لعقوما	١	حاتم الطائي	٢٠٥	غمدان	١	،،	٢٨٦
لصوما	١	الربيع بن ضبع	١٧٤	يلتقيان	٢	عمرو بن أبي ربيعة	١٦٢
لصم	١	ذو القرنين	١٨١	يقينا	٢	لقمان بن عاد	١٩٤
لصم	١	،،	١٨٢	يقينا	١	،،	١٩٥
لرواكم	١	،،	١٧٩	رهينا	١	،،	١٩٨
لرواسم	١	،،	١٨٤	تعدينا	٣	عمرو بن عامر	٢٤١
لادم	٣	،،	١٨٧	ريدانا	٢	أبو علكم المراني	٢٨٤
لحظالم	٣	،،	١٧٧	غمدانا	١	،،	٢٨٧
لراكم	٢	،،	١٨٠	يماني	٢	ابن التبع	١٧٢
لحامي	٣	تبع	٢٧٠	عاني	٣	النعمان بن الأسود	١٨٦
لحامها	٤	حاتم الطائي	١٤٥	اسقوني	١	ذو الأصبع العدواني	٢٠١
				عسي	٢	راجز	٢١٧
				السوا			
				هوة	١	حسان بن ثابت	٢١٧

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>عدد</u> <u>الآبيات</u>	<u>آخر البيت</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>عدد</u> <u>الآبيات</u>	<u>آخر البيت</u>
							<u>الهاء</u>
				٢٠٢	الصلت بن أمية	١	المكروها
				٢٠٣	هبيرة بن أبي وهب	١	عواديتها
				٢٨٨	الهمداني	٥	بيتها
							<u>الياء</u>
				٦٣	أبو ذؤيب الهذلي	٤	الحميري
				١٨٢	ذو القرنين	٢	طافيا
				٢٤٤	الهمداني	٢	واديتها